

المُرِّيَاتِي السُّنِّيَّة

في أشعَّار الصحابة
توثيق ودراسة

محمد شمس عُقاب

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

المزني النبي
في أشعرا الصحابة
توثيق ودراسة

باسم الرحمن الرحيم

أضل هذا الكتاب رسالة ماجستير نُوقشت في قسم اللغة العربية
وأدائها بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م بإشراف
الأستاذ الدكتور سعيد حسين منصور الأستاذ بالقسم، وعضوية كل من:
الأستاذ الدكتور فوزى سعد عيسى رئيس القسم، والأستاذ الدكتور محمد
أبوالمجد علي وكيل كلية دارالعلوم بالفيوم. ونالت تقدير (ممتاز)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٣ / ٢١٧٨٠

ISBN

٩٧٨ ٩٧٧ ٤٨١ ١٠١ ٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق المصرية
إدارة الشؤون الفنية

المراثي النبوية في أشعار الصحابة: توثيق ودراسة / محمد شمس
عقاب . مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ .

٥٢٨ ص ٢٤٤ سم .

تدمك ٢ ١٠١ ٤٨١ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشعر العربي - تاريخ - صدر الإسلام

٢- الشعر العربي - تاريخ ونقد

أ- العنوان

ديوي ٨١١،٢

مكتبة الإمام البخاري

الإنشائية ٤٦ شارع الجمهورية - أقاليم - بعد الاستقلال

لليفون ٩٧٧٦٧٦٧٧٢٢٢٢



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وأصليِّ وأسلميِّ على رسول الله محمَّدٍ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أمَّا بعد؛ فإن أعظم مصيبة أصابت المسلمين قاطبةً هي مصيبة فقد الرسول ﷺ، وإن أعلم الناس بهول المصيبة - أي مصيبة - هم أولئك القوم الذين نزلت بهم فنالت منهم، وكان الصحابة أوَّل من ابْتُلِي بموت الرسول ﷺ، وأوَّل مَنْ رثاه. قال أنس بن مالك: لَمَّا كان اليوم الذي قَدِمَ فيه رسول الله ﷺ المدينة؛ أضاءَ منها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كان اليوم الذي مات فيه؛ أظلمَ منها كلُّ شيءٍ. وما نَقَضْنَا عن رسول الله ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا^(١).

والمرائي النبويَّة في أشعار الصحابة ديوانٌ بحثٌ منشور في أشتات الكتب المتقدِّمة، ولعلَّ أحدًا لم يفردَه ببحثٍ إلا الدكتور محمد أبو المجد عليّ في كتابه «مراي النَّبِيِّ ﷺ»^(٢) الذي جمع قدرًا حسنًا منها بلغ إحدى وستين مرثيةً ما بين قصيدة ومقطعةٍ وبيت، وقد خرَّج الدكتور كلَّ ذلك وقابله، وقَدَّم له بدراسةٍ خصَّ جزءًا منها للحديث عن الوضع والانتحال^(٣) أشار فيه بإشارات دقيقة، وللدكتور أبي المجد كتابٌ آخر في شعر صفيَّة بنت عبد المطلب، جمع فيه مرثياتها، ودرسها ضمن بقية أغراض

(١) انظر: المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيبانيّ ٣٣٠/٢٦ (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٢٠/٢هـ).

(٢) مراي النَّبِيِّ ﷺ: جمع وتحقيق ودراسة (مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٣). ولعلَّ الأستاذ محمد عبد الغني حسن أوَّل من نبَّه إلى هذا الموضوع حين نشر بحثًا في مجلَّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عنوانه: المرثي النبوية وشعراؤها (الجزء التاسع والأربعون ص ٤٦، رجب ١٤٠٢ هـ - مايو ١٩٨٢م)، أشار فيه إلى نحو عشرين مرثية، وكتب عليها تعليقًا مجملًا من غير تفرقة بين الصحيح منها والضعيف، إلا أنه قال مرَّةً معقبًا على بعض المرثي: «أحسن الله إلى من يدلُّنا على وجه الصواب في هذه الأبيات، فيما نقلناه قبل ذلك من شعر في رثاء نبيِّ هذه الأمة الكريمة، محمد بن عبد الله» (ص ٦١)، وقال مرَّةً أخرى معقبًا على بعض مرثي النساء: «وأغلب الظن أن التكلف والانتحال يبدوان على هذا الشعر» (الصفحة نفسها)، وقد صنع الدكتور محمد أبو المجد صنيعًا جميلًا حين أهدى إليه كتابه هذا معترفًا بفضل فتحه لهذا الباب.

(٣) انظر: ص ٤٤ - ٥١.

شعرها الأخرى واقفاً وقفه خاصة عند ما يُشكُّ فيه من نسبة شعر لها^(١).

فأردتُ أن أخلص هذه الدراسة لتوثيق تلك المراثي، وإبانة صحيحها عن زائفها، ثم تبين الخصائص الفنية لهذا الذي صحَّ منها؛ رغبةً إلى إعمال منهج مفصّل يتحاشى الإجمال ما وسعه ذلك؛ لكي تخرج الأحكام صادقةً على الشعر والشاعر والعصر^(٢).

وقد وقع لي حين شرعتُ في هذه الدراسة زوائدُ على ما جمعه الدكتور محمد أبو المجد، إمّا مراثٍ بنفسها، وإمّا أبياتٌ زائدةٌ على مراثٍ مجموعة، فجمعتُ المراثيَ كلّها، وأثبتتُ الزوائد فيها، وضبطتها، واجتهدت في تخريج أبياتها في ما تيسر لي من قديم الكتب دون جديدها، ثم قابلتها، وصنعت لذلك هامشاً تخيّر فيه مصدرًا عمدةً عارضت البقية عليه، ثم رتبتُ فيه المصادر على عدد الأبيات الواردة فيها، الأكثر فالأقل، وقد يتغيّر ذلك لعارض، ثم صنعت آخرً للتعليق وشرح الغريب من الأنفاظ؛ لتلا يتوزّع القارئ بين الفروق والمعاني.

هذا، وإن يكن عمل الدكتور أبي المجد لبنةً في بناء المراثي النبوية؛ فأرجو أن يكون هذا العمل لبنةً أخرى عليه، يبدأ من حيث انتهى إليه.

على أن الجمع - مع ذلك - ليس غاية البحث، وما هو إلا خطوة واحدة في سبيله، وإن الذي يصبو إليه البحث التوثيقي؛ لأنه قد وقع في هذه المراثي خلطٌ شديدٌ، ونخلٌ، وزيادةٌ، وخطأٌ نسبةً؛ جرّ إلى سوء حكم على بعض الشعراء، وكان سبباً من أسباب دفعت إلى توهين الشعر الذي أنشد في ذلك العصر،

(١) انظر: شعر صفية بنت عبد المطلب: جمعٌ وتحقيقٌ ودراسة، للدكتور محمد أبو المجد علي ص ٢٥-٢٩، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ.

(٢) رأى الدكتور محمد أبو المجد أنّ أهمّ ما أثمر عنه الجدال في قضية الوضع والانتحال في شعرنا القديم، هو المبدأ الذي يدعو إلى لزوم الحيطه والحذر، لا الشكّ على الإطلاق، ويوجّه الجهد إلى « البحث عن الروايات، والتصيز بين الصحيح منها وغير الصحيح، وعن الرواة، والفصل بين الفئات منهم وغير الفئات، والمصادر التي تعامل معها، وطبيعة كلّ منها، وعلى الإجمال (التوثيق) أو (التحقيق) للوصول بهذا الشعر إلى أفضل صورة يمكن الاطمئنان إليها » (المرجع السابق ص ٢٦).

عصر النبوة. والدراسة تريد بالتوثيق تنقية أشعار المرثي النبوية من ذلك كله.

وليست مشكلة البحث في أدب عصر النبوة كامنة في التوثيق وحده، بل إن الدراسات التي اتجهت إلى ذلك العصر كثيراً ما رجعت بأحكام محرّفة ومجحفة، يمدّها بذلك أسباباً أكبرها نقص الاستقراء، والرضى بأقوال مشهورة قد لا تصح، وقلماً وجدت دراسة لأدب عصر النبوة وقضاياها مثل تلك التي كتبها أستاذنا العالم الجليل الدكتور سعيد حسين منصور في كتابه «حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام»^(١) الذي نهج فيه منهج استقراء الأقوال وتقليبها على أوجهها عساها تُظهر من الحقائق ما توارى؛ وكتابه «رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام»^(٢) الذي قرأ به بردة كعب بن زهير قراءة لم يُسبق إليها من قبل، نهج فيها منهج التتبع والرصد لا الركون إلى ما استقرّ واشتهر، وكانت دراسات الناس لهذه القصيدة وأشباهاها من أشعار الصدر لا ترى فيها وجهة إسلامية صحيحة، بل تعدّها امتداداً عادياً لأشعار الجاهلية. وقد ابتغيت في هذا الكتاب تلمّس سبيل أستاذي التي إخالها منصفة مستقيمة.

وسلكتُ بالدراسة إلى توثيق الشعر هذا المسلك :

جعلتُ مرثي كلِّ فصل في أوّله محرّجةً، مقابلةً، مرثيةً على حرف الروي ترتيباً هجائياً، ولم ألزم ذلك في دراسة الأشعار؛ لأن مصلحة التوثيق قد تقتضي تقديم مرثية على أخرى.

وفي داخل الفصول رتبتُ الصحابة على حروف الهجاء، إلا من غلبت كنيته أو لقبه؛ فإنني أقدمهما، ثم رتبتُ مرثي الصحابي الواحد إن زادت على واحدة على حرف الروي ترتيباً هجائياً أيضاً، على أنني قد لا ألزم بهذا الترتيب عند الخوض في دراسة الأشعار إذا استدعى المقام الإخلال به.

(١) حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور (دار القلم، الكويت، ط١/١٩٨١م).

(٢) رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور (الدوحة، ١٩٨١م).

وعرّفت بالشعراء عند مراثيهم بما يمسّ مسألة التوثيق، غير مثقّل الحواشي بالكتب التي ترجمت الشاعر؛ بل أقتصر منها على ما فيه إفادة للبحث.

ثم أليج إلى المراثية للنظر في صحّة نسبتها إلى الشاعر، وذلك بنقدها نقداً خارجياً لمصادرها ورواتها، يعضده نقداً داخلياً للنصّ نفسه، بكل الوسائل المُجديّة في ذلك، كلغة الشاعر ولغة عصره، وعلم النقد التاريخي، وعلم التحقيق، وعلم الرجال، مراعيًا في ذلك ما تختلف به الرواية الأدبية عن رواية الحديث، ومعرّجاً كذلك على الجهود المحدثّة التي سلكت في درب التوثيق هذا.

وقد انتهجت في التوثيق المنهج التاريخي القائم على التتبّع والاستقراء.

ثم بنيت القراءة الفنيّة على هذا الأساس التوثيقي؛ لأطمئنّ إلى صفاء النصّ، فدقّة الحكم.

فعمدت إلى المراثي التي صحّحها التوثيق، فأظهرت منها خصائصها العامة التي اشتركت في بنائها، ولغتها، ومعانيها الإسلاميّة، وصورها، وموسيقاها، دون كبير تفصيل إلا تفصيلاً تقتضيه الدلالة على هذه الخصائص؛ ذلك أن نقد قصيدة واحدة، أو نقد شعر شاعر واحد؛ أهون من نقد شعر لشعراء مختلفين، وأبلغ في النظر فيه نظراً كلياً، وأدعى إلى طرد الأحكام على أجزائه، وأصدق في تبين عاطفته؛ وإنّ أشعار الشاعر الكثيرة ليأخذ بعضها برقاب بعض؛ وإنّ التلطف للكشف عن طبّات نفس واحدة لا يكون كالشئان بين مشاعر نفوس شئ يُطلب إلى الناظر فيها إطلاق أحكام جامعة عليها.

لذلك رضى المنهج التحليلي أصلاً لإبراز هذه الخصائص مقروناً بوقفات نقدية تمثّل لما في هذه الأشعار من الفن.

وقصدت بالمراثية في هذا الكتاب كلّ شعر قيل حُزنًا لوفاة الرسول ﷺ، غير ملتزم بما ذهب إليه

بعض الباحثين من تقسيم المراثي بين ندب وتأبين وعزاء^(١)؛ فإنها قسمة موضوعية مختلفة عما ترمي هذه الدراسة إليه.

وَأَثَرْتُ الصَّحَابَةَ بِالِاخْتِيَارِ؛ لِأَنَّ مَصِيبَتَهُم بِالْمُصْطَفَى ﷺ كَانَتْ أَوْجَعَ فِي نَفْسِهِمْ، وَأَلَمَ، وَلَا غُرُوزَ؛ فَقَدْ كَانَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ ﷺ يَغْدُو بَيْنَ ظَهْرَانِهِمْ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ.

وَجَاءَ الْكِتَابُ فِي خُطَّتِهِ عَلَى تَمْهِيدٍ، وَثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ، وَخَاتَمَةٍ:

أَمَّا التَمْهِيدُ فَكَانَ لِلْكَلَامِ عَلَى الْمَوَادِّ الْجَدِيدَةِ، ثُمَّ التَّعْرِيفُ بِالْمَرْتَبَةِ، ثُمَّ ضَبْطُ حَيْدِ مُصْطَلَحِ الصَّحَابِيِّ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِي؛ قَطْعًا لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَعْنِيهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ.

وَأَمَّا الْأَبْوَابُ فَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

الباب الأول: توثيق مراثي الصحابة - رضوان الله عليهم، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: توثيق مراثي أبي بكر الصديق.

الفصل الثاني: توثيق مراثي حسان بن ثابت.

وخصصتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِفَصْلِ لِكَثْرَةِ مَا يَنْسَبُ إِلَيْهِمَا.

الفصل الثالث: توثيق مراثي من لهم غير مرتبة - رضي الله عنهم وهؤلاء عدد مراثيهم أقل مما

نسب لأبي بكر وحسان؛ فجمعتهم في فصل واحد. وهم: علي بن أبي طالب، وله أربع مراثٍ، وكعب

بن مالك، وله ثلاث مراثٍ، وعمرو بن العاص، وله ثلاث مراثٍ، وعمر ابن الخطاب، وله مرتبتان.

الفصل الرابع: توثيق مراثي أهل اليمن - رضي الله عنهم، جعلتهم في فصل واحد لاشتباها

القول في مراثيهم، ولتشابه هذه المراثي في كثير من السمات. وأصحابها هم: عامر ابن الطفيل

(١) انظر: الرثاء، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف، ط٤).

الأزدّي، وسواد بن قارب، وابن ذي أضحج، وامرؤ القيس بن عابس، وعبد الله بن مالك الأرحبي، وعبد الحارث بن أنس بن الديان، وعبد الله بن سلمة الهمداني، وابن النعمان العتكي، وابن ذي المشعار، ومسروق بن ذي الحارث الهمداني، وعمرو بن الفُحَيْل الزبيدي، وذو الكلاع، ومُرّان بن عمير، وشَدّاد بن مالك بن صَمْعَج.

الفصل الخامس: توثيق مراثي طائفة من العرب - رضي الله عنهم، وهو فصل لأصحاب المفردات من الرجال. وهم: ابن أبي عَزَّة، وأبو ذؤيب الهذلي، وسالم الغطفاني، وأبو الهيثم بن التيهان، وقيس بن عُنيم، وعدي بن حاتم، وعبد الله بن أنيس، وعمرو بن سالم الخزاعي، وأبو سفيان بن الحارث، والزبيرقان بن بدر، ولييد بن ربيعة.

الباب الثاني: توثيق مراثي الصحابيات، وفيه فصلان:

الفصل الأول: توثيق مراثي صفيّة بنت عبد المطلب - رضي الله عنها؛ خصصتها به لكثرة ما ينسب إليها من المراثي.

الفصل الثاني: توثيق مراثي طائفة من الصحابيات - رضي الله عنهن، وهنّ صواحب مراثٍ أقلّ من مراثي صفيّة. وهنّ: فاطمة بنت النبي - على أبيها وعليها السلام، ولها سَكّ مراثٍ، وعاتكة بنت عبد المطلب، ولها ثلاث مراثٍ، وهند بنت أئانة، ولها مرثيتان، وأمّ أيمن، وهند بنت الحارث بن عبد المطلب، وأمّ رَغَلَة، وأروى بنت عبد المطلب، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل، ولكل واحدةٍ منهنّ مرثيةٌ واحدة.

الباب الثالث: الخصائص الفنيّة في المراثي النبويّة، جعلتُ تحته الحديث عن البناء، واللغة، والمعاني الإسلامية، والصورة، والموسيقى.

وعرضت في الخاتمة أهمّ نتائجها.

وما كان لهذا الكتاب أن يكون لولا فضل الله - سبحانه وتعالى - ثم قومٌ كثيرٌ من الناس لهم عليٌّ فيه يدٌ، ولكنَّ أجودهم عليٌّ، والله، من غير مَينٍ هو أستاذي الكبيرُ الدكتور سعيد حسين منصور - أدام الله عليه العافية، وجعل حظَّه السعادة، وأنَّه ممَّا يجب؛ فقد كنتُ أتعلَّم من علمه العلم، كما أتعلَّم من أدبه الأدب.

ولئن كان في هذا الكتاب من حسنةٍ فإنه لم يصل إليها إلا من طريق أستاذنا على أيِّ وجه من الوجوه؛ فقد كان - رفع الله قدره - دائمَ التعهُّد لي، كثيرَ النصح لي، صبورًا على عجلي، حليماً في أمره كلِّه، وكان لا يني يمنعني من غائلة بعض الحماسة، وينفخ فيَّ من روح العلم الجليل، وللشباب خلطٌ بين هاتين.

محمد شمس عُنقَاب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الإسكندرية

في يوم الأربعاء ٧ شوال ١٤٣٤ هـ

الموافق ١٤ أغسطس ٢٠١٣ م

إهداء
إلى أُمِّي مُعَلِّمِي الأَوَّل
وأبي الذي عَلَّمَنِي الحُرِيَّة
إحدي ثمار غرسكما القديم

رضي الله عنكما

ابنكما محمد

تمهيد

مما استدعاه البحث في هذه الدراسة التمهيد لها بكلمتين: كلمة في المصادر، وكلمة في تعريف المرآئي وحيد الصحابي.

أما الكلمة الأولى ففيها تبيان للمصادر الجديدة التي أخذت منها المرآئي^(١)، وما أفادته هذه المصادر في التوثيق، وهذه هي:

كتاب «الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء»^(٢)، لأبي الربيع الكلاعي البلقني، المتوفى سنة أربع وثلاثين وستمئة، جمع عشرين مرثية، بعضها من كتب مفقودة كغير كتاب من كتب الردة.

وكتاب «مِنَح المِدْح»^(٣)، لابن سيد الناس، المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة، وفيه سبع عشرة مرثية، نقل بعضها من كتب لم تصل إلينا ككتاب «الردة» لوثيمة، وفيه تفرّد بسرّد قصص بعض المرآئي اليمنية خاصة.

وكتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والخفّة والمَتَاع» للمقريزي، المتوفى سنة خمس وأربعين وثمانمئة بعد الهجرة، وهو من أحفل المصادر وأوسعها، حقّق الأستاذ محمود محمد شاكر الجزء الأول منه بالقاهرة سنة ١٣٥٩هـ^(٤)، ثم نُشر نشرة غير علمية في لبنان في أربعة

(١) قَصَل القول في فبئة المصادر الدكتور محمد أبو المجد في: مرآئي النبي ﷺ ص ١٥-٣٤؛ فلم أورد إعادتها ههنا.

(٢) الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، للكلاعي، أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم (تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/١٤٤٢هـ).

(٣) مَنَح المِدْح، أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أو رثاه، لابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله (تحقيق عفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، ط ١/١٤٠٧هـ).

(٤) إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والخفّة والمَتَاع، للمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر المصري (تحقيق محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٦م).

عشر جزءاً؛ وقع فيها فساد كثير وتحريف^(١)؛ ذلك أن محققه أسقط منه مراثي نوادر لم ترد إلا في «الإمتاع»، وأسقط أبياتاً نادرة لم ترد إلا فيه، ثم أقحم في متن الكتاب مراثي ليست منه أضافها من كتاب ابن سعد فجعلها منه، وما كان لنا أن نعلم كل ذلك لولا فضل الله علينا؛ لأن المحقق قد يسيء في الضبط أو التخريج أو المقابلة؛ ولكن المحقق ليس له أن يتصرف في الكتاب كأنه كتابه ولو بتجويد وتحسين، فكيف بختم الكتاب وتشويهه والحمل عليه.

وكان السبب الذي وفقني الله إليه لمعرفة هذا الفساد كلمة للصوري^(٢) لم يحسن المحقق قراءتها فبدت قلقة مضطربة، أثرت عندها الرجوع إلى مخطوطة الكتاب التي اعتمدها الناشر^(٣) لأطمئن إلى استقامة الكلام، فوجدت ما يأتي:

ساق المقرئ في كتابه على الترتيب مراثي حسان: «بطيية»، و«ما بال عينك»، و«نبت المساكين»، و«آليت حلفة بر»؛ ثم مراثي أبي بكر: «يا عين فابكي»، و«لما رأيت نبينا»، و«باتت تأويني»، ثم كلمة الصوري؛ فنقل المحقق ذلك، ثم ترك مخطوطة الكتاب وفعل فعلتين: أدخل في مطبوعته ما ليس من المخطوطة، وأسقط من المخطوطة ما هو فيها:

فأدخل مراثية عبد الله بن أنيس وهي ليست في الكتاب، بل نقلها بإسنادها من «طبقات ابن سعد»^(٤)، ثم لما وجد ابن سعد روى بعدها مراثي حسان، وكان المقرئ قد نقلها قبل كما بينا؛ تجاوزها، ونقل مراثية كعب بن مالك «يا عين فابكي»، ومراثيتين لأروى بنت عبد المطلب، وثلاثاً لعاتكة بنت عبد المطلب، وسبعاً لصفية، وثلاثاً لهند بنت أئمة، ومراثية عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، ومراثية أم أيمن، ولكنه غفل فنسبها لعاتكة

(١) إمتاع الأسماع (تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النيسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٠هـ).

(٢) انظرها في مطبوعة النيسي ٥٩٤/١٤ وانظر ص ٥٢ من هذه الدراسة.

(٣) مخطوطة إمتاع الأسماع (دار الكتب المصرية: ٦٣ تاريخ، وهي مصورة بمكتبة الإسكندرية: رقم ١٣ معهد).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، محمد بن منيع الزهري ٢٧٨/٢ (تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة،

بنت زيد أيضًا؛ نقل كل ذلك كما جاء عند ابن سعد بترتيبه وأحرفه، ثم أورد مرثية أبي سفيان بن الحارث مثلما جاءت في «الإمتاع» ذرًا للرماد في الأعين، وهذه المرثية تسبقها وتتلوها مرثيات في المخطوطة ضرب عنها صفحات، وذلك ما يؤكد معرفته بما فعل وتعمده إياه.

بيد أن المرثيات التي أوردتها المقرئ بعد كلمة الصوري هي على الترتيب: ثلاث مرثيات لهند بنت أثاثة: «أشباب ذؤابتى»، و«ألا يا عين ويحك»، و«قد كان بعدك أنباء»، ومرثية عاتكة بنت عبد المطلب «عينى جودا»، ومرثيتان لصفية فحسب: «لطف نفسي»، و«أفاطم بكى»، ومرثية أروى «ألا يا رسول الله كنت رجاءنا»، ومرثية عاتكة بنت زيد.

فيكون المحقق قد أقحم في الكتاب مرثية عبد الله بن أنيس، ومرثية كعب بن مالك «يا عين فابكى»، ومرثيتي عاتكة بنت عبد المطلب: «يا عين جودي»، و«أعينى جودا بالدموع»، وأربع مرثيات لصفية: «أعينى جودا بدمع سجم»، و«أرقت فبات»، و«وعين جودي بدمعة تسكاب»، و«آب ليلى على بالتسهاد».

ثم أسقط ثلاث عشرة مرثية، عشر منها على الأقل في مقام النادر، هي على الترتيب في المخطوطة: مرثيات: ابن ذي أصبح، والزبرقان، وذي الكلاع، وعامر بن الظفيل الأزدي، وعبد الله بن مالك الأرحبي، ومُرَّان، وابن ذي المشعار، ومرثيتان لعمر بن العاص، ومرثيات: عمرو بن الفُحَيْلِ الزُّبَيْدِيِّ، وابن أبي عرَّة، ولبيد بن ربيعة، وأبي الهيثم بن التيهان كل أولئك مُسَقَّط من الكتاب ضربة لازِب، لا أدري لماذا، نعم قد يكون في قراءة بعض أبيات المخطوطة عُسر، ولكن لا عذر للمحقق حتى يفعل ما فَعَلَ وقد يسَّر الله قراءة الأبيات كلها إلا شيئًا قليلًا لا يكاد يُذكر، وهو - بمنتهى تعالي - واقع في مرثيات غير صحيحة كمرثية لبيد رضي الله عنه^(١).

وفي الكتاب إشارة عند كل مرثية مضافة أو مُسَقَّط من الأصل.

(١) انظر صورًا من مخطوطة إمتاع الأسماع يظهر فيها عدد من المرثيات الساقطة في ص ٢٥-٢٧ من هذه الدراسة.

وخطر هذا الكتاب في نقله مرآئي عن مصادر لم تبلغنا، وتوكيده رواية مرآئي في بعض الكتب المطبوعة ككتاب «الطبقات الكبير» لابن سعد.

وسوى هذه الكتب الثلاثة كتب أخرى أقل منها جمعاً، ولكنها تميّزت بوجه من الوجوه، ككتاب «الرّدّة» لأحمد بن أعثم الكوفي المتوفى نحو سنة أربع عشرة وثلاثمئة، المنسوب للواقدي المتوفى سنة سبع ومئتين^(١)، فقد روى مصنفه مرثية أبي الهيثم في سياق خبر عزيز، وروى مرثيتين لعمر بن العاص رواية وثقت الروايات المتأخرة.

و«المعجم الكبير» للطبراني المتوفى سنة ستين وثلاثمئة^(٢)، ففيه مرثيتان لصفية مسندتين.

و«مجمع الزوائد» للهيثمي المتوفى سنة سبع وثمانمئة^(٣)، الذي حكم على إسناد مرثيتي صفية هاتين، وعلى إسناد مرثية قيس بن عَنيم المازني.

و«معرفة الصحابة» لأبي نُعيم الأصفهاني المتوفى سنة ثلاثين وأربعمئة^(٤)، الذي تفرّد بمرثية لصفية مسندة.

و«التعازي والمرآئي» لمحمد بن يزيد الميرد المتوفى سنة ست وثمانين ومئتين^(٥)، وهو الذي روى قصيدة سالم الغطفاني تامّة.

(١) كتاب الرّدّة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المشقّ بن حارثة الشيباني، المنسوب لمحمد بن عمر الواقدي (تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب، بيروت ١٤١٠هـ) وانظر ما سيرد من الحديث في أمر نسبته في فصل من لهم غير مرثية ص ١٥٨.

(٢) المعجم الكبير، للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (تحرير المحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ).

(٤) معرفة الصحابة، لأبي نُعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله بن إسحاق (تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١٤١٩/١هـ).

(٥) التعازي والمرآئي، لمحمد بن يزيد الميرد (تحقيق إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر).

و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري^(١)، الذي أكّد رواية المبرّد فذكر بيتًا يتيماً من قصيدة سالم هذه، ولكنه بيّن فارقاً في إثبات صحتها.

و«الإكليل» للحسن الهمداني المتوفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة^(٢)، الذي روى قصيدة مَرَّان بن عمير تامّة، وهو حُجّة في أخبار اليمن، وعليه المعول فيها.

و«المحرّر» لمحمد بن حبيب المتوفى سنة خمس وأربعين ومئتين^(٣)، وفيه تفرّد بذكر اسم شدّاد بن مالك بن صَمْعَج قريباً برواية مرثيته.

و«عيون الأخبار» لابن قتيبة المتوفى سنة ست وسبعين ومئتين^(٤)؛ و«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيد المتوفى سنة أربعمئة^(٥)؛ و«بهجة المجالس» لابن عبد البر المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمئة^(٦)، وفي ثلاثة هذه الكتب رواية لمرثية شدّاد، ولكنها جميعاً لم تذكر اسمه.

و«سلوة الكتيب بوفاة الحبيب» لابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة^(٧)، إذ زادت فيه مرثية أبي سفيان بن الحارث بأبيات ليست في غيره.

(١) الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، محمد بن عمر (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط ٢).

(٢) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للحسن بن أحمد الهمداني (تحقيق محب الدين الخطيب، دار اليمنية، ط ١٤٠٧/١هـ).

(٣) المحرّر، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (تحقيق الدكتورة إيلزه ليختن شتير، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد التّركَن ١٣٦١هـ).

(٤) عيون الأخبار، لابن قتيبة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (دار الكتب المصرية ١٩٩٦م).

(٥) البصائر والذخائر، لأبي حيان علي بن محمد بن العباس التوحيد (تحقيق الدكتورة وداد القاضي، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ).

(٦) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحدّ الناهن والمهاجس، لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد القمري القرطبي (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية).

(٧) سلوة الكتيب بوفاة الحبيب، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (تحقيق الدكتور صالح يوسف معتوق، دار البحوث والدراسات الإسلامية وأحياء التراث، دبي).

وما سوى هذه الكتب من المصادر الجديدة فكتبٌ أقلُّ خطرًا؛ لأنها نقلت المرابي من كتب أسبق منها موجودة بين أيدينا، ويغلب عليها أن تكون من كتب الاختيار «كالحماسة المغربية» للجراوي المتوفى سنة تسع وستمئة^(١)؛ أو كتب السيرة «كالمواهب اللدنية بالمنح المحمدية» للقسطلاني المتوفى سنة ثلاثٍ وعشرين وتسعمئة^(٢)؛ و«السيرة النبوية» للكارزوني^(٣)؛ و«سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» للصالح المتوفى سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة، وهو المعروف بالسيرة الشامية^(٤)؛ و«تاريخ الخميس في أحوال أنفيس نفيس» للديار بكري المتوفى سنة ست وستين وتسعمئة^(٥)؛ فإنها جميعًا تنقل من كتب سبقتها وهي بين أيدينا «كالطبقات الكبير» لابن سعد؛ و«السيرة النبوية» لابن هشام، وكل ذلك سوف يوثق

(١) الحماسة المغربية، للجراوي، أحمد بن عبد السلام (تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١/١٤١١هـ).

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (شرح الزرقاني)، للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر (تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) السيرة النبوية، للكارزوني، ظهر الدين علي بن محمد بن محمد (معهد المخطوطات العربية ف ٥٩ كتاب ٣٥٨، صورة بمكتبة الإسكندرية ضمن مجموعة المعهد برقم ٢٣٢).

(٤) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالح المتوفى سنة ٢٧٦/١٢ (تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت). وكنت أروم الاعتماد على النشرة التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف (الجزء ١٣، تحقيق عبد المعز عبد الحميد الجزازي، القاهرة ١٤٢٧هـ). ولكنني وجدته انقضى على الحواشي التي وضعها الدكتور محمد أبو المجد لكتابه «مرايا النبي» فسلمه إياها من غير إشارة صريحة إلى ذلك إلا إشارة موهمة توجي بأنه أحد مراجعه، والحق أنه أتى على جهد الرجل كيّ فسلكه سلخًا فاحشًا، إضافة إلى وقوعه في كثير من أخطاء التحقيق كتقديمه رواية كتاب الدكتور أبي المجد على أصل الكتاب المخطوط (انظر أمثلة لذلك في ص ٤٦٤ من الجزء نفسه)، ولقد خاب ظني في هذه النشرة، وكنت أود لو استغنيتُ بها عن طبعة بيروت التي لم تحقق على الأصول.

(٥) تاريخ الخميس في أحوال أنفيس نفيس، للديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن ١٧٣/٢ (مؤسسة شعبان، بيروت).

بتفصيل في التخريج والمقابلة عند كل مرثية إن شاء الله تعالى .

وأما الكلمة الثانية في هذا التمهيد فهي معنى (المرثية):

جاء في «لسان العرب»: «ورثي فلانٌ فلاناً يرثيه رثياً، ومرثيةٌ، إذا بكاه بعد موته... فإن مدحه بعد موته قيل: رثاه يرثيه ترثيةً. ورثيت الميت رثياً، ورثاءً، ومرثاةً، ومرثيةً. ورثيته: مدحته بعد الموت وبكائه».

«ورثوت الميت أيضاً: إذا بكيته وعددت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً».

«ورثت المرأة بعلمها ترثيه، ورثيته ترثاه رثايةً...»

«ورثي له: رث له. وفي الحديث أن أخت شداد بن أوس بعثت إليه عند فطره بقدر لبن، وقالت: يا رسول الله، إنما بعثتُ به إليك مرثيةً لك من طول النهار وشدة الحر. أي توجعاً لك وإشفاقاً؛ من رثي له: إذا رث له وتوجع. وهي من أبنية المصادر نحو: المغفرة، والمغذرة»^(١). وفي «القاموس»: «ومرثية: محففة»^(٢).

وفي الزمخشري: «رثي: رثيت الميت بالشعر، وقلتُ فيه مرثيةً، ومراثي. والناحمة تترثي الميت: تترحم عليه وتندبه...»^(٣).

(١) لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (رثا)، تحقيق عبد الله علي الكبير وزميليه، دار المعارف بمصر.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، رثي (رثبه ووثقه خليل مأمون الشيخ، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٢٩هـ).

(٣) أساس البلاغة، للزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (رثي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٥/٣م.

فالمرثية في هذا الكتاب هي: كل شعر قيل في وفاة الرسول ﷺ حزناً عليه، أو ثناءً، أو وفاةً، أو ترخماً، أو غير ذلك من معاني الرثاء.

أمّا حدّ (الصحابي) فقد اختلف الناس فيه على أقوالٍ اختلفت لاختلاف غرض كل صاحب قول من التعريف.

فأمّا المحيّدون فقد نقل الحافظ العراقي قوهم في (الصحابي)؛ فقال: « المشهور بين أهل الحديث أنّه من رأى النبي ﷺ في حال إسلامه. هكذا أطلقه كثيرٌ من أهل الحديث، ومرادهم بذلك: مع زوال المانع من الرؤية، كالعمى، والافتن صجبه ﷺ ولم يرهُ لعارضٍ بنظره كابن أمّ مكتوم ونحوه؛ معدوداً في الصحابة بلا خلاف»^(١).

وقول العراقي هذا جاء في معرض شرحه لكلام ابن الصلاح، ثم قال: « ولو قيل في التّظّم: لاقى النبيّ كان أولى؛ ولكن تبعت فيه عبارة ابن الصلاح؛ فالعبارة السالمة من الاعتراض أن يقال: الصحابي من لقي النبي ﷺ مسلماً، ثم مات على الإسلام»^(٢).

يبين من هذا التعريف أنهم لم يشترطوا الصحبة بمعناها الاشتقاقية، وهو المعاشرة وطول الملازمة^(٣)، ولكنهم اكتفوا بمجرد الملاقاة ولو مرةً واحدةً كما قال أحمد^(٤)، وهم اشترطوا الرؤية ضماناً لاتصال إسناد الحديث بالرسول ﷺ.

والإفقد حوّلوا بقول الأصوليين الذين قالوا: إن الصحابي « من طالت صحبته له، وكثرت مجالسته على طريق التبّع له والأخذ عنه. حكاة أبو المظفر السنعائي عن الأصوليين، وقال: إن اسم الصحابي يقع على ذلك من حيث اللغة والظاهر... وهو قول لبعضهم، حكاة الأمدئي وابن

(١) شرح التبصرة والتذكرة، للعراقي، زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين ١٢٠/٢ (حققه عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١٤٢٣هـ).

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) لسان العرب (صاحب).

(٤) شرح التبصرة والتذكرة ١٢٠/٢.

الحاجب وغيرهما، وبه جزم ابن الصَّبَّاح في «العُدَّة» فقال: الصحابيُّ هو الذي لقي النبي ﷺ، وأقام عنده، وأتبعه، فأما من وفد عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة، ومتابعة؛ فلا ينصرف إليه هذا الاسم^(١). فنَقَوْا حتى عن بعض مَنْ رآه الصحبة

بل لقد رُوِيَ عن سعيد بن المسيَّب أَنَّهُ كان لا يُعَدُّ الصحابيَّ إلَّا مَنْ أقامَ مع رسول الله ﷺ سنةً أو سنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين^(٢).

قال ابن الصلاح: «وكأنَّ المراد بهذا إنَّ صحَّ عنه راجعٌ إلى المحكيِّ عن الأصوليين؛ ولكن في عبارته ضيقٌ يوجبُ أن لا يُعَدَّ من الصحابة جريزُ بن عبد الله التَّجَلِّيُّ ومَنْ شاركه في فقْدِ ظاهر ما اشترطه فيهم، ممَّن لا نعلمُ خلافاً في عَدِّه من الصحابة»^(٣).

ولكن ذهب قومٌ من المحدثين وأهل التاريخ إلى أنَّ الصحابيَّ مَنْ أدرك زمته ﷺ، وهو مسلم، وإن لم يره. قاله يحيى بن عثمان بن صالح المصري^(٤)، «وممن حكى هذا القول من الأصوليين القرافيُّ في «شرح التنقيح»، وكذلك إن كان صغيراً محكوماً بإسلامه تبعاً لأحد أوبويه، وعلى هذا عملُ ابن عبد البرِّ في «الاستيعاب»، وابن مننَّه في «معرفة الصحابة». وقد بيَّن ابنُ عبد البرِّ في ترجمة الأحنف بن قيس: أنَّ ذلك شرطه. وقال ابنُ عبد البرِّ في مقدمة كتابه: وبهذا كلُّه يُستكملُ القرنُ الذي أشارَ إليه رسولُ الله ﷺ على ما قاله عبد الله بنُ أبي أوفى صاحبُ رسول الله ﷺ يريد بذلك تفسيرَ القرن. قلتُ: وإنما هو قول زُرَّارة بن أوفى من التابعين: القرنُ مئةٌ وعشرون سنةً، وهكذا رواه هو قبل ذلك بأربعِ ورقات، كلُّ ذلك في مقدمة «الاستيعاب». وقد اختلف أهلُ اللغة في مُدَّة القرن، فقال الجوهريُّ: هو ثمانون

(١) المصدر السابق ١٢٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٢٥/٤.

(٣) الموضوع السابق من شرح التبصرة والتذكرة.

(٤) الحافظ الكبير، مات سنة اثنتين وثمانين ومئتين (انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ

البيروني، أبي الحجاج جمال الدين يوسف ٤٦٤/٣١ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ط ١٤١٣/١هـ.

سنة، قال: ويقال ثلاثون. وحكى صاحب «المحكم» فيه ستة أقوال: قيل: عشر سنين، وقيل: عشرون، وقيل: ثلاثون، وقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون، قال: وهو مقدار أهل التوسط في أعمار أهل الزمان، فالقرن في كل قوم على مقدار أعمارهم. فعلى هذا يكون ما بين الستين والسبعين، كما رواه الترمذي في الحديث المرفوع: «أعمار أمي ما بين الستين والسبعين». وأما ابتداء قرنه ﷺ فالظاهر أنه من حين البعثة، أو من حين فُشِيَ الإسلام^(١).

فهؤلاء العلماء نظروا إلى خيرية القوم ولم ينظروا إلى اتصال الحديث، وأرادوا إثبات الشرف لمن أسلم حياة الرسول ﷺ، واتبع دينه، ونصره، وربما كاتبه الرسول ﷺ، أو صلى عليه، أو دعا له.

فقال ابن عبد البر في ترجمة الأحنف بن قيس: «كان قد أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له النبي ﷺ؛ فمن هنالك ذكرناه في الصحابة؛ لأنه أسلم على عهد رسول الله ﷺ»^(٢).

ووضع الذهبي يده على وجه الخلاف حين قال في ترجمة النجاشي: «أضحمة: ملك الحبشة، أسلم وحسن إسلامه، وهو معدود في الصحابة، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صحابي من وجه، توفي في حياة النبي ﷺ، فصلّى عليه بالناس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلى على غائب سواه»^(٣)؛ أي أنه تابعي من جهة الرواية والحديث، صحابي من جهة الفضل والمنزلة.

ثم أكد مذهبه هذا في موضع آخر؛ فقال في ترجمة الطفيل بن عمرو الدوسي: «وقد عُذَّ ولده عمرو في الصحابة، وكذا أبوه ينبغي أن يُعَدَّ في الصحابة؛ فقد أسلم فيما ذكرنا، لكن ما بلغنا أنه هاجر ولا رأى النبي ﷺ»^(٤).

(١) شرح التبصرة والتذكرة ١٢٦/٢ وما بعدها.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الثمري ١٤٥/١ (تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ٤٢٨/١ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١/١١٤١هـ).

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/١.

وقد سارت الدراسة في تعريف الصحابي على مذهب المعاصرة هذا الذي عليه عمل كثير من أهل العلم؛ لأن غايتها ليست دراسة الحديث؛ ولأن قوماً أسلموا قديماً على عهد رسول الله ﷺ، ونصروه، وربما كتب الرسول إلى بعضهم، أو دعا له، أو أقرأه السلام، أو أمره بأمر فأجابه إليه، وربما أعدَّ بعضهم راحلته للقاءه ﷺ ولكن سبقه الموت إليه فحزن عليه ورثاه^(١)؛ قومٌ كهؤلاء أهلٌ لأن يُعدَّهم يحيى بن سعيدٍ المصري، وابنُ عبد البرِّ، وابنُ منده، والذهبي، وغيرهم من الأئمة؛ في الصحابة، ولو من قبيل العموم في الاصطلاح.

وعلى كلِّ؛ فإن عدد صحابة المرابي الذين عاشوا في عهد النبي ﷺ ولم يروه قليلٌ، عددهم ثمانية^(٢) من نحو أربعين صحابياً، ومراثيهم تسعٌ من نحو بضع وسبعين مرثيةً، ولو افترضنا الأخذ بمذهب الرؤية فإن عدد هؤلاء الصحابة إذا أُلْحِقَ بالبحث تسميةً؛ لا يضير.

(١) قام عبد الله بن سلمة الهمداني، وهو أحد شعراء المرابي النبوية، ولم يدرك النبي ﷺ بل قدم على أبي بكر؛ قام فقال: يا معشر قريش، إنكم لم تصابوا بنبي الله ﷺ دون سائر العرب؛ لأنه لم يكن لأحدٍ دون أحد، وإيم الله لا أدري أيُّ الرجلين أشد حزنًا عليه، وأعظم مصابًا به: من عاينه فغاب عنه عيائه، أو من أشرف على رؤيته فلم يره؟ غير أنا معترفون للمهاجرين بفضل هجرتهم، وللأنصار بفضل نصرتهم، والتابع ناصرٌ، والمؤمن مهاجرٌ (انظر: الاكتفا ٢/٩٦).

(٢) هم: أبو ذؤيب الهذلي، وذو الكلاع الحميري، وشداد بن مالك بن صَمْعَج، وعبدُ الله بن سلمة، وابن النعمان العتكي، ومُرَّان بن عُسر، ومسروق بن ذي الحارث، وابن ذي المشعار الهمداني.



صورة ثالثة لمراتب أسقطها النميسي من مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣١)

الباب الأول
توثيقُ مرآةِ الصحابة
رضي الله عنهم



المبراني

(١)

[من البسيط]

- ١ بَأْتَتْ تَأْوُبُنِي هُمُومٌ حُشِدٌ مِثْلُ الصُّخُورِ، فَأَمَسَتْ هَدَّتِ الْجَسَدَ^(١)
 ٢ يَا لَيْتَنِي حَيْثُ نُيِّسْتُ الْغَدَاةَ بِهِ قَالُوا: الرَّسُولُ قَدْ أَمَسَى مَيِّتًا فَقَدَا
 ٣ لَيْتَ الْقِيَامَةَ قَامَتَ بَعْدَ مَهْلِكِهِ وَلَا تَرَى بَعْدَهُ مَالًا وَلَا وَلَدًا
 ٤ وَاللَّهِ آسَى عَلَى شَيْءٍ فُجِعْتُ بِهِ مِنَ التَّرِيَةِ حَتَّى أُدْخَلَ اللَّحْدَا
 ٥ كَمْ لِي بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ يُنْصِبُنِي إِذَا تَدَكَّرْتُ أَنِّي لَا أَرَاكَ أَبَدًا [كَذَا]^(٢)
 ٦ كَأَنَّ الْمَصْفَاءَ فِي الْأَخْلَاقِ قَدْ عَلِمُوا وَفِي الْعَقَافِ، فَلَمْ تَعْدِلْ بِهِ أَحَدًا^(٣)
 ٧ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ مَيِّتٍ وَمِنْ بَدَنٍ مَا أَطْيَبَ الذِّكْرَ وَالْأَخْلَاقَ وَالْجَسَدَا

التخريج: جعلت طبقات ابن سعد ٢/٢٧٨ (تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٢١هـ) أصلاً لهذه القصيدة، وهي في سبل الهدى والرشاد ١٢/٢٧٧ - ٢٧٨؛ وفي مخطوطة إمتاع الأسع (ورقة ١٨٢٦)، والزهرة لمحمد بن دارد الأصبهاني ٢/٥٠٦ (تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، دار المنار، الأردن، ط٢/١٩٨٥م) البيتان: ٣، ١.

١. في الزهرة: «أمست تأوؤبي هموم حمة*... قد امست...». وقال محققه: الصدر من الكامل، والشعر من البسيط. وهذا يدل على جودة رواية الطبقات.

٢. في الزهرة: «كي لا نرى بعده...».

(١) آب إلى الشيء: رجع إليه. والتأؤب: الرجوع (تاج العروس، لمرتضى الزبيدي: أوب، مطبعة الحكومة بالكويت).

(٢) النَّصَب: الإعياء من العناء والتعب (اللسان: نصب). وعجُز البيت مختلٌ وزناً.

(٣) المصفاة: لم أجدها في المعاجم ولا في الكتب، ولعلها من لحن الوضاعين.

(٢)

[من المقارب]

- ١ يَا عَيْنُ، فَابْكِي، وَلَا تَسْأَمِي وَحُقَّ الْبُكَاءُ عَلَى السَّيِّدِ
 ٢ [عَلَى ذِي الْفَوَاضِلِ وَالْمَكْرَمَاتِ وَتَحَضُّضِ الضَّرْبِيَّةِ وَالْمَحْتَسِدِ]^(١)
 ٣ عَلَى حَيْرِ خَنْدِفٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ ءِ أَمْسَى يُعَيَّبُ فِي الْمَلْحَدِ^(٢)
 ٤ فَصَلَّى الْمَلِيكَ وَبِئْسَ الْعِبَادِ وَرَبُّ الْبِلَادِ عَلَى أَحْمَدِ
 ٥ فَكَيْفَ الْحَيَاءُ بِفَقْدِ الْحَبِيبِ وَزَيْنِ الْمَعَاشِرِ فِي الْمَشْهَدِ
 ٦ فَلَيْتَ الْمَمَاتَ لَنَا كُنَّا وَكُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمُهْتَدِي

*التخریج: جعلت الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٢٧٧، ٢٧٨ أصلاً لهذه المقطعة؛ وفي سلوة الكتيب لابن ناصر الدين ص ١٩٧-١٩٨ الأبيات: ١-٦؛ وفي نهاية الأرب لأحمد بن عبد الوهاب النويري ١٨/٤٠٠ (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة)، ومخطوطة إمتاع الأسماع للمقريري (ورقة ١٨٢٦)، وسبل الهدى والرشاد ١٨/٢٧٧، الأبيات: ١، ٣-٦؛ وفي جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب القرشي ص ٤٩ (تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة) البيت الأول منسوباً لعثمان بن عفان.

١. في الجمهرة: «فيا عين فابكي...» وهذا أجوده؛ لئلا يدخل في التفعيلة الأولى الخرم، وهو حذف أول الوند المجموع من (فعولن) فتصير (عولن).
 ٢. البيت زائد في سلوة الكتيب.
 ٥. في السلوة: «فكيف الإقامة بعد الحبيب* وزين المحافل والمشهد».

(١) الضريبة: الطبيعة والسجية (تاج العروس: ضرب) ومحض الضريبة: خالصها وكريمها. والمحتد: الأصل والطبع (لسان العرب: حتد).

(٢) خندف: امرأة لإياس بن مضر، ولقبه مدركة. غلبت على نسب أولادها منه (لسان العرب: خندف).

(٣)

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّتَا مُتَّجِدِلًا | صَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرَضِهِنَّ الدُّورُ |
| ٢ | وَارْتَعَتْ رَوْعَةً مُسْتَهَامَ وَإِلَيْهِ | وَالْعَظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ |
| ٣ | أَعْتَيْتُ وَيُحْكُ، إِنَّ جَبَّكَ قَدْ تَوَى | وَبَقِيَّتْ مُنْقَرِدًا وَأَنْتَ حَسِيرٌ ^(١) |
| ٤ | يَا لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ مَهْلِكِ صَاحِبِي | عُيِّتُ فِي جَدْبِ عَلَيَّ صُخُورُ |
| ٥ | فَلَتَّخِذُنَّ بَدَائِعُ مِنْ بَعْدِهِ | تَغْيَا بِهِنَّ جَوَانِحُ وَضُورُ |

* التخريج: جعلت الطبقات الكبير لابن سعد ٢٧٨/٢ أصلاً لهذه القطعة، وهي في نهاية الأرب ٤٠٠/١٨، ومخطوطة إمتاع الأسع (ورقة ١٨٢٦)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ٢٧٧/١٢، والمواهب اللدنية للقسطلاني بشرح الزرقاني ١٥١/١٢ (تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت)، والمستطرف للأبشي ص ٦٠٠-٦٠١ (شرحه ووضع حواشيه إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة).

١. في المواهب اللدنية: «فارتاع قلبي عند ذلك هللكه» والعظم مني ما حييت كسير.
٢. في المواهب: «... توى» فالصبر عنك لما بقيت يسير «لعلها: «عسير» فتصخفت.

(١) كان اسم أبي بكر الصديق: عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو (انظر: حذف من نسب قریش، لأبي فييد مؤرخ بن عمرو السدوسي (تحقيق صلاح الدين المنجد، دار العروبة، القاهرة ١٩٦٠ م).

(٤)

[من الوافر]

- ١ أَجِدُّكَ، مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جُفُونَهَا فِيهَا كِلَامُ
 ٢ يَوْجُ مُصِيبَةٍ عَظَمَتْ وَجَلَّتْ فَدَمَعُ الْعَيْنِ أَهْوَنُهُ أَسِجَامُ
 ٣ فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ وَكَانَ فِيْنَا مُقَدَّمَنَا، وَسَيِّدَنَا الْإِمَامُ
 ٤ وَكَانَ قِيَامَنَا، وَالرَّأْسَ فِيْنَا فَتَحْنُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَنَا قِيَامُ
 ٥ نَشْرُحُ وَنَشْتَكِي مَا قَدْ لَقِينَا وَنَشْكُو فَقَدَهُ الْبَلَدُ الْحَرَامُ
 ٦ كَأَنَّ أُنُوقَنَا لَأَقِينَ جَدْعًا لِقَدِيدِ مُحَمَّدٍ، فِيهَا اضْطِلَامُ^(١)
 ٧ لِقَدِيدِ أَعْرَأَ أَيْبَضَ هَاشِمِيَّ إِمَامِ نُبُوَّةٍ، وَبِهِ الْحَتَامُ
 ٨ أَمِيرِي مُصْطَفَى، لِلْخَيْرِ يَدْعُو كَضْوَةِ الْبَدْرِ زَايِلُهُ الظَّلَامُ^(٢)
 ٩ سَأَتَّبِعُ هَدْيَهُ مَا دُمْتُ حَيًّا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا سَجَعَ الْحَتَامُ
 ١٠ [أَدِينُ بِدِينِهِ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

* التخریج: جعلت سبل الهدى والرشاد ١٢/٢٧٧ أصلاً لهذه القصيدة؛ ورويت ممرضة من غير ما نسبة في الذخائر والأعلاق لأبي الحسن الإشبيلي ص ٢٢١ (المطبعة الوهية، القاهرة ١٢٩٨هـ)؛ وفي أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى البلاذري ١/٥٩٢ (تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، ١٩٨٧م) الأبيات: ٣، ١١، ١٣، ١٥ وفي المواهب اللدنية ١٢/١٥١، وأحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي ص ١٧٣٨ - ١٣٨٩ (تحقيق علي محمد الجاوي، دار الفكر العربي) البيتان: ١٣، ١٤؛ وفي المحور العيين لنشوان الحميري ص ٧١ (تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، محافظة مصر ١٩٤٨م)، وجمهرة أشعار العرب ص ٤٤ البيت: ٤١؛ وفي النهاية لابن الأثير ٢/٣٤٤ (تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت)، ولسان العرب لابن منظور (سجم): الشطر الثاني من البيت الثاني.

٢. في لسان العرب: «... سجام».

٣. في أنساب الأشراف، و ذخائر الإشبيلي: «إمام كرامة، نعم الإمام».

٤. في أنساب الأشراف: «... والرأس منا».

٥. في أنساب الأشراف، و ذخائر الإشبيلي: «نموح...».

١٠. البيت زائد في ذخائر الإشبيلي.

(١) الصَّلْمُ: قطع الأذن والأنف (اللسان: صلّم). والجَدْعُ: القطع البائن فيهما (اللسان: جدع).

(٢) زاييله: أذهب (اللسان: زيل).

- ١١ [فَلَا يَبْعُدُ، فَكُلُّ غَرِيمٍ قَوْمٍ سَيُذَرِكُهُ، وَإِنْ كَبِيرَةٌ، الْحِمَامُ]
- ١٢ كَأَنَّ الْأَرْضَ بَعْدَكَ طَارَ فِيهَا فَأَشْعَلَهَا لِسَاكِينَهَا ضِرَامُ
- ١٣ وَفَقَدِ الْوَحْيَ إِذْ وُلِّيتَ عَنَّا وَوَدَّعْنَا مِنَ اللَّهِ الْكَلَامُ
- ١٤ سِوَى أَنْ قَدْ تَرَكْتَ لَنَا سِيرَاجًا نُورِيهِ الْقَرَّاطِيْسُ الْكِرَامُ
- ١٥ لَقَدْ وَرَثْتَنَا مِيرَاثَ صِدْقٍ عَلَيْكَ بِهِ التَّحِيَّةُ وَالسَّلَامُ
- ١٦ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي أَعْلَى جَنَّاتٍ مِنْ الْفِرْدَوْسِ طَابَ بِهِ الْمَقَامُ
- ١٧ رَفِيقُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَمَا فِي مِثْلِ صُحْبَتِهِ نَدَامُ
- ١٨ وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ فِيهِ بِمَا صَلَّوْا لِرَبِّهِمْ وَصَامُوا

١١. البيت زائد في أنساب الأشراف، والذخائر. وفي أنساب الأشراف: «فلا تبعد... * ولو كره...».

١٣. في أنساب الأشراف، والذخائر، وأحكام القرآن: «فقدنا...». وفي المواهب: «ودعنا الوحي... * فودعنا...».

١٤. في المواهب: «... تركت لنا رهينا * نُضَيِّنُهُ...». وفي الذخائر: «توارثه القراطيس...». وفي أحكام القرآن: «... لنا

قديماً * توارثه...».

١٥. في أنساب الأشراف: «لقد أورثتنا...».

تَوْثِيقُ مَرَاتِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

رضي الله عنه

١

لعل أول ما ينبغي لنا فعله قبل الخوض في حديث المرآتي النبوية المنسوبة لأبي بكر رضي الله عنه أن نتساءل: هل قال أبو بكر الشعر أصلاً؟

رُوي في «الأغاني» خبرٌ فيه إنكار قريش أن يكون أبو بكر قال في الجاهلية شعراً؛ قال أبو الفرج: «قال الزبير: وحدثني محمد بن يعقوب بن إسحاق بن مجمع، عن رجل من بني العجلان قال: لما بلغ أهل مكة شعر حسان - ولم يكونوا علموا أنه قوله - جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا»^(١).

هذا في الجاهلية. أمّا في الإسلام فقد روى الحافظ عبد الغني المقدسي في «جزء أحاديث الشعر»: «عن ابن شهاب: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تدعو على من كان يقول هذه القصيدة:

مُجَدِّدُنَا الرَّسُولَ بِأَنْ سَتَّخِينَا وَكَيْفَ حَيَاءُ أَصْدَاءِ وَهَامِ

فتقول: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا إسلام قط، وما ارتاب في الله مذ أسلم،

(١) الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد ١٤٠/٤ (دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ).

ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية، ولكن قال هذه القصيدة رجلٌ من بني كلاب بن عوف؛ وكان أبو بكر تزوج امرأةً من بني كلاب يقال لها: أمُّ بكر؛ فلما هاجر أبو بكر طلقها، فتزوجها ابنُ عمها هذا الكلابيُّ الذي قال هذه القصيدة رثى بها أهل بدر حين قتلوا:

وَمَادَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرِ مِّنَ الشَّيْزِيِّ تُزَيِّنُ بِالسَّامِ
تُحْيِي بِالسَّلَامَةِ أُمَّ بَكْرٍ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ
يُحَدِّثُنَا الرَّسُولَ بِأَنْ سَتَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةَ أَضْدَاءِ وَهَامِ؟^(*)

قالت عائشة: فحلها الناس أبا بكرٍ من أجل المرأة التي طلق أبو بكر»^(١).

وأصل هذا الحديث في «البخاري»، وقد ترجم ابن حجر هذا الشاعر في «فتح الباري»، فقال: «هو أبو بكر شداد بن الأسود بن عبد شمس... ويقال له: ابن شعوب... قال ابن حبيب: هي أمه، وهي خزاعية. لكن سمّاه: عمرو بن بشر، وأنشد له أشعارًا كثيرةً قالها في الكفر. قال: ثم أسلم». وبالإسناد نفسه الذي عند البخاري روى ابن حجر «أنَّ عائشة كانت تدعو على من يقول: إن أبا بكر قال القصيدة المذكورة»^(٢).

فهذا خبر صحيحٌ كفلق الصُّبح، ومن العزيز أن نسمع حُكْمًا بالنحل قديمًا قَدَمَ ذلك الزمن، والمتبادر أنه قد تفاقم الأمر أيام عائشة أم المؤمنين فدعاها إلى مثل هذه العبارة

(*) الشَّيْزِيُّ: شجر تتخذ منه الحفان. وأراد بالحفان أربابها (لسان العرب: شيز). والصدى: حُشوة الرأس، يقال لها: الهامة والصدى. وكانت العرب تقول: إن عظام الموقى تصير هامة؛ فتطير، وكانوا يسون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلي: الصدى، وجمعه: أضدء (لسان العرب: صدي).

(١) جزء أحاديث الشعر، للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ص ٦٧-٦٩ (تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية، عمّان، ط ١/١٤١٠هـ).

(٢) انظر الحديث ورواياته في: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (٢٥٧/٧-٢٥٩) رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، قرأ أصله تحقيقًا وتصحيحًا عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر.

الجازمة: « والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا إسلام قطَّ »: قَسَمَ على نفي الشعر ألبتة عن أبي بكر: نكرةٌ في سياق النفي، مفيدةٌ عموماً واستغراقاً باتفاق^(١)؛ ثم توكيدٌ لفظيٌّ بـ « قطَّ » محاكٌ هو اجس الشك.

كانوا يكذبون إذن على أبي بكرٍ وابنته بين ظهرانيهم، بل كانوا يكذبون عليه رضي الله عنه وهو بينهم في الزمن الذي كان قبل الهجرة، فما ظنك بالزمن الذي خلف ؟

ثم إن خليفة من خلفاء بني أمية ارتاب في أمر هذا الشعر الذي يروى لأبي بكر؛ فعن « الزهري قال: سألتني عبد الملك بن مروان فقال: أرايت هذه الأبيات التي تُروى عن أبي بكر؟ فقلت: إنه لم يقلها؛ حدثني عروة، عن عائشة أن أبا بكر لم يقل بيت شعر في الإسلام حتى مات »^(٢)، فاحتج له الزهريُّ بحديث عائشة، وأضاف على ما فات زيادة: « حتى مات »، وهي توكيد آخر جديد.

ثم جاءت الأخبار متواليّة لتنكر شعراً إذا رُوي لأبي بكر، أو لتضعفه.

ففي « السيرة النبويّة »: « قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش، ويقال عبدُ الله بن جحشٍ قالها... قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش: تَعَدُّونَ قَتْلًا في الحَرَامِ عَظِيمَةً... » الأبيات^(٣).

وفي « السيرة » أيضاً: « قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عُبيدة بن الحارث - قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر

(١) انظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الإستراباذي المعروف بالرضي، القسم الثاني، المجلد الأول ص ٥٤٦ (دراسة وتحقيق الدكتور يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط ١٤١٧هـ).

(٢) الاستيعاب ٣/٩٧٨.

(٣) السيرة النبويّة، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ٢/٦٠٥ (تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، ط ١٩٥٥م).

رضي الله عنه: أَمِنْ طَيْفِ سَلْتَى بِالِطَّاحِ الدَّمَائِيثِ... « القصيدة^(١) .

وأما الرَّجَزُ المَعْرُوفُ مِرَارًا - وهنأ - لأبي بكرٍ، وهو قوله لَمَّا أَخَذَتْهُ الحَمَى^(٢):

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ
وَالْمَوْتُ أَذَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

فهو وإن رواه البخاري^(٣)؛ فقد يجوز أن يكون على سبيل التمثيل من أبي بكرٍ؛ لأنه نُسب إلى حكيم النهشلي^(٤)، ونُسب إلى غيره من شعراء الجاهلية^(٥).

وفي «نسب قريش» لمصعب بن الزبير أن أبا بكر مرَّ معه عليٌّ يمشي إلى جانبه، والحسنُ يلعب مع الصبيان، وذلك بعد وفاة النبي ﷺ؛ فاحتمله على رقبتة وهو يقول:

وَ يَا أَيُّ، شِبْهُ النَّبِيِّ
لَيْسَ شَيْبَهَا يَعْلي^(٦)

فهذا رجزٌ غيرُ سالمٍ لأبي بكرٍ كذلك؛ إذ ألحقه في «العقد الفريد» بفاطمة - رضي الله تعالى عنها -^(٧).

أما ما نطالعه في بعض كتب المتأخرين من نحو ما يروون أنه لَمَّا سَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسٍ

(١) المصدر السابق ٥٩٢/٢.

(٢) كما في سيرة ابن هشام مثلاً ٥٨٨/٢، وكتاب الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن ص ٣٦٤ (ضبطه وخرَّج آياته خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٧/١هـ).

(٣) صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للإمام البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ٣٥٣/١ (جمعية المكتنز الإسلامي ١٤٢١هـ).

(٤) العقد الفريد، لابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي ٤٠/٦ (تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧٢هـ).

(٥) نسبه محققو سيرة ابن هشام إلى عمرو بن مامة ٥٨٨/٢.

(٦) نسب قريش، لمصعب بن عبد الله الزبيري ص ٢٣ (تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٨٢/٣م).

(٧) العقد الفريد ٢٤٥/٢.

سراقة وهو يرصد النبي وصاحبه في الهجرة؛ قال أبو بكر:

قَالَ النَّبِيُّ، وَلَمْ يَجْنَعْ، يُوقِرُنِي وَتَحْنُ فِي سُدْفٍ مِنْ ظَلَمَةِ الْقَارِ

... الأبيات^(١)؛ فإنه شعرٌ يسيرٌ ساقطٌ غثٌ، أتى لأبي بكر أو لأحدٍ من ذلك القرن

بمثله؟

ومن هذا الشعر الذي نجده عند بعض المتأخرين أيضًا ما يُسمى: «القصيدة الغوثية في الأدعية»^(٢)،

وهي اختلاقٌ لا يصحُّ مثله.

ذلك خالص ما ألقينا من القول في شعر أبي بكر. بيد أنك تجد في كتاب «الزينة» خبرًا يعارض كل أولئك الأخبار المتقدمة؛ فقد روى «عمر بن زائدة، عن أبي الصقر، عن الشعبي قال: كان أبو بكر وعمر شاعرين... ولكن ليس يُروى لهما شعرٌ يُعتمد عليه؛ لأنهم لم يكونوا يقولون إلا الأبيات في أمور تعرض»^(٣).

وجه التعارض أن عائشة - رضي الله عنها - ومن ذهب مذهبها نَقَوْا الشعرَ عن أبي بكر جملةً واحدةً بيقينٍ لا يعرف الشك، وجزم لا مكان للظن فيه؛ ثم انفتل الشعبي عن ذلك فأثبت أبا بكرٍ في الشعراء المقلين على ظاهر كلامه. ولقد كان الشعبي إمامًا راويةً،

(١) مخطوطة كتاب سيرة النبي المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء، لعلاء الدين مُغلطاي (ورقة ١٨، المكتبة الأزهرية: ج ٩٣٢١، ع ٩٣٥٤٨ تاريخ).

(٢) معجم التاريخ: التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد توران قره بلوط ص ١٣٥٠ (دار العقبة، قيصري، تركيا ١٤٢٢هـ)، وقد أشارا إلى أن هذه القصيدة من المخطوطات المحفوظة بالمكتبة السليمانية بتركيا.

(٣) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي، أحمد بن حمدان ص ١١٧ (عارضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهنداني البعيري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط ١٤١٥هـ). وصنِّدَ هذا الخبر في «تهذيب الآثار» للطبري ٦٣٧/٢ (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة)، قال: «حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، حدثنا ابن إدريس، عن ابن أبي زائدة، عن الشعبي قال: كان أبو بكر وعمر شاعرين، وكان عليٌّ من أشعر الثلاثة رحمة الله عليهم».

وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان الأدتئين، وكان بصيرًا بالشعر^(١)، وكأني به علم سؤال عبد الملك الزهرّي، أو خاض في الجواب عنه خوضًا ما؛ فقال قوله هذا.

وقد اتفق أولو النظر على تقديم خبر المثبت الثقة على خبر النافي الثقة^(٢)؛ فيكون قول الشعبي - على ذلك - مُقدِّمًا على قول عائشة؛ وهذه قاعدة إعمالها غير سديد هنا؛ لأن العلماء أيضًا استثنوا من قاعدة تقديم الإثبات على النفي هذه مستثنيات، من ذلك ما قاله الزركشي بعد ما حرّر هذه القاعدة؛ قال: «وتحصّل أن المثبت يُقدّم، إلا في صور: إحداها... الثانية: أن يكون راوي النفي له عناية به، فيقدم على الإثبات... الثالثة: أن يستند نفي النافي إلى علم^(٣)».

وعائشة مقلّ عالٍ في فقه الشعر وضبطه وروايته^(٤)؛ وإنها لمن أهل العلم بهذا الشعر، وهي ألصق بأبيها، وأعلم بحاله في الجاهلية والإسلام من غيرها؛ وخاصةً إذا كان التنازع على ما هو معلوم بالضرورة، كأن يعرف امرؤ هل كان أبوه شاعرًا أم لا، وإنه سيعرف ذلك، وسيعرفه - لا جرم - إن كان من أهل العلم بالشعر كعائشة، ولو كان أبوها الصديق شاعرًا لأحبت أن تذكر ذلك وما كانت لتنكر شعره؛ أو أنفت عنه ما لم يقله فحسب كذلك القصيدة الجاحدة التي قالها شدّاد بن الأسود، ثم لم تغد ذلك. ألا إنها لعل علم بخاطر قولها

(١) اقرأ شواهد على ذلك في: الأغاني ١٨/١٤٣.

(٢) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر ١١٠/٣ (حرّره الدكتور عبد الستار أبو غدة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ١٤١٣هـ)، والإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي ٤٩/٣ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م)، و«فصل التناقض» من كتاب: البصائر النصيرية في علم المنطق، لزين الدين عمر بن سهلان السّاوي ص ١٢١ (تقديم وضبط الدكتور رفيع العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١٩٩٣م).

(٣) البحر المحيط للزركشي ١٧٤/٦.

(٤) عن هشام بن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدًا أعلم بفقهه، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة. وعن أبي الزناد قال: ما رأيت أحدًا أروى لشعر من عروة فقليل له؛ ما أرواك يا أبا عبد الله! قال: وما روايتي من رواية عائشة! ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرًا (انظر: الاستيعاب ٤/١٨٨٣).

الذي قالته، وعلى إدراك المعانيه.

فلنترك هذا أيضًا، ونتلّ أخرى قول الشعبي واقفين عند كلمته: «ولكن ليس يروى لهما شعرٌ يُعتمد عليه»؛ ألاّ يُحتمل أنّ الشعبي ينكر أن يكون هو على علمٍ بشعر صحيح يُعتمد عليه لأبي بكرٍ، وإن كان يُثبت أصل الشعر له؟ بل، وعساه كان يرمي إلى نحو من قول ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» أنه «قلّ أحدٌ له مُسكّةٌ من أدب، وله أدنى حظ من طبع إلا وقد قال من الشعر شيئًا»^(١)، بل يوشك أن يكون ذلك مراده؛ لأنه أخبّر عن قلة أبيات أبي بكر التي لا يصح له مما بين يديه منها شيء يُعتمد عليه فقال: «... لأنهم لم يكونوا يقولون إلا الأبيات في أمورٍ تعرض». ويقوّي من رجحان هذا الرأي أن الشعبي جمع أبا بكرٍ بعمرّ وعليّ. والقول في شعرهما غير القول في شعر أبي بكر، فلعل هذا الجمع سلك بالشعبي طريقًا من طرق التعميم بذكر الثلاثة في عبارة واحدة.

وإذن فقول الشعبي قريبٌ جدًّا من قول عائشة حتى ونحن نمرّه على ظاهره.

فإذا كان الحكم بصحة شعرٍ لأبي بكرٍ، ولو بيتًا واحدًا؛ صعبًا على المتقدمين كالزهريّ والشعبيّ، وهما من هما؛ فكيف به فيمن خلف بعدهم؟ بل كيف به في حقنا نحن المتأخرين؟!^{١٩}

وجماع الأمر أن نقول: إن الأصل أنه لم يبلغنا - فيما نعلم - شعرٌ صحيحٌ لأبي بكرٍ يُعتمد عليه؛ فإذا ما رأينا شعرًا منسوبًا إليه اتهمناه، وظننا به ظنونًا لا يصرّفنا عنها إلا برهانًا من براهين العلم الناصعة، أو حجةً من حجج اليقين الناصحة. ولسوف نتخذ هذه الخلاصة أصلًا في دراسة المرآة النبوية المنسوبة لأبي بكر.

وعلى ذلك، فإن ديوانًا مزعومًا لأبي بكرٍ منشورًا عن مخطوطة شاذة متأخرة قمينٌ أن لا

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري ص ٢٣ (تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط ٢/١٤٠٧هـ).

يوقف عنده ملياً، وأن لا يتخذ حجّة في شعر المراثي النبويّة. وهذا الديوان ضمن مجموع كتبه الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف، وقد ذهب ناشره إلى أن الشيخ النابلسي لم يكتب الديوان الذي ضمن المجموع؛ فالديوان مكتوب بخط نسخي معتاد، والمجموع مكتوب بخط فارسيّ جميل، كما أنه يكثر في الديوان التصحيف الذي لا يتصور مثله من الشيخ كما يقول^(١). ذلك، ولم أجد من ذكر ديواناً لأبي بكر قبل هذا التاريخ، لا في الفهارس، ولا في كتب المصنفات، ولا في غيرها؛ فالديوان منبت، لا أصل له، ولا يعول عليه.

٢

ورد في الكتب مراثٍ نبويّة أربع منسوبة لأبي بكر، ثلاثة معاً، ورابعة وحدها. الثلاثة اللواتي معاً مطلع إحداهنّ:

بَاتَتْ تَأْوُبِي هُمُومٌ حَشْدُ مِثْلُ الصُّخُورِ فَأَمْسَتْ هَدَّتِ الْجَسَدَا
سبعة أبيات. ومطلع الثانية:

يَا عَيْنُ فَاذْكُرِي وَلَا تَسْأَلِي وَحَقُّ الْبُكَاءِ عَلَى السَّيِّدِ
سته أبيات. ومطلع الثالثة:

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّنَا مُتَجِدِلًا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرَضِهِنَّ الدُّورُ

خمس أبيات. وثلاثهن من رواية محمد بن سعد كاتب الواقدي عنه. قال ابن سعد في «الطبقات»: «قال محمد بن عمر الواقدي عن رجاله: قال أبو بكر الصديق يرثي رسول الله

(١) انظر ديوان أبي بكر الصديق، ص ٩ (تحقيق راجي الأسمر، دار صادر، بيروت)، وليس خافياً أن من أصول التحقيق أن لا ينشر الكتاب عن نسخة مخطوطة واحدة إلا بشروط معينة، كأن تكون نسخة المؤلف، أو النسخة الفريدة في العالم.

﴿...﴾ فذكرهن^(١).

وكان الواقدي أثر عنه أنه صنّف «كتاب وفاة النبي»^(٢)، وهو إمّا كتاب مستقل، وأمّا جزء من كتاب له وهو الأرجح؛ لأن المتقدمين قد يسمون الجزء من الكتاب كتاباً؛ فلعلّ ابن سعد نقل منه المرآتي الثلاث؛ أو لعله نقلهن من كتاب الواقدي آخر ذكره النديم: «كتاب سيرة أبي بكر»^(٣). والغالب على الظن أن الكتب التي روت هذه المرآتي نقلت من «طبقات ابن سعد»^(٤)، أو نقلت - رأساً - من كتاب الواقدي، أو لعلها نقلت من كتاب محمد بن إسحاق كما سيذكر بعد قليل^(٥).

أمّا ابن سعد فثقة مأمون يتحرّى في كثير من رواياته^(٦). وأمّا الواقدي فمجروح لدى المحيّنين؛ قال الساجي: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قاضي بغداد: متهم. وقال البخاري: متروك الحديث. وقال: كذّبه أحمد. وقال المديني: لا أرضاه في الحديث، ولا الأنساب، ولا في شيء^(٧).

وربما مضى قومٌ مع حكم المحيّنين هذا فأطلقوا القول في الواقدي فيما رواه من غير

(١) كتاب الطبقات الكبير ٢٧٧/٢-٢٧٨.

(٢) تاريخ التراث العربي، للدكتور فؤاد سزكين: «التدوين التاريخي» المجلد ٢، ١١١/١ (ترجمة الدكتور محمد فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤١١هـ).

(٣) القهرست: لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم ص ١١١ (تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني، طهران ١٣٩١هـ). ويبدو أن هذه الكتب التي نسبها النديم للواقدي إنما هي فصولٌ من كتاب كبير له. (٤) انظر التخريج والفروقات.

(٥) انظر إشارة الصوريّ إلى ذلك في مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٧)، والمخطوطة منسوخة سنة ٩٦٨هـ. (٦) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك ٨٨/٣ (اعتناء س. دبديونغ، دار النشر فرانز شتاير، شتوتغارت ١٤١١هـ).

(٧) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ١٨٠/٢٦ (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/١٤١٣هـ).

الحديث. و(المحدثون) إنما أرادوا أن الواقدي إذا روى (حديثًا) بمصطلحهم^(١) فهو متهم متروك غير مرضي، ولم يريدوا بهذه الأحكام شيئًا غير الحديث المروي عن رسول الله ﷺ. وهم لما علموا أن الذي يرجع إلى كتبهم إنما يرجع إليها من أجل الحديث أولًا؛ أطلقوا الأحكام ثقةً بمن ينظر في هذه الكتب. وإنها لقاعدة مُطَرَّدة في كتب كل فن: أن الخطاب يكون في الاختصاص، ومن أجل الاختصاص، وبلغة أهل الاختصاص، فاختلف الفن يلزم منه اختلاف الضوابط والشروط والقواعد، أي اختلاف الأسماء والمسميات والمعاني. والعدل أن الواقدي إذا روى (حديثًا) أجرنا عليه أحكام المحدثين، فإذا روى خبرًا احتكنا فيه إلى المؤرخين، أو نسبًا فإلى النسابين.

أما تكذيب أحمد إياه، فإن الكذب قد يعني الخطأ في الرواية أو التناقض فيها؛ لنقصان نظر، أو ضعف حفظ، أو قلة عناية بالفن ومداخله.

وأما إطلاق المديني الحكم في الواقدي، فعلى خلاف طريقتهم، ولم يقل بمثل قوله هذا أحد. بل إن المحدثين أنفسهم لم يزالوا يروون الأخبار والأنساب والمغازي عن الواقدي، ويتلقون عنه ذلك بالقبول والموافقة؛ فهمًا لقاعدة الاختصاص تلك، وإذا قرأت - مثلاً على ذلك - في كتب الخطيب، والذهبي، وابن حجر؛ وجدتهم يعدون الرجل عمدة في الأخبار والسير، ولا يتخرجون في الإسناد إليه والنقل عنه.

وفي هذا المعنى يقول الذهبي - رحمه الله - في «تذكرة الحفاظ»: «نوح الجامع مع جلالته في العلم تُرك حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته، فكم من إمام في فنٍ مقصّر عن غيره، كسيبويه مثلاً؛ إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نؤاس رأس في الشعر عربي من غيره. ومحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا

(١) الحديث بمصطلح المحدثين: «ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قاذحة». انظر: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تصنيف السخاوي، محمد بن عبد الرحمن ١٤٤١-١٨ (تحقيق الشيخ علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١/١٤١٥هـ).

يدري ما القراءات، وكحفيص إمامٌ في القراءة تألّف الحديث:

وَلِلْحُرُوبِ رِجَالٌ يُعْرَفُونَ بِهَا

وفي الجملة: وما أوتوا من العلم إلا قليلا، وأما اليومَ فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناسٍ قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل!...^(١).

ألا إنّ جزء الأحكام، واقتناصها من سياقتها، والتخليط بينها، وإن أخذها عامّة من غير تفصيل، ومن غير رعاية لمقاصد أصحابها؛ يوشك أن يُودي بعلمٍ جليلٍ كثيرٍ من علم العرب وأشعارها وأخبارها. وإنك لا تكاد تجد من أهل هذه الأخبار رجلاً لم يعرض له المحدثون بجرح، كالواقدي، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السّندي^(٢)، وسيف بن عمر التميمي^(٣)، ومحمد بن السائب الكلبي^(٤)، وابنيه هشام^(٥)، وغيرهم^(٦)؛ أفنّعرض عنهم ونترك كتبهم ضربةً لازِب من غير أساس ولا حجة؟ كلا، ولا المحدثون يفعلون ذلك. وهذه القضية موطن بحثٍ غصّ لم يمسه الباحثون بعدُ بما تقرُّبه الأعيان. يقول ياقوت في الواقدي: وهو مع ذلك ضعّفه طائفة من المحدثين... أمّا في أخبار الناس والسير والفقهِ وسائر الفنون فهو ثقة

(١) تذكرة الحقاظ، لشمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان ١٠٣١/٤ (تصحیح عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، عن طبعة الهند).

(٢) انظر ترجمته في: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لليزي ٣٢٤/٢٩.

(٣) انظر ترجمته في: المصدر السابق ٣٢٤/١٢.

(٤) انظر ترجمته في: المصدر السابق ٢٤٦/٢٥.

(٥) انظر ترجمته في: لسان الميزان، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني ١٩٦/٦ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند).

(٦) انظر مقدمة لطيفة في مؤلفات السيرة والمغازي وأصحابها كتبها الدكتور محمود محمد الطناحي - رحمه الله - في: الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ص ٤١ وما بعدها (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١٤٠٦هـ). وقد أرّخ الدكتور فؤاد سركين للذين صنّفوا في السيرة في جزء «التدوين التاريخي» من كتابه: تاريخ التراث العربي. ولكن ينبغي الحذر عند الإحالة عليه؛ لأنه قد يستي كتباً ما هو في الحقيقة فصول من الكتب، أو أجزاء منها، وعسى صنّيعه هذا أن يكون أتباعاً للنديم في بعض مذاهبه في كتابه «الفهرست».

بإجماع^(١). ويقول مارسدن جونز في مقدمة نشرته لكتاب «المغازي»: «وَحَقًّا إن أكثر النقاد من المحدثين الأوائل كانوا يَضَعِفون الواقديَّ في الحديث، ولكن آراء المحدثين لم تكن ضد الواقديَّ بالإجماع؛ فإن منهم مَنْ وصفه بأوصافٍ لا تقلُّ قدرًا عما وُصِفَ به الثقات، ومع أن أغلب العلماء ينكرونه في الحديث، فإنه - بغير شك - يُعَدُّ إمامًا في المغازي»^(٢).

على أنني لا أعني بهذه الكلمة الوثوق بهذه المراي الثلاث، بقدر ما أعني أنه ما من دليل لدينا يدل على أن الطعن فيها - إن كان ترجح - كان بسبب الواقدي، ولقد نقل المقرئيّ مثلاً لظعن وقع في هذه المراي الثلاث لم يتعرض الطاعن فيه للواقدي، بل تعرّض لأمور أخرى، هذا ببيانه:

قال المقرئيّ: قال الصوريّ [معقّباً على المراي الثلاث]: «وهذه الأقطاع مصنوعة، قبيحة الصنعة، وتلك الألفاظ والحال فيها أظهر من أن يُدَلَّ عليها، وقد ذكرها محمد بن إسحاق في كتابه أيضاً، وذكر غيرها، ولو كنا جميعاً من ذكرها لكان أجمل بهما من إضافتهما مثل هذا الشعر مع ركاكة ألفاظه، وخلوّه من المعاني كلها؛ إلى الصديق رضي الله عنه وهو من قريش الموصوفين بالبلاغة والفصاحة، المعروفين بالرزانة والرجاحة، يرضى لنفسه بإضافة مثل هذا إليه، بل عقله وفضله يبيّان ذلك عليه [كذا؟]...»^(٣) وإذا كان الواقدي لم يذكر شيئاً من شعر حسان بما رثى به النبي ﷺ اعتماداً على قول ابن أبي الزباد، وما حكاه عن شيخ الأنصار؛ فأحرى به ألا يذكر شيئاً عن أبي

(١) إرشاد الأريب في معرفة الأديب = معجم الأدباء: لياقوت الحسوي الرومي ص ٢٥٩٥-٢٥٩٨ (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١/١٩٩٣م).

(٢) انظر: مقدمة كتاب المغازي، للواقدي، محمد بن عمر ٣٠/١ (تحقيق مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، ط ٣/١٤٠٤هـ).

(٣) العبارة قلقة ومضطربة، ولعل فيها سقطاً وتصحيحاً وتحريفاً، ولكنَّ محلَّ المعنى مفهوم. وكانت هذه العبارة السبب في أن أرجع إلى مخطوطة كتاب إمتاع الأسماع؛ لأنَّ ثبوت منها، فرأيت الناشر أسقط كثيراً من المراي النبوية النادرة، انظر تفصيل ذلك في تمهيد هذه الدراسة. وكان الرجل قد أسقط من كلام الصوري بعض الألفاظ وبَدَّل (عارض النص الذي أنقله الآن بما أثبتته في مطبوعته المنقوصة ٥٩٤/١٤).

بكر رضي الله عنه؛ للحديث المأثور، والنقل المشهور عن الزهري عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: والله ما قال أبي شعراً في جاهلية ولا إسلام، في قصة طويلة، وأخرج البخاري هذا الحديث في كتابه «الصحيح».

ومثل هذا الحديث عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كذب من أخبركم أن أبا بكر رضي الله عنه قال بيت شعراً في الإسلام. رواه البخاري عن ابن المتوكل عن عبد الرزاق^(١).

إن أجل ما في تشنيع الصوري هذا إشارته العزيزة إلى رواية محمد بن إسحاق للمراتي الثلاث، وهي رواية لم أرَ أحدًا ذكرها، حتى من أولئك الذين رووا عن ابن إسحاق مراتي أخرى. ولكن من يكون الصوري هذا لكي نزين رأيه وأحكامه؟

لقد فتشتُ فوجدت «الصوري» لقباً لقوم كثير^(٢)، أقربهم الحافظ محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن رُحيم الصوري، المتوفى سنة إحدى وأربعين وأربعمائة؛ ذلك أنه المراد عند العلماء إذا أطلق، وهو المحدث الأديب الذي أخذ عنه الخطيب البغدادي، وكانت له عناية أيما عناية بالشعر وقريضه^(٣). ورجلٌ هذا شأنه جديرٌ أن يُصغى إلى كلامه في الأشعار والرواية.

وتقدُّ الصوري على شدته - وهو المحدث الحافظ - لم يتوجه به إلى الواقدي ولا إلى ابن إسحاق، بل قيل الرواية ظاهراً، ثم ردّها من داخلها، وذلك ممثلاً لما تقدّم من الحديث في الاختصاص.

وكون هذه الأقطاع ركيكة اللفظ، خلّو المعنى، لا تمثل فصاحة الصديق ورزائته ورجاحته؛ دليل على أنها «مصنوعة، قبيحة الصنعة» في نظر الصوري، ثم إنه رجع إلى ما

(١) مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٦-١٨٢٧).

(٢) انظر: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكنابهم، لابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله الدمشقي ٤٤١/٥ (تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/١٤١٤هـ).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات ٤/١٢٨-١٢٩.

بدأنا الحديث به فاحتجَّ بحديث عائشة.

والصوريُّ في نقده يقصد مثل هذين البيتين الضعيفين الواهنيين:

كَمْ لِي بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ يُتَّصِبُنِي إِذَا تَدَكَّرْتُ أَنِّي لَا أَرَاكَ أَبَدًا [كذا]
كَانَ الْمَصْأَفَاءُ [كذا] فِي الْأَخْلَاقِ قَدْ عَلِمُوا وَفِي الْعَقَافِ فَلَمْ تُعَدِلْ بِهِ أَحَدًا

ومثل هذه:

لَمَّا رَأَيْتُ نَبِيَّتَا مُتَّجِدِلَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرَضِهِنَّ الدُّورُ
وَارْتَعَتْ رَوْعَةً مُسْتَهَامَ وَالِهِ وَالْعَظْمُ مِنِّي وَاهِنٌ مَكْسُورُ [١]
أَعْتَيْتُ، وَيَحْكُ، إِنَّ جِبَّكَ قَدْ تَوَى وَنَقِيتَ مُنْقَرِدًا، وَأَنْتَ حَسِيرُ

فإنها لا تليق بأبي بكر لفظًا ومعنى. ثم إنَّ النبيَّ ﷺ لم يمت صريعًا «مُتَّجِدِلَا».

وهذا النقد المتبوع بعلمه كريمٌ في ذاته؛ فإنه لم يقتصر فيه على الإسناد دون المتن، ولا على الأخبار تأتي مطلقةً دون مزيد تثبت واحتياط. وإنَّ مَنْ كان في مثل زماننا ومقامنا لن يملك إلا أن يرجح حكم الصوري المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وكان بين يديه ما لم يكن بين أيدينا من رجلٍ أو كتاب.

وهذا الترجيح لم يكن من أجل علل الصوري وحدها، ولكن لسبب آخر لا يقل قوةً عن هذه العلل، هو إهمال العلماء الذين أفصحوا بالنقل من كتاب ابن إسحاق - ومنهم الكثير والمقل؛ إهمالهم ذكرَ مراثي أبي بكر رضي الله عنه، وكان ابن حجر في «الإصابة» يذكر البيت والبيتين لصاحب الترجمة إذا كان ذا مرثية نبوية، ويحيل على ابن إسحاق فيما رواه ابن إسحاق^(١)، ولكنه لم يَعْزُ شيئًا من ذلك لأبي بكر مع أن مراثي أبي بكر مدونةٌ أمامه في الكتاب، كأنما استضعفها^(٢).

(١) انظر مثلاً: فصل توثيق المراثي البيانية من هذه الدراسة.

(٢) انظر ترجمة أبي بكر في: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ١٦٩/٤-١٧٥ (تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١٤١٢/هـ) فإنك لن ترى فيها حديثًا عن شعره قط.

والكلاعي الذي روى رواية جمّة من أشعار المرثي عن ابن إسحاق وغيره، لم يدعُه الاستكثارُ إلى كتابة شيء في كتابه «الاكتفا» مما وُضع على أبي بكر^(١)، مع أنه أورد مرثي ضعيفةً لغير أبي بكر مما بيّنته هذه الدراسة، وكأنه استهان بها ولم يرض روايتها؛ وكان أبو الربيع الكلاعي حافظًا أدبيًا، وشاعرًا مُجيدًا^(٢)، يعرف مراتب الكلام ومنازله، وكان ابن حجر واحد عصره، جهبذًا في الرواية والأخبار^(٣)، وكان شاعرًا بصيرًا بالشعر^(٤).

٣

المرثية الرابعة المنسوبة للصدّيق أولها:

أَجِدُّكَ مَا لِعَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّ جُفُوقَهَا فِيهَا كِلَامٌ

ولعلَّ أوَّل من ذكرها؛ بل ذكر بعضًا منها يدلُّ عليها البلاذريُّ المتوفى سنة تسع وسبعين ومئتين مشيرًا إلى كونها «من قصيدة»^(٥)، ويظهر أنَّ البلاذريَّ رواها عن الواقدي، إمَّا من طريق ابن سعد كما مرّ، وإما نقلها من كتب الواقدي نفسها، فلقد كان البلاذريُّ ذا عناية بالواقدي^(٦).

(١) في كتاب الاكتفا عشرون مرثية من مرثي الصحابة للنبي ﷺ ما بين قصيدة ومقطعة.

(٢) انظر ترجمة الكلاعي في: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري ٩٦-٨٣/٢ (تحقيق الدكتورين محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت).

(٣) انظر ترجمته في كتاب: الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر، للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (حققه وعلق عليه حامد عبد المجيد وطه الزيني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٦م).

(٤) انظر في الحديث عن شعره وديوانه: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ص ٧٦٥ (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ)، وبصره بالشعر يسكن الوقوف عليه في اختياره من أشعار المترجمين.

(٥) أنساب الأشراف، للبلاذري ٥٩٢/١.

(٦) انظر: مرويات البلاذري عن عصر الراشدين: دراسة تاريخية مقارنة للروايات المسندة المعاصرة، لوليد علي الطنطاوي ص ٨٧ (أطروحة ماجستير بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بكلية دار العلوم بالقيوم

ورأيثها قصيدةً من ستة عشر بيتًا عند الصالحيّ المتوفى في القرن العاشر سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة، وقال: إنها عن ابن سعد^(١). قلت: ليست في كتاب ابن سعد، ولم يذكر ذلك أحد، وأظنه سَبَقَ قلم من ناسخ. أو أنه كان ينقل من نسخة أتمّ من النسخة التي بين أيدينا.

وكان الباهليّ الإشبيليّ صاحب «الذخائر والأعلاق» المتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة، قد رواها ثمانية عشر بيتًا، ولكنه لم ينسبها لأبي بكر، بل قال: «ومما رُئي به ﷺ» فذكرها^(٢).

وقد أتى القرشيّ الذي جمع «جمهرة أشعار العرب» بشيء ملبس عجيب حين قال: «قال المفضّل: ولم يبق أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر، أو تمثّل به، فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه أجذك...» البيت^(٣). والشيء الملبس العجيب إضافته القول إلى المفضّل، و«المفضل» إذا أطلق أريد به عند أهل العلم: مفضّل بني ضبّة، وليس المفضّل الذي يروي عنه صاحب «الجمهرة» بالمفضل الضبيّ، وفي ذلك يقول بلاشير: «ويبدو أن المؤلف صنّف «جمهرته» في أواخر القرن الثالث للهجرة معتمدًا على ما رواه المدعوّ المفضل، ولا تزال شخصية هذا مجهولة، وليس على كل حال المفضّل الضبيّ عالم الكوفة»^(٤).

والجهالة بهذا المفضّل جهالةٌ حال لا جهالة عين، وقد استخرج الدكتور سزكين اسمه - كما قال - من «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم على أنه: «المفضّل بن عبد الله بن محمد ابن المجير بن عمر بن الخطّاب»^(٥)، وقد نظرتُ في «جمهرة ابن حزم» فلم أجده صرّح بهذه

(١) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٧٦/١٢.

(٢) الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهليّ الإشبيليّ ص ٢٢١ (المطبعة الوهبية، القاهرة ١٢٩٨هـ).

(٣) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ص ٤٤.

(٤) تاريخ الأدب العربي، لبلاشير ص ١٧٢ (ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق ١٤١٩هـ).

(٥) تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، المجلد الثاني ٩٠/١.

السلسلة^(١)، وكذلك فعل الدكتور الطاهر ميكي من قبل فلم يظفر بها^(٢).

على أنه ورد اسم المفضل بن محمد الضبي هكذا مرة في «جمهرة القرشي»، وهو خطأ من الناسخ دون ريب^(٣).

ذلك مفضل «الجمهرة»؛ أما مصنفها فمجهول كذلك، ولم يذق برد اليقين بمعرفته أحد إلى يوم الناس هذا، واختلفوا في زمنه جدًا^(٤)، وليس يعنينا هذا في كبير شيء إذ إن «فائدة الجمهرة محدودة، وقيمتها التاريخية متواضعة»^(٥)، ثم إن بعض الباحثين خلص إلى الحكم على صاحب «الجمهرة» بأنه «رجل متساهل في أسانيد، وروايته غير موثقة، بدلالة تضخم القصائد الواردة عنده بأبيات لم يُعزها العلماء أي اهتمام. ويضاف إلى هذا أنه في تعليقاته وشروحه كان يعتمد على غيره من الشراح دون أن نلمس جهده المتميز»، وخصوصًا تلك النقول الحرفية التي نقلها عن ابن النحاس^(٦)؛ فلا غرابة إذن إذا نُسب هذا القرشي المجهول عن هذا المفضل المجهول شعرًا لأبي بكر.

فإذا كان البلاذري لم يذكر مصادره، أو أنه كان ينقل شعر أبي بكر عن الواقدي، وقد مرّت بنا رواية الواقدي التالفة لشعر أبي بكر، وإذا كانت رواية «جمهرة أشعار العرب» لا

(١) لم أجد في جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، طه)، ولا في النشرة الأخرى (تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بصر ١٩٤٨م).

(٢) دراسة في مصادر الأدب، للدكتور الطاهر أحمد ميكي ص ١١٤ (دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٨٤م).

(٣) المصدر السابق، الموضع نفسه، ولعل هذا الخطأ هو الذي حمل الدكتور محمد أبو المجد على أن يظن أنه المفضل بن محمد الضبي (مرآتي النبي ﷺ ص ١٦).

(٤) انظر ما كتبه الدكتور ناصر الدين الأسد عن «جمهرة القرشي» وعن صاحبها في: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٥٨٤ (دار الجيل، بيروت، ط ١٩٩٦م).

(٥) دراسة في مصادر الأدب، للدكتور الطاهر ميكي ص ١١٣.

(٦) انظر مقالة الدكتور سليمان الشطي: ضوء جديد على زمن تأليف جمهرة أشعار العرب، المنشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول ٩٤/١ (ربيع الأول وشعبان ١٤٠٢ هـ الكويت).

وزن لها؛ فإن ما تأخر عن ذلك من رواية خليق بالضعف والتكارة. وهذا الذي بلغ بالقصيدة ثمانية عشر بيتاً إنما رواها بصيغة التمريض، وهي صيغة من صيغ الشك، فقال: «ومما رُئي به ﷺ»، ولم يجزم بصاحب لها.

وقائل هذه العبارة هو أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهليّ الإشبيليّ، المتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة، كان شيخاً جليلاً، وأديباً كاتباً شاعراً، ذا تصانيف في الآداب والزهد والحكم، منها كتاب حسنٌ وسَمَه «بالذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق»^(١)، وهو الكتاب الذي فيه القصيدة، أقول: هذا الشيخ الإشبيليّ الأديب كأنه تورّع عن نسبتها لأبي بكر، أو عَلِمَ علماً يقيناً باختلافها قرّواها على النبي للمفعول جهالةً بمن قالها، ولم ينسبها مع أنه نسب إحدى عشرة قصيدة لثمانية من الصحابة صريحةً أسماؤهم في كتابه.

ثم إن القصيدة متأخرة النسخ، بلي، ونسجها منقوضٌ أنكأ، وفيها من الخمول والتردد ما يجافي طبع الفصاحة والعدوية في كلام أبي بكر^(٢)، أين أبو بكر القرشي من قول هذا الشاعر العيي:

لَقَدْ وَرَثْتَنَا مِيرَاتِ صِدْقٍ عَلَيْنِكَ بِهِ التَّجِيَّةُ وَالسَّلَامُ
مِنَ الرَّحْمَنِ فِي أَعْلَى جَنَانٍ مِّنَ الْفِرْدَوْسِ طَابَ بِهِ الْمَقَامُ
رَفِيقَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ وَمَا فِي مِثْلِ صُخْبَتِهِ نَدَامُ
وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ فِيهِ بِمَا صَلَّوْا لِرَبِّهِمْ وَصَامُوا

إنها أشعار حديثة الصناعة لا تصل إلى تلك القرون الأولى.

(١) انظر ترجمته في: الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة، لابن عبد الملك ٢٤٨-٥٥، والمغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي ٤٣٤/١ (تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط ٤)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، أحمد بن محمد التلمساني ٣٣٣/٤ (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ).

(٢) انظر شواهد كلامه العالي الغض في: مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله ص ٣٧١ وما بعدها (دار النفائس، بيروت، ط ١٤٢٢/٧هـ).

وصحيح أن ضعف البناء، والنزول عن رتبة الإجادة ليس سبباً كافياً لنفي الشعر عن أحد، فكلُّ الناس يضعف حيناً وينزل، بيد أنه ينبغي أن لا يُنسب مثل هذا النظم الأعرج إلى أحدٍ من أولئك العرب الأفحاح، خصوصاً إن كان في مثل خطر أبي بكر رضي الله عنه^(١).

(١) جعل الدكتور محمد أبو المجد من دلائل ضعف القصيدة ورود «سجع الحمام» فيها في قوله:

سأُتبعُ هديته مادمت حياً طوال الدهر ما سجع الحمام
كأنه من معاني المحدثين (مرآئي النبي ﷺ ص ٤٨)، ولكنَّ الضعف أخذً بالقصيدة من أوجه عديدة غير هذا الوجه كما سلف؛ على أن (سجع الحمام) مذكور في شعر الأوائل كقول شيبان بن جابر السلمي حين أراد أن يجالِف بني هاشم:

أحالفكم حلماً شديداً عُقودُه كحلف بني عمرو أباك ابن هاشم
على النصر ما دامت بنجد وثيمةُ وما سجعت قمريةُ بالكراتم
(انظر: المُتَنَقِّح في أخبار قریش، لمحمد بن حبيب البغدادي ص ٦٧، صحَّحه وعلق عليه خورشيد أحمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد التِّكُون، ط ١٣٦٤هـ).



المبراني

(٥)

[من الطويل]

- ١ إِلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ تَثْرَى، وَرَحْمَةً تَزِيدُ عَلَيَّ مَنْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا
 ٢ عَلَيَّ مَنْ يُنَادِي لِلصَّلَاةِ بِذِكْرِهِ إِذَا مَا دَعَا اللَّهُ الْمُتَّادِي فَأَسْمَعَا

(٦)

[من الطويل]

- ١ بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ
 ٢ وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ
 ٣ وَوَأَضْحُ آثَارِ، وَبَاقِي مَعَالِمِ
 ٤ بِهَا حُجْرَاتُ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا
 ٥ مَعَارِفُ لَمْ تُظْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
 ٦ عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ
 ٧ ظَلَلْتُ بِهَا أَنْبَكِي الرَّسُولَ فَأَسْعَدْتُ
 ٨ يُذَكِّرُنَ آيَةَ الرَّسُولِ، وَمَا أَرَى
 ٩ مُفَجَّعَةً، قَدْ شَقَّهَا فَقَدْ أَخْمَدِ
 ١٠ وَمَا بَلَغْتُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَشِيرَةٍ
 ١١ أَطَالَتُ وَفَوْقًا تَذْرِفُ الْعَيْنُ جُهِدَهَا

* التخریج: جعلت سيرة ابن هشام ٦٦٦/٤-٦٦٩ أصلاً لهذه القصيدة؛ وهي في الاكتفا ٧٢/٢-٧٤، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٣-١٨٢٥)، وسبل الهدى والرشاد ٢٧٩/١٢-٢٨١، وهي من مضاف الديوان في نشرة الدكتور عرفات ١/٤٥٥، ونشرة الدكتور سيد حنفي ص ٣٧٧، وفي البداية والنهاية لابن كثير ٢٨٠/٥-٢٨١ (مكتبة المعارف، بيروت، ط ١٤١١/٢هـ) الأبيات: ١-١٢، ١٤-١٦، وفي المواهب اللدنية ١٥١/١٢-١٥٣ الأبيات: ١-٦، ١١-١٨ ثم زاد الشارح الزرقاني ١٥٢/١٢-١٥٤ الأبيات: ٧-١٠، ١٩-٤٦.

١. في المواهب اللدنية: «مين...».

٢. في المواهب: «ولا تمتحي...».

٣. في المواهب: «وأوضح آيات...».

٨. في شرح الزرقاني على المواهب: «تذكرن...».

٩. في شرح الزرقاني: «... قد شققها...» بالمشناة الفوقية، تصحيف.

١٠. في شرح الزرقاني: «... لنفسي بعد هذا...».

١١. في المذاهب: «... العين دمعها...».

(١) أسعدت: من المساعدة (لسان العرب: سعد).

- ١٢ قُبُورِكُمْ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ، وَبُورِكُمْ
 ١٣ وَبُورِكُمْ لِحُدِّ مِنْكَ ضَمِينٍ طَيِّبًا
 ١٤ تَهِيلُ عَلَيْهِ الثَّرْبُ أَبْدِي، وَأَعْيُنُ
 ١٥ لَقَدْ غَيَّبُوا جِلْمًا، وَعِلْمًا، وَرَحْمَةً
 ١٦ وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ
 ١٧ يُبْكُونَ مَنْ تَبَّكَ السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
 ١٨ وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ
 ١٩ تَقَطَّعَ فِيهِ مَنَزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
 ٢٠ يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ
 ٢١ إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقُّ جَاهِدًا
 ٢٢ عَفْوٌ عَنِ الرِّلَّاتِ، يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ
 ٢٣ وَإِنْ تَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِجَمَلِهِ
 ٢٤ فَبَيْنَا هُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ، بَيْنَهُمْ
 ٢٥ عَزِيرٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى
 ٢٦ عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يُتَّقِي جَنَاحَهُ
 ٢٧ فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ التُّورِ إِذْ عَدَا
- بَلَادٌ تَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
 عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِينِجٍ، مُتَّصِدٌ^(١)
 عَلَيْهِ، وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ
 عَشِيَّةَ عَلَّوَةِ النَّرَى لَا يُوسَدُ
 وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ
 وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ، قَالَتِ النَّاسُ أَكْتَدُ
 رَزِيَّةً يَوْمَ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ ؟
 وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
 وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْحَزَابِ، وَيُرْشِدُ
 مُعَلِّمٌ صَدِيقٌ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا
 وَإِنْ يُخْسِنُوا قَالَتِ اللَّهُ بِالْحَيْرِ أَجْوَدُ
 فَمِنْ عِنْدِهِ تَبْسِيرٌ مَا يَنْشَدُ
 دَلِيلٌ بِهِ تَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ
 حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
 إِلَى كَنْفٍ، يَخْتَوِعُونَ عَلَيْهِمْ وَيَنْهَدُ^(٢)
 إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ التَّمَوْتِ مُقْصَدُ

١٤. في المواهب: «... وأعين * تباكت...».

١٥. في المواهب: «... عالوه...» تصحيف.

١٧. في المواهب: «... موته *... والناس...».

١٨. في المواهب: «... فهل...».

٢٤. في البداية والنهاية، والاكتفا: «... من نعمة الله وسطهم».

(١) الصفيج: جمع صفيحة، الحجر العريض (اللسان: روح).

(٢) الكنف: الناحية (اللسان: كنف).

- ٢٨ فَأَصْبَحَ تَحْمُودًا، إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
 ٢٩ وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحِزْمِ وَحُشًا بِقَاعُهَا
 ٣٠ فِقَارًا، سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ صَافَهَا
 ٣١ وَمَسْجِدُهُ، فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
 ٣٢ وَبِالْحُمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ، ثُمَّ أَوْحِشَتْ
 ٣٣ فَبِئْسَ رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٌ
 ٣٤ وَمَالِكٍ لَا تَبْكِينَ ذَا التَّيغَةِ الَّتِي
 ٣٥ فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَأَعْوَلِي
 ٣٦ وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ
 ٣٧ أَعْفَ وَأَوْقَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ
 ٣٨ وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِيهِ
 ٣٩ وَأَكْرَمَ صَيْتًا فِي الْبَيْتِ إِذَا انْتَمَى
 يُبْكِيهِ حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ، وَيَحْمَدُ
 لِعَيْبَةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الرَّحْمِيِّ تَعَهْدُ
 فَقِيدُ يُبْكِيهِ بِلَاظٍ وَعَرْقُدُ
 خَلَاءَهُ، لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
 دِيَارٍ، وَعَرْضَاتٌ، وَرَبْعٌ، وَمَوْلِدُ^(١)
 وَلَا أَعْرِفُنَاكَ الدَّهْرَ دَمْعُكَ يَجْمُدُ
 عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَعَمَّدُ
 لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
 وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ
 وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُنْكَدُ
 إِذَا ضَنَّ مِعْطَاءُ بِمَا كَانَ يُثْلِدُ^(٢)
 وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحِيًّا يُسَوِّدُ

٢٨. في شرح الزرقاني: «تبكيه... ويحمد» تصحيف. وفي البداية والنهاية، وشرح الزرقاني «... جفن المرسلات...»

وفي الاكتفا: «... جن...» وفي مخطوطة إمتاع الأسماع: «... حتى المرسلات...».

٣١. في البداية والنهاية: «... له فيها...».

٣٢. في شرح الزرقاني: «... فيا حمرة...».

٣٣. في شرح الزرقاني: «... يا عين جهرة...».

٣٤. في شرح الزرقاني: «... النعم...».

٣٨. في شرح الزرقاني: «إذا ضن ذو مال...».

٣٩. في شرح الزرقاني: «وأكرم بيتنا...» وفي البداية والنهاية: «... حيا...»، وفي الاكتفا: «... إذا انتهى...».

(١) العرصات: الساحات (اللسان: عرض).

(٢) الطريف: المستحدث (اللسان: طرف). والثالث: القديم الموروث (اللسان: تلد).

- ٤٠ وَأَمْتَعَ ذُرُوتِي، وَأَثَبْتَ فِي الْعَلَا
 ٤١ وَأَثَبْتَ قَرْنًا فِي الْفُرُوعِ، وَمَنْبِيئًا
 ٤٢ رَبَاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَتَمَّ تَمَامُهُ
 ٤٣ تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ
 ٤٤ أَقُولَ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي غَائِبٌ
 ٤٥ وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِخًا عَنْ تَنَائِيهِ
 ٤٦ مَعَ الْمُصْطَفَى، أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارَهُ
 دَعَائِمَ عِزِّ شَاهِقَاتِ تُشَيِّدُ
 وَعُودًا عَدَاهُ الْمُنْزُ، فَالْعُودُ أَعْيَدُ
 عَلَى أَكْرَمِ الْحَيَرَاتِ رَبِّ مُمَجَّدُ
 فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْتَدُ^(١)
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَارِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ
 لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ
 وَفِي تَمِيلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْتَعِي، وَأَجْهَدُ

٤٠. في شرح الزرقاني: «شاححات...».

٤١. في شرح الزرقاني: «وعودًا كعود المزن...».

٤٣. في شرح الزرقاني: «فلا العلم مجبور...».

٤٤. في البداية والنهاية: «... ولا يلقي...» بالفاء المفردة.

(١) الوصاة: الوصية (اللسان: وصي).

(٧)

[من البسيط]

- ١ أَلَيْتُ جِلْفَةً بَرَّ عَيْرٍ ذِي دَخَلٍ مِثِّي أَلَيْتَةَ بَرِّ عَيْرٍ إِفْتَادٍ^(١)
 ٢ بِإِلَهِ مَا حَمَلْتُ أَنْتَنِي وَلَا وَضَعْتَ مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
 ٣ وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِيَعَادِي
 ٤ وَمَنْ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ، الْأَمْرِ ذَا حَزْمٍ وَإِرْشَادِ
 ٥ مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا وَأَبْدَلَ النَّاسِ لِلْمَعْرُوفِ؛ لِلْجَادِي^(٢)

* التخریج: جعلت ديوان حسان بن ثابت (تحقيق الدكتور وليد عرفات) ٢٧٢/١ أصلاً لهذه القصيدة؛ وهي في الديوان بتحقيق الدكتور سيد حنفي ص ٢٠٧، ٨٠٨؛ ونهاية الأرب ٤١٠٢/١٨؛ وفي الطبقات الكبير لابن سعد ٢٧٩/٢، ٢٨٠؛ روايتان: في الأولى الأبيات: ٢، ٧، ٨، وفي الثانية الأبيات: ١-٨؛ وفي السيرة النبوية لابن هشام ٦٧١/٤، والاكتفا ٧٥/٢، وسبل الهدى والرشاد ٢٨٣/١٢، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٤) الأبيات: ١-٤، ٧، ٨، ٦؛ وفي الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٢، الأبيات: ٢، ٤، ٧، ٨.

١. في السيرة، والاكتفا، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «أليت ما في جميع الناس مجتهدا». وفي الطبقات، ونهاية الأرب: «... ألية حق...».

٢. في السيرة، والاكتفا، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «تالله...» مثل الرسول نبي الأمة...». وفي الطبقات مرة: «والله...» «رسول الأمة...»، وأخرى: «بالله...» «النبي نبي...». وفي ذخائر الإشبيلي: «تالله...» «رسول الأمة...». وفي الطبقات، ونهاية الأرب: «تالله...» «النبي نبي...».

٣. في السيرة، والاكتفا، ومخطوطة الإمتاع، والذخائر، والسبل: «ولا برا الله خلقاً من بريته».

٤. في السيرة، والاكتفا، ومخطوطة الإمتاع، والذخائر، والسبل: «... الذي كان فينا...» «... ذا عدل...».

(١) الإفتاد: التكذيب وتضعيف الرأي.

(٢) الجادي: السائل (اللسان: جدا).

- ٦ حَمِيرُ الْبَرِيَّةِ، إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ جَارٍ، فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي^(١)
- ٧ أُمْسَى نِسَاؤُكَ عَظَلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا يَضْرِبَنَّ فَوْقَ قَمَّا سِثْرٍ بِأَوْتَادٍ
- ٨ مِثْلَ الرِّوَاهِبِ يَلْبَسَنَّ الْمُسُوحَ وَقَدْ أَيْقَنَ بِالْبُيُوسِ، بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي

٦. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والذخائر والسبل: « يا أفضل الناس... * أصبحت منه كمثل المفرد

الصادي ١.

٧. في الطبقات: «... خلف قفا...».

٨. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «... ييليسن المبادل قد»^(٢). وفي الذخائر: « أنسن باليوس...».

(١) الصادي: شديد العطش (اللسان: صدي).

(٢) المبادل: جمع مَبْدَلٌ، وهو الثوب الذي يُتَذَلُّ فيه (الإملاء المختصر في شرح غريب السير، للخشني، أبي ذرّ مُصعب بن أبي

بكر محمد بن مسعود ٣/١٨٤، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة، دار البشير).

(٨)

[من الكامل]

- | | | |
|----|---|---|
| ١ | مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا | كُحِلَّتْ مَا قِيَهَا بِكُحْلِ الْأَرَمِدِ |
| ٢ | جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ نَارِيَا | يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ |
| ٣ | وَجْهِي بِعَيْكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي | عُيْتُتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْعَرْقَدِ |
| ٤ | بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَقَاتَهُ | فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيَّ الْمُهْتَدِي |
| ٥ | فَقَلَّلْتُ بَعْدَ وَقَاتِهِ مُتَبَلِّدًا | مُتَلَدِّدًا، يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوَلِّدِ ^(١) |
| ٦ | أَقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ | يَا لَيْتَنِي صَبَّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ |
| ٧ | أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا | فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ عَدِ |
| ٨ | فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَتَلْقَى طَيِّبًا | مُحَضًّا ضَرَائِبُهُ، كَرِيمَ الْمَخْتَدِ ^(٢) |
| ٩ | يَا بِعُزْرَةِ أَمْنَةَ الْمُبَارَكِ بِكُرْهَا | وَلَدَتْهُ مَحْضَنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ |
| ١٠ | نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا | مَنْ يُهْدَى لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِ |
| ١١ | يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا | فِي جَنَّةِ ثَنِي عَيْوْنَ الْحَسِّدِ |
| ١٢ | فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْنَا لَنَا | يَا ذَا الْجَلَالِ، وَذَا الْعُلَا وَالسُّوْدِ |
| ١٣ | وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيْتُ بِهَالِكِ | إِلَّا بِكَيْتِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ |
| ١٤ | يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ فَأَصْبَحُوا | بَعْدَ الْمُغَيْبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ |
| ١٥ | صَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا | سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَّوْنَ الْإِيْمِدِ |

* التخریج: جعلت السيرة النبوية لابن هشام ٤/٦٦٩، ٦٧٠ أصلًا لهذه القصيدة، وهي من مضاف الديوان بتحقيق الدكتور وليد عرفات ١/٤٥٥، وتحقيق الدكتور سيد حنفي ص ٢٠٨-٢١٠، وهي في الطبقات الكبير ٢/٢٨٠، ٢٨١، ونهاية الأرب ١٨/٤٠٢، ٤٠٣ مع اختلاف في الترتيب.
 ٣. في الطبقات: «... لیتنی * كنت المغيب في الضريح الملحد».
 ١١. في الطبقات: «... تفقا عيون...».

(١) المتلذذ: المتحيز (الحميم: باب اللام).

(٢) الضريبة: الطبيعة والسجية (تاج العروس: ضرب)، والمحتد: الأصل (اللسان: حتد).

- ١٦ وَلَقَدْ وَدَّعْنَا، وَفِينَا قَبْرُهُ
 وَفُضُولَ نِعْمَتِهِ بِمَا لَمْ نَجْعِدِ
 ١٧ وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَىٰ بِهِ
 أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
 ١٨ صَلَّى الْإِلَهَ وَمَنْ يُحْفُ بِعَرْشِهِ
 وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

(٩)

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا | مَيْتٌ بِطَيْبَةٍ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقَدِ |
| ٢ | فَلَقَدْ أَصِيبَ بِجَمِيعِ أُمَّتِهِ بِهِ | مَنْ كَانَ مُوَلُودًا، وَمَنْ لَمْ يُوَلِدْ |
| ٣ | وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَا قَدْ عَالَهُمْ | تَرْجُو شَفَاعَتَهُ بِذَلِكَ الْمَشْهَدِ |
| ٤ | حَتَّى الْحَلِيلُ أَبُوهُ فِي أَشْيَاعِهِ | وَنَجِيئُهُ مُوسَى النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي |
| ٥ | مُتَوَاضِعِينَ لِرَبِّهِمْ بِفِعَالِهِمْ | تِلْكَ الْقَضِيْلَةُ وَاجْتِمَاعُ السُّوْدِ |
| ٦ | يَا حَيْرَ مَنْ شَدَّ الْمَطِيَّةَ تَحْوَهُ | وَقَدْ لِحَاجَتِهِ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي |
| ٧ | أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَدْنَا مِنْ حُقْرَةٍ | مَنْ يَهْوِي فِيهَا مِنْ قُوَاهُ يَبْعَدِ |
| ٨ | وَهَدَيْتَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ وَالرَّدَى | فَهَدَى الْإِلَهَ إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ |
| ٩ | فَجَزَاكَ عَنَّا اللَّهُ حَيْرَ جَزَائِهِ | بِمَقَامِ تَحْمُودِ الْمَقَامِ مُسَوِّدِ |

* التخریج: جعلت الزهرة لأصبهاني ٥١٠/٢ أصلاً لهذه القصيدة، وهي في النخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٢، ولم

يلحقها محققا ديوان حسان بالديوان.

٢. في النخائر: «ولقد...».

٥. في النخائر: «... لربهم يرقابهم».

٧. في النخائر: «... من هواه يبعد».

٨. في النخائر: «فهديتنا... يهدى الإله...».

٩. في النخائر: «... مسدد».

(١٠)

[من البسيط]

١ أَلَا دَقَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ مِّنَ الْأَلْوَةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودٍ^(١)

* التخريج: لسان العرب (ألا).

(١) السفط: الذي يُعَيَّ فيهِ الطيب وما أشبهه من أدوات النساء (اللسان: سفظ). والألوة: العود الذي يُتبخَّر به (اللسان: ألا).

(١١)

[من البسيط]

- ١ نَبِيَّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْحَمِيرَ فَارَقَهُمْ
 ٢ مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي
 ٣ ذَلِكَ الَّذِي لَيْسَ يَخْشَاهُ مُجَالِسُهُ
 ٤ كَانَ الضِّيَاءَ، وَكَانَ الثُّورَ نَتْبَعُهُ
 ٥ فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَخْنِيَةِ
 ٦ لَمْ يَتْرِكِ اللَّهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ
 ٧ ذَلَّتْ رِقَابُ بَنِي النَّجَارِ كُلِّهِمْ
 ٨ وَاقْتَسَمَ الْفَيْءُ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
- مَعَ الرَّسُولِ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا
 وَرَزَقَ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطْرًا
 إِذَا الْجَلِيسُ سَطَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثْرًا
 وَكَانَ بَعْدَ الْإِلَهِ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
 وَعَيْبُوهُ، وَأَلْفَقُوا قَوْقَةَ الْمَدْرَا^(١)
 وَلَمْ يُعِشْ بَعْدَهُ أَنْسَى وَلَا ذَكْرًا
 وَكَانَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ قَدْ قُدِرَا
 وَبَدْدُوهُ جِهَارًا بَيْنَهُمْ هَدْرًا^(٢)

* التخریج: جعلت ديوان حسان بن ثابت (تحقيق الدكتور وليد عرفات) ١/١٢٤ أصلًا لهذه القصيدة؛ وهي في السيرة لابن هشام ٤/٧٦، والاكتفاء ٢/٤٧، ٥٧، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ٥٢٨١، ٦٢٨١)، وسبل الهدى والرشاد ٢٩/٢٨٢، وفي الطبقات الكبير ٢/١٨٢، ٢٨٢، الأبيات: ١-٧؛ وفي الديوان بتحقيق الدكتور سيد حنفي ص ١٢ الأبيات: ١-٦.

١. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «... مع النبي...».
٢. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «أم من نعاقب لا نخشى جناده» * إذا اللسان عتا...^(١).
٣. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «بعد الإله، وكان السمع...».
٤. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «... واروه بملحده»، وفي الطبقات: «... بمخبيته...».
٥. في السيرة، والاكتفاء، ومخطوطة الإمتاع، والسبل: «لم يترك الله منا بعده أحدًا».
٦. في الطبقات: «... من الرحمن...».

(١) الجنادع: أوائل الشر. وعنا: زاد وطفى (الإملاء المختصر ٣/٤٨١).

(٢) المخنية: ما انحنى من الأرض (اللسان: حنا). والمدر: قطع الطين اليابس (اللسان: مدر).

(٣) الهدر: الباطل (الإملاء المختصر ٣/١٨٤).

(١٢)

[من البسيط]

- ١ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ حِينَ ضَمَّنَهُ
بَطْنِ الضَّرِيحِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ^(١)
- ٢ مَا دَثَبِي الْأَرْضَ حَتَّى كَيْدْتُ أَدْخُلَهَا
بَعْدَ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، وَالْأَيْبِيِّ

* التخریج: البیتان فی أنساب الأشراف للبلاذري ٥٩٣/١.

(١) هو الفضل بن العباس أو قثم بن العباس (انظر: السنن الكبرى للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي ٣٥/٤ مجلس دائرة المعارف النظامية بميدان آباء التمكن، ط١٤٣١هـ).

(١٣)

[من البسيط]

- ١ يَا عَيْنُ، جُودِي بَدْمَجٍ مِنْكَ أَسْبَالٍ
 ٢ لَا تَعِدَانِي بَعْدَ الْيَوْمِ دَمْعُكُمَا
 ٣ فَإِنَّ مَنَعُكُمَا مِنْ بَعْدِ بَذَلِكُمَا
 ٤ لَكِنِ أَيْضًا عَلَى صَدْرِي بِأَرْبَعَةٍ
 ٥ سَجِّ الشَّعِيبِ، وَمَاءِ الْقَرْبِ يَمْتَنَحُهُ
 ٦ عَلَى رَسُولٍ لَنَا مَخْضٍ مَشَارِبُهُ
 ٧ حَايِي الْحَقِيقَةَ، نَسَّالِ الْوَدِيقَةَ، فَكُ
 ٨ كَسَابِ مَكْرُمَةٍ، مِطْعَامِ مَسْقَبَةٍ
 ٩ عَقْفِ مَكَايِبُهُ، جَزَلِ مَوَاهِبُهُ
 ١٠ وَارِي الزَّيَادِ، وَقَوَادِ الْحَيَادِ إِلَى
- وَلَا تَمَلِّنْ مِنْ سَجِّ وَإِعْوَالِ^(١)
 إِلَيَّ مُصَابُ، وَإِنِّي لَسْتُ بِالسَّالِي
 إِلَيَّيْ مِثْلُ الَّذِي قَدْ عُرِّبَ بِالْأَلِ^(٢)
 إِنَّ الْجَوَانِحَ فِيهَا هَاجِسٌ صَالٍ
 سَاقٍ يُحْمِلُهُ سَاقٍ بِإِزْلالِ
 سَمِجِ الْحَلِيقَةِ، عَقْفِ، غَيْرِ مَجْهَالِ
 كَالِكِ الْعُنَاةِ، كَرِيمِ، مَاجِدِ، عَالِ^(٣)
 وَهَابِ عَيْدِيَّةٍ وَجَنَاءِ شِمْلَالِ^(٤)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، سَمِجِ، غَيْرِ نَكَّالِ
 يَوْمِ الطَّرَادِ إِذَا شُبَّتْ بِأَجْدَالِ

* التخریج: جعلتُ ديوان حسان بتحقيق الدكتور وليد عرفات ١/٣٦، أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الديوان بتحقيق

الدكتور سيد حنفي ص ٢١٠-٢١١ الأبيات: ١، ٤، ٤، ٦-١٣؛ وهي في الطبقات الكبير ٢/٢٨١ مع اختلاف في الترتيب.

٢. في نشرة الدكتور سيد: «لا تعدماني...». وفي الطبقات: «لا ينفدن لي...».

٤. في الطبقات: «لكن أفيضي...».

٦. في نشرة الدكتور سيد حنفي: «... مآريه».

٨. في نشرة الدكتور سيد حنفي: «وهاب عانية جناء...». وفي الطبقات: «عانية وجناء...».

(١) أسبلت السماء: إذا كثرت مطرها (تاج العروس: سبل). والسَّح: الصب (اللسان: سحج).

(٢) الأكل: السراب بالضحي (اللسان: سرب).

(٣) أي يحمي ما يحق عليه، ويعود في شدة الحر، وهو الوديقة (اللسان: ودق).

(٤) العيدية: نوق نجمية نسبة إلى بني العيد (اللسان: عود). والناقة الوجناء: عظيمة الوجنتين (أساس البلاغة، للزمخشري:

وجن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٨٥/٣م). والشملال: السريعة (جمهرة اللغة، لابن دريد (شلم)، طبعة مجلس

دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط ١٣٤٥هـ).

- ١١ وَلَا أُزَكِّي عَلَى الرَّحْمَنِ ذَا بَشَرًا
لَصِحَّ عِلْمَكَ عِنْدَ الْوَاحِدِ الْعَالِي
١٢ إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ وَالْأَيَّامَ تَفْجَعُنِي
بِالصَّالِحِينَ، وَأَبْقَى نَاعِمَ الْبَالِ
١٣ يَا عَيْنُ، قَابِضِي رَسُولَ اللَّهِ إِذْ ذَكَرْتُ
ذَاتَ الْإِلَهِ، فَيَنْعَمَ الْقَائِمُ الْوَالِي

١١. في الطبقات: «... ذا بشر» تصحيف.

١٣. في الطبقات: «... القائد...».

تَوْثِيقُ مَرَاتِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ

رضي الله عنه

١

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْأَنْصَارِيِّ فَحَلُّ مِنْ فُحُولِ الشُّعْرَاءِ^(١). وَكَانَ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ^(٢). عَدَّهُ ابْنُ سَلَامٍ أَشْعَرَ شُعْرَاءِ الْقُرَى الْعَرَبِيَّةِ^(٣). وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «وَأَجْمَعَتِ الْعَرَبُ عَلَيَّ أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَهْلُ يَثْرِبٍ، ثُمَّ عَبْدُ الْقَيْسِ، ثُمَّ ثَقِيفٌ، وَعَلَى أَنَّ أَشْعَرَ أَهْلِ يَثْرِبٍ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ»^(٤). وَحَسَّانُ أَجَلُّ مَنْ أَنْ يُدَلَّ عَلَيْهِ، حَسْبُكَ مِنْهُ صَحَابَتُهُ لِنَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِرُوحِ الْقُدُسِ، يَقُولُ ابْنُ شَرَفٍ: «وَأَمَّا حَسَّانُ فَقَدْ اجْتَنَّتْ بِوَاكِرِهِ غَسَّانَ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامَ، وَانْكَشَفَ الْإِظْلَامَ، فَحَامَى عَنِ الدِّينِ، وَنَاضَلَ عَنِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، فَشَمَّرَ وَزَادَ، وَحَسَّنَ وَأَجَادَ، إِلَّا أَنَّ الْفَضْلَ فِي ذَلِكَ لِتَأْيِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَسْدِيدِ

(١) انظر: فحولة الشعراء، للأصمعي، عبد الملك بن عُريب ص ٢٠ (شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، وطه محمد الزيني، المطبعة المنيرية بالأزهر).

(٢) عاش حَسَّانُ مئة وعشرين سنة، شطرها في الإسلام. انظر: جزء من عاش مئة وعشرين سنة من الصحابة، للحافظ أبي زكريا يحيى بن مُتَّه ص ٦٩ (قدَّم له مشهور حسن سلمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط ١٤١٢/١هـ).

(٣) طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجعفي ٢١٥/١ (قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، النشرة الثانية التي ارتضاها المحقق، دار المدني، القاهرة).

(٤) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ١٣٦/٤.

الروح الأمين»^(١).

ولحسن ديوان صَنَعَهُ محمد بن حبيب الراوية الكبير المتوفى سنة خمسين وأربعين ومثنتين، وقد نُشر على أصوله نشرتين، إحداهما قريبُ عهد من الأخرى، واحدة بتحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين سنة ١٩٧٤م عن دار المعارف، وأصلها رسالة دكتوراه نوقشت سنة ١٩٦١م^(٢)، والثانية بتحقيق الدكتور وليد عرفات سنة ١٩٧١م ضمن منشورات جب التذكارية^(٣)، وعلى الثانية أثنى المحقق الدكتور محمود الطناحي، فقال: «وهذه الطبعة من الديوان محققةٌ تحقيقاً علمياً جيداً، وهي تفضل ما سبقها وما تلاها من طبعات»^(٤).

على أن رواية ابن حبيب لم تكن محيطاً بشعر حسن أجمعه، فإنَّ له أشعاراً استدرَكها المحققان وألحاقها بالديوان، ويقع القسم الأكبر من المراثي النبوية المنسوبة إلى حسن في المستدرک على رواية ابن حبيب.

ولقد أثار شعرُ حسن أهل العلم مند قديم فأشكل عليهم إشكالاً كبيراً، حتى لقد قال محمد بن سلام: «وهو كثير الشعر، جيده، وقد حُمِل عليه ما لم يحمل على أحد؛ لَمَّا تَعَاصَهَتْ قريشٌ واستبَّتْ وضعوا عليه أشعاراً لا تُنقى»^(٥).

ويدخل في هذا الشعر المشكل الكثير شعرُ المراثي النبوية المنسوبة إليه، وسوف ننظر في

(١) مسائل الانتقاد، للقيرواني، محمد بن شرف ص ١٠٤-١٠٥ (دراسة وشرح وتحقيق الدكتور النبوي شعلان، مطبعة المدني، القاهرة).

(٢) اقرأ مقدمة حسن كامل الصيرفي لنشرة الديوان التي حَقَّقها الدكتور سيد حنفي حسنين ص ٦ (دار المعارف، ١٩٧٤م).

(٣) ديوان حسن بن ثابت (تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر ١٩٧٤م، مصورة عن طبعة منشورات جب التذكارية ١٩٧١م).

(٤) مدخل إلى نشر التراث العربي، للدكتور محمود محمد الطناحي ص ٢١٦ (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١٤٠٥/١هـ).

(٥) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجعفي ٢١٥/١.

هذه المرثية نظراً قاصداً إلى نفي شبهة « لا تُنْتَقَى » هذه التي ثَبَّتَتْ قوماً عن القول في شعر حَسَّانَ قولاً مفضلاً، متخذين هذا الحكم وما أشبهه ذريعة إلى الإحجام والتناهي. وما كان ابن سلام مريداً تعميم القول في كل شعر حَسَّانَ، ولكنه أراد الشعر الذي نشمُّ رائحة وضع قرشي فيه، وحتى هذا الشعر القرشي الموضوع رصده الجهابذة من النقاد ودلوا عليه^(١).

وإنَّ مما أدركناه من مشكل شعر حَسَّانَ قولاً مطلقاً نقله المقرئ في «إمتاع الأسماع» قال: « قال الواقدي في «مغازيه» قال ابن الزيات: سألت شيوخنا من الأنصار: هل رثي حَسَّانَ بن ثابت رضي الله عنه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: قيل لحَسَّانَ: لم لا ترثي رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري ما أقول فيه، الأمر أجل من ذلك. وفي رواية أنه قال: جلَّتْ المصيبةُ عن المرثية^(٢)».

وليس عجيباً أنك تجد الواقدي راويةً من رواة مرثي حَسَّانَ في النبي مع روايته هذا الخبر؛ فلقد كان من طريقة القدماء أنَّ أحدَهم يجمع ما سقط إليه في الباب من صحيح وسقيم تاريخاً تحيِّصه لمن شاء؛ ومن غرضهم في ذلك أنه ربما لم ترجح لديهم رواية ما، أو قد ترجح وهي عند غيرهم سقيمةٌ معلَّمةٌ فيذكرونها ويذكرون غيرها ولا يقتصرون عليها؛ ومنها أن في السقيم منافع من غير وجه يعرفها المشتغلون بالتأريخ والرواية.

ومن مثل هذا أيضاً ما جاء في «الفاضل»، قال المبرد: « ويروى أنه قيل لحَسَّانَ بعد موت رسول الله ﷺ: ما بالكَ لا ترثي رسول الله ﷺ؟ قال: لأني أستقلُّ كلَّ شيءٍ يجيئني فيه^(٣)».

(١) مثال ذلك شعراً أنكره العدوي في تعليقه على ديوان حَسَّانَ مستهله:

سائلٌ مُرثِئاً وأحلاقها متى كان عروفاً لها يُنسبُ
(الديوان ص ٣٥٠، بتحقيق الدكتور سيد حنفي).

(٢) مخطوطة إمتاع الأسماع للمقرئ (ورقة ١٨٢٦)، وقد رجعت إلى «مغازي الواقدي» فلم أجد هذا الخبر، فلعله مفقود منه.

(٣) الفاضل، للمبرد، محمد بن يزيد ص ١٠ (تحقيق عبد العزيز اليحني، دار الكتب المصرية، ط ١٩٩٥ م).

إلا أنه ينبغي الحذرُ عند إعمال هذه الروايات المطلقة، فإنه قد ثبت أن حسان بن ثابت رأى النبي ﷺ بشعرٍ صحيح لا غبار عليه؛ وهاتان الروايتان إمَّا ضعيفتان، وإمَّا أنهما كانتا قبل إنشاء حسان رثاءه الصحيح، وإمَّا أن أصحابهما لم يعرفوا رثاء حسان الصحيح الثابت والإثبات مُقدّم على النفي^(١) والسلامة تقتضي - والحال هذه - اتخاذَ سبيلِ الأناة والتفصيل عند معالجة القول في هذا الشعر.

٢

إحدى هذه المرايا مرثية لها مطلعٌ ذائع، هو:

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعَهْدُ مُنِيرٍ، وَقَدْ تَعَفُّو الرُّسُومَ، وَتَهَمَدُ

سنة وأربعون بيتاً، ليست من رواية ابن حبيب، إنما أضافها المحقق بالديوان نقلاً عن «سيرة ابن هشام»^(٢)، وفيها: «وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري...»^(٣).

القائل هنا هو راوي «السيرة» يحدّث عن ابن هشام صاحبها، وكانت لابن هشام زياداتٌ في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق على سيرة ابن إسحاق، منها هذه القصيدة عن أبي زيد^(٤). أمَّا أبو زيد فهو سعيد بن أوس الأنصاري، كان سيّويه إذا قال: «سمعت الثقة» يريد أبا زيد^(٥).

(١) انظر البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي ١١٠/٣.

(٢) ديوان حسان ٤٥٥/١ (تحقيق الدكتور وليد عرفات).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام ٦٦٦/٤-٦٦٩.

(٤) صرح ابن هشام نفسه بذلك حين قال بعد مرثية أخرى لحسان: «عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق» (السيرة النبوية ٦٧١/٤).

(٥) نزهة الألتاء في طبقات الأدباء، لابن الأتباري، عبد الرحمن بن محمد ص ٥١ (تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط ١٤٠٥هـ).

وُلِدَ أَبُو زَيْدٍ سَنَةَ تَيْفٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَةً، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَمِئَتَيْنِ^(١).

وإسناد هذه القصيدة ظاهره المتانة والاتصال والثقة، وإن يكن أبو زيد قد بلغ بالرواية منتصف القرن الثاني فحسب؛ فإن هذا التأخر لا يقدر في صحّة ما رَوَى من مثل ذلك؛ لأنه قد ثبت أن « الرواية الأدبيّة بمعناها العلمي الذي عرّفه القرن الثاني لم تكن موجودة... قبل زمن أبي عمرو بن العلاء، وحماد الراوية، ومن عاصرهما^(٢)، أي النصف الأول من القرن الثاني؛ وكأين من أشعار رويت فلم تجاوز سلاسلها تلك الحُقْبَة. وقد وصل الدكتور ناصر الدين الأسد إلى أن الأسانيد المنتهية بهذه الطبقة متصلة إلى الزمن القديم الذي كان قبلهم، وإن لم يذكروا ذلك أو يصرّحوا به^(٣).

ولو كان الأمر على هذا الظاهر الصائب لجزمنا بصحة نسب القصيدة إلى حسان، ولكنّ الأمر فيه ما فيه؛ فقد شك في صحة القصيدة الدكتور إحسان النص؛ لتفاوتها في النسج والأسلوب، ولطولها^(٤). وخشي الدكتور زكي مبارك أن تكون منحولة؛ لما يغلب عليها من الرقة واللين، وأنها خليقة برجل كالبوصيري^(٥). وخالفه الدكتور محمود علي مكي، فقال: « على أن رأينا يختلف حولها عما أعرب عنه أديبنا وباحثنا الكبير - رحمه الله، فإننا نراها من خير ما رُئي به الرسول ﷺ سواء من حيث حرارة العاطفة، أو جودة الصياغة، أو التشبّع بالمعاني الإسلامية. وإذا صحّ أن الوضع قد لحق بعض أبياتها، فإننا نرى أن جُلّها صحيح النسبة لحسان^(٦)».

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٤٩٥/٩.

(٢) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٢٧٦ (دار الجيل، بيروت، ط ١٩٩٦م).

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٤ وما بعدها.

(٤) حسان بن ثابت: حياته وشعره، للدكتور إحسان النص ص ٢٥٤ (دار الفكر، دمشق، ط ١٤٠٥هـ).

(٥) المدائح النبوية في الأدب العربي، للدكتور زكي مبارك ص ٣٠ (مكتبة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة

١٣٥٤هـ).

(٦) المدائح النبوية، للدكتور محمود علي مكي ص ٢١ (الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، ط ١٩٩١م).

والحقُّ أن القصيدة، وإن رواها أبو زيد الثقة، منحولة، مكذوبة على حسان. وقد يروي الثقة عن غير الثقة^(١). وكان من منة الله عليَّ أن بصَّرني فعرفت أنها مسروقة من شعر الكميث بن زيد الأسدي (٦٠-١٢٦هـ)، من هاشميتين له. وهذا السارق يكون قد عاش في النصف الثاني من القرن الثاني بعد الكميث وقت أبي زيد، ولعلَّ ابن حبيب عرَّف هذا فنحَّاهَا عن الديوان الذي صنع. وهاتان الهاشميتان هما قول الكميث:

ظَرِبْتُ، وَمَا سَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَظْرَبُ وَلَا لَعِبًا مِنِّي، أَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ؟^(٢)
وقوله:

أَيُّ، وَمِنْ أَيْنَ آبِكَ الظَّرْبُ مِنْ حَيْثُ لَا صَبْوَةٌ وَلَا رَيْبُ؟^(٣)

وهذه مقابلة بين الهاشميتين والمرثية من غير استقصاء، تكشف عن زيف المرثية واجتراء صاحبها:

وزنُ (ظَرِبْتُ) من الطويل، وهو وزن (بطيبة). وزَوِيُّ كلتا القصيدتين

مضموم.

(١) انظر: الرسالة، للإمام الشافعي، محمد بن إدريس المظلي ص ٣٧٧ (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت)، وأيضًا: شرح علل الترمذي، لابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ١/٧٩-٨١ (حققه وكتل فواته نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، ط ١٣٩٨هـ).

(٢) انظر: شعر الكميث بن زيد الأسدي، جمع وتقديم الدكتور داود سلوم ٤/١٨٣ (عالم الكتب، بيروت، ط ١٤١٧هـ)، وأيضًا: شرح هاشميات الكميث بن زيد الأسدي، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي ص ٤٣ (تحقيق الدكتورين داود سلام ونوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٤هـ).

(٣) انظر: شعر الكميث بن زيد الأسدي: الهاشميات ٤/١٩٧.

بَسَى الكميثُ هاشميتيه على مقدمتين قلَّد فيهما ما شاع عن الأوائل ثم تخلص إلى الثناء على آل البيت والغناء بشمائلمهم، ولم يُرد صاحب المراثية أن يفعل سوى ذلك غير أنه قصر.

ذكر الكميث في مقدّمته «الدار» و«الرسم»:

(٢) وَلَمْ يُلْهِني دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْني بَنَانٌ مَحْضَبٌ

فذكرهما الرجل في مقدّمة المراثية:

١ بِطَيِّبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٍ، وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ، وَتَهْمَدُ
٢ وَلَا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ ...

واستعمل الكميث لفظي «آية»، و«آي» واصفاً إياهما بالتتابع:

(٢٩) وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمِ آيَةً تَأْوَلَهَا مِنَّا نَقِيٌّ وَمُغْرِبُ
(٣٠) وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَأَيَا تَتَابَعَتْ ...

فوصف السالخ «آياته» بنحو ذلك:

٥ مَعَارِفٌ لَمْ تُظْطَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا أَتَاهَا السِّلَى فَالآئِي مِنْهَا تَجَدَّدُ

وكرر الكميث «نفسى» في الشطر الثاني:

(٤٠) فِدْيِ لَكَ مَوْرُوثًا أَبِي، وَأَبُو أَبِي وَنَفْسِي، وَنَفْسِي بَعْدُ بِالنَّاسِ أَطْيَبُ

فكررها السالخ في شطره الثاني:

٨ يُذَكِّرُنَّ آلاءَ الرَّسُولِ، وَمَا أَرَى لَهَا مَحْضِيًّا نَفْسِي، فَنَفْسِي تَبَلَّدُ

وكان من طريقة الكميث أنه يملأ ذيل العجز من البيت أحياناً؛ بجملة معقبة من

جنس ألفاظ البيت نفسه من أجل الروي، يستأنفها بالواو، كقوله:

(٥) وَلَعَيْنٌ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالثَّغَى
وَحَيْرِ بَنِي حَوَاءَ، وَالحَيْرُ يُظَلَّبُ
وقوله:

(٢١) يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِليَّ وَقَوْلُهُمْ:
أَلَا خَابَ هَذَا، وَالمُشِيرُونَ أَخْيَبُ
وقوله:

(٣٨) يَرَوْنَ لَهُمْ فَضلاً عَلَى النَّاسِ وَاجِباً
سَفَاهَا، وَحَقُّ الهَاشِمِيِّينَ أَوْجِبُ
وهو من ردة العجز على الصدر، وقد تأسى السالب بالكميت في هذه فرداً أعجازاً
على صدور، إلا أنه (جدد) فاستأنف بالفاء بدلاً من الواو في هذه الأبيات من
المرثية:

٥ مَعَارِفٌ لَمْ تُظْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا
٨ يُذَكِّرُنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى
١٧ يُبَكِّوْنَ مَنْ تَبَيَّنَتِ السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ
٤١ وَأَثْبَتَ فِرْعَانًا فِي الْفُرُوعِ، وَمَنْبِيئًا
أَتَاهَا الْبَيْتُ، فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي، فَتَفْسِي تَبَدَّدُ
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ، فَالنَّاسُ أَكْمَدُ
وَعُودًا عَدَاهُ الْمُنْزَنُ، فَالْعُودُ أَغْيَدُ

واقرا ثلاثة الأبيات التالية، ثم اقرا ثلاثة أبيات صنعها الرجل، تعلم كم
أساء لو ظن أن لن يفتضح أمره، قال الكمييت يمدح الرسول صلوات ربي
وسلامه عليه:

(٤٥) وَبُورِكَتْ مَوْلُودًا، وَبُورِكَتْ نَاشِئًا
(٤٦) وَبُورِكَتْ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ، وَبُورِكَتْ
(٤٧) لَقَدْ غَيَّبُوا بِرًّا وَصِدْقًا وَنَائِلًا
وَبُورِكَتْ عِنْدَ الشَّيْبِ إِذْ أَنْتَ أَشْيَبُ
بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ لِدَلِيكَ يَثْرِبُ
عَشِيَّةً وَارَكَ الصَّفِيحُ الْمُنْصَبُ

فقال المُغَيْرُ عليه:

- ١٢ قُبُورِكُمْ يَا قَسَمَ الرَّسُولِ، وَبُورِكُمْ بِإِلَادَ تَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
 ١٣ وَبُورِكَ لِحَدِّ مِنْكَ ضَمِينٍ طَيِّبًا عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ، مُنْضَدُّ
 ١٤ لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً عَشِيَّةَ عَلْوَةِ الثَّرَى لَا يُوسَدُ

وقال الكميث في الهاشمية الأخرى يمدح الرسول ﷺ:

(٥٦) مُبَارَكٌ، تَارِكُ الْهَوَى، سَالِكُ الْـ قَصْدِ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَطِبُوا

فقال الرجل:

٢٥ عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُوزُوا عَنِ الْهُدَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

وكان الجاحظ قد عاب على الكميث في هذه القصيدة، فقال: « ومن غرائب الحمق

المذهَّب الذي ذهب إليه الكميث بن زيد في مديح النبي ﷺ حيث يقول: ...

(٣٤) وَقِيلَ: أَفَرُطْتَ، بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَابَ الْقَائِلُونَ أَوْ تَلَّبُوا

(٣٥) إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَصَمَّتِ الْأَرْضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعَيْبُ

(٣٦) لَحَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الدِّجَاجُ وَاللَّعْبُ

[قال الجاحظ]: فَمَنْ رَأَى شَاعِرًا مَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ فَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ

النَّاسِ، حَتَّى يَزْعَمَ هُوَ أَنَّ نَاسًا يَعِيبُونَهُ وَيَثْلِبُونَهُ وَيَعْتَفُونَهُ ١٢٩^(١)؛ فَالْبَيْتُ بِعُيُوبِهِ لِلْكَمِيثِ.

فكان من غرائب الوضع، وفرائد طرائفه، أن يُخلص هذا المنتحل لكذبه إخلاصًا جعله ينقل المعنى المعيب بحذافيره، ولم يلجأ على شيء وهو يقول مطمئنًا:

٤٤ أَقُولُ، وَلَا يُلْفَى لِيَا قُلْتُ غَائِبًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا عَارَبَ الْعَقْلُ مُبَعَدُ

٤٥ وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِعًا عَنِ ثَنَائِهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أُخْلَدُ ١١

(١) البيان والتبيين، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر ٢٣٩/٢-٢٤١ (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت).

إن قصيدة (بطيبة) هذه قصيدةٌ مختلفةٌ، موضوعةٌ على حسان بيتًا بيتًا، أخذها صاحبها من شعر الكميت بن زيدٍ أخذًا فظًا لا لين فيه، ولا لطف فيه، ومزج عمله هذا بقولٍ مبعثرٍ هين، وتزداد ساقطٍ غث، هيهات أن يكون لحسان الفحل.

٣

وعزوا إلى حسان مرثيتين آخرين، إحداهما قوله:

مَا بَالُ عَيْنِي لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا كُجِلْتُ مَا قِيَهَا بِكُحْلِ الْأَزْمَدِ

والثانية قوله:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا مَيْتٌ بِطَيْبَةٍ مَثْلُهُ لَمْ يُفْقَدِ

وهما قصيدة واحدة على الأرجح؛ للوزن والصيغة والمعاني والقافية؛ ولأن صاحبيهما وضاع واحد يسرق من شعر الكميت، وهو الذي وضع المرثية التي سلفت (بطيبة رسم)؛ فهما وهي نسيج واحد مهلهل منقوض متشابه.

أما الأولى فمن رواية ابن حبيب^(١)، ومما نقله ابن سعد في «طبقاته» عن أبي عمرو^(٢)، وقد رواها ابن هشام فلم يذكر لها إسنادًا مثلما ذكر لغيرها^(٣).

وأما الثانية فقد فانت المحققين لما لم يضمّاها إلى «الديوان»، وإنه لاتفاقٌ بينهما يُستغرب

(١) انظر: ديوان حسان (تحقيق عرفات) ٢٦٩/١.

(٢) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٠.

(٣) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٤/٦٦٩.

منه. وهي في كتاب «الزّهرة»^(١)، وفي «سبل الهدى والرشاد»^(٢)، وفي «الذخائر والأعلاق» لأبي الحسن الباهلي الإشبيلي^(٣).

قال الدكتور إحسان النص: «وعلى رغم أن ابن حبيب قد أثبت القصيدة التالية الأولى في ديوانه؛ أرجح أنّ القصيدة مصنوعة؛ فأسلوبها يبين أسلوب حسان، وفيها ركافة يبعد صدرها عنه مثل قوله:

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَآكُتْبَهَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَاءِ السُّؤْدَدِ^(٤)

والقصيدتان قصيدة واحدة فلقها صاحبها فزقين لحاجة في نفسه لست أعلمها، أو هو صنعها في وقتين مفترقين، وكان عيباً، قليل الحظ من العربية، لا يكاد ينظم إلا على روي الدال، وعلى الدال المكسورة غالباً، فهو يقول في الأولى مثلاً:

بِأَبِي وَأَبِي مَنْ شَهِدْتُ وَقَاتَهُ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي

ثم يقول في الثانية:

حَتَّى الْحَلِيلُ أَبُوهُ فِي أَشْيَاعِهِ وَنَجِيَّهُ مُوسَى النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي

وهو يقول في الأولى أيضاً:

أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلاً فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ مِنْ عَدِ

ثم يقول في الثانية:

يَا خَيْرَ مَنْ شَدَّ الْمَطِيَّةَ نَحْوَهُ وَقَدْ لِحَاجَتِهِ يَرْوَحُ وَيَغْتَدِي

وكان قد قال في الأولى:

(١) الزّهرة، للأصبهاني ٥١٠/٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد، للصالحي ٢٣٨/١٢.

(٣) الذخائر والأعلاق ص ٢٢٢.

(٤) حسان بن ثابت: حياته وشعره، للدكتور إحسان النص ص ٢٥٤.

... يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ

ومما يجمع هاتين القصيدتين بقصيدة (بطيبة) لفظ « طيبة » نفسه في القصيدة الثانية:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلَهَا مِثْتُ بَطِيْبَةٍ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقِدِ

ويجمعهما به لفظنا « مثل » و« فقد »، وكان قد قالهما معيًّا عن فداحة المصاب بفقد

النبي ﷺ:

٣٥ فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِي لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ

٣٦ وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

ولفظه « النور »:

نُورًا أَضَاءَ عَلَى التَّرِيَةِ كُلِّهِمْ مَنْ يُهْدَى لِلنُّورِ الْمُبَارِكِ يَهْتَدِي

وكان قال:

٤ بِهَا حُجْرَاتٌ كَأَنَّ يَنْزِلُ وَسَطَهَا مِنَ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

٢٧ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ عَدَا إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ السَّوْتِ مُقْصِدُ

وإذا قرأنا البيتين اللذين ختم بهما المرثية، وهما:

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا فِي جَنَّةِ ثَنِي عِيُونَ الْحَسِّدِ

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَكَتُبْنَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّوْدِدِ

ألفينا آخر بيتين في قصيدة (بطيبة) كأنهما هما:

٤٥ وَلَيْسَ هَوَايَ نَارِعًا عَنْ تَنَائِي لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ

٤٦ مَعَ الْمُضْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جَوَارَةَ وَفِي نَيْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ

ويجمع هاتين (القصيدتين) بقصيدة (بطيبة) كذلك أن صاحبهنَّ أباح لنفسه

شعر الكميِّت بن زيِّد، وأسرف في ذلك أيما إسراف، وأنا على يقين أن تتبَّع ذلك

كَلِّهِ سَبِيعَتِ السَّامَةِ فِي النَّفْسِ، وَلَكِنْ حَتَّى نَقْطَعَ الْقَوْلَ، وَنَحْكَمَ الْحُكْمَ الَّذِي يُطْمَأَنُّ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ لِمَا سَلَبَهُ هَذَا الْمُفْتَرِي عَلَى حَسَّانَ، قَالَ الْكَمَيْتُ فِي إِحْدَى هَاشِمِيَّتِهِ^(١):

وَلَكِنَّ مَوَارِيثُ ابْنِ أَمِينَةَ الَّذِي بِهِ دَانَ شَرْقِيٌّ لَكُمْ وَمُعْرَبٌ
وقال في الغانية:

مَا بَيْنَ حَوَاءَ إِذْ نُسِبَتْ إِلَى أَمِينَةَ اغْتَمَّ تَبْتَكُ الْهَدْبُ
فقال الرَّجُلُ:

يَا بِكْرَ أَمِينَةَ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ
وقال الكميث:

وَمَا كَانَتْ الْأَنْصَارُ فِيهَا أَدْلَةً وَلَا عُيْبًا عَنْهَا إِذَا النَّاسُ عُيِبُ
هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا وَخَيْرَ بَعْدَهَا وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالْيَمَاءِ تَصَبَّبُ
فقال الرجل على سجيته:

يَا وَبِحِ انْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحِدِ
صَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِثْمِدِ
وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ، وَهَدَى بِهِ أَنْصَارُهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشْهَدِ
وقال الكميث:

يَا حَيْرَ مَنْ دَلَّتِ الْمَطِيَّ لَهُ أَنْتُمْ مِنْ الْحَرْبِ فِي كَرَائِمِهَا
أَنْتُمْ فُرُوعُ الْعِضَاءِ لَا الشَّدْبُ بِحَيْثُ يُلْفَى مِنَ الرَّحَى الْقُطْبُ
فقال الرجل مُعْجَلًا:

(١) سبقت الإشارة والحديث عن هاتين الهاشميتين قبل قليل.

يَا خَيْرَ مَنْ شَدَّ التَّطِيَّةَ نَحْوَهُ وَفَدُّ لِحَاجَتِهِ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَنَا مِنْ حُفْرَةٍ مَنْ يَهْوِ فِيهَا مِنْ قَوَاهِ يَبْعِدُ ١

ألا إنَّ الكذب على حَسَّانِ شاعرِ الرَّسولِ قديمٌ، وإنه كالورم الخبيث يُخفي تحته الأصلُ الطيبَ ويضُرُّ به. وبعدُ فإنه لن تأخذنا الدهشةُ ونحن نسمعُ قالةَ الأصمعي الشهيرةَ تلك، وقد اختلط عليه بعضُ الأمرِ مثلما اختلط على غيره، فقال: « طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان؛ ألا ترى أن حَسَّانَ بن ثابت كان فحلاً في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي ﷺ، وحمزة وجعفر - رضوان الله عليهما - وغيرهما؛ لان شعره؟ وطريق الشعر طريقُ الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرَّحْل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والحيل والحروب والافتخار؛ فإذا أدخلته في باب الخير لان»^(١).

إنه قد دُخل على الأصمعي ما دُخل على غيره فاستضعف الطبع في حَسَّان بن ثابت بشعر مكذوب عليه، ثم أخذ في الاستدلال بأدلة ليست من صميم علم الأدب، إنما هي خارجة عنه؛ وذلك أنا قد وجدنا شعراً في المراثي وفي الخير قوياً جزلاً لا وَهْنٌ فيه ولا لين، وإنَّ حَسَّان لم يزل فحلاً في الإسلام كما كان فحلاً في الجاهلية بشعره الصحيح النقي بشهادة الأصمعي نفسه وبشهادة غيره^(٢).

والشاعر لا يكون فحلاً ثم ينقلب كليلاً لَيْتًا رَحْوًا، أجل قد يقلُّ شعره، وقد ينزل، وقد يسكت عن قول الشعر البتة؛ قد يكون ذلك ولكِنَّ (الشاعر) لا ينحطُّ إلى حضيض من القول يناقض قديمه الغنيَّ الغصَّ؛ لأن « القديم لا يزول، ولا يتلاشى عبر العصور والأزمنة المتتابعة، وأنه يحيا... وليس ثمة تصوُّرٌ لزوال أثر القديم حين نتحدث عن تأثير

(١) الموشح: مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرَّزباني، محمد بن عمران بن موسى

ص ٩٧ (تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة).

(٢) انظر ما قاله الأصمعي وأبو عبيدة في مستهل هذا الفصل.

الإسلام في الشعر في عصر الصدر الأول أو عصر المخضرمين من الشعراء، أو ما نُسميه ببداية العصر الإسلامي»^(١).

وكثيراً من الشعر اللين الذي قُصد إليه الأصمعي وغيره لم يقله حسان، كلاً، ولا نطق به^(٢)، ولقد ظلم حسان ظلمًا عظيمًا، وظلم عصره، وإننا لمحمّلون تبعه من تبعات هذا الظلم إذا لم ننصرف إلى تحليل هذا الشعر من شوائبه المتشعبة به؛ فنُظهر عن معينه الفدّ الأصيل بنقده «نقدًا يتناول النصّ الشعريّ نفسه في لفظه، ومعناه، ونحوه، وعروضه، وقافيته، هذا النقد لازمٌ لأنه... يستطيع أن يظهرنا على قيمة ما يُروى لنا من الشعر: أصحيح هو أم غير صحيح؟»^(٣)؛ إذا لم نفعل ذلك انسقنا إلى أحكام حائفة كحكم الأصمعي الماز، أو إلى تكلف يبتغي رفعة شعر المخضرمين بأسلوبٍ خطابي لا يفضي إلى شيء ذي بالٍ في مجال العلم، كقول بعض الباحثين عن قصيدة (ما بال عينك) الموضوعة المتهافتة: «وهذه المرثية تدلّ على روح العبقرية الشعرية الطيبة العفوية [١]، القدرة على التصرف في اللغة والصورة الشعرية [١]»^(٤).

ولعلنا نقرب شيئًا من معرفة هذا الرجل الذي صنع هؤلاء المراثي ونخلهنّ حسان إذا عرفنا أنه صنع شعرًا آخر على منوالهنّ نخله حسان أيضًا؛ فقد أخرج محمد بن إسحاق، ومن

(١) حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور ص ١٣٣ (دار القلم، الكويت، ط ١٩٨١/١م).

(٢) انظر هذا الرأي أيضًا في: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، للدكتور شوقي ضيف ص ٨٠-٨١ (دار المعارف بمصر، ط ٧).

(٣) في الأدب الجاهلي، للدكتور طه حسين ص ٢٧١ (مطبعة فاروق الأول، القاهرة، ط ١٣٥٢/٣هـ).

(٤) قصيدة الرثاء - جذور وأطوار: دراسة تحليلية في مراثي الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور حسين جمعة ص ٢٨٠ (دار النور، دمشق، ط ١٩٩٨/١م). وقرأ رأيًا في هذه القصيدة نحو ذلك للدكتور شوقي ضيف إذ يقول: «ومن أرقّ ما رثي به قصيدة حسان التي يستهلها بقوله: ما بال عيني...» البيت (تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي ص ٥٢).

طريقه الطبري في «الأمم والملوك»^(١)، وابن هشام في «السيرة»^(٢) حديث أم مَعْبِدٍ في وصف النبي ﷺ، وفيه: فقال رجل من الجن:

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدِ
هَمَا نَزَلَاهَا بِالْهُدَى، وَأَعْتَدُوا بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصِدِ

ولا بأس في هذه الرواية حتى الآن لو أغضينا عن نسبتها إلى الجن؛ ولكن البأس في الرواية التي رواها ابن سعيد عن الواقدي بإسناده، فذكر البيت الأول، ثم ذكر خمسة أبيات أخرى، ثم قال: «قال: وأصبح القوم قد فقدوا نبيهم، وأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ، قال: فأجابه حسان بن ثابت...»^(٣)؛ وهنا دس داس هو صاحبنا لا نكاد نرتاب في ذلك؛ أبياتاً كذبتها على حسان من جنس أبيات المراثي التي كذبتها على حسان، وهذه الأبيات المكذوبة لم يذكرها الطبري في روايته، ولا ابن هشام، مع أن روايتهما عن ابن إسحاق الذي ينجح إلى إثبات مثل هذا الشعر وروايته؛ ولو قيل: لعل ابن هشام حذفها في «تهذيبه» لأجيب بأن صاحب نسخة ابن إسحاق عند الطبري روى الخبر ولم يذكر من الأبيات الموضوعة شيئاً أيضاً.

وأقل تأمل في هذا الشعر المكذوب يملأ النفس يقيناً أنه يوشك أن يكون تتمةً وذيلًا لقصائد الرثاء المفتراة على حسان رضي الله عنه؛ وها أنا أعود الآن إلى بقية الخبر من رواية

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/٣٨٠.

(٢) السيرة النبوية ٢/٤٨٧.

(٣) انظر: الطبقات الكبير، لابن سعد ١/١٩٨-١٩٩.

الواقدي، وانظر كيف أدخل الرجل بيتًا من البيتين الآخرين اللذين وردا في رواية ابن إسحاق ولم يذكرهما؛ انظر كيف أدخله في ثنايا هذا الشعر المصنوع ليموه به: «قال: فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقُدِّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ قَزَأَتْ عُقُولُهُمْ وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُورٌ مُجَدِّدٌ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضَلَالٌ قَوْمٌ تَسَلَّعُوا عَمِي، وَهَدَاهُ يَهْتَدُونَ بِهْتَدِي؟
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ فَتَضِدُّهَا فِي ضَخْرَةِ الْيَوْمِ أَوْ عَدٍ
لِتَهْنِي أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةً جَدِيه بِصُحْبَتِيهِ، مَنْ يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعِدِ
وَيَهْنِي بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فِتَائِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَرْصِدٍ^(١)

وهذا الخبر رواه الهيثمي في «المجموع» مرتين، مرة ليس فيها أبيات حسان، وقال: «رواه الطبراني، وفيه عبد العزيز بن يحيى المديني، ونسبه البخاري وغيره إلى الكذب. وقال الحاكم: صدوق. فالعجب منه، وفيه مجاهيل أيضا»^(٢)؛ ومرة بأبيات حسان قال فيها: «رواه الطبراني، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم»^(٣).

فأصل الرواية ساقط، ومتنها ظاهر النكارة لا يصح إسناده لحسان كما سبق. وهل يكون عبد العزيز بن يحيى المديني هذا هو صاحبنا الذي وضع المرآة ولا سيما وقد ذكروا أنه توفي بعد سنة ثلاثين ومثنتين^(٤).

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٧٩/٨.

(٢) مجمع الزوائد ٥٨/٦.

(٣) انظر: تهذيب الكمال ٢١٨/١٨-٢٢٠.

وكنا قد رجَّحنا أن يكون الوضع في النصف الثاني من القرن الثاني أو نحو ذلك ؟
لعله هو، وألعله أحد هؤلاء المجاهيل الذين لم يعرفهم الهيثمي.

٤

وروى محمد بن حبيب قصيدة ثمانية أبيات من شعر حسان يرثي بها رسول الله ﷺ أن
مات عنهم، يقول في أولها:

أَلَيْتُ حَلْفَةَ بَرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ مِيَّي أَلِيَّةٍ بَرٍّ غَيْرِ إِفْتَادٍ^(١)

ورواها ابن هشام عن محمد بن إسحاق بدليل قوله بعد القصيدة: «عجز البيت الأول
عن غير ابن إسحاق»^(٢). وفي رواية ابن هشام اختلاف عن رواية محمد بن حبيب^(٣)، وعن
رواية ابن سعد في «الطبقات» التي ماثلت رواية ابن حبيب لفظًا وعددًا غير أنها رويت من
طريقين آخرين غير طريق ابن إسحاق:

الطريق الأولى فيها البيت الثاني، والبيت السابع، والبيت الثامن. قال ابن سعد: «أخبرنا
قتيبة بن سعد أبو رجاء البلخي، أخبرنا ليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد يعني
ابن أبي هلال، أن حسان بن ثابت قال وهو يرثي رسول الله ﷺ:

(١) انظر: ديوان حسان (تحقيق عرفات) ٢٧٢/١.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٦٧١/٤.

(٣) انظر التخريج والفروقات.

وَاللَّهُ مَا حَمَلَتْ أُنْتَى وَلَا وَضَعَتْ
 مِثْلَ النَّبِيِّ رَسُولِ الْأُمَّةِ الْهَادِي
 أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَظْلَنَ الْبُيُوتِ فَمَا
 يَضْرِبُنَّ خَلْفَ قَقَا سِثْرٍ بَأْوَقَادٍ
 مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ
 أُيْقِنَ بِالْيُؤُسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي^(١)

والطريق الثانية لابن سعد عن أبي عمرو الشيباني، وفيها الأبيات جميعاً^(٢).

وعند النظر في إسناده الطريق الأولى بعين متأخري المحدثين نجده إسناداً - كما يعيرون - مشرقاً؛ فهو إسناد متصل، ثقات رواه:

فمحمد بن سعد ثقة^(٣).

وقتيبة بن سعيد الثقفي وثقه النسائي وأحمد. روى عن الليث^(٤).

والليث بن سعد القهفي المصري ثقة ثبت، وثقه أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم. روى عن خالد بن يزيد^(٥).

وخالد بن يزيد الجحفي مولاهم، وثقه أبو زرعة والنسائي، وقال أبو حاتم: لا بأس به. روى عن سعيد بن أبي هلال^(٦).

وسعيد بن أبي هلال الليثي، وهو آخر الإسناد في الظاهر، روى عن الصحابي الجليل المعمر أنس بن مالك، ويقال: مرسل. وأرسل عن جابر. قال أبو حاتم: لا بأس به. وذكره

(١) الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد ٢/٢٧٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٢٧٩-٢٨٠.

(٣) انظر: مقامة ابن الصلاح، لعثمان بن صلاح الشافعي ص ٦٦٥ (تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة).

(٤) انظر: تهذيب الكمال، للبرقي ٢٣/٥٢٣.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢٤/٢٥٥.

(٦) انظر: المصدر السابق ٨/٢١٠.

ابن جبّان في «الثقات»، وعن ابن لهيعة أنه ولد بمصر سنة سبعين، ونشأ بالمدينة، ثم رجع إلى مصر في خلافة هشام، وكان الليث يروي عنه. توفي سنة خميس وثلاثين ومئة، أو ثلاث وثلاثين ومئة، أو تسع وأربعين ومئة^(١).

وفي هذا الإسناد نكتٌ منها:

١. اتصاله منذ ابن سعيد إلى سعيد بن أبي هلال.

٢. ورجاله كلهم ثقاتٌ عدول.

٣. ومنتهاه بسعيد بن أبي هلال الذي أدرك بعض الصحابة، أو أدرك مَنْ أدركهم قولاً واحداً.

٤. وسعيدٌ هذا «نشأ بالمدينة»، وجالس أبناء الصحابة وإخوانهم وأزواجهم، وسمعهم يتناشدون أشعار حسان رضي الله عنه، ويأسون لوفاة النبي ﷺ وحالمهم بعده، فيبكونه ﷺ متعللين بما قاله حسان في رثائه.

٥. وحسان مات متأخراً، فسعيدٌ قريبٌ عهد به.

٦. وسعيدٌ لم يرو من القصيدة إلا ثلاثة أبيات، والثلاثة نزرٌ يحفظه كلُّ أحد من العامة فضلاً عن الخاصة؛ إذ قلة المروي أدنى إلى إتقانه، وأدعى إلى التصديق به.

فهذا الشعر ذو نسبٍ معروفٍ إلى حسان منذ عهد الصحابة، وقد روي عن ذلك العهد روايةً صحيحةً سالمةً، وهو أمرٌ نادر الوجود في رواية شعر ذلك الصدر^(٢).

أمّا أن الرواية لم تتصل بحسان في ظاهر الإسناد، فهذا شأن التحديث، لا شأنُ رواية

(١) انظر: المصدر السابق ٤٩/١١.

(٢) انظر: مصادر الشعر الجاهلي، للدكتور ناصر الدين الأسد ص ٢٧٤.

الشعر؛ لأن العلماء « لم يكونوا يزوّن في رواية الشعر ما يرونه في رواية الحديث »^(١)؛ فتساهلوا شيئاً ما في ذكر كل الرواة، خاصة فيما علا على طبقة أبي زيد الأنصاري المولود سنة نيّف وعشرين ومئة، والمتوفى سنة خمس عشرة ومئتين، على أن الدكتور الأسد أثبت اتصال الأسانيد الأدبية من لدن أبي زيد إلى الزمن القديم^(٢)، فما بالك وقد صرّح في هذا الإسناد برجلين من جيلين سبقا أبا زيد نفسه ؟ وهذا ما لم نعهده في الجبهة الغالبة من شعر الجاهلية والمخضرمين كما أسلفت.

وماذا عن الأبيات الأخرى سوى هذه الثلاثة ؟ أقول ابتداءً: إن هذه الثلاثة دليل على بقية القصيدة. ويقوي من ذلك أن الناقد العدويّ الذي أملى تعليقاً على رواية ابن حبيب للديوان لم يزّتب في القصيدة وهو الذي كذّب غيرها من مرآتي حسن وحكم عليها بالصنع، كما أنه لم يُنكر أن تكون في كتاب أبي عمرو الشيباني، وهو الذي أنكر غيرها أن تكون في كتاب أبي عمرو^(٣).

ذلك، وفي الفروقات بين الروايات دليل صحة أيضاً؛ فإن من شأن العرب وقد كانوا يروون أشعارهم شفاهاً أن يغيروا أو يبدّلوا بعض اللفظ؛ لاختلاف النقلة، وتعدّد الأسماح، وتعاقب الأجيال والأزمنة. ولقد أثبت صدق ذلك ما توصل إليه بعض الباحثين في الغرب من نظرية أسموها: (نظرية النظم الشفوي)^(٤)، ويظهر هذا التغيير في مثل البيت الأول من المرثية، فقد رواه ابن إسحاق:

(١) المصدر السابق ص ٢٦٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٢٧٤ وما بعدها.

(٣) مثال ذلك القصيدة التي في ص ٢١٠، ٢١١ من الديوان (تحقيق الدكتور سيد حنفي). وترجمة العدوي تراها في: الوافي بالوفيات، للصفدي، خليل بن أيوب ٣٨٧/٧.

(٤) انظر: النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، لجيمز مونرو (ترجمة الدكتور فضل بن عمار العماري، دار الأصالحة، الرياض ١٤٠٧هـ).

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا
مِنِّي أَلِيَّةٌ بَرٌّ غَيْرِ إِنْقَادِ
ورواه ابن سعد:

آلَيْتُ حَلْفَةَ بَرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلِ
مِنِّي أَلِيَّةٌ حَقٌّ غَيْرِ إِنْقَادِ
والبيت الثاني رواه ابن إسحاق:

تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَلَا وَضَعْتُ
مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادِي
ورواه ابن سعد:

بِاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَلَا وَضَعْتُ
مِثْلَ النَّبِيِّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
والبيت الثالث رواه ابن إسحاق:

وَلَا بَرًّا لِلَّهِ خَلَقًا مِنْ بَرِّيَّتِهِ
أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِبَيْعَادِ
ورواه ابن سعد:

وَلَا مَسَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ
أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِبَيْعَادِ
والبيت السادس رواه ابن إسحاق:

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِلَيَّ كُنْتُ فِي نَهْرٍ
أَضْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي
ورواه ابن سعد:

حَسْبُ التَّرِيَّةِ إِلَيَّ كُنْتُ فِي نَهْرٍ
جَارٍ، فَأَضْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي
والبيت الأخير رواه ابن إسحاق:

مِثْلَ الرَّوَاحِبِ يَلْبَسُنَ الْمَبَاذِلَ قَدْ
أَيَّقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّيْغَمَةِ، الْبَادِي
ورواه ابن سعد:

مِثْلَ الرَّوَاحِبِ يَلْبَسُنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ
أَيَّقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّيْغَمَةِ، الْبَادِي

بَدَلُ الرِّوَاةِ كُلِّ ذَلِكَ فِي أَبِيَاتِ ثَمَانِيَةِ آيَةٍ عَلَى الْقِدَامِ وَالذَّبُوعِ وَالصَّحَّةِ.

وتأتي القصيدة في لغتها حانيةً مناسبةً خاشعةً، وتأتي صورة أمهات المؤمنين المكروبات البائسات، وصورة بيوتات النبي وقد رآهنَّ حَسَّانَ مقفراتٍ موحشات؛ فيأخذنا اليقينُ كُلَّ مَاخِذٍ أَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ ذَلِكَ أَوْ يَقُولُهُ إِلَّا رَجُلٌ كَحَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي القصيدة - على قِصَرِهَا - طَيْفٌ مِنْ خِيَالِ حَسَّانَ حِينَ يَسْتَدْعِي صُورَةَ الْمَسْرُوحِ الشَّامِيَةِ الَّتِي رَأَاهَا فِي الْأَيَّامِ الْخَوَالِيِ وَهُوَ يَمُرُّ بِصَوَامِعِ الرُّهْبَانِ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى الْغَسَّاسِنَةِ. وَفِي الْقَصِيدَةِ نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحْسَهُ وَقَدْ وَقَفْتُهُ الدَّارَ الْخَاوِيَةَ كَمَا وَقَفْتُهُ مِنْ بَعْدُ وَهُوَ يَرْتِي عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَقُولُ:

إِنْ تُنْسِ دَارُ بَنِي عَثْمَانَ خَاوِيَةً بَابُ صَرِيحٍ وَبَابُ مُخْرَقٍ خَرِبٌ
فَقَدْ بُضَافُفُ بَاغِي الْخَيْرِ حَاجَتُهُ فِيهَا، وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْعُرْفُ وَالنَّسَبُ^(١)

وفي المرثية قَسَمَ كَانَ حَسَّانَ قَدْ أَقْسَمَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمًا، فَقَالَ:

إِنِّي وَرَبِّ الْمُخَيَّسَاتِ وَمَا يَفْطَعَنَّ مِنْ كُلِّ سَرَبِجٍ جَدِيدٍ
وَالْبُذْنِ إِذْ قُرَيْتَ لِمُنْحَرِهَا حَلْفَةَ بَرِّ الْيَمِينِ مُجْتَهِدٍ
مَا حُلْتُ عَنْ خَيْرٍ مَا عَهَدْتُ وَمَا أَحْبَبْتُ حَيِّي إِلَيْكَ مِنْ أَحَدٍ^(٢)
أَمَا قَوْلُهُ يُشْبِهُ النَّبِيَّ ﷺ:

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ كُنْتُ فِي نَهْرٍ جَارٍ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

(١) ديوان حَسَّانَ (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٢١٢.

(٢) ديوان حَسَّانَ (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٢١٢.

فمن تالذ معانيه، قاله في قديمه مُشَبَّهًا:

يَعْتَادُنِي شَوْقٌ فَأَذْكُرُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نَسِبٍ وَلَا صَهْرٍ
كَتَذْكَرِ الصَّادِي وَلَيْسَ لَهُ مَاءٌ بِقَنَّةٍ شَاهِقٍ وَغَرٍّ^(١)

٥

وينسبون له قصيدةً مطلعها:

يَا عَيْنُ جُودِي يَدْمَعُ مِنْكَ أَسْبَالٍ وَلَا تَمَلِّقَنَّ مِنْ سَجِّ وَإِغْوَالٍ

وهي في «الطبقات الكبير» عن أبي عمرو الشيباني^(٢)، ولكن جاء في الديوان برواية ابن حبيب أنها «ليست في كتاب أبي عمرو، ولا كتاب ابن الأعرابي. وقال العدوي: هي مصنوعة»^(٣).

ولا خطر في التناقض بين مَنْ جعلها في كتاب أبي عمرو وَمَنْ لم يجعلها منه؛ لأن المثبت مقدّم على النافي، فلربما غاب عن النافي جزء من كتاب أبي عمرو، أو ربما دَهِلَ عن موضعها من الكتاب.

ولكنّ ما يُهْمُنَا هو حكم العدوي على القصيدة بالصَّنْع. فَمَنْ يكون العدوي؟ وماذا يبلغ قدر أحكامه؟

العدوي هو أحمد بن محمد بن حميد القرشي، حجازي نشأ بالعراق، وكان أديبًا، راويًا، شاعرًا. له من التصانيف: «كتاب أنساب قريش»، و«كتاب المثالب»، و«كتاب الانتصار في

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٩٠.

(٢) انظر: الطبقات الكبير، لابن سعد ٢/٢٨١.

(٣) ديوان حسان (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٤١٠، ٤١١.

الرَدِّ عَلَى الشَّعْبِيَّةِ»، و«كتاب فضائل مُضَرَّ»، وكان يتناول جِلَّةَ النَّاسِ^(١).

فالعَدَوِيُّ الَّذِي وَضَعَ تَعْلِيْقَةً عَلَى الدِّيَوَانِ أَثْبَتَهَا الْمُحَقِّقَانِ؛ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَهُ كُتُبٌ فِي ضُرُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ نَسَابَةٌ، وَرَاوِيَةٌ، وَشَاعِرٌ؛ وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى حِفْظِهِ وَتَوْقُّدِ ذَهْنِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَخَارِجِ الْكَلَامِ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الشَّأْنِ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ نَاقِدٌ جَرِيءٌ بَلَغَتْ بِهِ الْجَرَاءَةُ أَنَّهُ «كَانَ يَتَنَاوَلُ جِلَّةَ النَّاسِ».

إِنَّهُ مِنْ أَوْلَادِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ لَهُمْ «وَسَائِلُهُمْ فِي مَعْرِفَةِ الشَّعْرِ، وَمَقَابِيْسُهُمْ النَّقْدِيَّةُ؛ فَلَهُمْ ذَوْقُهُمُ الشَّعْرِيُّ الَّذِي اِكْتَسَبُوهُ مِنْ طَوْلِ الثَّرْبَةِ، وَحِفْظِ الشَّعْرِ، وَمَعْرِفَةِ أَسَالِيْبِهِ»^(٢). وَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَمْثَلَةٌ لَذَلِكَ فِي تَعْلِيْقَاتِهِ عَلَى الدِّيَوَانِ، وَوَاجِدٌ لَهُ عِلْمًا بِشَعْرِ حَسَّانِ خَاصَّةً^(٣). وَفِي الْعَدَوِيِّ يَصُدِّقُ مَا رَوَاهُ الْقَائِلِيُّ أَبُو عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ الزَّبِيرُ «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ قَالَ: رَوَاةُ الشَّعْرِ أَعْقَلُ مِنْ رَوَاةِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ رَوَاةَ الْحَدِيثِ يَرِدُّدُونَ مَصْنُوعًا كَثِيرًا، وَرَوَاةَ الشَّعْرِ سَاعَةٌ يُنْشَدُونَ الْمَصْنُوعَ يَنْتَقِدُونَهُ وَيَقُولُونَ: هَذَا مَصْنُوعٌ»^(٤).

لَقَدْ أَفْضَى النَّظْرُ فِي نَقْدِ أَصُولِ الشَّعْرِ إِلَى التَّسْلِيمِ لِأَحْكَامِ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ إِذَا لَمْ يَأْتِ مَا يَنْقُضُهَا، أَوْ مَا لَمْ يَقُمْ مَنْ يَخَالِفُهُمْ بِمَجْتَهَدِهِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَدَمَاءَ أَصْحَحُ بَصَرًا، وَأَقْرَبُ زَمَنًا، وَهُمْ نَظَرُوا فِيهَا لَمْ يَنْظُرْ فِيهَا، وَاسْتَمَعُوا مَنْ لَمْ نَسْتَمِعْ إِلَيْهِ؛ فَنَشَأَتْ فِيهِمْ مَلَكَةٌ يَحْسِنُونَ بِهَا مَعْرِفَةَ الشَّعْرِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ:

(١) انظر: ترجمته في: معجم الأديباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الحموي ١٣١/٤ (تحقيق مرجليوث، دار المأمون) الوافي بالوفيات، للصفدي ٣٨٧/٧.

(٢) المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، للدكتور يحيى وهيب الجبوري ص ٧٢ (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٩٩٧م).

(٣) انظر شواهد على علمه بشعر حسان في: الديوان (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٣٢٥، ٣٥٠.

(٤) كتاب ذيل الأمالي والنوادر، لأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم ص ١٠٥ (دار الكتب المصرية، ط ٢٠٠٠م).

« قال خلاد بن يزيد الباهلي لخلف بن حيان أبي محرز - وكان خلاد حسن العلم بالشعر يرويه ويقوله -: بأي شيء تردُّ هذه الأشعار التي تُروى ؟ قال: أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال: نعم. قال: فلا تُنكر أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلُّه أنت»^(١).

ونحن لم نعلم مخالفاً للعدوي في حكمه هذا من قولٍ أو رجلٍ، وكانت أحكامه تُعرف، وتقرأ.

« وليس لأحدٍ » - كما يقول ابن سلام - « إذا أجمع أهل العلم والرواية الصَّحيحة على إبطال شيءٍ منه؛ أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي»^(٢)، يعني: ليس لأحدٍ أن يحكم غير أهل العلم بعد حكم أهل العلم.

ولسوف نأخذ بحكم العدوي ونقبله، قناعةً، وإعمالاً لهذه القاعدة الجليلة التي أيدها حتى بعض من شكك في الشعر الجاهلي كالمستشرق ألوارد الذَّاهب إلى أن الأقدمين يفوقوننا في هذا النوع من المعرفة^(٣).

إنَّ هذه القصيدة - كما قال العدوي - مصنوعةٌ، وخير الشواهد على صناعتها صياغتها الضعيفة الهينة كقول صاحبها:

وَلَا أُرِي عَلَى الرَّحْمَنِ ذَا بَشْرًا لَكِنَّ عِلْمَكَ عِنْدَ الرَّاحِدِ الْعَالِي

ثم من ذا الذي يشير إلى النبي العظيم بـ « ذا » من غير حرف التنبيه كأنه يقلل منه؟! إنه ليس بصحابي.

(١) طبقات فحول الشعراء ٧/١.

(٢) المصدر السابق ٤/١.

(٣) انظر: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٧٤ (دار العلم للملايين، بيروت ط ١٩٧٩م). وانظر أيضًا: المستشرقون والشعر الجاهلي، للدكتور يحيى الجبوري ص ٣٩.

ومن شواهد الصناعة أيضًا هذا النوع من التسميط الذي نعرفه في شعر الخنساء:

حَايِي الْحَقِيقَةَ، نَسَّالِ الْوَدِيقَةَ، فَكَّاكِي الْعُنَاةَ، كَرِيمِ، مَاجِدِ، عَالِي
كَسَابِ مَكْرُمَةٍ، وَمَطْعَامِ مَسْقَبَةٍ وَهَابِ عَيْدِيَّةٍ، وَجَنَاءِ شِمْلَالِي
عَقِبَ مَكَاسِبُهُ، جَزَلِ مَوَاهِبُهُ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، سَمُجِ، عَمِرِ نَكَّالِي
وَارِي الرِّتَادِ وَقَوَادِ الْجِيَادِ إِلَى يَوْمِ الطَّرَادِ إِذَا شُبَّتْ بِأَجْدَالِي

أقول: نعرفه في شعر الخنساء ولا نعرفه في شعر حسان^(١).

٦

ومن المرآتي المعزوة إلى حسان بن ثابت رائية مستهلها:

نَبِ السَّاكِينِ أَنْ الْحَيْرَ فَارَقَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا

وهي من رواية محمد بن حبيب للديوان^(٢)، ومما رواه ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق^(٣)، ومما رواه ابن سعد في «الطبقات» عن أبي عمرو الشيباني^(٤) وإن أنكر في الديوان أن تكون في كتاب أبي عمرو^(٥)؛ لأنه قد تقرّر أن المثبت مقدّم على النافي في العموم^(٦).

(١) أنكر العدوي قصيدة لحسان تقارب هذه المرثية، وقع فيها التسميط، وأخبر أنها مصنوعة، وهي في رثاء عبد الله بن رواحة، منها قوله:

عَيْنِي جُودًا عَلَى فَارِسٍ بِأَجْرَاعِ مَوْئَةٍ فَالْأَخْرَجِ
طَوِيلِ النَّجَادِ، رَفِيعِ الْعِمَادِ مِصَاصِ النَّجَارِ مِنَ الْخَزْرَجِ

(الديوان، تحقيق الدكتور سيد حنفي ص ١١٣). وقد قرأت ديوان حسان فلم أجد أجد التسميط في شعره.

(٢) انظر: ديوان حسان (تحقيق الدكتور وليد عرفات) ٤٢١/١.

(٣) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٦٧٠/٤.

(٤) انظر: الطبقات الكبير ٢٨١/٢.

(٥) انظر: ديوان حسان (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٢١٠.

(٦) انظر تفصيل هذه القاعدة في توثيق مرآتي أبي بكر من هذه الدراسة ص ٤٦.

قال في «الديوان»: «وليس في كتاب أبي عمرو، ولا رواها ابن الأعرابي. قال العدوي: أحسبها مصنوعة»^(١).

قال الدكتور إحسان النص: «على أنني أرجح صحة الأبيات الرائية؛ لأن أسلوبها لا يبين أسلوب حسان، ولأنها تصوّر موقف الرسول - عليه الصلاة والسلام - من حسان، وبرّه به. وليس فيها ما يدعو إلى الشك في نسبتها إليه»^(٢).

أمّا أنّ أسلوبها لا يبين أسلوب حسان فحجّة بحق لصاحبها الاستمساك بها؛ فالقصيدة تُشاكه أسلوب حسان رضي الله عنه وتشبهه؛ إلا أنه يحيك في النفس بيتاً من رواية ابن إسحاق لم يروه أبو عمرو أخاف أن يكون مما دخل على ابن إسحاق هو قوله:

وَاقْتَسِمَ الْفَيْءَ دُونَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَبَدَّدُوهُ جَهَارًا بَيْنَهُمْ هَدْرًا
يقصد الإمامة والحكم.

وأما أنها تصوّر حَدَبَ الرسول ﷺ على حسان، فحجّة لا تقوم بمثل هذا الترجيح.

وأما أنها ليس فيها ما يدعو إلى الشك في نسبتها إليه، فإن فيها دعوى من الشك عريضة قد تنقض كل حجة؛ هي قول العدوي: «أحسبها مصنوعة»؛ إذ ما الذي حمل العدوي على الشك في المريّة؟ أهو أسلوبها؟ لا أظن ذلك فهي قيمة الأسلوب. أم أنه شيء آخر من خارجها، من رواتها؟ لا أدري، ولكنّي أزعّم أن العدوي ما كان ليسكت عن كثير من شعر

(١) ديوان حسان (تحقيق الدكتور سيد حنفي) ص ٢١٠.

(٢) حسان بن ثابت: حياته وشعره ص ٢٥٤.

حَسَّانَ ثم ينطق بالرَّيْبَةِ في هذه القصيدة بعينها إلا لسبب وجيه كالطعن في خلافة أبي بكرٍ في آخر بيتين منها، ولكني مع زعمي هذا لا أجزم برأيي في أمر هذه القصيدة مادام العدويُّ نفسه تورَّع عن الجزم في أمرها برأيي. وخير وجهة إخالها فيها هي وجهة التوقُّف في نسبتها إلى حَسَّانَ، والتوقُّف في نفيها عنه. والتوقف ليس بعيب، بل العجلة العيب، ولنا في قوم من مَهْرَةِ النِّقَادِ أسوةٌ حسنة، قال محمد بن سلام: «وكان أبو طالب شاعرًا جيِّدَ الكلام، أُبرِّغُ ما قال قصيدته التي مدح فيها النبيَّ ﷺ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَيْبِغُ الِيتَامَى، عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وقد زيد فيها وطولت، ورأيت في كتاب يوسف بن سعيدٍ صاحبنا، منذ أكثر من مئة سنة: وقد علمتُ أن قد زاد الناس فيها، ولا أدري أين منتهاها. وسألني الأصمعيُّ عنها، فقلت: صحيحةٌ جيِّدةٌ! قال: أتدري أين منتهاها؟ قلتُ: لا! (١)

٧

ذلك، وفي «أنساب الأشراف» بيتان أحقهما اللَّبْلَادُريُّ بحَسَّانَ:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ جِئْتُ ضَمَنَهُ بَطْنَ الصَّرِيحِ عَلِيٍّ وَأَبْنُ عَبَّاسِ
مَادَتْ بِي الأَرْضُ حَتَّى كِدْتُ أَدْخُلُهَا بَعْدَ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ، وَالْأَبِيِّ (٢)

لا نستطيع البتَّ في أمر نسبتها إلى حَسَّانِ بشيء؛ لأننا لا نعرف أصلهما، وإنهما لبيتان اثنان وحسب لا يصلحان أن نقيسهما.

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٢٤٤-٢٤٥.

(٢) أنساب الأشراف، للبلادري ١/٥٩٣.

٨

وفي «الحماسة المغربية» بيتان آخران منسوبان لحسان لا ندري عن أصلهما، ولا نقطع
فيهما برأي لأنهما بيتان كذبتك البيتين، ولتأخر الجراوي صاحب الحماسة المتوفى سنة تسع
وستمئة، والبيتان قوله:

إِلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ تَثْرَى وَرَحْمَةٌ تَزِيدُ عَلَى مَنْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا
عَلَى مَنْ يُنَادَى لِلصَّلَاةِ بِذِكْرِهِ إِذَا مَا دَعَا اللَّهُ الْمُنَادِي قَاسِمًا^(١)

٩

وفي مضافات الديوان أن حسان قال في يوم دفن النبي ﷺ:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَقِطٍ مِنْ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودٍ؟^(٢)

ولكنني رأيت عند ابن ناصر الدين الدمشقي شيئاً قريباً من هذا، قال: «رُوي أن أعرابياً
شهد دفن رسول الله ﷺ فقال:

هَلَّا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَقِطٍ مِنْ الْأُلُوَّةِ أَحْوَى مُلْبَسًا دَهَبًا
أَوْ فِي سَجِيقٍ مِنَ الْمِسْكِ الذَّكِيِّ وَلَمْ تَرْضَوْا لِجَنِبِ رَسُولِ اللَّهِ مُتْرَبًا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، أَتَقَاهَا، وَأَكْرَمَهَا عِنْدَ الْإِلَهِ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا

فقال أبو بكر: إني لأرجو أن يغفر الله لك بما قلت، إلا أن هذه سُنَّتُنَا»^(٣).

(١) انظر: الحماسة المغربية، للجراوي ٧٨٣/٢.

(٢) انظر: ديوان حسان (تحقيق الدكتور وليد عرفات) ٤٦٩/١ نقلًا من لسان العرب (أ.ل.).

(٣) سلوة الكتيب بوفاة الحبيب، لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٦٦-١٦٧.



المبراني

(١٤)

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

[من المتقارب]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | يَا عَيْنُ فَايْكِي بِدَمْعِ دَرَى | لِحَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُضْطَفَى |
| ٢ | وَيَكِّي الرَّسُولَ، وَحَقُّ الْبُكَاءِ | عَلَيْهِ، لَدَى الْحَرْبِ عِنْدَ اللَّقَا |
| ٣ | عَلَى خَيْرٍ مَنْ حَمَلَتْ نَاقَةٌ | وَأَتَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ الثَّقَى |
| ٤ | عَلَى سَيِّدِ مَاجِدٍ جَحْفَلٍ | وَخَيْرِ الْأَنَامِ، وَخَيْرِ اللَّهَامِ ^(١) |
| ٥ | لَهُ حَسَبٌ قَوْقُ كُلِّ الْأَنَا | مِ مِنْ هَاشِمٍ ذَلِكَ الْمُرْتَجَى |
| ٦ | تُخْصُ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِهِ | وَكَانَ سِرَاجًا لَنَا فِي النَّجَى |
| ٧ | وَكَانَ بَيْسِيرًا لَنَا مُنْذِرًا | وَنُورًا لَنَا ضَوْؤُهُ قَدْ أَضَا |
| ٨ | فَأُنْقَدْنَا اللَّهُ فِي نُورِهِ | وَنَجَّى بِرَحْمَتِهِ مَنْ لَطَى |

^{*} الصخرية: القصيدة في الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٢٨٢؛ وهي مما أقمم في مطبوعة إمتاع الأساع ١٤/٥٩٦، وليست من الإمتاع في شيء؛ فهي منقولة عن الطبقات الكبير نقلاً.

(١) مجد الرجل: عظم كرمه فهو ماجد ومجيد (أساس البلاغة: مجد). والرجل الجحفل: العظيم القدر (تاج العروس: جحفل). واللها: أفضل العطاء وأجزله، الواحدة لئهة ولهوة (المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد: لهو، تحقيق محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت ط١/١٤١٤هـ).

(١٥)

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

[من الطويل]

- ١ أَمِنْ بَعْدِ تَكْفِينِ النَّبِيِّ وَدَفْنِهِ
 ٢ رُزِينَا رَسُولَ اللَّهِ فِينَا فَلَنْ نَرَى
 ٣ فَكَانَ لَنَا كَالْحِضْنِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ
 ٤ وَكُنَّا بِرُؤْيَاهُ نَرَى الثُّورَ وَالْهُدَى
 ٥ فَقَدْ غَشِيَتْنَا ظِلْمَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
 ٦ فَيَا حَيْرَ مَنْ ضَمَّ الْجَوَانِحُ وَالْحَشَا
 ٧ كَأَنَّ أُمُورَ النَّاسِ بَعْدَكَ ضَمِنَتْ
 ٨ وَضَاقَ قَضَاءُ الْأَرْضِ عَنْهُمْ بِرَحْمِهِ
 ٩ لَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ
 ١٠ فَلَنْ يَسْتَقِيلَ النَّاسُ تِلْكَ مُصِيبَةَ
 ١١ وَفِي كُلِّ وَقْتٍ لِلصَّلَاةِ يَهْبِجُهُ
 ١٢ وَيَطْلُبُ أَقْوَامُ مَوَارِيثَ هَالِكِ

* التخریج: جعلت مخطوطة أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، المنسوب إلى علي بن أبي طالب، ورقة ٤ (المكتبة

البريطانية: OR 6578/2) أصلاً لهذه القصيدة؛ وهي في الزهرة ٢/٥٠٧.

٢. في الأصل: «وفينا رسول...» تصحيف صوتيته من الزهرة.

٣. في الزهرة: «وكان...» له معقل فينا حريز...».

٧. في الزهرة: «سفينة نوح البحر، والبحر قد طما».

١٠. في الزهرة: «ولن يجبر العظم الكسير إذا وهي».

١٢. في الزهرة: «ولله ميراث...».

(١) العجز مضطرب الوزن.

(٢) الشعب: الجمع والتفريق، من الأضداد (اللسان: شعب)، وهو هنا بمعنى الجمع والإصلاح.

(١٦)

علي بن أبي طالب:

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | نَفْسِي عَلَى زَفْرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ | يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَاتِ |
| ٢ | لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا | أُبْكِي مَخَافَةَ أَنْ تَطْوَلَ حَيَاتِي |
| ٣ | هَلْ يَدْفَعُ الدِّرْعُ الْحَصِيئُ مَنِيَّةً | يَوْمًا إِذَا حَضَرَتْ لَوْفَتِ مَمَاتِ |
| ٤ | إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مُجَمِّعٍ | يَوْمًا يُؤَوَّلُ لِفُرْقَةٍ وَشَتَاتِ |
| ٥ | يَا أَيُّهَا الدَّاعِي وَمَنْ بِهِ | كَشَفَ الْإِلَهَ رَوَاكِدَ الظُّلُمَاتِ ^(١) |
| ٦ | أَطْلِقْ قَدَيْتِكَ لَابِنِ عَمِكَ أَمْرَهُ | وَارْمِ عِدَائَكَ مِنْهُ بِالْحَجَمَاتِ |
| ٧ | فَالْمَوْتُ حَقٌّ، وَالْمَنِيَّةُ شِرْبَةٌ | تَأْتِي إِلَيْهِ قَبَادِرِ الرَّكَوَاتِ |

* التخریج: القصيدة في مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية، ورقة ١١).

(١) صدر البيت مضطرب الوزن، ولو قيل مثلاً: يا أيها الداعي الكريم ومن به لا استقام

(١٧)

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: [من الطويل]*

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | وَبَاكِيَةَ حَرَى تَحَرَّقُ بِالْبُكَاءِ | وَتَلَطُّ مِنْهَا حَذَّهَا وَالْمَقْلَّةُ ^(١) |
| ٢ | عَلَى هَالِكِ بَعْدَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ | وَلَوْ عَدَلْتُ لَمْ تَبِكِ إِلَّا مُحَمَّدًا |
| ٣ | فَلَسْتُ بِبَاكِ بَعْدَ فَقْدِ مُحَمَّدٍ | فَقَيْدًا، وَإِنْ كَانَ الْقَرِيبَ الْمُسَوَّدَا |
| ٤ | فُجِعْنَا بِخَيْرِ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا | وَأَذْنَاهُ مِنْ أَهْلِ السَّأَوَاتِ مَقْعَدَا |
| ٥ | وَأَعْظَمِهِ فَقْدًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ | وَأَكْرَمِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ يَدَا |
| ٦ | [لَقَدْ أَوْرَثْتَ أَخْلَاقَهُ الْمَجْدَ وَالثَّقَى | فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَشِيدًا وَمُرْشِدًا] |
| ٧ | مَتَى تَنْزِلُ الْأَمْلاَكُ بِالْوَحْيِ بَعْدَهُ | عَلَيْنَا، إِذَا مَا اللَّبِئْسُ فِينَا تَرَدَّدَا ^(٢) |
| ٨ | إِذَا كَانَ مِنْهُ الْقَوْلُ كَانَ مُوقِّعًا | وَإِنْ كَانَ وَحْيًا كَانَ نُورًا مُجَدِّدًا |
| ٩ | جَزَى اللَّهُ عَنَّا رَبَّنَا خَيْرَ مَا جَزَى | نَبِيَّ الْهُدَى الدَّاعِيَ إِلَى الْحَقِّ أَحْمَدَا |

* التخرُّج: جعلتُ الاكفأ ٧٥/٢ أصلًا لهذه القصيدة: وهي في ديوانه الذي جمعه العاني ص ١٩٨ منقوصة الأبيات: ٣، ٧-٩ وهو ينقل عن الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٣؛ وفي الزهرة ٥٠٩/٢ الأبيات: ١، ٤، ٤، ٥، ٨، ٤٦؛ وفي سبل الهدى والرشاد ٢٨٥/١٢ الأبيات: ١، ٤، ٤، ٦.

١. في الزهرة: « وناحثة... * وتلطم... ». وفي الذخائر: « حراء تحرق... ». وفي السبل: « حراء تحزن... ».

٢. في الذخائر والسبل: « ولو علمت... ». وفي الزهرة: « ولو عقلت... ».

٤. في الذخائر والسبل: «... من رب البرية مقعدا ».

٥. في الذخائر والسبل: « وأظعمهم... * وأعظمهم... ». وفي الزهرة: « وأعظمهم في الناس... ».

٦. البيت زائد في الزهرة، والذخائر، والسبل في هذا الموضع. وفي الزهرة: « وقد وزنت... * فلن تلقه... ». وفي السبل: « لقد ورثت... ».

٨. في الزهرة: « وإن كان حيا... » تحريف.

(١) حرى: عطش، فَعَلَى من الحر، تَأْنِيثُ حَرَّانِ، وهما للمبالغة (تاج العروس: حرر). والمقلدة: موضع القلادة، وهو العنق (تاج العروس: قلد).

(١٨)

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ:

[من الطويل]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | أَتَأْنِي وَرَخْلِي فِي عَمَانَ مُصِيبَةً | فَبِتَّ بَعَيْنِ ظَرْفُهَا ظَرْفُ أُرْمَدٍ |
| ٢ | عَدَاةَ نَعَى النَّاسِ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا | فَأَعَزَزَ عَلَيْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ١ |
| ٣ | فَقَدْنَا بِهِ وَحْيَ السَّمَاءِ، وَنِعْمَةً | تَرُوحُ عَلَيْنَا بِالْمُرَادِ، وَتَغْتَدِي |
| ٤ | وَأَوْحَشَ مِنْهُ مِنْبَرٌ كَانَ زِينَةً | وَمَسْجِدُهُ وَحُشٌّ، [فَبِنَا] خَيْرَ مَسْجِدٍ |
| ٥ | فَلَوْ كُنْتُ يَوْمًا شَاهِدًا لَوَفَاتِهِ | لَمَسْتُ تُرَابًا مِنْ صَرِيحَتِهِ يَدِي |
| ٦ | بِإِذْنِ يَرَاهُ أَهْلُهُ وَمُكِيدُهُ | أَسُودُ بِهَا مَا عِشْتُ يَوْمِي وَفِي غَدِي |
| ٧ | كَمَا نَالَهَا مِنْهُ الْمَغِيرَةُ خُدَعَةً | وَمَا أَنَا دُونَ الطَّائِفِي الْحَفِيدِ ^(١) |

* الضخريج: القصيدة في الاكتفا ٥٦/٢ - ٦٦، ولم أرها في غيره.

٤. في الأصل: «... فيها خير مسجد» تحريف يختلف به الوزن.

٧. في الأصل: «... الحففيد» بالجيم المعجمة التحتانية، أظنه تصحيحاً؛ إذ لم أجد لها معنى.

(١) الحففيد: مادة (حفد) تدل على السرعة والحفة (لسان العرب: حفد)، وكان عمرو والمغيرة بن شعبة كلاهما من دهاة العرب، وما يروى عن ابن إسحاق أن المغيرة كان يدعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ، ويقول: أخذت خاتمي فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي قد سقط، وإنما طرحته عهداً لأمتس رسول الله ﷺ فأكون آخر الناس به عهداً (تاريخ الأمم والملوك ١١٢/٣) وقد أنكر ذلك بعض الصحابة (انظر: الاكتفا ٦٦/٢).

(١٩)

علي بن أبي طالب: [من مجزوه الكامل]

١ كُنْتُ السَّوَادَ لِتَاظِرِي قَبِيَّ عَلَيْكَ التَّاطِرُ
 ٢ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

(٢٠)

عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

[من الطويل]

- ١ لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْقَيْتُكَ أَنْكَ مَيِّتُ
- ٢ وَقُلْتُ: يَغِيبُ الْوَحْيُ عَنَّا لِفَقْدِهِ
- ٣ وَكَانَ هَوَايَ أَنْ تَطْوَلَ حَيَاتُهُ
- ٤ فَلَمَّا كَشَفْنَا الْبُرْدَ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ
- ٥ فَلَمْ تَكْ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ
- ٦ سِوَى إِذْنِ اللَّهِ الَّذِي فِي كِتَابِهِ
- ٧ وَقَدْ قُلْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَقَالَةِ قَوْلَةً
- ٨ أَلَا إِنَّمَا كَانَ السَّيِّئُ مُحَمَّدٌ
- ٩ نَدِينُ عَلَى الْعِلَالِ مِثْلًا بِيَدِينِهِ
- ١٠ وَوَلَيْتُ مَحْزُونًا بِعَيْنِ سَخِينَةٍ
- ١١ وَقُلْتُ لِعَيْنِي: كُلِّ دَمْعٍ ذَخْرَتِهِ

التخريج: القصيدة في الاكتفا ٤٨/٢-٤٩، ومخطوطة إمتاع الأسباع (ورقة ١٨٣٣)، والروض الأثف للشهلي،
عبد الرحمن بن عبد الله ٥٧٨/٧ (تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).

(١) ضرورة جزم يرجع هنا فبيحة جدًا.

(٢١)

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | مَا زِلْتُ مُذْ وَضَعَ الْفِرَاشَ لِحْنِيهِ | وَتَوَى، مَرِيضًا، خَائِفًا أَتَوَّقُعُ |
| ٢ | شَفَقًا عَلَيْهِ أَنْ يَزُولَ مَكَائِهِ | عَنَّا، فَتَبَقَى بَعْدَهُ نَتَفَجَّعُ |
| ٣ | تَفْسِي فِدَاؤُكَ، مَنْ لَتَا فِي أَمْرِنَا | أَمْ مَنْ نَشَاوَرُهُ إِذَا نَتَوَجَّعُ |
| ٤ | وَإِذَا تَحَلُّ بِنَا الْحَوَادِثُ مَنْ لَتَا | بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ يَسْمَعُ |
| ٥ | لَيْتَ السَّمَاءَ تَفَطَّرَتْ أَكُنَافُهَا | وَتَنَائَرَتْ مِنْهَا التُّجُومُ الطَّلَعُ |
| ٦ | لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَدَّ جَمِيعَهُمْ | صَوْتٌ يُنَادِي بِالتَّعْبِي فَيُسْمَعُ |
| ٧ | وَسَمِعْتُ صَوْتًا قَبْلَ ذَلِكَ هَدَّنِي | عَبَّاسٌ يَنْعَاهُ بِصَوْتٍ يَقْطَعُ |
| ٨ | فَلْيَبْكِهِ أَهْلُ الْمَدَائِنِ كُلِّهَا | وَالْمُسْلِمُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ تَجْرَعُ |

* التخریج: جعلت الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢١ - ٢٢٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وهي في سبل الهدى والرشاد ٢٢٨٧/١٢ وفي أنساب الأشراف ٩٥٢/١ الأبيات: ١، ٢، ٣، ٨، ٣، وفي الزهرة ٥٠٧/٢ الأبيات: ١-٤، وفي جمهرة أشعار العرب البيت الأول.

١. في أنساب الأشراف: «... لحنته» | تصحيف، وفي الزهرة: «... لجسده».

٢. في أنساب الأشراف: «... فبقي بعده التوجع»، وفي سبل الهدى «... بعده نتوجع».

٣. في سبل الهدى: «أو من... إذن نترجّع».

٤. في سبل الهدى: «وإذا تحدثنا...».

٥. في سبل الهدى: «وتناثرت فيها...».

٧. في سبل الهدى: «... بصوت يقطع».

٨. في أنساب الأشراف: «... كلهم»، وفي سبل الهدى: «... تجدع».

(٢٢)

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ :

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | يَا قُرَّ إِنَّكَ لَا مَحَالَةَ مَيِّتٌ | يَوْمًا، وَإِنَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ رَاجِعٌ ^(١) |
| ٢ | إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ | صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْهِ ذَهْرٌ فَاجِعٌ ^(٢) |
| ٣ | فَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَوَدِينُنَا | دِينُ النَّبِيِّ، وَلِلرِّجَالِ مَصَارِعُ |
| ٤ | لَيْسَ الْحَلِيقَةُ تَارِكًا لِرِزَاكَيْكُمْ | مَا دَامَ سَلَعٌ فِي الْبَسِيطِ وَقَارِعٌ ^(٣) |
| ٥ | إِنَّ الَّتِي مَثَّكَ نَفْسُكَ خَالِيَا | مِمَّا تُوْقِلُهُ؛ سَرَابٌ قَاطِعٌ |
| ٦ | إِنْ تَمْنَعُوهَا تَأْتِيكُمْ مَبْنُوتَةٌ | قُبَّ الْبُطُونِ، مِنَ الْفِجَاجِ طَوَالِجُ ^(٤) |
| ٧ | يَعْلُونَ مِنْ غُلْيَا هَوَازِرَ يَهَيِّهَا | فِيهَا الْمَيِّتَةُ وَالسَّامُ النَّاقِعُ ^(٥) |
| ٨ | وَاعْلَمْ بِأَنْ يَكُلَّ سَاجٍ سَعِيَهُ | هَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ أَمْرٌ جَامِعٌ |

* التخریج: جعلتُ كتاب الرِّدَّة لابن أعمش (المنسوب للواقدي) ص ٩٧ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي منح المدح ص ٢٠١،

٢٠٢، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٠) الأبيات: ١، ٤، ٢، ٣، ٥، وقد أخذت مطبوعة الإمتاع بهذه المرثية

فيما أخذت به !

٢. في مخطوطة الإمتاع: «... وهو فاجع» تصحيف.

٣. في منح المدح ومخطوطة الإمتاع: «... وللجنوب مصارع».

٤. في منح المدح: «... تاركاً من قاتلكم»... سلع والبناء وفارع، وفي مخطوطة الإمتاع: «... تاركاً صدقاتكم»... سلع

ذو البكاء وفارع.

٥. في مخطوطة الإمتاع: «... إن الذي...»، وفيها وفي منح المدح: «... سراب لاعم».

(١) هو قُرَّة بن سلمة بن هبيرة الفُشيري، وكان عمرو يظنُّه في زمرة المرتدين (الرِّدَّة ص ٦٩، ٧٩).

(٢) أودى به الدهر: أهلكه وذهب به (لسان العرب: ودي).

(٣) السُّلوع: شقوقٌ في الجبال، وحداها سَلَعٌ. وسلعٌ: جبل شهير بسوق المدينة (معجم البلدان، لياقوت الحموي (سلع)

دار الفكر، بيروت). والفارع: المرتفع العالي. وفارعٌ: اسم أطم، وهو حصن بالمدينة (معجم البلدان: فارع).

(٤) قُبٌّ: جمع أقب، وهو الفرس إذا لحقت خاصرتاه بجاليه، والحيل القُبُّ: الضوامر (تاج العروس: قبب). والفتح:

الطريق الواسع بين جبلين، وهو أوسع من الشعب (لسان العرب: فجع).

(٥) التَّهْمِيُّ وَالتَّهْمِيُّ: الموضع الذي له حاجزٌ يَنْهَى الماء أن يفيض منه. وقيل: هو الغدير في لغة أهل نجد (لسان

العرب: نهى). والسَّامُ: جمع سَمٍّ. والسَّمُّ الناقع: البالغ القاتل (لسان العرب: نقع).

(٢٣)

[من المتقارب]

كغُفُ بْنُ مَالِكٍ:

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَلَا ائِجِ التَّيِّبِ إِلَى الْعَالَمِينَا | بِجَمِيعَا [وَر] لَأَسِيَّمَا الْمُسْلِمِينَا |
| ٢ | أَلَا ائِجِ التَّيِّبِ لِأَصْحَابِهِ | وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ التَّابِعِينَا |
| ٣ | أَلَا ائِجِ التَّيِّبِ إِلَى مَنْ هَدَى | مَنْ الْجِيْنَ لَيْلَةً إِذْ تَسْمَعُونَا |
| ٤ | لِيَفْقِدِ التَّيِّبِ إِمَامَ الْهُدَى | وَفَقْدِ الْمَلَائِكَةِ الْمُتْرَلِينَا |

* التخریج: المقطعة في مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني ١٣٢/١ (نشرة الراشد بن علي المحلاني

الحاتري، طهران ١٣١٣هـ).

١. زدت هذه الواو ليستقيم الوزن.

(٢٤)

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ:

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | [صَدَعَ الْقُلُوبَ مَقَالَةُ الْحَدَّانِي | وَنَعَى النَّبِيَّ حَمِيصَةً بِنُ أَبَانَ] ^(١) |
| ٢ | [لَمَّا نَعَاهُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ | يَبْسُ اللِّسَانَ وَقَاضَتِ الْعَيْنَانِ] |
| ٣ | يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ وَجْهَ مُحَمَّدٍ | قَبْلَ الْوَفَاةِ وَبُلَّتِ الْكُفَّانِ |
| ٤ | أَوْ لَيْتَ عَمْرَامَاتٍ قَبْلَ مُصَابِهِ | وَتَوَى مَدَى فِي الْقَسْرِ وَالْأَكْفَانِ ^(٢) |
| ٥ | أَوْ لَيْتَنِي لَمْ أَبْقَ بَعْدَ وَقَائِهِ | ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِمُنْيَةِ الْإِنْسَانِ ^(٣) |
| ٦ | أَوْ كَانَ قَدْ مَاتَ النَّبِيُّ فِدِينُنَا | دِينُ النَّبِيِّ، وَمَا هَدَاهُ هَدَانِي |
| ٧ | كَانَ النَّبِيُّ أَمَانَةً مَظْمُونَةً | فِينَا، إِلَى أَجَلٍ وَحَدِّ أَوَانِ |
| ٨ | فَارْتَدَّهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ رَدَّهَا | هَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ فِي الْفُرْقَانِ ^(٤) |

* التخریج: جعلتُ فتح المدح ص ٢٠٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي: مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٠، ١٨٣١) الأبيات: ٣-٨ وهي مما أخلت به مطبوعته؛ وفي هامش الإكمال لابن ماكولا ٥/٣ (تصحيح عبد الرحمن المعلّمي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ١٩٩٣/٢م) البيتان: ١، ٢ نقلاً عن «القبس»، ولم أتبيّنه، وروى في الإصابة ٣٤٥/٢ البيت الأول.

١. هذا البيت زائد في الإصابة، وهامش الإكمال.

٢. هذا البيت زائد في هامش الإكمال، وفيه قال الشيخ عبد الرحمن المعلّمي مصحح الكتاب عند ذكر «الحّدّاني»: «وفي «القبس» بعد ذكر حدّان الأزدي ومنهم حميصّة [كذا بالحاء المهملّة، والضاد المعجمة] بن أبان الذي نعى النَّبِيَّ ﷺ إلى أهل عمان وعليهم عمرو بن العاص... فقال عمرو بن العاص:

صدع القلوب مقالة الحدّاني	ونعى النبي حميصّة بن أبان
لما نعاها والحوادث جمّة	يبس اللسان وقاضت العينان

(١) أورد ابن حجر في مناسبة المريثة أن حميصّة بن أبان الحدّاني قدم من المدينة إلى عمان بوفاء النبي ﷺ وقال لهم: تركتُ الناس بالمدينة يغلون غلّيان القدر، وذكر قصّة ثم ذكر البيت.

(٢) مدي: أبداً (لسان العرب: مدي)، والقُرّ: الإبريسم، أو الذي يسوّى منه الإبريسم (اللسان: قزن).

(٣) مُنية الإنسان: ما يمتناه (لسان العرب: مني).

(٤) ارتدّ الشيء: رده (تاج العروس: ردد).

(٢٥)

علي بن أبي طالب:	[من الطويل]
١	أَلَا طَرَقَ النَّاعِي بَلِيلِ فَرَاعِي
٢	فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُكَ الَّذِي أَتَى:
٣	فَحَقَّقَ مَا أَيْقَنْتُ مِنْهُ وَلَمْ أَخْلُ
٤	فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَاكَ أَحْمَدُ مَا مَشَتْ
٥	وَكُنْتُ مَتَى أَهْبِطُ مِنَ الْأَرْضِ تَلْعَةً
٦	جَوَادٌ تَشْطَى الْحَيْلُ عَنْهُ كَأَنَّمَا
٧	مِنَ الْأَسَدِ قَدْ يَحْيِي الْعَرِينَ مَهَابَةً
٨	شَدِيدٌ، جَرِيءُ الصَّدْرِ، نَهْدٌ، مُصَدَّرٌ
	وَأَرَقَّنِي لَمَّا اسْتَهَلَّ مُتَادِيَا
	أَعَزَّ رَسُولِ اللَّهِ أَصْبَحْتَ نَاعِيَا
	وَكَانَ خَلِيلِي عُدَّتِي وَبِحَالِيَا
	بِي الْعَيْسُ فِي أَرْضٍ وَجَاوَزْتُ وَادِيَا
	أَجْدُ أَثْرًا قَبْلِي حَدِيثًا وَعَافِيَا ^(١)
	يَرِينُ بِهِ لَيْثًا عَلَيْهِنَّ ضَارِيَا
	تَقَادَى سَبَاعُ الْأَرْضِ مِنْهُ تَقَادِيَا
	هُوَ اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

* التخرُّج: جعلت مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية، ورقة ٤١) أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي أنساب الأشراف للبلاذري ٥٩٢/١ الأبيات: ١، ٢، ٤-٦، ٩؛ وفي سبل الهدى والرشاد ٢٨٧/١٢ الأبيات: ١-٨؛ وفي ذخائر الإشبيلي ص ٢٢٢ الأبيات: ١-٧، ٨؛ وفي الزهرة ٥٠٧/٢-٥٠٨ الأبيات: ١-٨؛ وفي الفاضل للمبرد ص ٦٤ البيتان: ٤، ٥؛ وفي جمهرة أشعار العرب ص ٤٤ البيت الأول.

١. في الزهرة، وأنساب الأشراف، والذخائر: «... لما استقل...».
٢. في أنساب الأشراف، والذخائر: «... إن كنت ناعياً».
٣. في الزهرة، والذخائر: «... ما أشفقت منه...» وفي الزهرة، والذخائر، وسبل الهدى: «... ولم يبيل» من يُبالي، لحن وتحرُّيف.
٤. في الفاضل: «... لا أنساك...» والشطر الثاني في الأصل مبهم، وهذه صورته: «بي العيس أو ربا واديا» والتصحيح من الزهرة، وفيها: «... مشت بي العنس... بالنون تصحيف. وفي الذخائر: «... وجاورت...» بالمهملة. وفي أنساب الأشراف: «... أو جاوزت في الأرض واديا».
٥. في الفاضل: «... وإني متى أهبط...» جديدًا...» وفي الزهرة: «أرى أثراً منه جديدًا وباليا» وفي أنساب الأشراف، والذخائر: «أرى أثراً منه جديدًا وعافياً» وفي سبل الهدى: «... جديدًا وعافياً».
٨. في الذخائر: «... الصدر، سهم مسدّد» هو الموت...» وفي الزهرة، وسبل الهدى: «هو الموت...».

(١) التلعة: أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها (اللسان: تلح).

- ٩ لَيْتَنِيكَ رَسُولَ اللَّهِ خَيْلٌ مُغِيرَةٌ تُثِيرُ عُبَارًا كَالضَّبَابِ كَابِيَا
 ١٠ لَيْتَنِيكَ رَسُولَ اللَّهِ صَفٌّ مُقَدَّمٌ إِذَا كَانَ ضَرْبُ الْهَامِ نَفَقًا تَعَالِيَا

تَوْثِيقُ مَرَاثِي مَنْ لَهُمْ غَيْرُ مَرَثِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ:

كان كعب بن مالك الأنصاري ثالث ثلاثة من الشعراء المقربين من رسول الله ﷺ، وكان أحد الثلاثة الذين خُلفوا عن غزاة تبوك فعفا الله عنهم وتاب عليهم، وتلك منقبة من مناقبه. ولكعب ديوان شعر ذكره في «كشف الظنون»^(١)، ولكنه لم يبلغنا^(٢)، مات كعب رضي الله عنه في خلافة علي بن أبي طالب بعد أن كُفَّ بصره^(٣)، وقيل: سنة خمسين^(٤).

وقد أنشد كعب في رثاء النبي ﷺ مقصورةً رواها ابن سعي، فقال: «وقال أبو عمرو: قال كعب بن مالك يرثي رسول الله ﷺ:

(١) كشف الظنون: لحاجي خليفة ١/٨٠٨.

(٢) جمع شعره ساهي مكي العاني (انظر: ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ط١/١٣٨٦هـ).

(٣) انظر: معجم الشعراء، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى ص ٢٢٩ (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الذخائر ٩٣).

(٤) انظر: كشف الظنون ١/٨٠٨.

يَا عَيْنُ فَاذْكُرِي بِدَمْعِ ذَرَى لِحَيْرِ الرَّبِّيَّةِ وَالْمُضْطَفَى^(١)

ولم أجد أحداً من أهل العلم والرواية طعن في نسبة هذه المرثية إلى كعب بن مالك، والميل إلى تقويتها أبلغ؛ لرواية أبي عمرو الشيباني إياها؛ فإنه عالم، ورواية ثبت صدوق، وهو رجل ذو شأن في رواية أشعار العرب لهج بذكره المؤرخون والأدباء، فتحدثوا بأنه «كان واسع العلم باللغة والشعر... ثقة في الحديث، كثير السماع، وأخذ عنه دواوين أشعار القبائل كلها»^(٢)، وكان المحدثون يُجلُّونه أيضاً، فكان «الإمام أحمد بن حنبل يحضر مجلس أبي عمرو، وكتب عنه حديثاً كثيراً»^(٣).

زد على ذلك أنه عُيِّرَ عُمُرًا طويلاً؛ فأدرك، وأعاد، وصحَّح؛ قالوا: «بلغ أبو عمرو الشيباني مئة سنة وعشر سنين، ومات سنة ست ومئتين. وقال يعقوب بن السكيت: مات أبو عمرو الشيباني وله مئة سنة وثمان عشر سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات. وقال ابن كامل: مات أبو عمرو في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومئتين»^(٤).

ومثل هذه الأخبار عن أبي عمرو تؤول بنا إلى نكثتين: الأولى: أنه إذا كان أبو عمرو ثقة في الحديث لصدقه وحفظه؛ فهو إذن ثقة في الشعر من حيث التحمل والتبليغ لا وراء في ذلك؛ فما بالك بروايته هذه للشعر وهو العالم العارف بكلام العرب وصروفه ومخارجه؟ الثانية: أن أبا عمرو كان راوية القرن الثاني غير مدافع، نعم، وفي القرن الثاني أساطين الرواية كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهما، وأما ما طغت به يد الدهر حين أتت على

(١) الطبقات الكبير، لابن سعد ٢/٤٨٢.

(٢) كتاب الفهرست، لابن إسحاق النديم ص ٧٥.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات ابن الأنباري ص ٧٩-٨٠.

(٤) الفهرست ص ٧٥.

جُلِّ ما سوَّدتْ يدا أبي عمرو؛ فإنه شيءٌ لم يكن له فيه من حيلة.

وأما اتهام الدكتور طه حسين أبا عمرو ففيه نظر، وذلك قوله: «وهناك رواية كوفيٌّ لم يكن أقلَّ حظًا من صاحبيه هذين [حمادٍ وخلف] في الكذب والانتحال. كان يجمع شعر القبائل، حتى إذا جمع شعر قبيلة كتب مصحفًا بخطه، ووضعه في مسجد الكوفة. ويقول خصومه: إنه كان ثقةً لولا إسراره في شرب الخمر؛ وهو أبو عمرو الشيباني. ويقولون: إنه جمع شعر سبعين قبيلة. وأكبر الظن أنه كان يأجر نفسه للقبائل يجمع لكل واحدة منها شعرًا يضيفه إلى شعرائها، وليس هذا غريبًا في تاريخ الأدب، فقد كان مثله كثيرًا في تاريخ الأدب اليوناني والروماني»^(١).

ففي هذا النقد مأخذان: الظنُّ مع إمكان اليقين ووجوده؛ إذ ظنَّ الأستاذُ في أبي عمرو ظنًّا كبيرًا أنه كذابٌ ومنتحل، واليقين اتفق عليه الناس بالثقة فيه وسمو منزلته. وما سمعنا أحدًا رماه بالكذب قط، ولا سمعنا حديث الإجارة هذا من قبل قط.

وثاني المأخذين: البدار بالنتيجة قبل مقدماتها أو من دون مقدماتها من حيث أراد قياس تاريخ الأدب العربي بتاريخ الأدبين اليوناني والروماني من غير أن يظهرنا على دلائل عديدة تقوى لحمل مؤونة حكم تاريخي عريض على شعر أمة بأسرها، روى قدرًا صالحًا منه أبو عمرو الشيباني.

أمَّا تهمة الخمر فقد أجاب عنها شيخ الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين بأنه لم يشربها، بل كان يشرب النبيذ، والفرق بين النبيذ والخمر - كما يقول الشيخ - معروف عند الفقهاء والأدباء^(٢).

(١) في الشعر الجاهلي، للدكتور طه حسين ص ١٢١-١٢٢ (دار الكتب المصرية، ط ١/١٣٤٤هـ).

(٢) انظر: نقض كتاب «في الشعر الجاهلي»، للشيخ محمد الخضر حسين ص ٢٧٣-٢٧٤ (المطبعة السلفية، القاهرة).

ذلك، ويحكي أن أبا عمرو أخذ عن المفضل الضبي دواوينَ العرب التي جمعها^(١). «ويرى جولدسيهر أيضًا إمكان اختيار المفضل الضبي لقسم كبير من قصائده في «المفضليات» من دواوين القبائل المتاحة لديه»^(٢)، ولقد عُدَّ المفضل أحدَ أجلاء الكوفيين وثقاتهم^(٣)، وأخذُ الشيباني عنه يزيد من الطمأنينة لروايته.

فإذا كان الأمر كذلك، فقد ثبت بعد الاستقراء والتتبع أن لهؤلاء الرواة الذين عاشوا في نهاية القرن الثاني وأول القرن الثالث أسانيدَ متصلةً بمن قبلهم، ليس إلى العصر الإسلامي فحسب، بل إلى العصر الجاهلي؛ وأنهم لا يذكرون هذه الأسانيد؛ لأن عملهم ليس التحديث، كما أنهم لم يروموا قطُّ أن تكون رواية الشعر كرواية الحديث، ولم يعن ذلك لهم، وأننا إذا حققنا ورودَ القصيدة في كتبهم كفانا ذلك لنطمئن إليها بشرط أن تكون خاليةً من القوادح^(٤).

وإذا كان أبو عمرو ولد سنة مئة أو في سنة قريب منها؛ وكان يقدر أن يسمع سنة خمس عشرة ومئة أو سنة عشرين ومئة؛ فإن الثقة لتتأكد وتزداد قوة؛ فقد انتهى المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه «قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام» إلى نتيجة بدّل الكتاب كله لاستخلاصها، نسوقها استثناسًا، قال: «... وإذن، فالشعر الجاهلي ظلّ سليمًا مبرأً محفوظًا بالصدق حتى انقضت نحو مئة عام منذ هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة، وإن كانت تناقصت وقرئته كما قال محمد بن سلام»، ولا يخفى أن حال الشعر في الصدر الأول من الإسلام شبيهه بحاله في الجاهلية من حيث الرواية، ثم قال: «... وبذلك نعلم علم يقين أن

(١) انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٧٩.

(٢) تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين، المجلد الثاني ٥٠/١.

(٣) انظر: نزهة الألباء ص ٥١.

(٤) انظر باب الرواية والساع في: مصادر الشعر الجاهلي، للدكتور ناصر الدين الأسد ص ١٨٧-٢٢١.

العلماء بالشعر من أهل البصرة وحدها إلى زمن أبي عمرو قد تلقوا شعر الجاهلية سليماً خالياً من الشوائب، وإن كان لم ينته إليهم منه إلا القليل»^(١).

من أجل ذلك صحت عندنا مقصورة كعب في بكاء النبي، وصحَّ نسبها إليه. وأنا لنحسُّ روح كعب بن مالك في هذه المرثية كما نحسُّها في مرثيته لعثمان بن عفان، تلك التي أثنى الشعبيُّ عليها، فقال: ما سمعتُ من مرثي عثمان رضي الله عنه أحسنَ من قول كعب بن مالك:

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِعَافِلٍ
وَقَالَ لِأَهْلِ الدَّارِ: لَا تَقْتُلُوهُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ الْ عِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَعْدَ التَّوَاضُّعِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْحَيَرَ أَذْبَرَ بَعْدَهُمْ عَنِ النَّاسِ إِذْ بَارَ الرِّيَّاحُ الْحَوَافِلِ^(٢)

نحسُّها فيها في يُسِرُّها وقصرها ووضوحها وتماسك أبياتها.

وليس يقدح في المرثية ما نقدها به الدكتور عبد القادر القط يوم قال: «وإذا ضُمَّت نسبة هذا الشعر الضعيف إلى كعب بن مالك فإنه يقوم دليلاً على ضعف الموهبة من ناحية، أو على العجز عن تمثُّل الإسلام وأسلوب التعبير الإسلامي تمثُّلاً صحيحاً»^(٣)؛ لا يقدح فيها لأن كعباً خلُو من هاتين؛ فقد وصفه محمد بن سلام فقال فيه: «شاعر مجيد»^(٤)، والأبيات القليلة التي تتلى له تشهد بالإجادة له، فالأولى باطلة.

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، لمحمود محمد شاكر ص ١٠٨-١٢١ (مطبعة المدني، القاهرة).

(٢) انظر: المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث، للإمام أبي عبد الله محمد النيسابوري الحاکم ٥٠١/٣-٦٠١ (مكتبة النصر الحديثة، الرياض).

(٣) في الشعر الإسلامي والأموي، للدكتور عبد القادر القط ص ٣١ (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٤٧هـ).

(٤) طبقات فحول الشعراء ٢٢٠/١.

وأما أنه عجز عن تمثّل أسلوب التعبير الإسلامي؛ فإن هذا لا يُضعف الشعرَ في ذاته؛ لأنه ليس لزاماً على كل شاعر من المخضرمين حَشْدُ ما يدل على إسلامه من الصيغ والتعابير؛ ولا أن يلتزم أسلوباً إسلامياً بعينه تاركاً عاداته الجاهلية الأولى في الرّصف والتقصيد^(١)، وهذا بلاشئ لم يرَ في شعر كعبٍ ما رآه الدكتور القط، فقد قال عن مقطوعاته: «وتتصف تلك المقطوعات الشعرية بالبساطة المشفوعة بقوة الأسلوب» وفيها أن التأثير الإسلامي لا يغطي إطلاقاً الصيغ التقليدية، إننا بإزاء نماذج جيدة من الشعر الجاهلي في مرحلة متطورة^(٢).

ولعلّ الذي لمسهُ الدكتور القط في القصيدة من اعتدال في العاطفة كان السبب في نقده القاسي، بل لعلّ هذه العاطفة التي تقصّر في الرثاء سببٌ متينٌ للثقة بهذه القصيدة أنها لكعب؛ فإن من الشعراء من يُفلق في بابٍ من الشعر دون باب، وكعبٌ من هؤلاء، فهو شاعر فخور بمجبلته، يوشك الفخر أن لا يغادر قصيدة من قصائده، ولو كانت رثاء^(٣)، فهو يرثي حمزة في قصيدته:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بُكَاءُهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ^(٤)

فتراه لا يلبث أن يفاخر المشركين ويشمت بهم:

(١) انظر: حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد منصور ص ١٣٣.

(٢) تاريخ الأدب العربي، لبلاشير ص ٣٤٦.

(٣) انظر ما كتبه العاني في مقدمة ديوان كعب بن مالك ص ٨٣، وفيها قال: «ويستغرق الفخر من شعر كعبٍ أكثره».

(٤) انظر: ديوانه (تحقيق العاني) ص ٢٥٢.

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا لَوْيَا قَبَعَدَ الْيَوْمَ دَائِلَةٌ تَدُولُ
 وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا وَقَاتِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ
 نَسِيْتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيْبٍ بَدْرِ عَدَاةٌ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
 عَدَاةٌ قَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيْعًا عَلَيْهِ الظَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ
 وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ قَرَا بَجِيْعًا وَشَيْبَةُ عَضُّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
 أَلَا يَا هِنْدُ قَانِكِي لَا تَمِلِّي قَانَسِ الْوَالَةَ الْعَنَزِي الْهَبُولُ

وحقًا هو خلص في منتهاها إلى ذكر حمزة، بيد أنه ذكره ذكرًا عارضًا في غمرة النقيضة والأثفة، وكأنه ارتاح من عناء الرثاء إلى بحبوحة الفخر:

أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبِدِي شِمَانًا بِحَمْرَةٍ، إِنَّ عَزَّكُمْ ذَلِيلُ

وهو في بكائه على قتل مؤتة ينتزع نفسه في شطر القصيدة الثاني إلى الثناء على الهاشميين والفخار بالنبي ﷺ^(١)، وكان سمته في مرثيته تلك سمته حين رثى النبي ﷺ^(٢) حاتمًا عينيه أن تبكيًا:

عَلَى سَيِّدِ مَا جِدِ جَحْفَلِي وَخَيْرِ الْأَنَامِ وَخَيْرِ اللَّهَا
 لَهُ حَسَبٌ فَوْقَ كُلِّ الْأَنَا مِ مِنْ هَاشِمٍ ذَلِكَ الْمُرْتَجَى

هذا، وتُعزى لكعبٍ مرثيةٌ أخرى داليةٌ أنشدها طائفةٌ من الأندلسيين يلوح أنهم نقلوها من كتبٍ أو كتابٍ لم يقع للمشاركة، مطلعها:

وَبَاكِيَةٌ حَرَى تَحَرَّقُ بِالْبُكََا وَتَلْطِمُ مِنْهَا خَدَّهَا وَالْمُقْلَدَا

أثبتها ابن داود الأصبهاني في «الزَّهْرَةَ»، والإشبيلي في «الذخائر والأعلاق»، والكلاعي في «الاكتفا»^(٣)، ولسنا نملك دليلاً على صحتها إلا دليل البراءة؛ وهو أنه لم يشك فيها - في

(١) انظر: المصدر السابق ص ٢٦٠-٢٦٣.

(٢) انظر تخرج المرثية.

علمي القاصر - أحدٌ، وإلا دليلاً آخر هو يُسْرُها وقِصْرُها، ولكن لا يبعد أن يكون أُدخل فيها بيت أو بيتان، كهذا البيت:

لَقَدْ أَوْزَنْتَ أَخْلَاقَهُ الْمَجْدَ وَالشَّقَى فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَشِيدًا وَمُرْشِدًا

الذي لم يرد عند الكلاعي، وهو أقل درجةً، وهو يعوق جَزِيَّ القصيدَةِ الرَّهْو؛ وكهذا البيت:

مَتَى تَنْزِلُ الْأَمْلاكُ بِالْوَحْيِ بَعْدَهُ عَلَيْنَا إِذَا مَا اللَّبْسُ فِينَا تَرَدَّدَا

لأنَّ الأملاك جمع ملك بالكسر، وهو يريد الملائكة، ثم إنَّ الذي كان ينزل كان جبريل وحده لا جمع من الملائكة.

وتُعزى له ثلاثة نونيَّة أنشدها ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب»^(١)، أربعة أبيات أولها:

أَلَا انْعَجِ النَّبِيُّ إِلَى الْعَالَمِينَا جَمِيعًا، وَلَا سَيِّمًا الْمُسْلِمِينَا

وابن شهر آشوب هو أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، أحد شيوخ الشيعة، قال ابن أبي طي: نشأ في العلم والدراسة، وحفظ القرآن وله ثمان سنين، واشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثم تفقَّه وبلغ النهاية في فقه آل البيت، ونبغ في علم الأصول حتى صار رُحَلَةً، كان بمنزلة الخطيب عند أهل السنة، وكيعي بن معين في معرفة الرجال، كان كثير الخشوع والعبادة والتهجُّد، لا يجلس إلا على وضوء، توفي سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمئة، وعاش مئة سنة^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ١/١٣٢.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ١٢/٨٦٠ (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ)؛ وطبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأندروي ص٢٠٤ (تحقيق سليمان الجزري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١/١٩٩٧م).

ورجل هذه حاله جديرٌ بالوثوق به في رواية الشعر، وخصوصاً إذا جمعنا إلى ذلك خلوة المرثية من آثار التشيع.

لكن في المرثية ما يدعو إلى القول بتأخرها وهو قوله:

أَلَا ائِجِ النَّبِيَّ لِأَصْحَابِهِ وَأَصْحَابِ أَصْحَابِهِ التَّابِعِينَ

لأن مصطلح «التابعين» متأخر عن جيل الصحابة^(١)، أضف إلى ذلك تفرد ابن شهر آشوب بها، وأنها قصيرة قصرًا لا يدعنا نُبصر في ثناياها خصائص شعر كعب.

٢

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

هل يسوغ لنا أن نسأل فنقول: هل كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه شاعرًا؟ أجل، بل يحق علينا؛ لأن الجواب الشافي عن هذه المسألة سيكون اللبنة الأولى القائم عليها بُنيان القول في المرآي النبوية المنسوبة إلى هذا الإمام الراشد.

يقول الدكتور سركين: «تجنب مؤلفو الطبقات - بصفة عامة - أن يصفوا عليًا بأنه شاعر»^(٢). وكتب الطبقات إن هي إلا جزء يسير في كتب التراث، فلا يكفي إغفالها أن نسلب عليًا ملكة الشعر؛ على أن عبد القادر البغدادي نقل: «قال المازني: إنه لم يصح أنه عليه السلام - تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين - وصوبه الزمخشري - وهما:

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ تَمَنَّانِي لِتَقْتُلَنِي فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرُّوْا، وَلَا ظَفِرُوا

فَإِنْ هَلَكْتُ قَرَهُنَّ ذِمَّتِي لَهُمْ يَدَاتِ وَدَقْنِي لَا يَعْقُو لَهَا أَثْرُ»^(٣)

(١) انظر: مرآي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد علي ص ٤٩.

(٢) تاريخ التراث العربي، للدكتور فؤاد سركين مج ٤، ٢٩١/٦.

(٣) خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي ٩٦/٦-٧٠ (تحقيق وشرح عبد السلام

محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤/١٤١٨هـ).

وقول المازني وتصويب الزمخشري مدفوعان بشعر صحيح آخر ثابت لعليّ سوى هذين البيتين سأورد بعضه بعد قليل.

وكان ابن هشام حكى غير مرّة أنّ قومًا من أهل العلم بالشعر لم يعرفوا شعرًا منسوبًا لعليّ رضي الله عنه^(١)، أو شكّوا في أمره^(٢). ولما هذّب «سيرة ابن إسحاق» أعرض عن قصيدة لعليّ في رثاء أبيه، وجدّتها في القطعة الناجية من «السيرة» الأصل لابن إسحاق، ومطلعها:

أَرَقْتُ لِتَوْجِ آخِرِ اللَّيْلِ عَرْدًا أَبَا طَالِبٍ مَمْنُوعِي الصَّعَالِيكِ ذَا التَّدَى^(٣)

ونغم ما فعل؛ فالقصيدة مفتعلة خاوية، ومع ذلك لا نعدُّ فعلَ ابن هشام، ولا نعدُّ صرفَ أهل العلم بعض القصيد عن عليّ؛ سببًا كفيلاً بإخراجه من زمرة الشعراء.

لقد كان عليّ يقرض الشعر، لا قرض عربيّ يقول بفطرته البيتين والثلاثة، بل قرض شاعر خبير بالشعر بصير بتصاريفه، وها أنا أعيد كرّةً أخرى ذلك الخبر الذي رواه الرّازي عن الشعبيّ قال: «كان أبو بكر وعمرُ شاعرين، وكان عليّ أشعر منهما»^(٤)، إن الوصف بأفعل يفيد مقدارًا زائدًا من الإجابة والعناية والمعرفة.

وفي كتاب «الأغاني» خبرٌ كهذا نافعٌ في إثبات أصل الشعر لعليّ: «عن محمد بن سيرين قال: كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثة رهطٍ من قريش: عبد الله بن الزّبيّري، وأبو سفيان ابنُ الحارث، وعمرو بن العاصي، فقال قائل لعلي بن أبي طالب - رضوان الله عليه: اهج عنا القوم الذين قد هجّونا، فقال عليّ رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله ﷺ فعلت. فقال

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ١١٧/٣، ١٦٥/٣، ١٩٦/٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية ٤٩٧/٢.

(٣) انظر: السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق بن يسار ص ٢٢٤ (تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، تونس ١٣٩٦هـ)، وأصل هذا الكتاب قطعة فريدة من المخطوطة المفقودة، مصورةٌ بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٣٢٤ عن الأصل المحفوظ بمخزّنة جامعة القرويين بفاس برقم ٢٢٠/٨٠.

(٤) الزينة في الكلمات الإسلامية، لأبي حاتم الرازي ص ١١٧.

رجل: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجوَ عنا هؤلاء القوم. قال: « ليس هناك » أو: « ليس عنده ذلك »، ثم قال للأَنْصار: « ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسولَ الله ﷺ بِسَلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ »، فقال حَسَّان بن ثابت: أنا لها...^(١). فَمِن البدهاة أَنه لَن يُطلب إلى رجلٍ لِيُرَادَ ثلاثة من الشعراء وهو ليس بشاعر. أما جوابُ النبي ﷺ فكأنه يعني أن عليًّا لا يحسن الهجاء، أو لَن يحسن الهجاء لقرابته ونسبه القرشيّ؛ إذ كيف سيذمُّ أهله وعشيرته؟ أو أنّ شعره لا يكافئ شعرهم.

والظنُّ بعليّ أَنه شاعرٌ مُقلٌّ، مقصّرٌ في الشعر؛ فقد « استشهد أبو عُبيدة في «مجاز القرآن» بيت له، وفوق هذا فقد ذكر أبو عُبيدة عن شيخه يونس بن حبيب أن عليًّا وعمر وعثمان لم يؤلّفوا قصائد، ولكن لهم أبيات مفردة»^(٢).

إلا أن عليًّا رجّازٌ مكثّر، وهو في طبقة كبار الرّجّازين؛ مصداق ذلك اقتصارُ نصر بن مزاحم المينقرّي على رواية أبيات قليلة وقصيدة واحدة من شعر عليّ في كتاب «وقعة صيفين» كقوله من بيتين:

سَمَحْتُ بِأَمْرٍ لَا يُطَاقُ حَفِيظَةً وَصَدَقْنَا، وَإِخْوَانُ الْحِقَاطِ قَلِيلُ^(٣)
وقوله حين صدر من صيفين:

وَكَمْ قَدْ تَرَكْنَا فِي دِمَشَقٍّ وَأَرْضِهَا مِمَّنْ اشْمَطَ مَوْثُورٍ، وَسَمَطَاءَ تَأْكِلِ

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني ١٣٧/٤.

(٢) تاريخ التراث العربي، للدكتور فؤاد سزكين، المجلد الثاني ٢٩١/١، والبيت في مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى ١٥٩/٢ (عارضه بأصوله وعلّق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة)، ولكن لم أدر من أين نقل الدكتور سزكين كلمة يونس تلك؛ إذ لم يشر إلى مصدر.

(٣) انظر: كتاب وقعة صيفين، لنصر بن مزاحم المينقرّي ص ٣٠٨ (تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١٤٠١/٣هـ).

أربعة أبياتٍ فحسب^(١). وعلى النقيض من ذلك روى نصرٌ لعليٍّ رَجَزًا غزيرًا كثيرًا، منطلقًا لا اعوجاج فيه، كأنه الخيل تركض بمضمارها، وهو ربما طَوَّل في الرجز ككلمته التي يقول فيها:

إِنِّي إِذَا التَّمْتُ دَنَا وَحَضَرَا
شَمَّرْتُ نُوْبِي وَدَعَوْتُ قُنْبَرَا
قَدِمَ لِوَائِي لِأَ تُوَجِّرُ حَدْرَا
لَنْ يَذْفَعَ الْحِدَارُ مَا قَدْ قُدِّرَا^(٢)

ومن رجزه قوله في كتابٍ إلى معاوية:

فَلِإِنِّ لِلْحَرْبِ عَرَامَا شَرَرَا
إِنَّ عَلَيْهَا قَائِدَا عَشْتَرَرَا
يُنْصَفُ مَنْ أَجْحَرَ أَوْ تَنَمَّرَا
عَلَى نَوَاحِيهَا مِرْجَا رَنْجَرَا
إِذَا دَنَيْنَ سَاعَةً نَعَشَمَرَا^(٣)

وقوله:

قَدْ عَلِمَتْ ذَاتُ الْقُرُونِ الْعِيْلِ
وَالْحَضِرِ وَالْأَنَامِلِ الطُّفُولِ
أَنِّي بِفَضْلِ السَّيْفِ حَنْشَلِيلُ
أَخِي وَأَزْيِي أَوْلَ الرَّعِيْلِ
بِصَارِمِ لَيْسَ بِيذِي قُلُولِ^(٤)

(١) انظر: وقعة صفين ص ٤٩٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٤٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٥٩.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٤٠٧.

وقوله مبارزًا مفتخرًا:

أَنَا عَلِيٌّ وَابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
نَحْنُ لَعَنُ اللهِ أَوْلَى بِالْكُتُبِ
مِنَّا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى غَيْرُ كَذِبِ
أَهْلُ اللَّوَاءِ وَالْمَقَامِ وَالْحُجُبِ
نَحْنُ نَصْرُنَاهُ عَلَى جَلِّ الْعَرَبِ
يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْغَرِيبُ الْمُنتَدِبِ
أُنْبِثْ لَنَا أَيُّهَا الْكَلْبُ الْكَلْبِ^(١)

أحببت أن أظهر - حين أكثر المثل - كيف يفترُّ نعرُ العربيِّ الأوَّل برجز فخيم جزيل، لائق في تصوُّر العقول بأمثال الفارس الجلمود علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

وإذن، فما عليٌّ إلا راجز، راجزٌ من الطراز الرفيع، ولا شعر له يُذكر إلا الأبيات العزيزة النادرة كالتي سلف بعضها، وكالتي رواها أبو حاتم الرازي حين قال: « ويروى لعلي - عليه السلام - شيءٌ هو منحولٌ، والذي يجوز أن ينسب إليه مثل ما روى أن معاوية قد كتب إليه كتابًا يُظلمه فيه، فأجابه عنه، وكتب في الجواب بأبيات شعر... » فذكر أبيات وعظ يسيرة^(٢).

وهذا حكم مقبولٌ في جنب علي الذي لم يكد يضع لأمة الحرب مدَّة حياته، وهل الرجز في غالب أمره إلا حماسةٌ فائرة تغلي في صدور الشُّجعان، فتضرب بها مع السيوف ألسنتهم على ذلك النذير القديم الموقَّع (مستفعلن)؟ الرجز بحر الحرب، وكان عليٌّ فتي الحرب.

إذا بلغنا هذا المبلغ، فما شأن ديوان يُنسب إلى علي رضي الله عنه يفيض بالشعر، ولا

(١) انظر: المصدر السابق ص ٢٧٤، ٢٧٣، وانظر أيضًا: ص ١٣٦، ١٣٧، ١٥٩، ٢٧٣، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٢٤، ٤٦٠.

(٢) انظر: الزينة، لأبي حاتم الرازي ص ١١٧.

ترى فيه رجلاً إلا رجلاً قليلاً؟

لقد سرد مؤلف «أعيان الشيعة» سرّداً لجامعي ديوان عليّ، وهم:

١. أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلوديّ، المتوفى بعد سنة ثلاثين وثلاثمئة.
٢. عليّ بن أحمد النيسابوري الفنجكرديّ، القريب عصره من عصر السيد الرضى.
٣. القطب الكيدريّ المتوفى بعد سنة ست وسبعين وخمسة^(١)، جمعه مرتين، مرّة اقتصر على الآداب والحكم، وسماه: «الحديقة الأنيقة»، ومرّة سماه: «أنوار العقول من أشعار وصيّ الرّسول».
٤. أبو عبد الله المرزباني، المتوفى سنة أربع وثمانين وثلاثمئة.
٥. أبو البركات، هبة الله ابن الشّجريّ.
٦. بعض القدماء استخرجه من كتاب ابن إسحاق.
٧. القاضي القضايعيّ محمد بن سلامة المغربي المتوفى سنة أربع وخمسين وأربعمئة، لكنه لم يجعله كتاباً مستقلاً.
٨. سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص».
٩. محسن الأمين مؤلف «أعيان الشيعة» نفسه.

ثم قال محسن الأمين: «ولكنّ هذه الدواوين التي جمعها من ذكرناهم من شعره - عليه

(١) هذا التاريخ موهم؛ فقد صرّح في موضع آخر بأن الكيدريّ توفي بعد سنة ٦١٠ (أعيان الشيعة، لمحسن الأمين ٢٥٠/٩، دار المعارف، بيروت، ١٤٠٣هـ)، وسنة ٥٧٦ هي تاريخ فراغ الكيدريّ من شرح نهج البلاغة كما صرّح في: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأقازيرك الطهراني ٤٣٣/٢ (دار الأضواء، بيروت)؛ وربما رام المؤلف إعادة الكتاب المذكور إلى أقدم زمن ممكن، وهذه طريقة لا تخلو من تدليس، لا تحسن بأهل العلم.

السلام - لا يوجد منها بأيدينا اليوم سوى نسخة واحدة طبعت مرارًا في عدة أماكن والظاهر أنها هي التي جمعها علي بن أحمد النيسابوري^(١).

قلت: لا دليل على أن نُسَخَ الديوان المنتشرة الآن من جمع النيسابوري المذكور، كما أنه ليس لها أصل مخطوط يُرجع إليه. بل لعل أصل هذه النسخ الرَّائِجَةُ من ديوان علي ما أسماه القطب الكيدري: «أنوار العقول من أشعار وصي الرسول»^(٢)، ولكن ناشري هذا الديوان، على اختلافهم، لا يذكرون أصولهم التي اعتمدوا عليها، وكأن بعضهم يأخذ من كتاب بعض، فغادروا لنا عملاً لا يُمْتُّ إلى العلم أو الصدق بصلة، ولا يصحُّ التعويل عليه عند أهل التحقيق والعلم^(٣).

ثم إن هذا الذي سرده الأمين لا يجوز فيه اسم (الديوان) بمصطلح أصحاب الفن؛ فديوان شاعرٍ من المتقدمين خصوصًا يُسَمَّى ديوانًا إذا رواه روايةً من أهل العلم معروفون بصناعة هذه الدواوين، ولهم الطرق المعروفة والعلمُ بكلام العرب، أمّا ما عدا ذلك كالذي أحصاه مؤلف «أعيان الشيعة» فتلفيق من بطون الكتب يفعله كلُّ أحد حتى من المتأخرين، وليس بأصل يُصار إليه. واسمُه إذ ذاك مجموع شعر لا ديوان. وقد فهم هذا الفهم صاحبُ النسخة الوحيدة من هذا (الديوان) فلم يسمِّه ديوانًا ولكن سمَّاه: «أنوار العقول من أشعار وصي الرسول»، وعليه، فنحن لم نرَ ديوانًا لعلي - رضوان الله عليه - حتى يوم الناس هذا، وإنما هي مجاميع ومنتخبات، أضف إلى ذلك أن كلَّ أولئك الذين ذكرهم صاحب «أعيان الشيعة» لم يبلغنا ما جمعه من شعر علي إلا ما جمع القطب الكيدري، فرجعنا إلى «أنوار العقول»

(١) انظر: أعيان الشيعة، لمحسن الأمين ١/٥٤٩-٥٥٠.

(٢) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأقابر زك الطهراني ٢/٤٣٣.

(٣) من أمثلة هذه النشرات: نشرة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (دار ابن زيدون، بيروت)، ونشرة الدكتور علي مهدي زيتون (دار الجليل، بيروت، ط ١/١٤١٦)، ونشرة محمد عبد الرحمن عوض (دار الكتب العلمية بالقاهرة)، ونشرة مؤسسة الأعلمي ببيروت.

كثرة أخرى^(١).

وإذا كنا لا نتق في هذه الدواوين المطبوعة المُدعاة، وكان لا حُجَّة في هذه المجاميع التي أوردها الأمين، ولا وجود لها؛ فإنه لا مناص من النظر في المجموع الوحيد الباقي من هذه الكتب المجموعة.

جامع هذا الكتاب هو قطبُ الدين الكيدري البيهقي المتوفى بعد سنة عشر وستمئة^(٢)، شارح نهج البلاغة بشرح سَمَاء «حدائق الحقائق». والكتاب مُرتبةٌ قوافيه ترتيب حروف الهجاء، ومنه نسخ كثيرة، أقدم ما رأى صاحب «الذريعة» منها نسخة المولى محمد علي الخوانساري التي ترجع إلى سنة سبع وثمانمئة، قال: «وهي أقدم النسخ كتابةً»^(٣). ولكن يبدو أن الإربلي المتوفى سنة ثنتين وتسعين وستمئة سمع عن هذا الكتاب ولم يره؛ فقد قال: «وأما علي - عليه السلام - فقد ذكر الرواة أن له ديوانًا»^(٤).

(١) عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي المتوفى بعد سنة ٣٣٠ الذي ذكره صاحب «أعيان الشيعة» في مقدّم جامعي ديوان عليّ ترجم له أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (رجال النجاشي) ٥٤/٢-٥٥، تحقيق محمد جواد النائيني، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٨هـ)، ولعل اعتماد صاحب «أعيان الشيعة» في ذكر ديوان عليّ منسوب للجلودي أن النجاشي ساق أسماء عشرات الكتب للجلودي مثل: «كتاب ما كان بين علي - عليه السلام - وعثمان من الكلام، كتاب مقتله - عليه السلام، كتاب قسمه، كتاب الدعاء عنه، كتاب الشراب وصفته وذكر شرايه، كتاب الأدب عنه، كتاب الطهارة عنه، كتاب الصلاة عنه، كتاب الصيام عنه..»، ومنها: «كتاب شعر علي - عليه السلام -» ومن الواضح أن المراد بالكتاب من هذه الكتب (الفصل) بقسمة المعاصرين. وهذه طريقة القدماء في التصنيف. ولا تعني أن الجلودي وضع (ديوانًا) لعليّ قَطُّ، إنما هي شواهد لم تبلغنا. أو أن صاحب «أعيان الشيعة» اعتمد في ذلك على ترجمة الجلودي في الذريعة (٤٤٣/٢)، أو على ما جاء في مقدمة «أنوار العقول» (مخطوطة أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، المنسوب لعلي بن أبي طالب، ورقة ٢، ٣، مصورة بمكتبة الإسكندرية عن المكتبة البريطانية ٦٥٧٨ ٢/OR) ولكنه على كلٍّ لم يفصح عن مصادره.

(٢) انظر: أعيان الشيعة ٥٠/٩.

(٣) الذريعة ٤٣٣/٢.

(٤) التذكرة الفخرية، للإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح ص ٤٤ (تحقيق الدكتور نوري حمودي القيس والدكتور حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ).

أما المخطوطة التي بين يدي فمنسوخة سنة ١١٧٧هـ، وأصلها محفوظ بالمكتبة البريطانية^(١)، وهي النسخة المتداولة؛ فقد قابلت عليها مخطوطة أخرى لا تفترق عنها محفوظة بجامعة طهران^(٢). وهالك جملاً من مقدّمة جامعته بحروفها، وهو أعلم الناس بحال كتابه:

قال: «وقد كنت على قديم الدهر ظفّرت بمجموع من أشعاره الجامعة، من جلائل الكلم، وعقائل الحكم، نحو مثني بيت جمعها الإمام أبو الحسن الفنجركردي - رحمه الله - فأنست بذلك، واجتهدت في اقتناص شوارد على ما فيه، زوائد... إلى أن عثرت بمجموع آخر أبسط منه باعاً، وأرحب ذراعاً، وإن لم يكن شمل الكل... قد استخرج بعضها من كتاب محمد بن إسحاق وغيره من العلماء، والتقط بعضها من متون الكتب مما وجد منسوباً إليه؛ فاقترح علي بعض الإخوان أن أجرد من المجموعين ما اختص بالأدب والمواعظ والحكم والعبير دون ما ذكر في سائر الأغراض، فأسعت سؤله، وحققت مأموله، وسميت المجموع بالحديقة الأنيقة». ثم وقع لي بأخرة مجموع من أشعاره رضي الله عنه جمعه السيد الجليل أبو البركات هبة الله بن محمد الحسيني، فلم أجد فيه كثيراً مما وصل إليّ، وإن كان قد أورده أحياناً شردت مني، وشدّت من يدي، وكنت في خلال ذلك أجد في الطلب، وأدأب كل الأدب أتفحص كتب التواريخ والسير، والتقط ما أوقف عليه من الغرر والدرر، مسنداً أو مرسلأً، مقيداً أو مبهماً؛ إذ كان غرضي أن أنظم أفرادها، وأجمع آحادها، فلذلك: لست أدعي أن كل فلق فيه سمع من فلق فيه، وأنه رضي الله عنه قطعاً وقيئناً ناظمه ومنشئه، بل في كثير منه أخذ بالظن والتخمين، إذ من الشذر في مثله الحكم باليقين، فإن ورد على امرئ ما يريبه فحسبه من الكلام طيبه... ورأيت أن أيسم هذا المجموع بأنوار العقول من أشعار وصي الرسول^(٣).

(١) مخطوطة ديوان علي بن أبي طالب = أنوار العقول من أشعار وصي الرسول (المكتبة البريطانية).

(٢) مخطوطة أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، المنسوب لعلي رضي الله عنه (ضمن مجموع المعراج الرازي، جامعة طهران، المكتبة المركزية ١٠٣٥، مصورة بمكتبة الإسكندرية، ومعهد المخطوطات العربية برقم ٤١).

(٣) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ٢ - ٣.

ألا ما أشقَّ ما حَمَلَ النَّاسَ أولئك الذين أسقطوا من نشراتهم هذه المقدّمة ١ وما أظلمهم ١
ولعمري، لقد تَبَرَّأَ جامعُه براءة المتأثّم المرتاب، وإنَّ هذه الكلمات عذرٌ له مما في الكتاب من
نحلي أو وضع أو اضطراب. ونحن نستنبط من هذه المقدمة فوائد فاصلة:

١. أن الألفاظ المترادفة التي أكّد عليها الجامع مثل: «أستخرج، وألتقط، وأجدُّ في
الطلب، وأتفحص»، وتكراره أن الكتاب «مجموعٌ» على «مجموع» غيره؛ كل ذلك
بيانٌ من صاحبه أنه ليس بديوان يُعتمد عليه ويصدر عنه.

٢. بل إن الرجل كان يُنقَر في الكتب، شأن المتأخرين، من غير ما إسناد ولا رواية.

٣. وهو لم يبنه على التوثق والدقّة، وإنما في «كثير منه آخذ بالظنّ والتخمين».

٤. وكان غرضه الأول الجمع والضمّ والتكثُر، من غير أن يمحصّ أو يميّز أو يدقّق.

ولقد انجلت هذه المقدمة عن سقوط الكتاب، وخفّفته في ميزان التوثيق، وهذا شيءٌ
علّمه جامعُه، وحاك في نفسه فقال: «فإن ورد على امرئ ما يريبه فحسبه من الكلام طيّبه».
وفي ذلك يقول بروكلمان: «من المشكوك فيه كثيرًا اشتمال الديوان المنسوب إليه
على أشعارٍ صحيحة، فقد وضّح اختراع الشيعة له وضوحًا بيّنًا حتى أدركه النقاد من
أهل السّنة»^(١).

ويقول بلاشير: «نسبت إليه مقطوعاتٌ شعريّة. ولا يسعنا إلا اعتبار هذه الآثار من

(١) تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان: القسم الأول ٢٣٤/١ (أشرف على الترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي،
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م)، وانظر أيضًا: حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، لعلي فهمي
الموستازي ١٢٠/١ (دار سعادت، إسطنبول ١٣٢٤هـ) الذي قال: «قيل: إن الديوان المنسوب لعلي... إنما هو للشريف
المرتضى...»، وفي بروكلمان (٢٥٣/١) أن فهرس الفاتيكان نسَبَ تأليف الديوان إلى سعدي بن تاجي. وانظر أيضًا
مادة (ALI B. ABI TALIB) في: THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, v.1, p385، وأيضًا: عبقرية الإمام (ضنن مجموع: إسلاميات) لعباس محمود العقاد ص ١١٤-١١٥ (دار المعارف، ط ١٩٨٥م).

صنع الشيعة في العصور المتأخرة. ويبدو أن تلك الأشعار اعتمدت لإعادة الاعتبار إلى الشعر^(١)، وبنحوه علّق الميمنيُّ فقال عن الديوان: «وهو منحول مختلق، وأكثر شعره إمّا من ديوان أبي العتاهية، أو بعض العلويين من آله، أو غيره، من غائر الشعر؛ أو شعرٌ سخيّف البنية، ركيك التركيب، خبيث المغزى، من وضع جهّال الزنادقة، اللهمّ إلا ما صحّ منه وهو نزر يسيرٌ جدًّا»^(٢).

وعليه، فلن نجعل هذا المجموع المتهاافت عمدةً في توثيق المرآتي النبويّة المنسوبة فيه إلى علي رضي الله عنه. بل سنأخذ في التوثيق أخذنا في هذا الكتاب بتتبّع كل مرثية على حدة مادامت الحال كذلك.

إحدى هذه المرآتي المنسوبة إلى علي مرثيةٌ مطلعها:

أَمِنْ بَعْدِ تَكْفِينِ النَّبِيِّ وَدَفْنِهِ بِأَنْوَابِهِ آسَى عَلَى مَيِّتِ تَسْوَى^(٣)

وهي مرثيةٌ تظهر عليها أماراتٌ للضعف، أبرزها الدعوة إلى الإمامة على مذهب الشيعة في قوله:

وَيَطْلُبُ أَقْوَامٌ مَوَارِيثَ هَالِكٍ وَفِينَا مَوَارِيثُ الثُّبُوتِ وَالْهَدَى

ومسألة الإمامة «الأصل الذي قامت عليه نظريتهم السياسية في الحكم: إرث الخلافة عن رسول الله، وعدم خروجها عنهم إلا بظلم أو تقيّة»^(٤)، وإذا أنت قابلت البيت بنظيره في «كتاب الزّهرة» رأيت لفظه «ولله» مكان لفظه «فينا»^(٥) آيةً على التلعب، وتعصّباً للمذهب

(١) تاريخ الأدب العربي، لبلاشير ص ٢٤٠ (ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق ١٤١٩هـ).

(٢) إقليد الخزانة أو فهرس عناوين الكتب التي رجع إليها أو أخذ عنها عبد القادر البغدادي في خزنة الأدب، لعبد العزيز الميمني ص ٥٧ (جاسعة البنجاب، لاهور ١٩٢٧م).

(٣) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ٤.

(٤) مرآتي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ٤٥.

(٥) الزّهرة، للأصهباني ٥٠٧/٢، وارجع إلى الفروقات.

والطريقة.

ومن أمارات ضعفها تكرار العاجزين المستعصية عليهم مقاليد البيان - وما أبعد عليًا من ذلك ١ - كقوله مكرراً الفاء و «قد»:

فَقَدْ غَشِيَتْنَا ظُلْمَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ نَهَارًا، فَقَدْ زَادَتْ عَلَى ظُلْمَةِ الدُّجَى
فَيَا خَيْرَ مَنْ صَمَّ الحِجْوَانِجَ وَالْحَشَا ...

وهو تكرار يحدث انقباضاً في النفس خصوصاً وهو يدعى لآية من آيات اللسان العربي، علي رضي الله عنه.

ومنها المعاني الهينة، والتصوير المتكلف، كقوله:

كَأَنَّ أُمُورَ النَّاسِ بَعْدَكَ ضَمِينَتْ سَفِينَةٌ نُوجِ البَحْرِ وَالبَحْرُ قَدْ سَمَا
وانظر إلى لفظة «تلك» في هذا البيت:
فَلَنْ يُسْتَقِيلَ النَّاسُ تِلْكَ مُصِيبَةً وَلَنْ يَجْتَبِرُوا العَظَمَ الَّذِي مِنْهُمْ وَهَى
إنها مثال على الضعف والتأخر.

ولو قرأ قارئ القصيدة جملة واحدة راعه منها تبرؤ بعض أبياتها من بعض، ووجدها لا يقرب بينها إلا كمثل حرف الفاء القلق وهو يتردد من غير داج في الأبيات: الثالث، والخامس مرتين، والسادس، والعاشر.

وكان القول قد مضى على أن علياً راجزاً أكثر منه شاعراً، فمما يضيف هذه القصيدة لفقاً بما مرّ كونها من الشعر لا من الرجز. وينسبون إليه أبياتاً منها:

مَا قَاصَّ دَمْعِي عِنْدَ نَائِبَةٍ إِلَّا جَعَلْتُكَ لِلْبُكََا سَبَبًا^(١)

(١) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ٦.

وهي لأبي مُحَلِّمٍ محمد بن هشام الراوية التميمي ثم السعدي، المتوفى سنة خمس وأربعين ومثنتين وهو أعرابي، « قال ابن السكيت: كان رافضياً »^(١). قلت: في هذا إشارة ما إلى اختيار الناحل إياه دون غيره. وقيل: بل الأبيات لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف^(٢).

وينسبون إلى عليٍّ مرثيةً تقطر لوعةً وألماً، مطلعها:

نَفْسِي عَلَى زَفْرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَاتِ^(٣)

وهي ليست لعليٍّ لما رواه أبو الفرج الأصفهاني في «الإمام الشواعر» قال: « حدثني جعفر بن قدامة وجحظةٌ قالا: أنشدنا هبة الله بن إبراهيم المهدي، قال: أنشدني أبي لعنان جارية النطافي، وفيه لحنٌ عُليَّةٌ من خفيف الثقليل؛ حدثني بذلك بعض عجانزنا. قال: كنت أسمع هذا الصوت في دارنا منسوباً إلى أبي حتى غنَّته (ريقٌ) يوماً، وأخبرتني أنها أخذته من عُليَّة بنت المهدي :

نَفْسِي عَلَى زَفْرَاتِهَا مَوْقُوفَةٌ قَوَدِدْتُ لَوْ خَرَجَتْ مَعَ الْحَسَرَاتِ
لَوْ فِي يَدَيَّ جِسَابٌ أَيَّامِي إِذَنْ خَطَرْتُهُمْ تَعَجُّلاً لِيَوْقَاتِي
لَا خَيْرَ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي تَحَاقَّةً أَنْ تَطْوَلَ حَيَاتِي^(٤)

هذا الرثاء اللين المشوب بالعشق لعنان الجارية المتوفاة سنة ستٍ وعشرين ومثنتين؛ نحلّه مفترٍ عليّاً، ثم ألصق به هذا النداء السَّمَّجَ الغليظ سعيّاً وراء الولاية:

(١) الواقي بالوفيات، للصفدي ٤٧/١.

(٢) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه، ونسبها الزمخشري إلى معقل بن عيسى العجلي أو إلى علي في: ربيع الأبرار وفصوص الأخبار ١٦٤/٤ (تحقيق عبد المجيد دباب، دار الكتب المصرية ١٤٢٩هـ).

(٣) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ١١.

(٤) الإمام الشواعر، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في ص ٤٥ (تحقيق الدكتور جليل العطية، دار النضال،

يَا أَيُّهَا الدَّاعِي وَمَنْ بِهِ كَشَفَ الْإِلَهَ زَوَاكِدَ الظُّلُمَاتِ
أَطْلِقْ، فَدَيْتُكَ، لَابِنِ عَمِّكَ أَمْرَهُ وَارْمِ عِدَائَكَ مِنْهُ بِالْجَمْرَاتِ
فَالْمَوْتُ حَقٌّ وَالْمَيِّتَةُ شِرْبَةٌ تَأْتِي إِلَيْهِ فَبَادِرِ الرَّكَّوَاتِ

وكانهم كانوا يسعون إلى ديس الدعوة في كل مكان، وتحت أي غطاء، ولو كان الغطاء أبياتاً
أيسة أنثوية القائل والقوام، ثم لا يتورعون بعد ذلك من نسبتها إلى علي بن أبي طالب^(١).

وعزوا له أو لفاطمة الزهراء هذين البيتين في رثاء النبي ﷺ :

كُنْتُ السَّوَادَ لِتَاطِرِي قَبَّكَ عَلَيَّكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ^(٢)

وهما رثاء عباسي خالص رثاء إبراهيم بن العباس الصولي، المتوفى سنة ثلاث وأربعين
ومنتين؛ حدّث علي بن الحسين الإسكافي قال: « كان لإبراهيم ابنٌ قد يقع وترعرع، وكان
معجباً به، فاعتلّ علة لم تطل ومات، فرثاه مرثي كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً، فمما
رثاه به قوله... » فذكرهما^(٣).

وقد بان أن هذه المرثي المضافة إلى علي مسروقة من شعر الشعراء المُحدّثين في دولة بني
العباس، منتصف القرن الثالث. ولن يكون غريباً أن تكون المرثية التالية من نتاج تلك

(١) علي من أكثر من وضع على لسانه في تاريخ الأدب العربي (انظر في المنسوب إلى علي: تاريخ الأدب العربي
لبروكلمان ١٧٥/١-١٨٣، تحقيق الدكتور عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط ٥).

(٢) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ٤١.

(٣) ديوان إبراهيم بن العباس الصولي، صنعة ابن أخيه محمد بن يحيى ص ١٦٩ (تحقيق عبد العزيز
الميسي، ضمن الطرائف الأدبية، ط ١/١٩٣٧هـ) قال الميسي: ويرويان لأعرابية، ويرويان للفتح
ابن خاقان. والخير في الأغاني ٤٩/١٠، ومعجم الأدباء، لياقوت ١/١٧٧، ووفيات الأعيان وأنباء
أبناء الزمان، لابن خلكان أحمد بن محمد بن أبي بكر ٤٧/١ (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار
صادر، بيروت).

الأيام العباسية، وهي قوله من عشرة أبيات :

أَلَا ظَرَقَ الشَّاعِي بِلَيْلِ فَرَاعِي وَأَرَقَنِي لَمَّا اسْتَهَلَّ مُتَادِيًا^(١)

وأخطر ما يحملنا على الظنِّ بانتِحالها البيت الخامس منها:

وَكُنْتُ مَتَى أَهِيظُ مِنَ الْأَرْضِ ثَلْعَةً أَجْدُ أَثْرًا قَبْلِي حَدِيثًا وَعَافِيًا

فإنه بيت لزهير بن أبي سلمى^(٢). ويحملنا على هذا الظنِّ صورة فيها مطنبة إطنابًا مستغربا، وفيها

إعادة من إعادات المتشاعرين حين يقول واصفا النبي ﷺ:

جَوَادٌ تَشَطَّى الْحَيْلُ عَنْهُ كَأَنَّمَا يَرِنَنَّ بِهِ لَيْثًا عَلَيْهِنَّ صَارِيَا؛

مِنَ الْأَسَدِ قَدْ يَجْمِي الْعَرِيْنَ مَهَابَةً تَفَادَى سِبَاعَ الْأَرْضِ مِنْهُ تَفَادِيَا

شَدِيدٌ، جَرِيءُ الصَّدْرِ، نَهْدٌ، مُصَدَّرٌ هُوَ اللَّيْثُ مَعْدُوًّا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

ولا يوصف الأنبياء بمثل هذه الأوصاف، وإن وُصف بها كان ذلك تبعاً لوصفه بالرحمة والنور

والهدى، ولو قرأت في المرآتي النبوية الصحيحة - مثلاً - وجدتهم بيبكون رحمته وعطفه عليهم واحسانه

إليهم، ويبكون الوحي الذي انقطع عنهم بوفاته حديث السماء؛ أما أن يوصف بنفور الخيل منه لشدة

وبأسه، وأن سباع الأرض تتفاداه تفادياً فكلاً، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧]، ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[آل عمران: ١٥٩]، ومثل هذا يعلمه حتى العلم عليّ - رضي الله عنه - ويؤمن به .

(١) مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية) ورقة ٤١.

(٢) ديوانه بشرح ثعلب (دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ صورتها دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٣هـ).

٣

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

عُرف عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه بذائقة نقدية رفيعة، فقد كان رجلاً مُكثِّراً للشعر يُنشدُه، ودستنشدُه، ويحضُّ الناس على أن يعلموه أبناءهم^(١). ولكن هل كان عمر بن الخطَّاب شاعراً؟

لم يصحَّ أن الخليفة الفاروق كان يُقصد القصائد، ولكن من المعقول أن قريحته قد تجود بالنزر من الشعر استجابةً لأصوات الشعراء التي كان يتردَّد صداها في بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها، وعلى ذلك تُحمل نسبة مَنْ نَسبَه إلى الشعر كالشعبيّ في قوله: «كان أبو بكر وعمر شاعرين، وكان عليٌّ أشعر منهما»^(٢)؛ تُحمل على ذلك؛ لأن الشعبي قال بنفسه: «ولكن ليس يُروى لهما شعر يعتمد عليه؛ لأنهم لم يكونوا يقولون إلا الأبيات في أمور تعرض»^(٣)، ثم مثَّل الرازيُّ بمَثَل لندرة شعر عمر، فقال: «والذي عرفه الرواة لعمر بن الخطَّاب قوله:

مَتَى أَلَقَ زَيْبَاعُ بْنُ رَوْحٍ بَيْلَدَةً إِلَى التِّصْفِ مِنْهَا يَفْرَعُ السِّنُّ مَنْ نَدِمٌ»^(٤)

ولن تلقى من بعد إلا تردُّداً في نسبة شعر إلى عمر، فهذا ابن رشيقي - مثلاً - ينسب بيتين له ثم يقول: «ويروى للأعور الشَّيْءُ» شاكاً فيهما أن يكونا له؛ ثُمَّ يروي شعراً مضافاً إليه، يُتبعه بقوله: «وقد روي لورقة بن نوفل»^(٥).

(١) انظر في علاقة عمر بالشعر: تاريخ الأدب العربي (في العصر الإسلامي)، للسباعي السباعي بيومي ٣٢٩/٢-٣٣٥ (مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٢م).

(٢) كتاب الزينة، للرازي ص ١١٢.

(٣) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للحسن بن رشيقي القيرواني ٣٣/١ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت).

بل إن عمر كان قطع في هذه القضية برأيه هو لما أنشده مُتَمِّمٌ بن نُويرة مرثية في أخيه مالك، فغبطه عمر، وقال له، ولنا: «لو كنت أحسن الشعر لقلتُ في أخي زيد مثل الذي قلت في أخيك»^(١)؛ فما بال قصيدتين عينيتين منسوبتين لعمر بن الخطاب في رثاء النبي ﷺ إذن؟

القصيدة الأولى مستهله بهذا البيت :

مَا زِلْتُ مُذْ وُضِعَ الْفِرَاشُ لِجَنِيهِ وَتَوَى، مَرِيضًا، خَائِفًا أَتَوَّقِعُ^(٢)

وهي قصيدة مختلقة؛ لما تقدّم، ولتناقضها موقف عمر يوم الوفاة يوم تلجلج واضطرب، وأوعد الناس وأنذر، ووقف يصرخ فيهم: «ما مات رسول الله ﷺ، وإنما واعده الله كما واعد موسى، وليرجع رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم»^(٣)، فخرج عليه أبو بكر، وهو يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبي، فقام أبو بكر وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَكُنْ بِرَأْسِ اللَّهِ شَانِيئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال ابن المسيب: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فغقرت حتى ما ثقّلتني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها؛ علمت أنّ النبي ﷺ قد مات^(٤).

أفلا رجع صاحب القصيدة إلى خبر عمر المستفيض هذا، فحذف من قصيدته لفظه «أتوقع»؛ لأن عمر لم يكن يتوقع وفاته ﷺ، بل كان يتأوّل في ذلك؛ فقد أخرج الطبري بإسناده عن ابن عباس قال: «والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامدٌ إلى حاجة له،

(١) الاستيعاب ٥٥٣/٢.

(٢) انظر التخرّيج.

(٣) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لابن العربي المالكي، محمد بن عبد الله ص ٥٥ (دار الجيل، بيروت، ط ١٤١٤هـ).

(٤) انظر: صحيح البخاري ٨٩١/٢.

وفي يده الدِّرَّة، وما معه غيري، قال: وهو يحدث نفسه، ويضرب وَخْشِيَّ قدمه بَدْرَتَه، قال: إذ التفت إليَّ فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما حملني على مقالتي هذه التي قلت حين توفي رسوله؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين؛ أنت أعلم. قال: والله إن حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ فوالله إني كنت لأظنُّ أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت^(١).

والمرثية الأخرى مكذوبة كأختها، تَلَطَّف صاحبها لينظم المرويات عن عمر يوم الوفاة وما بعده في قالبٍ من الشعر، فما كان إلا غاصبًا، إليك شيء من تصنُّعه: روى الزهريُّ قال: «لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَمِتْ، وَلَكِنْ صُعِقَ كَمَا صُعِقَ مُوسَى، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَقَطَعَ أَيْدِي رِجَالِ وَأَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ...»^(٢)؛ فأخذ المستلب الخبير وصوره كأنما أراد الاعتذار لعمر، وأخذ خبيرَ عمر وابن عباس الذي سلف قريبًا؛ ثم مزجها مزجًا قصصيًا رديئًا يفضح تأخره ويشي به، فقال :

لَعَنَرِي لَقَدْ أَبْقَنْتُكَ أَتَّكَ مَيِّتٌ وَلَكِنَّمَا أَبْدَى الَّذِي قُلْتُهُ الْحَيُّعُ^(٣)
وَقُلْتُ: يَغِيبُ الْوَحْيِي عَنَّا لِفَقْدِهِ كَمَا غَابَ مُوسَى، ثُمَّ يَرْجِعُ كَمَا رَجَعَ
وَكَأَنَّ هَوَاتِي أَنْ تَطْوَلَ حَيَاتُهُ وَلَيْسَ لِحَيِّي فِي بَقَا مَيِّتِ طَمَعُ

ثم أومأ إلى تذكير أبي بكرٍ عمرَ بالآية الكريمة، وأن عمر ذكرها فصدَّق بما جاء فيها؛ فقال:

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٢١١/٣.

(٢) المغازي النبوية، للزهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله ص ١٣٣ (مستخرج حقيقه الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٤٠١هـ).

(٣) انظر تحريج القصيدة.

فَلَمْ تَكُ لِي عِنْدَ الْمُصِيبَةِ حِيلَةٌ أَرَدْتُ بِهَا أَهْلَ السَّمَاتِ وَالْقَدَعِ
 سِوَى إِذْنِ اللَّهِ الَّذِي فِي كِتَابِهِ وَمَا أَدَانَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِهِ يَقَعُ
 وَقَدْ قُلْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَقَالَةِ قَوْلَةً لَهَا فِي حُلُوقِ الشَّامِتِينَ بِهِ بَشَعُ
 أَلَا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ إِلَى أَجَلٍ وَاقَى بِهِ الْمَوْتَ فَاَنْقَطَعَ

وقصيدة كهذه لا تُشكّلُ البتّةُ تنقلها النقلة من العلماء، فالعجبُ لهم كيف أمرّوها،
 ورضوا بها في كتبهم!

٤

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ:

كان عمرو بنُ العاص رضي الله عنه أحدَ شعراء قريش، ولم يكن في قريش قبل الإسلام
 شعراً كثيراً، وكان عمرو قبل إسلامه يؤذي رسول الله ﷺ بشعره؛ فعن محمد بن سيرين قال:
 « كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثَةَ رهط من قريش: عبد الله بن الزبَيْرِ، وأبو سفيان بن
 الحارث، وعمرو بن العاصي »^(١).

ولعمرو في الإسلام أشعارٌ كثيرةٌ قالها في الحوادث التي ألمّت به أو ألمّت بها، وله رجز، وقرأ
 في كتابٍ مثل كتاب « وقعة صِفِّين » تجده زاخراً بشعرٍ لعمروٍ بعضه من بعض^(٢). وهذا ابنُ
 عبد البر يقول: « وكان عمرو بن العاص... شاعراً حسنَ الشعر، حُفظ عنه الكثير في مشاهد
 شتى »^(٣).

لكن الذي عليه النقادُ أنّ عمرو ليس من الفحول، وهم على أنه ليس من المُسقيّن

(١) الأغانى ١/١٣٧.

(٢) اقرأ مثلاً في وقعة صفين في ص ٣٩، ٣٤٥، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤١١، ٤١٨، ٤٧٢، ٥٥٠.

(٣) الاستيعاب، لابن عبد البر ٣/١١٨٨.

كذلك^(١)؛ ولذلك قال حَسَّان بنُ ثابتٍ لَمَّا سَمِعَ شعره: «هو عاقلٌ، وليس بشاعر»^(٢). وكان عمرو استعمله النبي ﷺ على عَمَّان، فلم يزل حتى أتاه الناعي نبأ الوفاة فأمَّض قلبه، وأشجاءه، وانفلت يبكي رسول الله ﷺ، فروى له الرواة مرَّاتٍ ثلاثًا: إحداهما قوله:

صَدَعَ الْقُلُوبَ مَقَالَةُ الْحَدَّانِي وَنَعَى النَّبِيَّ حَمِيصَةُ بَنُ أَبَانَ

وهي في كتاب «الرَّدة» لوثيمة بن موسى، صرَّح بذلك ابنُ سيِّد الناس في «مِنَح المِدْح»^(٣)، وقال ابن حجر: ذكر وثيمة في «الرَّدة» أن خميصة بن أبان الحدَّاني قدم من المدينة إلى عمان بوفاة النبي ﷺ، وقال لهم: تركت الناس بالمدينة يغفلون غَلْيَانَ القِذْر، وذَكَر قصَّةً طويلة، وفيها: فقال عمرو بن العاص: صدع القلوب مقالة الحدَّاني...^(٤).

ومن يكون وثيمة؟ قال في «بغية الملتبس»: «وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي، القَسَوِي، أبو يزيد. كان أصله من فارس، وخرج منها إلى البصرة، ثم سافر إلى مصر، وخرج منها إلى الأندلس تاجرًا. وصنف كتابًا في «أخبار الرَّدة» وجَوَّدَه، وعاد من الأندلس إلى مصر، وكُتِب عنه. ذكره أبو سعيد في «الغريباء»، وقال: إنه مات بمصر لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين ومئتين»^(٥).

وكتاب وثيمة هذا مفقود الآن، وهو كتابٌ ذائع الصِّيت في المشرق والمغرب، أقرب ما يدل

(١) انظر: عمرو بن العاص، لعباس محمود العقاد ص ١٨٤ (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).

(٢) من اسمه عمرو من الشعراء، لمحمد بن داود الجراح ص ١١٠ (تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الحانجي، القاهرة ١٩٦٧م).

(٣) انظر: مِنَح المِدْح أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أو رثاه، لابن سيِّد الناس، وقد تصحَّفت «ابن إسحاق» إلى «أبي إسحاق»، وفي الكتاب سوى هذه تصحيف كثير.

(٤) انظر: الإصابة ٣/٤٥٠.

(٥) بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن يحيى الضبي ص ٤٨٢ (دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م).

على ذلك أن صاحب «بغية الملتمس» الضبي المتوفى نهاية القرن السادس كان لم يزل ينعت كتاباً وثيمة بالتجويد. وهذا ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة يُكثر الاقتباس منه في «الإصابة»، ويعتمد عليه، ويلتزم قوله، حتى لقد جمع المستشرق هونرباخ الجذاذ الباقيّة المحفوظة منه في كتاب ابن حجر، فأفرد لها في كتاب صغير بقيّة كتاب وثيمة، ولا عجب في فعله إذا علمنا أن ابن حجر اقتبس من كتاب وثيمة عشر مراتٍ ومئة مرة^(١).

والمعنى أنه لن يؤول ناقدٌ نحريُّ كابن حجر هذا المآل الجَمَّ إلا إلى كتابٍ ذي شأن. وفي ذلك توثيق ابن حجر رواية وثيمة في فته التاريخ بالذات، وإعمال من هذا المحدث لمسألة الاختصاص في العلم.

وفي ذلك الثقة منا بهذه المروية.

وفي المروية الثانية مزج عمرو رثاء النبي ﷺ بمجدل الردّة؛ وذلك أنهم كانوا يرون حب الدين من حب النبي ﷺ، وأن الضرب على يد مانع الزكاة إن هو إلا وفاء لحق النبي الكبير عليهم، وأن رثاء النبي ﷺ يكون بالقول والأفعال، وهو بالأفعال أبلغ؛ فشرية محمد ﷺ في اعتقادهم شرية تنبض بالحياة وتعجُّ بالبذل والعمل. وعمرو في هذه القصيدة يُرادُّ قُرّة بن سلمة بن هبيرة القشيري، وكان يظنُّه من مانعي الزكاة، فيقول:

يَا قُرَّ إِنَّكَ لَا تَحَالَةَ مَيْتٌ	يَوْمًا، وَإِنَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ رَاجِعٌ
إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْهِ دَهْرًا فَاجِعٌ
فَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَدِينُنَا	دِينُ النَّبِيِّ، وَلِلرَّجَالِ مَصَارِعُ
لَيْسَ الْخَلِيفَةُ تَارِكًا لَزَكَاتِكُمْ	مَا دَامَ سَلْعٌ فِي الْبَسِيطِ وَقَارِعُ

وقد رواها وثيمة أيضًا عن ابن إسحاق في «الردّة»، صرح بذلك ابنُ سيد الناس في «منتح

(١) انظر: تاريخ التراث العربي، للدكتور سركين (العدوين التاريخي) المجلد الأول ٥٠٤.

المدح»^(١)، ووردت القصيدة في كتاب «الردّة» الآخر الذي نسبه محققه الدكتور الجبوري للواقدي، كأنه استكان إلى عزو صاحب «كشف الظنون» إيّاه للواقدي^(٢)، ولا يمنع أن يكون للواقدي كتاب في الردّة غيره، وإن قراءة لأوّل الكتاب تبدي لنا حقيقة مؤلفه، ففيه: «روى أبو القاسم عبد الله بن حفص بن مهران البردعي - أعزه الله تعالى - قال: حدثني أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي قراءةً عليه، قال: حدثني: أبو جعفر عبد العزيز بن المبارك، قال: حدثني نعيم بن مراحم المنقري، قال: حدثني محمد بن عمر بن واقد الأسلمي؛ وحدثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء القرشي عن محمد بن إسحاق بن يسار المطليبي، قال: حدثني الزهري [و] زيد بن رومان، وصالح بن كيسان، ويحيى بن عروة، عن الزبير بن العوام، ومحمود بن لبيد، وعاصم بن عمر بن قتادة كلٌ يذكر...» الكتاب^(٣).

وواضح أن لهذا الإسناد طريقين: طريق من ابن أعثم منته إلى الواقدي، وطريق منه آخر عن محمد بن إسحاق منته إلى الزبير بن العوام الصحابي الجليل، ومحمود بن لبيد من كبار التابعين، وعاصم بن عمر صاحب المغازي والسير، من هذين الطريقين نعلم أن مؤلف «كتاب الردّة» في صورته الأخيرة هو ابن أعثم الكوفي، وما الواقدي إلا مصدر من مصادره التي صدر عنها، بل لعل الطريق الثانية أجود من الطريق التي إلى الواقدي، فهي أعلى، وفيها صحابيٌّ كبير، وتابعيٌّ كبير، وصاحباً مغازٍ وسير، ولعلها هي الطريق التي رويت منها المرثية، مثلما مرّ منذ قليل من رواية وثيمة عند ابن سيد الناس.

ومن المحتمل أن يكون مؤلف «الردّة» روى بعض كتابه بإسناد، وروى بعضاً بإسناد آخر أو بأسانيد أخرى، فلم يصل كلُّ رواية بإسنادها، وإنما جمع أسانيد كلها في أول الكتاب،

(١) انظر: منح المدح ص ٢٠١.

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان «القسم الثاني» ١٨/٥، وانظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد فنديك ص ٦٥ (دار صادر، بيروت ١٨٩٦م)، وفيه بعض الكتب المنسوبة إلى الواقدي خطأ.

(٣) كتاب الردّة مع نبذة من فتح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني، المنسوبة لمحمد بن عمر الواقدي ص ٢٧-

٢٨ (تحقيق الدكتور مجي الجبوري، دار المغرب، بيروت ١٤١٠هـ).

وكانه يذكر مصادره، وهو ما يُعرف بالإسناد الجمعي، وهذه الطريقة معمول بها عندهم على قِلَّة، قال الزركشي في «النكت على مقدمة ابن الصلاح»: «بقيت حالة أخرى، وهو أن يكون قد روى بعضه عن جماعة، ورواه كُله عن غيرهم، فكيف يصنع؟ لم يتعرضوا له، وقد تعرض ابن الصلاح لشيء منه في الحادي العشرين، وهو موجود في رواية الزهري في حديث الإفك، وقد قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن أبي وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ... وكلُّ حدثي طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يُصدِّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض... وساق الحديث، وهو في الصحيح، وهذا يستعمله أهل المغازي والسِّيَر، ولا يُعلم منه القدر الذي رواه عن كل واحد من الذين حدَّثوه طائفة منهم»^(١). فهذا نصُّ فريدٌ من أحد الأئمة على هذا النوع الدقيق من مذاهب المؤرخين في الرواية.

وسواءً أجمعت القصيدة من طريق الواقدي، أم جاءت من طريق ابن إسحاق، أم من الطريقين كليهما؛ لا مندوحة من قبولها؛ لأنها صادفت - أيًا كانت الطريق - قومًا من أعلام التاريخ والرواية، وكلُّ أولي فنٍ أخبر بفنهم من غيرهم^(٢)، ولأن القصائد المروية في الكتاب مستقيمة لأول وهلة لا تكاد تختلف عن شعر الصدر الأول.

والمرثية بعد ذلك تشبه شعر عمرو شَبَّهاً يحملنا على اليقين أنها منه؛ فهي وجيزة، ومنذرة إنذار السيد العزيز، واسع لعمرو مخاطبًا قرّة بن هبيرة فيها:

إِنْ تَمَنَعُوهَا تَأْتِكُمْ مَبْثُوثَةٌ	فُجِّبَ الْبُطُونِ مِنَ الْفِجَاجِ ظَوَالِغُ
يَعْلُونَ مِنْ غُلْيَا هَوَازِنَ نَهْيَهَا	فِيهَا الْمَيِّئَةُ وَالسِّمَامُ التَّاقِعُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ لِكُلِّ سَاعٍ سَعْيَهُ	هَذَا لَعَنُ أَيْبِكَ أَمْرُ جَامِعُ

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر ٦٢٧/٢-٦٢٨ (تحقيق الدكتور زين العابدين بلا فريخ، دار أضواء السلف). وقد ذكره ابن الصلاح في العشرين لا في الحادي والعشرين.

(٢) اقرأ كلمة الذهب في ص ٥٠ من هذه الدراسة.

ألا ترى إلى هذه الحروف البليغة من حروف الأولين التي تتمتع على سواد الوضّاعين؟
ألست تسمع صوت عمرو فيها متهدّجاً بأنفاسه لا يجب إبطاء في أداء حق الرسول عليهم؟
ألست تسمعه صوتاً واثقاً عزيزاً عاليًا؟

ثم إن قصيدته هاتين نمط من الكلام واحد؛ يفتح عمرو فيهما باب الشعر بذكر اسم
رجل من الناس وسيلة للدخول إلى القصيدة، وللشعراء المذاهب في المطالع، وإيراد الأسماء
من مذهب عمرو في مطالع قصائده، فقد فتح في القصيدة الأولى بـ(خميسة)، وفتح في
الثانية بـ(قُرّة)، وفتح شعراً آخر له بنحو من ذلك، منه قوله:

إِنَّ عَمَّا وَحَاشِدًا وَبَكِيلاً كَأَسْوَدِ الصَّرَابِ لَأَقْتُ أُسُودًا^(١)
وقوله:

أَلَا لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ هِنْدٍ وَدَرُّ الْأَمِيرِينَ لَكَ الشُّهُودِ^(٢)
وقوله:

تَسِيرُ إِلَى ابْنِ ذِي يَزْنَ سَعِيدٍ وَتَتْرُكُ فِي الْعَجَاجَةِ مَنْ دَعَاكَ^(٣)
وقوله:

ظَارَ الْبَلَاءَ وَمَا يُرْجَى لَهُ آسٍ بَعْدَ الْإِلَهِ سِوَى رَفِيعِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤)
وقوله:

لَعَنَرِي لَقَدْ لَأَقْتُ بِصِقَيْنِ خَيْلِنَا سَمِيرًا فَلَمْ يَغْدِلُنْ عَنْهُ نَحْوَفًا^(٥)

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٧٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ١٧٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٤١١.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٣٨٤.

والأمثلة عدا ما مثلت به كثير.

وعزاء عمرو في مصابه بالنبي ﷺ واحدٌ في القصيدتين؛ عزاءه بقاء الدين الذي أوحى الله به إلى محمد:

أَوْ كَانَ قَدْ مَاتَ النَّبِيُّ فِدِينُنَا دِينُ النَّبِيِّ، وَمَا هَدَاهُ هَدَانِي
كَانَ النَّبِيُّ أَمَانَةً مَضْمُونَةً فِينَا إِلَى أَجَلٍ وَحَدٍ أَوَانٍ
فَارْتَدَّهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ رَدَّهَا هَذَا لَعْنُ أَبِيكَ فِي الْفُرْقَانِ
وإنك راء عزاءه هذا في مرثيته العينية:

إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَاجِعُ؛
فَاللهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَدِينُنَا دِينُ النَّبِيِّ، وَلِلرِّجَالِ مَصَارِعُ
وللشاعر في القصيدتين خاتمة لا تختلف:

فَارْتَدَّهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ رَدَّهَا هَذَا لَعْنُ أَبِيكَ فِي الْفُرْقَانِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ لِكُلِّ سَاعٍ سَعِيَهُ هَذَا لَعْنُ أَبِيكَ أَمْرٌ جَامِعُ

ثم إن القصيدتين كليهما من بحر الكامل، وهما معاً قصيرتان، ثمانية أبيات، وقد أتتا في كتابين مختلفين من كتب الردة، ولم نسمع بقدج فيهما، كلاً، ولا وجدنا فيهما دحناً، وإن كل واحدة منهما عَضُدٌ لأختها، وإنهما وهذه حالهما صحيحتان جَيِّدَتَانِ قَالَهُمَا عمرو بن العاص رضي الله عنه.

أمّا ثالثة المرائي المنسوبة لعمرو فمروية في كتاب «الاكتفا» لأبي الربيع الكلاعي، مطلعها:

أَتَانِي وَرَحْلِي فِي عُمَانَ مُصِيبَةٌ فَبِسْتُ بِعَيْنٍ ظَرْفُهَا ظَرْفُ أَرْمَدٍ^(١)

وهي سبعة أبيات انفرد بها الكلاعي، ولم يذكر عمّن أخذها، ولم يذكرها ابن سيد الناس في «مِنَح المِدَح» وهو الذي ذكر المرثيتين الأوليتين، ولا ذكرها المقرئ في «إمتاع الأسماع» وهو الذي ينقل المراثي عن وثيمة، وقد ذكر المرثيتين الأوليين أيضًا^(١).

فالقصيدة ليست في كتاب وثيمة، ولا هي بعمروفة قبل الكلاعي المتوفى سنة أربع وثلاثين وستمئة، ففي النفس منها شيء قَوَاهُ رَوِيُّ الدال فيها الذي يذكرنا بالمراثي الدالية الضعيفة المنسوبة لحسان بن ثابت تلك، وقارن بين قوله هنا:

فَقَدْنَا بِهِ وَخِيَ السَّمَاءَ، وَنِعْمَةً تَرُوحُ عَلَيْنَا بِالشَّانِ وَتَعْتَدِي
وَأَوْحَشَ مِنْهُ مِنْبَرٌ كَانَ زِينَةً وَمَسْجِدُهُمْ وَخَشُ فَيَا خَيْرَ مَسْجِدِ

وبين المنسوب إلى حسان من نحو قوله:

وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَخَشَا بِقَاعَهَا لِيَغِيْبَةَ مَا كَانَتْ مِنَ الرُّوحِي تَعَهْدُ
فَقَارًا، سَوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا فَقِيدُ يُبْكِيهِ بِلَاطٍ وَعَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ، فَالْمُوجِشَاتُ لِقَفْدِهِ خَلَاءَ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

ثم إن القصيدتين كليهما من البحر الطويل.

وقَوَاهُ أيضًا نظم الشاعر القصة التي لا نعلم مدى ثبوتها من أنّ المغيرة بن شعبة كان يزعم أنه آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ إذ ألقى خاتمه في القبر وهم يهيلون التراب، فنزل وأخذه. وكان يفخر بذلك. وأنكره قومٌ من الصحابة^(٢). أقول: إنّ نظم القصة حيلة ضعيفة من حيل الوضاعين التي يُلبّسون بها ظانين أن شهرة مثل هذه القصص ستسيف شعهم المكذوب عند الناس، وقد رأينا غير مثال لهذه الطريقة من طرق التدليس في هذه

(١) انظر التخريج والفروقات.

(٢) انظر: الاكتفا/٢٦٦.

الدراسة^(١)، وقد قال صاحبنا في نظم هذه القصة :

فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا شَاهِدًا لَوَفَاتِهِ لَمَسَّتْ تَرَابًا مِنْ ضَرْبِ يَدِي
بِإِذْنِ يَرَاهُ أَهْلُهُ وَمُكِيدُهُ أَسْوَدُ بِهَا مَا عِشْتُ يَوْمِي وَفِي غَدِي^(٢)
كَمَا نَالَهَا مِنْهُ الْمُخِيرَةُ خَذَعَةً وَمَا أَنَا دُونَ الطَّائِفِي الْحَقِيدِ

(١) مر مثل ذلك في حادثة سرقة في مرآة أبي بكر، وفي موقف عمر يوم وفاة النبي ﷺ.

(٢) هذا البيت يُذكر بالبيت المنسوب إلى حسان في إحدى مرثيته الضعيفة:

أوحل أمر الله فينا عاجلاً في راحة من يومنا أو في غدٍ



المبراني

(٢٦)

عَامِرُ بْنُ الطَّقِيلِ الْأَزْدِيُّ:

[من الخفيف]

- ١ بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى الثُّورِ
 ٢ مَنْ هَدَيْنَا بِهِ إِلَى سُبُلِ الْخَفِّ
 ٣ وَتَرَّ الدَّهْرُ قَوْسَهُ فَرَمَى الْقَلْدَ
 رِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا
 قِ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُ الْمِنْهَاجَا
 سَبَّ، فَلَمْ يُخْطِهِ، فَصِرْنَا هَمَاجًا^(١)

^١ التخریج: المقتطعة في مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩)، وهي مما أخذت به مطبوعته؛ يفتح اليَدَح ص ١٤٢ وهي في الإصابة ٥٨٤/٣ البيتان: ١، ٢.

(١) وتَرَّ قوسه: شدها (اللسان: وتر). والهماج: جمع هَمَجَة: البعوض والذباب الصغير الذي يسقط على وجوه الإبل. يقال لِرذال الناس (اللسان: همج).

(٢٧)

[من الكامل]

سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ:

- ١ جَلَّتْ مُصِيبَتُكَ الْعَدَاءَ سَوَادُ
وَأَرَى الْمُصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
٢ أَبَقَى لَنَا فَقَدْ التَّيِّبِي مُحَمَّدٍ
صَلَّى إِلَاهَ عَلَيهِ - مَا يُعْتَادُ^(١)
٣ حُزْنَا - لَعَمْرُكَ - فِي الْمَوَادِّ مُخَامِرًا
أَوْ هَلْ لِمَنْ فَقَدَ التَّيِّبِي فَوَادُ ؟
٤ كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُنْرِعًا
جَفَّ الْجَنَابُ فَأَجْدَبَ الرَّوَادُ^(٢)
٥ قَبِغْتَ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاوُنَا
وَتَصَدَّعْتَ وَجَدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
٦ قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ
حُلْمًا تَضَمَّنَ سَكْرَتِيهِ رُقَادُ
٧ كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الظَّرِيفُ، وَحُزْنُهُ
بَاقٍ - لَعَمْرُكَ - فِي الثُّفُوسِ، يَلَادُ^(٣)
٨ إِنَّ التَّيِّبِيَّ وَقَاتُهُ كَحَيَاتِيهِ:
الْحَقُّ حَقٌّ، وَالْجِهَادُ جِهَادُ
٩ لَوْ قِيلَ: تَفْدُونَ التَّيِّبِيَّ مُحَمَّدًا ؟
بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
١٠ وَتَسَارَعَتْ فِيهِ الثُّفُوسُ بِبِذْلِهَا
هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
١١ هَذَا، وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَيْبِنَا
لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ قَدَاهُ سَوَادُ
١٢ أَنِّي أَحَادِرُ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةُ
أَمْرًا لِعَاصِفٍ رِيحِهِ إِرْعَادُ

*التخريج: جعلت الروض الأنف للشهين: ٢/٣٢٤ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الاكتفا: ٢/٧٠ الأبيات: ١-١١.

١. في الاكتفا: «... ترداد» بالراء المهملة، والتزاد: إعادة الحديث ورجعه (اللسان: ردد).

٤. في الاكتفا: «خف...» بالخاء الفوقية، تصحيف.

٨. في الاكتفا: «والحق حق...».

١٠. في الاكتفا: «... لبذلها».

١١. في الاكتفا: «... فداء...» تصحيف يورث إقواء.

(١) أي أن المصائب بعد وفاة الرسول ﷺ صارت هيئة عادية.

(٢) الجناب ما حول القوم من فناء أو ناحية (تاج العروس: جنب). ومكان مريع ومرعب: خصب مفرع نافع (اللسان: مرع).

والرائد: الذي يُرسل في التماس التُّجعة وطلب الكلاء.

(٣) الطريف: المستحدث (اللسان: طرف). والعلاد: ما توالده عندك فتقليد من رقيق أو سائمة، وتلد فلان عندنا أي ولدنا أمه وأباه.

(اللسان: تلد). يقول: إن الحزن باقٍ في القلوب متوارث بعد وفاة الرسول ﷺ.

- ١٣ إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلأَرْضِ، إِنْ رَجَعْتَ بِنَاءِ أَوْلَادُ
١٤ لَوْزَادَ قَوْمٌ فَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبٍ زِدْتُمْ، وَلَيْسَ لِمُنْيَةِ مُزْدَادٍ^(١)

(١) المنيّة: ما يسنّاه الإنسان (اللسان: مني).

(٢٨)

ابنُ ذِي أَصْبَحٍ: [من مجزوه الخفيف]

- ١ صَدَعَ الْقَلْبَ أَهْوَدُ إِذْ نَعَى لِي مُحَمَّدًا^(١)
 ٢ لَيْتَنِي قَبْلَ هُلْكِهِ كُنْتُ تُؤَيِّتُ الْمَلْحَدَا^(٢)
 ٣ لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُكَ أَخَا الْأَزْدِ أَهْوَدَا

* التصريح: جعلت مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩) أصلاً لهذه المقطعة، وهي مما أخذت به المطبوعة، وهي في

متنح المدح ص ٤٠١؛ وفي الإصابة ١٤٣/١ البيتان: ٣، ١.

١. في الإصابة: «جزع...».

٢. في متنح المدح: «كنت تؤيت ملحدًا»، وهي رواية جيدة؛ للوزن.

(١) الصدع: الشق (اللسان: صدع)، وقد روي في «الإصابة»: بينما حمير مجتمعة إلى مقاوطها إذ أقبل ركب من الأزد يقال له:

أهود بن عياض، فقال: يا معشر حمير، أني إليكم النبي ﷺ. فقال له ابن ذِي أَصْبَحٍ: جدعك الله وافد قوم، كذبت، ما

مات. قال: بلى والذي بعثه بالحق، فما جزعكم؟ فوالله أنا أجزع منكم، ولو وجدت أرق منكم أفندة، وأغزر عيونًا،

لنعيته إليهم. فأخرجوه من بينهم، وكان عابداً، فقال: اللهم إني إنسا نعتت إليهم رسولك لتلا يقتتنوا بعده، وليواسوني في

جزعي عليه، فلما تواترت الركبان بسوته ﷺ آووه بعد ذلك، وفي ذلك يقول ابن ذِي أَصْبَحٍ: صدع القلب أهود... الأبيات.

(٢) ثوى: أقام (اللسان: ثوا).

(٢٩)

امرؤ القيس بن عابس:

[من الكامل]

- | | | |
|---|---------------------------|--|
| ١ | شيت البغايا يوم أعلن جهبل | بنعي أحمد النبي المهدي ^(١) |
| ٢ | صلى الإله عليه من مستودع | أمسى يثرب ثوريا في ملحد ^(٢) |
| ٣ | يا راكبا إما عرضت قبلغن | عني أبا بكر خليفة أحمد |
| ٤ | لا تتركن عواهرا سود الذرى | يزعنن أن محمدا لم يفقد ^(٣) |
| ٥ | اشف الغليل يقطعهن فإنها | كالخمر بين جوانحي لم تبرد |

التخريج: جعلك المحبر لابن حبيب ص ١٨٦ أصلاً لهذه المقطعة؛ وفي الطبقات الكبير ٣٦٠/٦، والإصابة ٥١٨/١، وأسد الغابة لابن الأثير ٥٧٤/١ (تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت) البيت الأول.

١. في الإصابة: «... النعايا...» تصحيف.

(١) في المحبر ص ١٨٦: «لما قبض رسول الله ﷺ ذهب بنعيه إلى حضرموت رجل من كليب، من بني عامر بن عوف، وبني الجلاح، يقال له: جهبل... وكان بحضرموت سئ نسوة من كندة وحضرموت يمتنين موت رسول الله ﷺ، فخصين بالحناء، وضرين الدفوف، فخرج اليهن بغايا حضرموت فعلن كفلهن. وكان اللواتي اجتمعن إلى الست النسوة نيفاً وعشرين امرأة، فكن متفرقات في قرى حضرموت... فكتب امرؤ القيس بن عابس الكندي إلى أبي بكر... شمت البغايا...» الأبيات.

(٢) قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَتَمَلَّمْ مَسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]: «مستقرها في الأرحام، ومستودعها في الأرض» (تهذيب اللغة، للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الطروي (يدع)، تحقيق عبد السلام هارون وعبد الحليم النجار، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة). وثوى بالمكان: أقام (أساس البلاغة: ثوى).

(٣) الدرر: الشيب (تهذيب اللغة: ذراً) يصفهن بأنهن يُزَوَّرْنَ الشيب بالسواد، أو أن يكون مراده بالدرى الشعر الأسود نفسه؛ لأن ذرورة كل شيء أعلاه، والعواهر يكشفن - في العادة - عن شعرهن.

(٣٠)

عبدُ الله بنُ مالكِ الأزحبي:	
١ لَعَنَرِي لَئِن مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ	لَمَا مَاتَ يَا ابْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدٍ ^(١)
٢ وَمَا كَانَ إِلَّا مُرْسَلًا بِرِسَالِهِ	لِيُنَلِّقَهَا، وَالْحَادِقَاتُ بِمَرْصَدِ
٣ وَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ قَاضِيًا	وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِيهِ إِلْحَادٌ مُلْجِدٍ؛
٤ دَعَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ فَأَجَابَهُ	فَيَا خَيْرَ غُورِيٍّ، وَيَا خَيْرَ مُنْجِدٍ ^(٢)
٥ وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا	فَرِيقَيْنِ شَيْءٌ: كَافِرٍ وَمَوْجِدِ
٦ وَنَحْنُ عَلَى مَا كَانَ بِالْأَمْسِ بَيْنَنَا	مِنَ الْيَمِينِ، نَهْدِي مَنْ أَرَادَ قَيْهْتِي

* التخريج: جعلت الاكتفا ٦٨/٢ أصلاً لهذه المقطعة، وفي مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩، ١٨٣٠) الأبيات: ٤-١، ٦ وهي مما أخذت به مطبوعته، وفي منح المنح ص ١٥٨ الأبيات نفسها: ١-٤، ٦، وفي الإصابة ٢٢٥/٤ البيتان: ١، ٤.

(١) القَيْل: الملك بلغة أهل اليمن، أو من ملوك حمير خاصة، أو هو دون الملك الأعلى (تاج العروس: قول).
(٢) غور كل شيء: قعره، والغور: المطئن من الأرض (الصحاح: غور). والمُنْجِد: من نُجِد وهو ما ارتفع من الأرض (الصحاح: نجد). وكانوا يقولون: غار وأنجد، أي نزل وصعد.

(٣١)

عبد الحارث بن أنس بن الدّيان:

[من الطويل]

- ١ لَعْمَرِي لَيْنٌ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ
- ٢ لَقَدْ كَسَفَتْ شَسُوسُ النَّهَارِ لِفَقْدِهِ
- ٣ وَبَكَتْهُ أَفَاقُ السَّمَاءِ وَمَا لَهَا
- ٤ وَلَوْ قِيلَ: تَفْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ؟
- ٥ وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْفِدَاءُ، وَهَذِهِ
- ٦ فَإِنْ يَكُ وَاقَاءَ الْحِمَامِ فَيَدِينُهُ
- ٧ وَتَحْنُ بِمُحَمَّدِ اللَّهِ هَامَةٌ مَدْحِجٌ
- ٨ بِبَجْرَانَ، نُعْطِي مَنْ سَعَى صَدَقَاتِنَا
- ٩ وَتَحْنُ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ نَرَى الَّذِي
- ١٠ أَحَادِرُ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ جَوْلَةً
- ١١ يُحَيِّنُ فِيهَا اللَّهُ مَنْ خَفَّ جِلْمُهُ

* التخریج: جعلت الاكثفا ٧١/٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي منح المدح ص ١٧٨ الأبيات: ١، ٧-٩؛ وفي الإصابة ٤/٢٧٩ البيتان: ٩، ١٧.

١. في الأصل: « عليه السلام... » تحريف.
٧. في الإصابة: «... الذين هم مدر» أي متماسكون مأخوذ من قطع الطين اليابس المتماسك (تاج العروس: مدر).
- وفي منح المدح: «... هم العُدر» من العدر: الجرأة، والمطر الشديد (اللسان: عدر).
٨. في الإصابة: «... نعطي من يلي...».

- (١) الشجوة: الحزن (أساس البلاغة: شجو) والعبرة: الكفل (أساس البلاغة: عبر) وفي لسان العرب عن ابن جني: عبر بكسر فضم جمع عبرة، وهي اللمعة (عبر).
- (٢) هامة القوم: سيدهم (أساس البلاغة: هوم)، والعبرة: بياض في جبهة الفرس (اللسان: غرر).
- (٣) صعر الحد: ميله من الكبر (اللسان: صعر).
- (٤) جال القوم جولة: إذا انكشفوا ثم كزوا (جمهرة اللغة: جلو)، والجدع: قطع الأنف (الصحاح: جدع).
- (٥) حان الرجل: هلك، وأحانه الله: وفي المثل: أتتك بجاني رجلاً، وكل شيء لم يوفق للرشاد فقد حان. يقال: حان يحين حيناً، وحينه الله فتحين (اللسان: حين).

- ١٢ نُطِيعُ قُرَيْشًا مَا أَطَاعُوا، فَإِنْ عَصَوْا
 أُبَيِّنَا، وَلَمْ نَشْرِ السَّلَامَةَ بِالْعَرَزِ
- ١٣ وَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
 عَلِيٌّ، أَوْ الصِّدِّيقِيُّ، أَوْ ثَالِثُ عُمَرَ
- ١٤ فَلَمْ يُحِطُوا إِذْ سَدَّوْهَا لِبَعْضِهِمْ
 هُمْ مَا هُمْ، كُلُّ لِرِزَاعِهِ مَطْرُ

(٣٢)

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ الْهَمْدَانِيُّ:

[من الحنيفة]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | إِنَّ فَقْدَ النَّبِيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ | مَ، فَدَثَّمَهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ ^(١) |
| ٢ | وَقَدَثَهُ الثُّغُوسُ، لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ | تِ فِرَارٌ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارِ ١٩ |
| ٣ | مَا أُصِيبَتْ بِهِ الْعِدَاءُ فُرْنُشُ | لَا ١ وَلَا أُفْرِدَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ؛ |
| ٤ | دُونَ مَنْ وَجَّهَ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّهِ | هِ وَقَدْ هَيَّئْتُ بِهِ الْكُفَّارُ |
| ٥ | وَرِجَالٌ مُتَنَافِقُونَ شِمَاتُ | يَوْمَ وَارَوْهُ كُفْرُهُمْ إِسْرَارُ |
| ٦ | مَنْ بَعَثَهُ السَّمَاءُ تُسَوِّدُهَا الْأَرْ | ضُ، وَأَيْضًا بَعْدَ الْقِفَارِ الْبِحَارُ |
| ٧ | وَسَرَافِيلُ قَدْ بَعَا، وَجَنْرِي | لُ، وَمِيكَالُ، وَالْمَلَأَ الْأَطْهَارُ |
| ٨ | يَا لَهَا كَلِمَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْخُلْدُ | سُقِ أَتَانَا يَنْقُلِيهَا السُّفَارُ ^(٢) |
| ٩ | قِيلَ: مَاتَ النَّبِيُّ؛ فَانْصَدَعَ الْقَلْدُ | بُ، وَشَابَتْ مِنْ هَوْلِهَا الْأَشْعَارُ |
| ١٠ | فَلَيْتَ جَنَّتِ الْمَنُونُ عَلَيْهِ | مَا لَنَا فِي التَّيَّارِ بَعْدُ [فِرَارًا] |
| ١١ | فَعَلَيْهِ السَّلَامُ مَا هَبَّتِ الرِّيبُ | حُ [وَمَدَّتْ جُنْحَ الدُّجَى أَنْوَارًا] |

^(١) التخريج: جعلت منح اليدح ص ١٦٥ - ١٦٦ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الاكتفا ٦٩/٢ الأبيات: ١-٩، ١١؛ وفي الإصابة ٩١/٥ الأبيات: ١، ٣، ١٠.

١. في الإصابة: «... جرّعنا...»، وفي الاكتفا: «... جرّعنا...».

٦. في الاكتفا: «... وبكت بعد القفار...».

٧. في الاكتفا: «... والملا الطهار» تصحيف.

٨. في الأصل: «... الخلق...» بالخاء المعجمة الفوقية، تصحيف، وما أثبتته من الاكتفا.

١٠. في الأصل: «... بعد فرار» بالفاء المفردة، تصحيف، وفي مطبوعة منح المدح تصحيف كثير.

١١. في الأصل: «... ومرت جنح الظلام نوار»، ولا معنى له، وما بين المعقوفين من الاكتفا.

(١) قدم عبد الله بن سلمة على أبي بكر بعد وفاة الرسول ﷺ في نفر يمينين، فكان مما قال: «يا معشر قريش، إنكم لم تصابوا

بني الله دون العرب، لأنه لم يكن لأحد دون أحد. وإيم الله، إني لا أدري أي الرجلين أشد حزناً عليه، وأعظم مصاباً به:

من عاينه فغاب عنه عيانه، أو من أشرف على رؤيته فلم يره...» (منح المدح ص ١٦٥).

(٢) كلبته: بكسر ثم سكونه لغة تميمية (اللسان: كلم). والشُّقَار: المسافرون (اللسان: سفر).

١٢ فَأَحْذَرُوا الْيَوْمَ رِدَّةَ تَضَدُّعِ الشَّعْبِ سَبَّ مِنَ الْعِلْمِ عِظْمُهَا الْإِنْكَارُ^(١)

(١) الشعب: من الأضداد، تأتي بمعنى الجمع والتفريق، والإصلاح والإفساد (اللسان: شعب) وهي هنا بمعنى التفريق والإفساد.

(٣٣)

ابن التُّعْمَانَ العَتَكِيُّ:

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | يَا عَمْرُو، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ | أَوْذَى بِهِ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ؛ |
| ٢ | فَلَقَدْ أَصَبْنَا بِالنَّبِيِّ، وَأَنْفُنَا | وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى التَّيْبَةِ؛ أَجْدَعُ ^(١) |
| ٣ | وَقُلُوبَنَا قَرْحَى، وَمَاءُ عُيُونِنَا | جَارٍ، وَأَعْنَاقُ التَّيْبَةِ خُضَّعُ ^(٢) |
| ٤ | يَا عَمْرُو، إِنَّ حَيَاتَهُ كَوْفَاتِهِ | فِينَا، أَتُبْصِرُ مَا نَقُولُ وَنَسْمَعُ؟ |
| ٥ | فَأَقِمْ فَإِنَّكَ لَا تَخَافُ، وَجَارِنَا | يَا عَمْرُو، ذَلِكَ هُوَ الْأَعْرُ الْأَمْتَعُ |
| ٦ | إِنَّ الْعَرَبَ لَهَا وَشِيكََا نَفْرَةٌ | فَانظُرْ - وَأَنْتَ تَعُولُهُ - مَا يَصْنَعُ |
| ٧ | إِنْ يَسْتَقِيمُوا كُنْتَ أَوْلَ رَاكِبٍ | أَوْ يَرْجِعُوا فَلَكَ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ |
| ٨ | حَقُّ الْأَمِيرِ، وَذِمَّةُ بَيْتِيَّةٍ | وَمَهَابَةٌ، وَإِتَاوَةٌ لَا تُرْفَعُ |

* التخریج: جعلتُ مِتَحَ الْبِدَحِ ص ٣١٣ - ٣١٤ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الإصابة ٢٧٩/٦ الأبيات: ١-٣، ١٥ وتنقص مطبوعة الإصابة (دار الكتب العلمية ٥٩٩١ م) التي نقل عنها الدكتور أبو المجد (مرآتي النبي ص ١٧٨) البيت الخامس؛ فلعله لاختلاف النسخ الأصول؛ وهذا بيت من الفرق الذي سبلي.
٢. في الإصابة: «... إلى العنية...». وفي المرآتي لأبي المجد: «... وإني * والراقصات...».

(١) الراقصات: الإبل، وهذا قسمٌ بمن. والبيتة: اسم من أسماء مكة حرسها الله (معجم البلدان: باب الباء والنون).

(٢) قرحى: جريحة (اللسان: قرح).

(٣٤)

ابنُ ذِي المِشْجَارِ: [من المقارِب]

- ١ أَلَا كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ بِالْعَا مَا بَلَغَ
 ٢ خَفِيفٌ عَلَيَّ لَمَّا انْطَقْتُ مَعَاشِرُ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الوَتْعِ^(١)
 ٣ لِهُلْكِ الشَّيْءِ وَمَا أَسْبَلْتُ إِلَيْهِ التَّنِيَّةُ حَتَّى فَرَعْتُ^(٢)
 ٤ مِنْ أَمْرِ الإِلَهِ إِلَى خَلْقِهِ وَكَانَ إِذَا أُمُّ رَأْسًا مَلَعُ^(٣)
 ٥ فَسَنَعِي - لَعَمْرُكَ - مِنْ بَعْدِهِ ثَقِيلٌ، وَفِي بَعْضِ نُظْمِي لَقَعُ^(٤)
 ٦ فَأَصْبَحْتُ أَبْصِرُ عَيْبَ الأَدِيمِ وَأُنْصِرُ صَخْبَكَ مَنْ قَدْ دَبَعُ
 ٧ فَإِنْ يَكُ وَلى قَدْ أَدَيْتُهُ وَإِنْ تَابِعُ بَعْدَ هَذَا تَبِعُ^(٥)
 ٨ أَدَاعَتْ بِهِ رُوسٌ أَرْمَاجِنَا وَكَانَ كَكَلْبٍ عَوَى أَوْ وَلَعُ^(٦)

* الصخرية: جعلتُ وَتَحَ المِذْحِ ص ١٦٦، ١٦٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣) الأبيات:
 ٩-١٠، وهي مما أخذت به مطبوعته؛ وفي الإكليل للهمداني (تحقيق الخطيب) ٥٢/١٠ الأبيات: ٩-١١.

١. في مخطوطة إمتاع الأسماع: «... بالْعُ...».
٢. في مخطوطة الإمتاع: «... من أهل الرفغ»، والرفغ: الأم موضع في الوادي، وشُرُهُ تَرَابًا (تاج العروس).
٥. في مخطوطة الإمتاع: «ثَقِيلٌ، ونظمي فيه لَعُ».
٧. في مخطوطة الإمتاع: «وإن بايغ بعد هذا بيغ»، وهو من تَبِعَ به الدم إذا هاج به، وغلب عليه (اللسان: بيغ).
 والمقصود: المرتدون، ومن ادَّعى النبوة.

- (١) انطقت: لعلها من طفا الشيء فوق الماء إذا علاه (تاج العروس: طفا). أو تكون من كلمتين: «أَنْ طفت».
- والوتغ: الإثم والهلاك في الدين والدنيا، يريد المرتدين بعد وفاة الرسول وقد طغت مصيبتهم على مصائبه جميعاً.
- (٢) أسبلت إليه: وصلت إليه (الصحاح: سبل).
- (٣) أم: قصد (اللسان: أم). وملغ الأديم: غمته كي ينفسخ صوفه (إكمال الإعلام بتثليث الكلام، لابن مالك، محمد ابن عبد الله الطائي ٦٧٨/٤ تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، منشورات جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ).
- (٤) من معاني الألف: الذي لا يُبين الكلام (تاج العروس: لفع).
- (٥) تبغ: أي خرج، يريد الذين ادَّعوا النبوة، والذين ارتدوا، ومنه قول عائشة رضي الله عنها في أبيها: «غاضُ تَبِعُ النفاق والرِّدة» أي نقصه وأهلكه وأذهب (اللسان: تبغ).
- (٦) أذاع به: ذهب به، ومنه قول الشاعر:

رَبِّعُ قَوَائِمُ أَدَاعِ المَعْصِرَاتِ بِهِ

أي أذهبته، وطمست معالمه (اللسان: ذيع). وروس: رؤوس، على التسهيل.

- ٩ وَكُلُّ أَنَسِيسٍ لَهُمْ [صَيْغَةٌ] وَ[صَيْغَةٌ] هَمْدَانٌ حَسِيرٌ [الصَيْغَةُ] (١)
 ١٠ صُيغْنَا عَلَى ذَا وَأَبَاؤُنَا فَأَكْرِمِ بِصَيْغَتِنَا فِي الصَّبَغِ (٢)
 ١١ قَسَنَ يَقْذِفُ الدَّرَّ مِنْ حُقَّتَا عَلَى بَاطِلٍ أَوْ لِحَاجٍ دَمَغٌ (٣)

٩. في الأصل: ١... صيغة * وصيغة... الصبغ « بالباء المفردة في كلِّ، وقد رجحت أن تكون بالياء المثناة التحتانية، لورودها في الإكليل كذلك، ولجواز قراءتها في مخطوطة الإمتاع كذلك، ولكون البيت الذي بعدها بالياء المفردة.
 ١٠. في الإكليل: ١... على ذلك آباؤنا « وفيه ضرورة قبيحة؛ إذ ستقلب « صُيغْنَا « من البناء للمفعول إلى البناء للفاعل.
 ١١. في الإكليل: « متى يقذف... ».

(١) الصيغة: الأصل والحلقة (اللسان: صوغ).

(٢) صُيغْنَا عَلِ ذَا وَأَبَاؤُنَا: أي عُصْمْنَا فِي ذَلِكَ، وَتُبَيْتْنَا عَلَيْهِ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا (اللسان: صبغ).

(٣) الْحُقُّ وَالْحُقَّةُ: بالضم، معروفان. وهما ما يُنْحَت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلح أن يُنْحَت منه. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وَنَدِيًّا مِثْلَ حُقِّي الْعَاجِ رَحْضًا حَصَانًا مِنْ أَكُفِّ اللَّامِسِينَا

(اللسان: حقق). واللجاج: التماذي، ومنه لُجَّةُ الْبَحْرِ حَيْثُ لَا يَدْرِكُ قَعْرَهُ (اللسان: لجاج). ودماغ: أصاب دماغه (اللسان: دمع). والمعنى: أَنَا نَدْفَعُ الْبَاطِلَ، وَتُظْهِرُ عَوَازِرَهُ، كَالدَّرِّ الْمُنْمِرِ إِذَا يَقْذِفُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ.

(٣٥)

مَسْرُوقُ بْنُ ذِي الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيُّ:	[من الخفيف]
١ قُلْتُ وَالذَّمْعُ كَالْفَجْمَانِ عَلَى النَّحْ	رٍ وَقَدْ لَأَخَ فِي السَّمَا الْعِيُوقُ ^(١)
٢ كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ تَعَاظَمَنِي الصَّب	رُ عَلَيْهِ بَعْدَ النَّبِيِّ دَقِيقُ
٣]	[
٤ وَجَوَادًا كُنَّا نَبْدُ بِهِ النَّا	سَ، فَهَذَا جَوَادُنَا مَسْبُوقُ ^(٢)
٥ وَبِهِ كَانَتْ النَّجَاةُ مِنَ النَّا	رِ، فَلَمْ يُرَزَّ مِثْلَهُ مَخْلُوقُ ^(٣)
٦ قَعْلَانِي بَعْدَ الْهُومِ هُومٌ	وَبِقَلْبِي بَعْدَ الْحَرِيقِ حَرِيقُ
٧ قُلْتُ وَالنَّفْسُ لِلْبَلَاءِ، عَرُوفُ:	أَيَّنَ يَهْوِي بِكَفِّهِ الْمَخْنُوقُ ^(٤)
٨ لَا إِلَى أَيَّنَ، إِنْ سَأَلْتَ سِوَى الْ	حَنْقِ، وَإِنِّي [يَحْتَفِيهِ] مَخْنُوقُ ^(٥)
٩ لَا يَرُدُّ النَّبِيَّ ذَاكَ عَلَى النَّا	سِ، وَفِي طُولِ حُزْنِنَا تَخْنِيقُ

* التخریج: جعلتُ منح المدح ص ١٦٣، ١٦٤ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الإصابة ٢٩٦/٦، ٢٩٤ الأبيات: ٤، ١١، ١٢.

٢. في الإصابة: «... تعاضم مني...» * سوى النبي دقيق».

٣. أشارت محققة منح المدح إلى فراغها هنا في المخطوطة، فلعله لبيت منقوص.

٥. في الأصل: «... فلم يُرَزَّ...» بمعجمة ثم مهمله، تصحيف.

٨. في الأصل: «... وإني يخنقه مخنوق»، ولعل ما أنبئه أقرب.

(١) العيوق: كوكبٌ أحمر مضيءٌ بحيال الثريا، إذا طلع علم أن الثريا قد طلعت (تاج العروس: عقي).

(٢) بد فلان فلاناً: إذا ما علا، وفاقه، وبد القوم بدأ: سبقهم وغلبهم (اللسان: بدذ).

(٣) لم يُرَزَّ: من الرزق، وهي المصيبة (الصحاح للجوهري: رزأ).

(٤) النفس العزوف: التي تأتي الأشياء وتنصرف عنها (اللسان: عزف). واللام الداخلة على البلاء للتعليل. يقول:

كيف أهوي بكفي إلى متاع أو طعام وقد وقعت مني المصيبة بموقع زهدني في الدنيا، وصرث كالمخنوق الذي

يعيش في ضيق وكربة.

(٥) الحنق: الموت (اللسان: حنق). والمراد بالحنق: الضيق. يقول: لا أجد سبيلاً في الدنيا بعد وفاة رسول الله ﷺ؛

إنني ضائق مغمومٌ مكروب.

- ١٠ مَالِكُ الْحَنِينِ قَدْ يُنَكِّرُ مِنَّا كُلَّ شَيْءٍ، فَعَظَمْنَا مَعْرُوقًا^(١)
- ١١ كُلُّ خَيْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ قَلِيلٌ غَيْرَ مَذْقٍ، وَشُرَيْهِ التَّمْدُوقُ^(٢)
- ١٢ أَيُّهَا الْقَائِمُ الْمُعَصَّبُ بِالْأَمْرِ، لِأَنَّكَ الْمُصَدِّقُ الصِّدِّيقُ^(٣)
- ١٣ إِنَّ ذَا الْأَمْرِ فِيكُمْ فَخُذُوهُ ثُمَّ قُودُوا إِلَى النَّجَاةِ، وَسُوقُوا وَأُنَاسًا سِقَاؤُهُمْ مَشْفُوقًا^(٤)
- ١٤ إِنَّ فِي كَيْدَةِ السُّلُوكِ سَعَابًا سَيَوْمَ، كَفَيْلُنَا مَسْرُوقًا^(٥)
- ١٥ إِنْ تَكُنْ جَوْلَةً فَتَحْنُ بِهَا أَلْ-قَدْ تَعَرَّتْ وَرَأُسَهَا مَخْلُوقًا ١
- ١٦ إِنَّهَا رِدَّةٌ تُرْفُ إِلَيْكُمْ لَمْ يَفْتَهُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَفْرُوقًا^(٦)
- ١٧ لَكِنَّ السَّخِيَّ [حَاشِدًا] وَتَكْبِيلُ سَالِكُ الْحَنِينِ وَالْهُدَى مَرْثُوقًا^(٧)
- ١٨ بَايَعُوا اللَّهَ فِي الْعِيَانِ وَسِرًّا

١٧. في الأصل: «... حاسر...» بالسين المهملة، تصحيف.

- (١) العظم المعروق: البارز المجرد من اللحم (اللسان: عرق).
- (٢) التمدق: اللين المزوج بالماء (اللسان: مذك). وفي البيت إقواء.
- (٣) سيفب: جاع، ولا يكون إلا مع تعب، فهو ساعب وسغبان وسغب، وهي سغبي، وجمعها: سقاب (اللسان: سغب). والسقاء: القرية للساء واللين (اللسان: سقي).
- (٤) الملك المعصَّب: المتزوج (تاج العروس: عصب)، وهو يقصد الخليفة أبا بكر رضي الله عنه.
- (٥) جال القوم جَوْلَةً: إذا انكشفوا ثم كُتِّوا (جمهرة اللغة: جلو). والكفيل: الضامن (اللسان: كفل). يقول: أنا أضمن النصر لكم على المرتدين. وفي العجز اضطراب وزن.
- (٦) التفروق: قمع التمرة وغلافها (تاج العروس: تفرق).
- (٧) مرتوق: موفق، مُصْلِحُ حاله (اللسان: رتق).

(٣٦)

- عَمْرُو بْنُ الْفُحَيْلِ الرَّبِيعِيُّ: [من الخفيف]
- ١ أَنَسِيدِي بِدَمْعِكَ الرَّقْرَاقِ لِفِرَاقِ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفِرَاقِ^(١)
 ٢ قُلْتُ وَاللَّيْلُ مُطَبِّقٌ بِعُرَاهُ: إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ لَبَاقِي
 ٣ [لَيْتَنِي مِثْ يَوْمَ مَاتَ وَلَمْ أَلِ سَقَى مِنَ الرُّزْءِ مَا أَنَا لِأَقِي]
 ٤ كَانَ غَيْثًا يَجِيءُ لِلْبَلَدِ الْمَخْدَلِ، وَشَمْسًا تُضِيءُ لِلْإِشْرَاقِ
 ٥ وَذَلِيلًا يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى الْهَلَاكِ، وَبَحْرًا يَصُبُّ عَذْبَ الْمَذَاقِ
 ٦ وَضِيَاءَ الْبِلَادِ، وَالْقَمَرَ الرَّأْسَ هِيرَ وَاقِي تَمَامَهُ لَا تِسَاقِي

* التخريج: جعلت متح المدح ص ٢٠٤ أصلاً لهذه المقطعة، وهي في مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣١) لكن يلحق بعض ألفاظها آثار رطوبة وطمس، وقد أخذت بها المطبوعة من ضمن ما أخذت به، وفي الإصابة ٦٧٠/٤ البيتان: ٣، ١.
 ٣. البيت زائد في الإصابة، وقد أوردته مع البيت الأول، ولكن لعل موضعه ها هنا؛ فابن حجر كان يتختم من القصيد.

(١) ترقرق الماء والدمع: جرى جرياً سهلاً (أساس البلاغة: رقى).

(٣٧)

ذوالكلاع:	
١	قَدْ أَتَى حَمِيرٌ أَمْرٌ شَامِلٌ
٢	مَوْتُ مَنْ كَانَ بَقَاءَ رَحْمَةٍ
٣	إِنْ يَكُنْ مَاتَ فَهَذَا رَبُّنَا
٤	قَدْ أَحْبَبْنَا، وَقُلْنَا قَوْلَهُ
٥	قَالَ: قُولُوا، وَإِذَا مَا قُلْتُمْ
٦	فَأَطَعْنَا، وَهَذَا دِينُنَا

[من الرمل]

قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزِرٌ بِالْأَمَلِ^(١)
 كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا هَذَا جَلَلٌ^(٢)
 لَمْ يَمُتْ، وَاللَّهُ حَيٌّ لَمْ يَزَلْ
 وَرَأَى ذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ
 فَاغْتَلُوا؛ فَالْيَتِيمِ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
 ظَاهِرُ الصِّحَّةِ مَا فِيهِ دَعْلٌ^(٣)

* التخریج: جعلت مِتَح المِدَح ص ١٠١ أصلاً لهذه القطعة، وهي في مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩)، وقد أخذت بها مطبوعة النيسبي كذلك.
 ٢. في مخطوطة إمتاع الأسماع: «... ما عدا...»
 ٣. في مخطوطة الإمتاع: «... ربنا * والله حيٌّ باقي لم يزل»
 ٥. في مخطوطة الإمتاع: «... فإذا ما قلتم».

(١) أمر شامل: عام (تاج العروس: شمل). مُزِرٌ بِالْأَمَلِ: مُقْصِرٌ بِهِ، مُحْمَرٌ، مُهَوَّنَةٌ (اللسان: زرى).
 (٢) الجَلَلُ: من الأضداد: القليل اليسير، ومنه قول امرئ القيس يرنى أباه:
 بقتل بني أسدٍ رَهْمٌ ألا كل شيءٍ سِوَاهِ جَلَلٍ
 (اللسان: جلل).
 (٣) الدَعْلُ: الفساد والدَّخْلُ (اللسان: دغل).

(٣٨)

مُرَّانُ بْنُ عُمَيْرٍ ذِي مُرَّانٍ: [من الخفيف]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ طَوِيلٌ | ذَلِكَ مِنِّي عَلَى الرَّسُولِ قَلِيلٌ |
| ٢ | قُلْتُ، وَالتَّوْتُ يَا إِمَامَ كَرِيمٍ: | لَيْتَنِي مِثُّ يَوْمَ مَاتَ الرَّسُولُ (١) |
| ٣ | لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بَقِيَتْ فُوقَا | بَعْدَهُ، وَالْفُوقُ مِنِّي طَوِيلٌ (٢) |
| ٤ | بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَيْهِ | وَبَكَاهُ خَلِيلُهُ جَبْرِيلُ |
| ٥ | كَانَ فِينَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ | كُلُّ هَذَا دَلِيلُهُ الْكَتْرِيلُ |
| ٦ | يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصِيبَ بِهَا النَّاسُ | سُ تَوَلَّتْ، وَحَانَ مِنْهَا الرَّجِيلُ |
| ٧ | جَدَعَتْ قَوِيَّ الْأَنْوَفِ، وَأَجْرَتْ | دَمْعَ عَيْنٍ، فَلِلْجُفُونِ هُمُولٌ (٣) |
| ٨ | لَيْسَ لِلنَّاسِ، يَا إِمَامَ، مِنَ الْأَمْرِ | رِفْتِيلٌ، وَأَيْنَ عَنكَ الْقَتِيلُ (٤) |

* التخریج: جعلت الإكليل ٤٨/١٠ - ٤٩ (تحقيق الخطيب) أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي منح المدح ص ١٥٩ - ١٦٠ الأبيات: ٤-١، ٦-١٧؛ وفي مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٠) الأبيات: ١-٩ وقد أخذت بها المطبوعة؛ وفي الاكتفا ٦٨/٢ - ٦٩ الأبيات: ١-٤، ٦-٩؛ وفي الإصابة ٢٨٣/٦ البيتان: ٤، ١.
٣. في منح المدح: «... فراقاً...» والفراق... بالراء المهملة، تصحيف.
٤. في الإصابة: «... خديمه...».
٦. في منح المدح: «يا لها كربة...».
٧. في منح المدح، ومخطوطة إمتاع الأسماع: «جدعت منهم الأنوف، فللقلب خفوق، ولدموع همول...» وفي الاكتفا: «جدعت منهم الأنوف، فللقلب خفوق، وللجفون همول...».
٨. في الاكتفا: «... وأين منك...».

(١) يعني الإمام المهاجر بن أبي أمية المخزومي، كان أميراً عليهم مما يلي صنعاء، أمره الرسول ﷺ (انظر: منح المدح ص ١٠).
(٢) الفُوق: ما بين الحلبتين من الوقت، لأنها تحلب، ثم تترك سويعة يرضعها القصيل لتُدِرَّ، ثم تحلب (تاج العروس: فوق).
(٣) هملت عينه: فاضت وسالت (اللسان: همل).
(٤) عن ابن عباس: الفتيل: ما فتلت بين أصابعك من الوسخ، وقال ابن السكيت: الفتيل: ما كان في شق النواة اه يضرب مثلاً للنبيء العتافه الحقيق القليل (تاج العروس: فتل).

- ٩ إِنَّمَا الْأَمْرُ لِلَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ قَى، وَفِي خَلْقِهِ عَلَيْنِهِ ذَلِيلٌ
 ١٠ قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ: عَضُدُكَ فِي الْحَ سُرْبٍ عَلَى النَّاسِ حَاشِدٌ وَبَكِيلٌ^(١)
 ١١ إِنَّ هَمْدَانَ يُنْسِكُونَ هُدَى الْ لَهُ، وَمُرَّانٌ بِالْوَفَاءِ كَفِيلٌ
 ١٢ إِنْ تَكُنْ جَوْلَةً فَتَخُنْ لَكَ الْيَوْمَ مَ مَلَأْدٌ إِلَى ذُرَاهُ تَزُولُ^(٢)
 ١٣ دِينُنَا مِلَّةُ النَّبِيِّ، وَلَا قَوْمَ لَ لَنَا غَيْرُ مَا نُرَاكَ تَقُولُ
 ١٤ إِنَّمَا الْيَوْمُ مِثْلُ أَمْسٍ، وَهَمْدَا نُ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ تَزُولُ^(٣)
 ١٥ أَيُّ قَوْمٍ هُمْ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ ثُ، وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ إِكْلِيلٌ^(٤)
 ١٦ ثُمَّ نَادَوْا بِأَنَّهُمْ قَهَرُوا النَّاسَ سَ كَمَا يَقَهَرُ الْبِكَارَ الْفُحُولُ^(٥)
 ١٧ لَا يَرُدُّ الْجَرِيحُ نَائِبَةَ الْجُرْ جَ، وَلَا الْحَيُّ يَزْدَهِيهِ الْقَتِيلُ^(٦)

- ٩ - في مخطوطة الإمتاع: «إن الأمر...».
 ١١. في منح المدح: «إن همدان أمسكوا بهداه* وابن مُرَّان بالوفاء كفيل».
 ١٢. في منح المدح: «... ملاء بما إليه تزول».
 ١٥. في منح المدح: «أي يوم لهم...».
 ١٦. في منح المدح: «ثم نادوا بأباهم...» البكاه الفحول* تصحيفان، وما أكثر التصحيف في مطبوعة منح المدح هذه.

- (١) حاشدٌ وبكيل: ابنا جشم بن خيران بن نوف بن همدان، قبيلة همدان، وإليهما ترجع بطونها (جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ص ١٦٢، تحقيق ليفي بروفنسال).
 (٢) جال القوم جولة: إذا انكشفوا ثم كُتروا (جمهرة اللغة: جلو).
 (٣) النزوال: الذهاب والاستمالة (اللسان: زول). أي أنهم يتحولون ويذهبون مع الحق حيث يذهب.
 (٤) الإكليل: شبه عصابة مزينة بالجواهر. والإكليل: من منازل القمر. والإكليل: ما أحاط بالقطر من اللحم. وتكلمه الشيء: أحاط به. وروضة مكللة: محفوفة بالثور (المحكم والمحيط الأعظم: كلل).
 (٥) البكار: جمع بكرة، الفقي من الإبل (تهذيب اللغة: طحل).
 (٦) النائبة: ما ينوب الإنسان وينزل به من المهمات والحوادث (تاج العروس: نوب). وزها فلائكا كلامك زهواً، وازدهاه فازدهى: استخفه فخف، وازدهيت فلائكا: تهاونت به (اللسان: زها).

(٣٩)

شَدَّادُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ صَمْعَجٍ: [من الكامل]*

١ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ: إِنَّ الْبَغَايَا رُفِنَ كُلَّ مَرَامٍ^(١)

٢ أَظْهَرَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ سَمَاتَةٌ وَخَصَّيْنِ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعُلَامِ^(٢)

٣ فاقطع - فديت - أكفهن بصرام كالترقي أومض في مئون غمام

* التخریج: جعلك المحبّر لابن حبيب ص ١٨٦ أصلاً لهذه المقطعة، وهو وحده الذي صرح باسم صاحبها، والمقطعة في البصائر والنخائر للتوحيد ١٩٨/٨، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١١٦/٣ (دار الكتب المصرية ١٩٩٦م)، وبهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر ٧٤٥/١.

١- في بهجة المجالس: «... شر مرَام.»

٢- في بهجة المجالس: «... بِالْعُلَام.»

(١) انظر قصة الشعر في الخبر الذي سبق في مرثية امرئ القيس بن عابس الكندي.

(٢) العُلَام: الجُثَاء (اللسان: علم).

توثيق مرآي أهل اليمن رضي الله عنهم

١

هذا فصل نحن عيال فيه على كتاب وثيمة المفقود «كتاب الردة»، ولو نجا هذا الكتاب من غوائل الزمن لازدادت أشعار المرآي النبوية زيادة لا يعلم مداها إلى الله، ولا زادت أشعار غيرها وأنباء من أنباء تلك الحقيبة العريقة.

وما هذا الفصل إلا كوريقات مُزقّة مطوية، ثم مندسة في بطون الكتب، فقد ترى شاعرًا في كتاب، وشعره الذي رثى به النبي ﷺ في كتاب غيره، ولا وشيجة بين الكتابين، أو ترى قصيدة واحدة مفرقة بين كُتب شتى، أو تراها لم يبق من آثارها إلا ما يدل عليها؛ فتنفق جهدك منقبًا عما اندثر منها، فقد تسقط عليه كله فما أسعد جَدُّك! وقد تصيب بعضه، وقد ترجع صفر اليدين، فتتعد حزيتًا أسفًا وأنت تمسك برأس القصيدة الفاتن الجميل تتوق نفسك أن تنعم بها كلها، وتبصرها حيّة تسري روح الشاعر في أبياتها الضائعة^(١).

وإنه إن يكن فصلًا من الفصول التي تحكي مأساة من مآسي التراث العربي الضائع؛ فإن عزاءنا في أنه محاولة للعثور على بعض آثاره النفيسة الدارسة، ورددّها إلى أصولها الحقيقة بها،

(١) انظر تخريج الأشعار والفروق لهذا الفصل.

ثم التقاط أجزائها المبعثرة وضم بعضها إلى بعضها؛ رجاء رسم صورة - ولو باهتة منقوصة - لما توارى منه واختفى.

والشعر في هذا الفصل ليس إلا جزءاً جزئاً من «كتاب الردة» لوثيمة بن موسى بن الفرات، ولينة في سبيل إعادة بناء هذا الكتاب المجدد^(١)، وفيه شيء نزر من غير كتاب وثيمة.

لقد كان اليمن لفترة قصياً عن الأحداث، نائياً عن أسفار المؤرخين؛ فأغفل ذكره وذكر رجاله إلا من مصادر قليلة، فبي الكثير منها، أو ذكر ما بقي ما لا يبيل الصدى^(٢).

وهذه المراي النبوية التي جادت بها نفوس أهل اليمن مرث فريدة عزيزة المثال؛ ذلك أننا لم نعهد سادة بلد وشعراء يقومون قومة رجل واحد زمن الردة يُتبتون أشياءهم على الدين، ويحثونهم على الحزن أن لم يرتوا من معينه العذب كما ارتوى إخوانهم، وعسى ضارب في جذور اليمن أن لا يجد حادثة جمعت شعراءه كما جمعتهم وفاة رسول الله ﷺ، وأنا لا أجد غضاضة إذا زعمت أن مرثيهم في النبي ﷺ من أجود ما رثي به النبي ﷺ وأصله وأصدقيه.

وكان وثيمة بن موسى يروي هذه المراي اليمنية عن محمد بن إسحاق غالباً. وبين وثيمة وابن إسحاق في الرواية رجل هو سلمة بن الفضل؛ فقد كان وثيمة يروي «مغازي ابن إسحاق» من طريقه^(٣).

وسلمة هذا هو القاضي أبو عبد الله سلمة بن الفضل الأبرش، الأنصاري، الرازي، المتوفى

(١) اقرأ ترجمة وثيمة والتعريف بكتابه في ص ٥٦ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، للدكتور أمين فؤاد سيد ص ٣٥٠ (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٤م)، والتاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، لشاكر مصطفى ٣١٢/٢ وما بعدها (دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٨٧م).

(٣) انظر: رواية محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، لمطاع الطرايبشي ص ٣٩ (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١٤١٤هـ).

سنة إحدى وتسعين ومئة، كانوا يصفونه بصاحب محمد بن إسحاق، وقد اختصَّ بمغازيه دون غيرها، اتفقوا على قوّته فيها. آلت إليه نسخة ابن إسحاق في «المغازي» واجتمعت لديه؛ فكانت روايته لكتاب «المغازي» تفضل رواية غيره، وكان ثقةً كَيِّسًا^(١).

وفي «تاريخ مدينة السلام» للخطيب خيرٌ له فوائد حمّة، فقد روي عن «الحسن بن محمد المؤدّب» قال: سمعت عمّارًا يقول: دخل محمد بن إسحاق على المهديّ وبين يديه ابنته، فقال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. قال: اذهب فنصف له كتابًا منذ خلق الله - تعالى - آدم إلى يومك هذا. قال: فذهب فنصّف له هذا الكتاب. فقال له: لقد طوّلته يا ابن إسحاق، اذهب فاختره. قال: فذهب فاختره فهو هذا الكتاب المختصر، وألقى الكتاب الكبير في خزانة أمير المؤمنين. قال الحسن [المؤدّب]: وسمعت أبا الهيثم يقول: صنّف محمد بن إسحاق هذا الكتاب في القرايطيس، ثم صيّر القرايطيس لسلمة - يعني ابن الفضل - فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القرايطيس. [قال الخطيب:] هكذا قال الزاوي: «ودخل ابن إسحاق على المهديّ وبين يديه ابنته» وفي ذلك عندي نظر، ولعله أراد أن يقول: دخل على المنصور وبين يديه ابنته المهدي، لأن ذلك أشبه بالصواب، والله أعلم^(٢).

فكتاب ابن إسحاق كتابٌ كبير، والذي شاع بين الناس مختصرٌ منه، ثم تهذيبُ ابن هشام الذي بين أيدينا مختصرٌ من ذلك المختصر. وقد عُرف كتاب ابن إسحاق بين الناس بأسماء مختلفة، ولكن ذهب بعضهم إلى أن الظاهر من مراد المتقدمين «بمغازي ابن إسحاق» هو كتبه الثلاثة المذكورة: «المبتدأ، والمغازي، والخلفاء»، وأن هذه الكتب الثلاثة

(١) انظر: رواة محمد بن إسحاق، للطرايشي ص ٣٩.

(٢) تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُتّانها العلماء من غير أهلها ووارديها، للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي ١٧/٢ (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ١٤٢٤/١هـ).

فصول أو أبواب في «كتاب المغازي»^(١).

ونخرج من هذا الخبر أيضًا بأنه يجوز على ابن إسحاق أن يكون حدّث بما ليس في «المغازي»، فالكتاب الكبير الذي أودعه الخزانة مجهولٌ مصيره، وما يُدرينا لعلّ وثيمة روى هذه المرايى النبويّة التي رواها عن هذا الكتاب الكبير، أو لعله رواها عن كتابه المختصر عن جزئيه الأخيرين: «المغازي، والخلفاء» مثلاً؛ فتهذيب ابن هشام لا يمّثل كتاب ابن إسحاق تمثيلاً صادقاً؛ لإخلاله بجزء كبير مما جهد ابنُ إسحاق نفسه في تصنيفه، خاصةً في باب الشعر، ولذلك لم يكن لتهذيب ابن هشام كبيرُ أثر عند المتقدمين، «والظاهر أن هذا الكتاب قد اشتهر عند المغاربة، كما ارتفع ذكره عند المتأخرين»^(٢).

وهذا الخبر يطلّعنا على منزلة سلمة بن الفضل شيخ وثيمة، وكيف آثره ابنُ إسحاق بقرايطسه من دون تلاميذه، وعليه فالطريق من وثيمة إلى ابن إسحاق أوثقٌ من حيث الضبط، والسعة، والسلامة. على أن هذا لا يمنع أن يكون وثيمة حدّث عن ابن إسحاق من طريقٍ أخرى غير طريق سلمة، إلا أنه يغلب على الظن أن يكون طريق سلمة طريق وثيمة الأكبر إلى ابن إسحاق في المرايى.

وكُلُّ ما مضى من مقدّمة ونتيجة مستقرٌّ أحسب أن لا يخالف فيه مخالف، ولكنك حين تبلغ بالحديث إلى ابن إسحاق تشرّتبُ إليك أعناقٌ مرتابة: أيصح أن نروي عن ابن إسحاق؟ ثم لا يُجاوز كثير منهم ما هو فيه من غبش الرّيبة إلى نور من اليقين. وما مِن بُدٍ عندئذٍ أن نقف وقفة المتأمل بين كيل المادحين وطعن الناقلين على ابن إسحاق لكي نقول فيه قولاً يطرّد في روايات المرايى النبويّة التي رويت عنه في فصلنا هذا.

فأقول: يهتمُّ نَقْدَةُ التاريخ بقدم الراوي وقربه من الخبر، فمن لم يرَ لا كمن رأى؛ ومن لم يسمع

(١) انظر: رواية محمد بن إسحاق، للطرايشي ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) رواية محمد بن إسحاق، للطرايشي ص ١٩٣ - ١٩٤.

لا كمن سمع. وكان ابن إسحاق راوية قديماً، فقد حدّث فقال - وتأمل دِقَّتَهُ : « رأيت أنس بن مالك عليه عمامة سوداء، والصبيان يشتدّون ويقولون: هذا رجل من أصحاب النبي ﷺ لا يموت حتى يلقي الدجال »^(١). وقال - وارصد نباهته - : « رأيت سالم بن عبد الله بن عمر يلبس الصوف، وكان عِلْج الخلق يعالج بيديه ويعمل »^(٢). وأدرك وهو غلامٌ سعيد بن المسيب، فحدّث الغلابيُّ قال: قلت لابن معين: إنهم يزعمون أنه رأى سعيد بن المسيب. فقال: إنه لتقديم^(٣).

أمّا عدالته، فقد قال سفيان بن عُيينة: « جالسْتُ ابنَ إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحدٌ من أهل المدينة »^(٤). وقال مكيُّ بن إبراهيم: « جعفر بن محمد، ومحمد بن إسحاق، والحجاج بن أُرطاة: نُبُلُوا بعد موتهم »^(٥).

وأما الحفظ والضبط، وحواية العلم، فقد شهد له الأئمة بذلك، فقال علي بن المديني: « مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة، ثم قال: فصار علم الستة عند اثني عشر، أحدهم ابن إسحاق »^(٦).

وعن عبد الله بن فايد قال: كُنَّا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فَيِّ من العلم قضى مجلسه في ذلك الفنّ »^(٧).

(١) تاريخ مدينة السلام، للخطيب البغدادي ١١/٢، وقد اعتمدت عليه كثيراً لأنه جمع جُلَّ الروايات في الكلام على ابن إسحاق.

(٢) تاريخ مدينة السلام ١٢/٢.

(٣) انظر: تهذيب الكمال، للمزي ٤١١/٢٤.

(٤) تاريخ مدينة السلام ١٧/٢.

(٥) المصدر السابق ٢٤/٢.

(٦) المصدر السابق ١٣/٢.

(٧) المصدر السابق ١٥/٢.

وكان شعبة يقول: «لوسود أحد في الحديث لسود محمد بن إسحاق»^(١). وكان يقول: «محمد بن إسحاق أمير الحديثين بحفظه»^(٢).

وكان ابن إسحاق كبيراً عندهم، روى سفيان بن عُيينة قال: «رأيت الزهري أتاه محمد بن إسحاق فاستبطأه، فقال له: أين كنت؟ فقال له محمد بن إسحاق: وهل يصل إليك أحد مع حاجبك؟ قال: فدعا حاجبه فقال له: لا تحجبه إذا جاء»^(٣)، وكان الزهري يقول: «لا يزال بالمدينة علمٌ جمٌ ما كان فيهم ابن إسحاق»^(٤).

تلك أحكامهم في ديانة الرجل وعلمه وروايته للحديث بخاصة، وأنت تعلم مبلغ شدتهم وتضييقهم إذا ما تعلق الأمر برواية حديث رسول الله ﷺ، وهم مع ذلك رأوه أهلاً أن يروي الحديث، بل جعلوه إماماً من أئمة الرواية، قال الميزي: «وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً»^(٥).

وأكثر من ذلك معرفتهم له فنه الذي برع فيه، فن السير والمغازي، فقدّموه فيه، وهذا يعود بنا عوداً جديداً حريماً أن نردده ولا ننسأه لخطره في الشعر، يعود بنا إلى قضية (الاختصاص)، اختصاص كل أصحاب علم بعلمهم، وتوجيه نقد نقاد كل علم إلى علمهم الذي أرادوه فقط، وأن لا تُلخَط في ذلك بين العلوم تخليطاً مُضلاً مفسداً، فنجنّي على ما ورّثه لنا أبائنا بأيدينا، ونحن نظن أننا نصلحه ونهذبه. نعم، حق علينا أن نُصلح وأن نهذب، ولكنّه إصلاحٌ بأصوله، وتهذيبٌ على بصيرة من العلم، لا على نوع من الترخّص والجرأة والاستهانة.

(١) المصدر السابق ٢/٢٦٤.

(٢) التاريخ الكبير، لليخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ١/٤٠١ (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الأديب ١٣٦٠هـ).

(٣) تاريخ مدينة السلام ٢/١٤٤.

(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) تهذيب الكمال، للميزي ٢٤/٤١٨.

أقول: لقد عَرَفَ المَحَدِّثونَ أَنفُسَهُمَ لابنِ إِسْحاقَ إِمَامَتَهُ في السِّيرِ والمِغَازِي بعدما عَرَفُوا شَرَفَهُ الرَّفِيعَ في حَدِيثِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَدَلُوا ما بَدَلُوا حَتَّى يَصِيبُوا من عِلْمِهِ الَّذِي هُوَ فَرْدٌ فِيهِ، حَدَّثَ عُمَرَ بنَ عِثْمَانَ «أَنَّ الزَّهْرِيَّ كانَ يَتَلَقَّفُ المِغَازِي من ابنِ إِسْحاقَ فِيمَا يَحَدِّثُهُ عَن عاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ»^(١). وَعَن ابنِ المَدِينِيِّ قالَ: «سَمِعْتُ سَفِيانَ يَقولُ: قالَ ابنُ شِهابٍ - وَسُئِلَ عَن مِغَازِيهِ»^(٢) - فَقالَ: هَذا أَعْلَمُ النَاسَ بِها، يَعْنِي ابنُ إِسْحاقَ»^(٣)، وَحَدَّثَ حَرْمَلَةُ بنَ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ قالَ: «سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِي يَقولُ: من أَرادَ أنْ يَتَبَخَّرَ في المِغَازِي فَهُوَ عِيالٌ عَلى مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ»^(٤).

فَمُحَمَّدُ بنُ إِسْحاقَ إِذْ: ثِقَةٌ في الحَدِيثِ، إِمَامٌ في المِغَازِي والسِّيرِ. وَلَقَدْ ثَقُلْتُ بَعْضَ النَفوسِ عَن الإِقْرارِ لَه بِذَلِكَ لِمَقولَةٍ أَوْ نَحْوِها من بَعْضِ العُلَماءِ، لا يَتَمُّ البَحْثُ حَتَّى نَفْصَلَ القَوْلَ فِيها.

إِنَّ من أَدَمَ ما أَثَرَ من قَدْحٍ في مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ ما كانَ من خَبرِ هِشامِ بنِ عَروَةَ وامرَأَتِهِ، وما كانَ من أَمْرِ الإِمَامِ مالِكِ مَعَهُ، ثُمَّ ما دَوَّنَهُ مُحَمَّدُ بنُ سَلامَ الجَمَحِيِّ في «طَبَقاتِ فَحولِ الشَّعراءِ»، وَقَدْ رَدَّدَ كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ بَعْدَهُمَ أَقوالَهُمَ عَلى الظَّاهِرِ من غَيرِ كَبيرِ تَدبُّرٍ ولا نَظَرٍ فِيها؛ فَجَنَحُوا إلى أنْواعِ شَيءٍ مِنَ الأحْكامِ المُرْسَلَةِ الَّتِي لا يَرْتَضِيها المُنْهَجُ العِلْمِيُّ السَدِيدُ.

كانَ هِشامُ بنُ عَروَةَ يَنكُرُ أنْ يَكُونَ ابنُ إِسْحاقَ رَوَى عَن زَوجَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ المَنْذَرِ؛ فَقَدْ سألَهُ يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ عَن مُحَمَّدِ بنِ إِسْحاقَ قالَ: كانَ يَدْخُلُ عَلى فَاطِمَةَ بِنْتِ المَنْذَرِ؟ فَقالَ: أَهو كانَ يَصِلُ إِلَيْها؟^(٥). وَقيلَ لَه: إنَّ ابنَ إِسْحاقَ يَحَدِّثُ بِكَذا وَكَذا عَن فَاطِمَةَ. فَقالَ:

(١) المصدر السابق ٤٤/٤١٦.

(٢) أي مغازي ابن شهاب.

(٣) تاريخ مدينة السلام ٤/١٤.

(٤) المصدر السابق ٤/١٥.

(٥) انظر: تاريخ مدينة السلام ٤/١٨.

كذب الخبيث^(١). وقال أخرى: «العدو لله الكذاب يروي عن امرأتي، من أين رآها؟!»^(٢).
وقال: «والله إن رآها قَطُّ»^(٣).

ولكنَّ العلماء لم يُكذِّبوا ابنَ إسحاق قَطُّ، ولم يعوجوا على قول هشام بن عروة إلا بالنقض والتأويل والمدافعة عن ابن إسحاق. فعن عبد الله بن الإمام أحمد أنه حدَّث أباه بحديث ابن إسحاق «فقال: وما ينكر هشام؟! لعله جاء فاستأذن عليها فأذنت له، أحسبه قال: ولم يعلم»^(٤)، وقال أحمد أيضًا: «وقد يمكن أن يسمع منها تخرج إلى المسجد، أو خارجة فسمع. والله أعلم»^(٥). وقال علي بن المديني: «الذي قال هشام ليس بحُجَّة؛ لعله دخل علي امرأته وهو غلامٌ فسمع منها»^(٦)، وكان عليُّ يقول: «إن حديث محمد بن إسحاق لَيَتَبَيَّن فيه الصدق»^(٧).

ثم إن الذهبيَّ عَظَم عليه رُئي هشام ابنَ إسحاق بالكذب؛ فنعى عليه قوله وردَّه عليه فقال: «وما يُدري هشام بن عروة فلعله سمع منها في المسجد، أو سمع منها وهو صبيٌّ، أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب، فأى شيء في هذا وقد كانت امرأةً كُثِرَتْ وأُسِّتَتْ... والرجل فما قال إنه رآها، أفبمثل هذا يُعتمد على تكذيب رجل من أهل العلم؟! هذا مردود. ثم قد روى عنها محمد بن سوقة، ولها رواية عن أم سلمة وجَدَّتْها أسماء^(٨)، ثم ما قيل

(١) انظر: المصدر السابق ١٩/٢.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال، للحافظ أحمد بن عبد الله بن عدي ٢٦٠/٧ (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد

معوض، بيروت، ط١/١٤١٨هـ).

(٦) تاريخ مدينة السلام ٢٧/٢.

(٧) الموضع نفسه من تاريخ مدينة السلام.

(٨) يعني أنها كبيرة.

من أنها أدخلت عليه^(١) وهي بنت تسع سنين غلظت بَيْنَ...»^(٢).

وبذلك يكون ابن إسحاق عدلاً صادقاً عند القوم بالإثبات والنفي، عبثوا عن ذلك بكل عبارة، وشنعوا على من شدَّ عن ذلك.

ولم يسلم للإمام مالك طعنه في ابن إسحاق من تصديي العلماء له، وانتصارهم لابن إسحاق، مُفْتَدِينَ قول مالك من كل وجه.

قال حسين بن عروة: «سمعت مالك بن أنس يقول: محمد بن إسحاق كذاب»^(٣). وعن ابن إدريس قال: «كنت عند مالك بن أنس فقبل له: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا علم مالك؛ فإنني أنا بيّطاره. فقال: انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا عليّ علمي»^(٤).

فحمل قول مالك هذا على محامل، أحدها: المعاصرة؛ إذ عاش الرجلان -رحمهما الله- في وقت واحد، وفي بلدة واحدة، وكان لهما أصحاب وتلامذة يتقلون بينهما ما قد يؤغر الصدر، وارجع إلى اتهام مالك ابن إسحاق بالدجل تجد سببه أنه «قيل له» كذا وكذا. قال عبد الله ابن نافع: «كان ابن أبي ذئب، وعبد العزيز الماجشون، وابن أبي حازم، ومحمد بن إسحاق يتكلمون في مالك بن أنس، وكان أشدهم فيه كلاماً محمد بن إسحاق، كان يقول: ائتوني ببعض كتبه حتى أبيت عيوبه، أنا بيّطار كتبه»^(٥).

ولعل ذلك كان السبب في التأليب على ابن إسحاق وإخراجه من المدينة، حدّث ابن

(١) أي على هشام بن عروة.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، محمد بن عثمان ٣٩٠/٤-٣٩١ (تحقيق علي البجاوي، وفتحية علي البجاوي، دار الفكر العربي).

(٣) تاريخ مدينة السلام ١٩/٢.

(٤) الكامل، لابن عدي ٢٥٩/٧.

(٥) تاريخ مدينة السلام ٢٠/٢-٢١.

إدريس قال: « قلت لمالك بن أنس - وذكر المغازي - فقلت: قال ابن إسحاق: أنا بيطارها. فقال: قال لك: أنا بيطارها! نحن نقيناه عن المدينة »^(١).

قال الخطيب البغدادي: قد ذكر بعض العلماء أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاقه لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة. واحتج بما أخبره البرقاني عن مالك بن أنس قال: هشام بن عروة كذاب. قال أحمد بن محمد: فسألت يحيى بن معين فقال: « عسى أراد في الكلام، وأما في الحديث فهو ثقة، وهو من الرواة عنه »^(٢).

وكان أحمد مع معرفته بطعن مالك يوثق ابن إسحاق، فعن الأثرم قال: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن إسحاق: « كيف هو؟ فقال: هو حسن الحديث، وقال: قال مالك حين ذكره: دجال من الدجاجلة »^(٣).

قال البخاري: قال لي إبراهيم بن حمزة: ولو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق فلربما تكلم الإنسان فيري صاحبه بشيء واحد لا يتهمه في الأمور كلها^(٤). وقال علي بن المديني وقد سئل عن كلام مالك: « مالك لم يجالسه ولم يعرفه »^(٥).

وحين صعب على ابن إسحاق الخروج من المدينة فقال له رجل من أصحابه: « إني أحسب السفر غداً خسيصةً يا أبا عبد الله - وكان ابن إسحاق قد رقى - فقال ابن إسحاق: والله ما أخلاقنا بخسيصة، ولربما قصر الدهر باع الكريم »^(٦).

(١) المصدر السابق ٢٠/٢.

(٢) المصدر السابق ٢٠/٢، وهذه الكلمة من ابن معين نفيسة جداً، دالة على عملهم بسألة الاختصاص ومرعاتهم إياها؛ فقد يقبلون حديث الكذاب في كلامه مادام لم يكذب في الحديث، أي أن مصطلح (الكذب) عندهم الكذب في فقههم، الحديث، وهم لم الطرُق في استخراج ذلك.

(٣) تاريخ مدينة السلام ٢٠/٢.

(٤) انظر: التاريخ الكبير، للبخاري ٤١٧/٢٤.

(٥) تاريخ مدينة السلام ٢٧/٢.

(٦) المصدر السابق ١٦/٢.

إن المعاصرة - لا وراء - حجابٌ يُعْمِي الأقرانَ أن يرى بعضهم شمائل بعض، ثم يرغب بعض التلاميذ إلى القربي من الشيخ فينقلون له من أقوال قِرْنِه ما يُحْفَظُه وَيَغِيظُه، ولا عِصْمَةَ لأحد من الخلق إلا للأنبياء، ولذا ما إن بناى أحدهما بموت أو سفر أو محنة إلا ويرجع صاحبه إلى التَّصَفَّةِ إن كان من أهل التَّصَفَّةِ، وكان مالك - رحمه الله - من أهلها، قال ابن جِبَّان: «تكلم فيه رجلان: هشامٌ ومالكٌ، فأما قول هشام فليس مما يُجرح به الإنسان... وأما مالك فإن ذلك كان منه مرَّةً واحدة ثم عاد إلى ما يجب...»^(١).

وقيل: بل كان طعن مالك فيه من أجل القَدَرِ^(٢)، وهذا غير صحيح؛ لأن القدر شيءٌ، والكذب شيءٌ آخر. وقد نفى التهمة عنه محمد بن عبد الله بن ثُمير فقال: «كان محمد بن إسحاق يُرمى بالقدر، وكان أبعَدَ الناس منه»^(٣).

ويحكي مَكِّي بن إبراهيم أنه حضر مجلس ابن إسحاق فإذا هو يروي أحاديث في صفة الله تعالى لم يَحْتَمِلْهَا قَلْبُهُ، فلم يَعْذُ إليه^(٤). القول: ما حيلة ابن إسحاق في ذلك وهو راوٍ لا منشئ؟! لا ضير، لا يلحقه إثم.

وبين أيدينا خبر إذا جمعناه إلى المعاصرة انكشف لنا سببُ قدح مالك في ابن إسحاق الثقة، وفيه مثال لعاقبة اجتزاء بعض الكلم دون سياقه، واجتزاء الكلم من سياقه مزلةٌ وقع فيها من أساء القول في ابن إسحاق، ذلك أن استنفاد النظر في كل النصوص الملمَّة بالخبر أصل من أصول النقد التاريخي^(٥).

(١) تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني ٤٥/٩ (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة)، ولعل الجملة: «ثم عاد إلى ما يجب» بالجميم التحتانية المعجمة.

(٢) انظر: تاريخ أبي زُرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو البصري ص ٢٦٥ (وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، ط ١٤١٧هـ).

(٣) تاريخ مدينة السلام ٢٣/٢.

(٤) انظر: تاريخ مدينة السلام ٢٣/٢.

(٥) انظر: منهج البحث التاريخي، للدكتور حسن عثمان ص ٦٧ (دار المعارف، ط ٥). وانظر أيضًا: مصطلح التاريخ، للدكتور أسد رستم ص ١٤-١٥ (المكتبة العصرية، صيدا، ط ١٤٢٣هـ).

هذا الخبر يصلُ قدح مالك بقصة هشام بن عروة تلك، فعن سليمان بن داود قال: « قال لي يحيى بن سعيد القَطَّان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب. قال: قلت: ما يدريك؟ قال: قال لي وهيب بن خالد: إنه كذاب. قال: قلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك بن أنس: أشهد أنه كذاب، قلت لمالك: ما يدريك؟ قال: قال لي هشام بن عروة: أشهد أنه كذاب. قلت لهشام: ما يدريك؟ قال: حدّث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر، وأدخلت علي وهي بنتُ تسع سنين، وما رآها رجلٌ حتى لقيت الله »^(١).

فتلك إذن عاقبةٌ للاكتفاء والعجلة. إن محمد بن إسحاق ثقةٌ عدلٌ عند المحدثين، وإنهم أشدُّ على الناس من المؤرِّخين والأدباء، وكانوا أولي رِصدٍ وتتبعٍ وجمعٍ لكل ما من شأنه أن يعينهم على تمحيص حال الرجل، فإذا جاء عن الواقدي - وهو مؤرِّخ - أنَّ محمد بن إسحاق كان « يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء، فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة، وكانت له شعرة حسنة، فرقق رأسه، وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس هنالك، وكان حسن الوجه »^(٢)؛ أقول: إذا جاء ذلك فإنَّ مثله لم يك ليفوت المحدثين، إذ لو صح عندهم لذكروه وعولوا عليه مراراً؛ فهو ليس بصحيح.

وأما قول محمد بن سلام: « وكان ممن أفسد الشعر، وهجَّنه، وحمل كلَّ غُثاء منه؛ محمد بن إسحاق بن يسار مولى آل مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، وكان من علماء الناس بالسير. قال الزُّهرِيُّ: لا يزال في الناس علمٌ ما بقي مولى آلٍ مخزومة. وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك؛ فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر أتينا به فأحمله. ولم يكن ذلك له عذراً، فكُتِّبَ في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قطُّ، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمود، فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلامٌ مؤلَّفٌ معقودٌ بقوافٍ، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل

(١) الكامل، لابن عدي ٢٥٥/٧-٢٥٦.

(٢) إرشاد الأريب، لياقوت ٩/٧ (طبعة مرجليوث).

هذا الشعر؟ ومن أذاه منذ آلاف السنين والله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥] أي لا بقيّة لهم، وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ. وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥٠، ٥١]، وقال في عاد: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨]... فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأوليّة العرب المعروفين شعراً، فكيف بعاد وتمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث. ولم يرو قطّ عربيٌّ منها بيتاً واحداً، ولا راويةً للشعر، مع ضعف أسريه وقلة طلاوته. وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك: ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيّتهم بعريبتنا؛ فكيف بما على عهد عاد وتمود مع تداعيه ووهيه؟! فلو كان الشعرُ مثل ما وضع لابن إسحاق ومثّل ما روى الصحفيون؛ ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليلٌ على علم^(١).

وقول محمد بن سلام هذا لا يمسُّ شعر المراثي النبويّة اليمينيّة التي في هذا الفصل بسوء؛ والحجّة أن أشعار المراثي ليست من أصناف الشعر التي أنكر صدقها ابن سلام من رواية ابن إسحاق؛ وإنما أنكر ابن سلام ما تنكره بديهة العقل التاريخي من أشعار قوم بادوا وياد شعرهم، وما هذا الشعر المفتعل بشعرهم فوق ذلك؛ لأن لغتهم لغة غير لغة العرب المعروفة. هذا ما رفضه محمد بن سلام، وأطلقه قومٌ في روايات ابن إسحاق قاطبةً، وهو إطلاق باطل؛ لأن مغزى كلام ابن سلام صريح واضح، وليست أشعار المراثي النبويّة في شيء من ذلك.

وليس في كلام الجمحي طعنٌ في عدالة ابن إسحاق وصدقه، بل إنه ذكره بالخير وأثنى على علمه، وإنما شقّ عليه أن يجمع ابن إسحاق في كتبه السمين والغث ثم لا يفرّق بينهما. والظاهر أنه أراد بنقده هذا «كتاب المغازي»؛ فقد سرد ابن إسحاق في أوله أخبار الأولين، وليست أشعار المراثي النبويّة في شيء من ذلك.

(١) طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام ص ٧-١١.

ولا لَوْمَ على ابن إسحاق إذا هو روى في كتابه شعراً سقيماً مخلوطاً بشعر صحيح مادام لم يجزم بصوابه وصحّته، وعلى النقاد التمهيص. وأمّا الرجل فإنه قد جعل العُهدة على الراوي فقال: « لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله »، وإنها لنزاهةٌ أن يُقرَّ بقلّة بضاعته في الشعر، وأن يخشى أن لا يروي شعراً لربما كان صحيحاً فضاع علمٌ هو أمين عليه.

وما كان ابن إسحاق بذعاً في منهجه هذا؛ فتلك من طريقة علمائنا الأوائل، فهذا الطبري مثلاً قد يذكر الخبر ويذكر نقيضه تاركاً لمن بعده الترجيح مادام الترجيح لم يظهر له^(١). وقد استخفّ بعض المتأخرين بهذا المنهج العربي الأصيل الذي يحيط بالدلائل والقرائن، ويستقرئ ما حول الحادثة من شيء ذي بالٍ وشيءٍ غير ذي بال، ثم يفصلُ الأمور عن بعضها؛ فقد ينفع المستحقّر^(٢).

لقد أدّى محمد بن إسحاق العالم الثقة الأمانة، وأبان عن طريقته، وذكر لنا مبلغ طاقته، فكان ينبغي أن نبدأ من حيث انتهى، لا أن نُعرض عن روايته، ونلوي لها أعناقنا، معيّلين النفس بما لا يمتُّ إلى منهج النقد الصحيح بصلة.

ثمّ: ألم يرو محمد بن إسحاق في كتبه شعراً صحيحاً البتة؟ بلى، ورواه أهل العلم بالشعر

(١) وقد قال في أول تاريخه ٥/١: « وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادنا في كل ما أخصرت ذكره فيه مما شرطت أني راسه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى روايتها فيه، دون ما أدركت بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادئين، غير واصلٍ إلى من لم يشاهداهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس. فما يمكن في كتابي هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة؛ فليعلم أنه لم يؤث في ذلك من قِبَلنا، وإنما أتى من قِبَل بعض ناقليه إلينا، وأننا إنما أديننا ذلك على نحو ما أُذِي إلينا ».

(٢) انظر: البحث الأدبي، للدكتور شوقي ضيف ص ٢٥٧-٢٦٢ (دار المعارف، ط ٩) وفيه يثني على هذا المنهج، ويذكر أمثلة من حسناته.

عنه، فكان مرادهم إذن أن يا قوم انظروا في ما روى ابنُ إسحاق، فإنَّ فيه صحيحًا فخذوه، وإنَّ فيه دَعِيًّا مُنْتَبِتًا فاحذروه؛ ولم يقولوا قَطُّ: ردُّوا كل ما جاءكم عن ابن إسحاق. وإنما ذلكم وهمُّ توهمه من توهمه من كلام بعض المتقدمين كمالكٍ وابن سلامٍ، ولا يصح. ذلك ما انتهينا إليه من أمر رواية ابن إسحاق فيما رواه من المرائي النبويَّة.

٢

ابنُ ذِي أَصْبِحَ الحَمِيرِي:

ثلاثة أبيات تلك كل ما وقفت عليه من مرثية ابن ذي أصيح رضي الله عنه. واسمه «أبرهة بن سُرخبيل بن أبرهة بن الصباح... ابن ذي أصيح الحميري». ذكره الرشاطي في «الأنسب» وقال: إنه وفد على النبي ﷺ ففرش له رداءً. وإنه كان بالشام. وكان يُعدُّ من الحكماء. حكاه الهمداني في «النسب»، قال: وكان يروي عن النبي ﷺ أحاديث^(١).

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لو كان يُستوجب بالشرف الخلافة، لكان أحقُّ الناس بها أبرهة بن الصباح؛ فإنه من أبناء ملوك اليمن التابعة الذين ملكوا شرق الأرض وغربها^(٢).

وثلاثة الأبيات هذه في «إمتاع الأسماع»، وقد أسقطها ناشره من المطبوعة، ولكنِّي عدت إلى المخطوطة الأم التي اعتمدها فوجدتُ المقرئ يقول: «وقال [ابن] ذي أصيح من حمير حين نعى لهم أهود بن عياض النبي ﷺ بعد وفاته :

(١) الإصابة، لابن حجر ٢٧١.

(٢) انظر: الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، أحمد بن داود ص ١٩٩ (تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط ١/١٩٦٠م).

(٣) مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩).

صَدَّعَ الْقَلْبَ أَهْوَدُ إِذْ نَعَى لِي مُحَمَّدًا ^(٢)

وقد نقلها المقرئ في ما نقل عن وثيمة. وآية ذكورها في «كتاب الردة» لوثيمة نص كلام ابن حجر بعد ما أورد بيتيها الأولين أنهما من أبيات ذكرها وثيمة في «الردة» عن محمد بن إسحاق ^(١).

كما جاء في كتاب «الإنبابة» في ترجمة أهود: «أهوذ [كذا بالمعجمة] بن عياض الأزدي، هو الذي جاء بنعي سيدنا رسول الله ﷺ إلى حمير...»، قال محقق «الإنبابة»: «وفي هامش الأصل بجوار هذه الترجمة كتب: «يُنظر كتاب وثيمة» ^(٣).

والظن أن المقطعة تزيد على ثلاثة أبيات، وإلا لما نُقل على ابن حجر نقل البيت الثالث. والظن أن أبياتها قليلة؛ فمن الواضح أن ابن ذي أصبح قالها لساعته لما صدمه كلام الناعي.

والمقطعة كأغلب المراثي اليمينية صحيحة جيدة، ولا شائبة فيها؛ ذلك أن ابن ذي أصبح وأمثاله صنّف من الشعراء لا يروق للوضّاعين أن يضعوا على ألسنتهم؛ لخفوت شهرتهم في الشعر؛ أو لانقطاع أشعارهم، وقد لا يضعون عليهم لقلّة شهرتهم أنفسهم أصلاً، وتلك حسنة من حسنات التناهي.

٣

أمرؤ القيس بن عابس:

قال الخطيب البغدادي: «وليس في الصحابة من يسمى امرأ القيس غيره ^(٢)... عن أبي

(١) انظر: الإصابة ٤١/١.

(٢) الإنابة في معرفة المختلف فيهم من الصحابة، للحافظ علاء الدين بن قليط مُغلطاي (اعتنى به قسم التحقيق بدار الحرمين: السيد عزت موسى وآخران، مكتبة الرشد، الرياض).

(٣) بل عدّ ابن الأثير من اسمه امرؤ القيس غيره، وهم: امرؤ القيس بن الأصبع الكلبي، وامرؤ القيس بن الفاخر ابن الطّماح (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ٢٧٦/١-٢٧٧).

الحسن بن بشر بن يحيى الأسدي قال: امرؤ القيس بن عابس بن المنذر... الكِنْدِيُّ، جاهليٌّ وأدرك الإسلام. وفد على النبي ﷺ. ولم يرتد في أيام أبي بكر، وأقام على الإسلام في الردة، وله غِنَاءٌ في الردة، وهو القائل :

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا وَخُصَّ بِهَا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
فَلَسْتُ مُبَدِّلًا بِاللَّهِ رَبًّا وَلَا مُتَبَدِّلًا بِالسَّلَامِ دِينًا^(١)
وهو شاعر^(٢) مجيدٌ، هادينا إلى ذلك قوله السائر :

حَيَّ الْحَمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ إِذْ لَا يُؤَافِقُ شَكْلَهَا شَكْلِي
اللَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتُ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ
إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبِرَيْشِ نَبْلِكَ رَائِشُ نَبْلِي
وَسَمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتِ، وَمَا نَبَحَتْ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي^(٣)

وكان سبب المراثية شماتة بعض النساء البغايا باليمن حين نعى لهم جهل رسول الله ﷺ فأذنين امرأ القيس بن عابس، وبعثن في نفسه الغيرة والأسى؛ فما برح حتى كتب إلى أبي بكر يمجئه ويستنصره راثياً رسول الله ﷺ:

شِمَتِ الْبَغَايَا يَوْمَ أَعْلَنَ جَهْلُ بِنَعِيِّ أَحْمَدِ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي

سنة أبيات انفرد بروايتها جميعاً ابن حبيب في «المحرر»^(٤). والذي يغلب أنه نقلها عن ابن الكلبي؛ لأن ابن حبيب أورد معها مقطعةً أخرى لشداد بن مالك بن ضَمْعَج^(٥) تشكوا من

(١) كتاب الأسماء المهمة في الأنباء المحكمة، للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ص ٤٢٩ (أخرجه

الدكتور عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٢/١٣١٤هـ).

(٢) انظر: امرؤ القيس بن عابس الكندي وما تبقى من شعره، للدكتور محمد أبو المجدد علي (مستلة من مجلة كلية

دار العلوم، العدد الحادي عشر، يونيو ٢٠٠٤م).

(٣) انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٣/٣٠٤.

(٤) المحرر ص ١٨٤.

(٥) ستأتي قريباً في ص ٢١٢.

شامات أولئك البغايا أيضاً، ولم يذكر عمن أخذها؛ ولكني وجدت ابن قتيبة روى مقطعة شداً هذه وقال: إنه رواها عن ابن الكلبي^(١).

وكان ابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب إماماً من أئمة التاريخ والأنساب، وكان عليهما حريصاً، حتى لقد بلغ به ولعُهُ أن ذهب يتتبع الآثار والمقابر ينسخ ما عليها من النقوش والأشعار^(٢). وهو وإن كان ضعيفاً في رواية الحديث^(٣) فهو العالم الكبير الذي رجع الناس إليه في التاريخ والنسب؛ وانظر في كتب المحدثين قرّمهم ينقلون عنه في عشرات المواضيع، بل مثاتها، بله غير المحدثين من أهل الأخبار والأنساب والتراجم، فإن ذلك شيء كثير لا يكاد يُحصى^(٤).

ولعلنا نعيد قول الذهبي الذي مرّ قبل الذي فيه يقول: «فكم من إمام في فنّ مقصّر عن غيره، كسيبويه - مثلاً - إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نؤاس رأس في الشعر عربي من غيره...»^(٥).

(١) انظر: عيون الأخبار ١١٦/٣.

(٢) انظر: (باب القبوريات) من الإكليل، للهنداني ١٥٦/٨ (تحقيق محمد بن علي الأكوح، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ)، وانظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي ١: ٧٧ (ساعدت على طبعه جامعة بغداد، ط ١٤١٣هـ).

(٣) انظر: لسان الميزان، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني ١٩٦/٦ (مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند).

(٤) ممن أكثر النقل عنه مثلاً: أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» (تحقيق عبد المعين خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٣٩٦هـ)، والبيلاذري في «أنساب الأشراف»، وأبو الفرج في «الأغانى»، وياقوت في «إرشاد الأريب»، وابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن عساکر في «تاريخ دمشق»، وابن الأثير في «أسد الغابة»، وابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه»، وابن حجر في «الإصابة» في مواضع جمّة، وأصحاب المعاجم وكتب اللغة. وهؤلاء أصناف من العلماء ذرو علوم مختلفة كلهم كان يعتمد في كتابه على ابن الكلبي فيما كان يحسب أنه أو يحكيه من الأنساب والأخبار والشعر.

(٥) تذكرة الحفاظ ١٠٣١/٤.

فإذا نحن أصبنا مثل هذه الآيات التي لم يمسسها عَوَجٌ، فألفيناها مَرَوِيَّةً بمثل هذه الطريق المألوفة عند أهل العلم؛ فإننا قابلوها.

٤

ذُو الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِيُّ:

سَمِينَعٌ، أو أَسْمِينَعٌ^(١)، ويقال: أَيْفَعُ بن ناكور، وقيل: ابن حوشب بن عمرو بن يَعْفَرُ الحميرِيُّ. يكنى أبا شَرْحَبِيلٍ، ويقال: أبو شَرَّاحِيل. ابن عِمِّ كعب الأحمار. وقال ابن حجر: قال الهمداني: اسمه يزيد^(٢). وهذا وهم من ابن حجر؛ فيزيد إنما هو ذُو الْكَلَّاعِ الْأَكْبَرُ جَدُّ هذا^(٣). وذو الكلاع الأصغرُ هذا كاتبه رسول الله ﷺ على يد جرير بن عبد الله البجلي^(٤)، فأسلم، وأعتق خلْقًا، ثم قدم المدينة ومعه أربعة آلاف نفس، فسأله عمرُ في بيعهم، فأصبح وقد أعتقهم أيضًا. روى عن عمرَ، وشهد وقعة اليرموك، وفتح دمشق^(٥)، ومات -على الراجح- سنة ثلاثٍ وعشرين أو خمسين وعشرين منقلبه من مَربوطٍ بالإسكندرية^(٦).

(١) انظر: تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها على واردتها وأهلها، للحافظ ابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ٣٨٢/١٧ (تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط ١٤١٩/١)، و«سيفع: تصغير سمع إن كان أوله مضمومًا، وإلا فهو مثل سَمِيدَع. والسفعة: الجرة والإقدام في لغتهم. وناكور: فاعول من الفكر والدهاء» انظر: الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسين بن ذريرد ص ٥٢٥ (تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١٤١١/١هـ).

(٢) انظر: الإصابة ٤٢٨/٢.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ص ٤٣٤ (تحقيق بروفنسال).

(٤) انظر: المصباح المصنوع في كتاب النبي الأمي ورسوله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد بن علي بن حديد الأنصاري ٧١/٢ (تحقيق محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ)، وطبقات فقهاء اليمن، لعلي بن سُرَّة الجعدي ص ١٩ (تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٧م).

(٥) انظر: تاريخ مدينة دمشق ٣٨٣/١٧-٣٩٧.

(٦) انظر: يمانيون في موكب الرسول ﷺ ١/٤٤٢.

وهو شاعر؛ فقد ذكره المَرزُبَانِيُّ في «معجم الشعراء»^(١). وروى ابنُ عسَاكر بإسناده عن علوان بن داود، عن رجلٍ من قومه قال: بعثني أهلي بهديَّةً إلى ذي الكلاع في الجاهلية، فلبثتُ على بابهِ حَوْلًا لا أُصِلُ إليه، ثم إنه أشرف ذات يوم من القصر، فلم يبق أحدٌ حول القصر إلا خرَّ له ساجدًا. قال: فأمر بهديتي فقبِلت، ثم رأيتهُ بعدَ الإسلام وقد اشترى لحمًا بدرهم فسَمَطَه^(٢) على فرسه وهو يقول:

أَفِ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَدًّا أَنَا مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ فِي أَدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ: مَنْ أَنْعَمُ النَّاسِ مَعَاشًا قِيلَ: دَا
ثُمَّ بَدَلْتُ بِعَيْنِي شِفْوَةً حَبْدًا هَذَا شَقَاءٌ حَبْدًا^(٣)

ويُروى أنه لما بلغ عمر بن الخطاب كثرة شرب الناس الخمر بالشام، وإقامة الحدود عليهم؛ أمر أن يُطبخ كلُّ عصير بالشام حتى يذهب ثلثاه فلا يصير خمرًا، فقال ذو الكلاع:

صَبْرْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي وَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَائِرِ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا فَخِلَانُهَا يَبْكُونَ حَوْلَ الْمَعَاوِرِ
قَلًّا تَجْلِدُونِي وَاجْلِدُوهَا فَإِنَّهَا هِيَ الْعَيْشُ لِلْبَاقِي وَمَنْ فِي الْمَقَابِرِ^(٤)

ولا تفتقرُ مرثيته في النبي ﷺ كثيرًا عن هذه الأبيات القليلة التي أثرت لسَمِيعِ ذِي الكلاع رضي الله عنه، فشعره سهلٌ على ما يبدو، غيرٌ طويل.

وهذه المرثية معبَّرةٌ تعبير صدق عن الخطب الذي نزل بجمير بسبب الوفاة، وكيف أنهم كانوا يطمحون أن يُمتَّعوا بطول صحابة النبي ﷺ، ولكن أُنِيَ لهم ذلك وقد حال الموت بينهم وبينه، يقول ذو الكلاع:

(١) ذكر ذلك في الإصابة ٤/٤٢٩، وعلى ذلك يكون في الشطر الأول الضائع من المعجم.

(٢) سَطَطَه: أي علَّقه (اللسان: سَطَط).

(٣) انظر: تاريخ مدينة دمشق: ٣٨٨/١٧.

(٤) انظر: المصدر السابق ٣٩١/١٧.

قَدْ أَتَى جَمِيرَ أَمْرٍ شَامِلٍ قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزِرٍ بِالْأَمَلِ
مَوْتُ مَنْ كَانَ بَقَاءَ رَحْمَةٍ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا هَذَا جَلَلِ

وهي ناطقة بلسان حال ما كان يجري في أيام الردة، وقد رواها المقرئ في «إمتاع الأسماع»^(١)، وابن سيّد الناس في «ميتح المدح»^(٢)، كلاهما في جملة نقلهما من كتاب «الردة» لوثيمة.

فالمرثية صحيحة ظاهراً وباطناً، سليمة لا غبار عليها.

٥

سواد بن قارب:

الدَّوسِيُّ، الأزدِيُّ، وقيل: السدوسيُّ. صحابيّ كان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعراً^(٣).
ولإسلامه خبرٌ متداولٌ من طرقٍ شتى، وفيه أنّ سواد بن قارب قصّ على عمر بن الخطاب
قصة إسلامه فقال: بينا أنا ذات ليلة نائمٌ، إذ أتاني نَجِيٌّ فضربني برجله، ثم قال: يا سواد،
اسمع أقل لك. قال: قلت: هات. قال:

عَجِبْتُ لِلنَّجِيِّ وَأَنْجَاسِهَا وَرَجِلِهَا الْعَيْسِ بِأَخْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْلَ أَرْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَأَسْمُ بِعَيْتِيكَ إِلَى رَاسِهَا

قال: فتمت ولم أحفل بقوله شيئاً، فلما كانت الليلة الثانية أتاني يضرمني برجله، ثم قال:

(١) مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩)، ولن تجدّها في المطبوعة إذ أسقطت منها.

(٢) منح المدح، لابن سيد الناس ص ١٠٦.

(٣) انظر ترجمته في: معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ص ١٤٠٤ (تحقيق عادل العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١٤١٩هـ)، ومعجم الصحابة، للبغوي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ٤٤٣/٣ (تحقيق محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الجكني، دار البيان، الكويت).

يا سواد، اسمع أقل لك. قلت: هات. قال:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَافِهَا وَرَحَلَهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ الْمَقَادِيمُ كَأَذْنَابِهَا

قال: فحرّك قوله مني شيئاً، قال: ونسئ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله،

وقال: يا سواد بن قارب، اسمع ما أقول لك. قال: قلت: هات. قال:

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَخْبَارِهَا وَرَحَلَهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْلُ كُفَّارِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَخْجَارِهَا

قال: فعلمت أن الله قد أراد بي خيراً، ففقت إلى بردة لي، ففتفتها فلبستها، ووضعت

رجلي في العرز، ثم أقبلت حتى انتهيت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته. قال: « فإذا اجتمع

المسلمون فأخبرهم » فلما اجتمع المسلمون قمّت فقلت:

أَتَانِي نَجِيَّتِي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ يَكْ فِيهَا قَدْ تَلَوْتُ بِكَاذِبٍ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ: أَتَاكَ نَسِيٌّ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ
فَرَقَعْتُ أَذْيَالَ الْإِرَارِ، وَشَمَّرْتُ فِي الْقَرَسِ الْوَجَنَاءَ حَوْلَ السَّبَابِيبِ
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنَّكَ أَذَى الْمُرْسَلِينَ وَسَيْلَةٌ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَابِيبِ
فَمُرْنَا بَمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا جِثَّتْ شَيْبُ الدَّوَابِّ
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا دُوشَفَاعَةَ بَمُعْنِ قَتِيلًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

قال: ففرح رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار فرحاً شديداً^(١).

(١) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم ص ١٠٦.

ذلك خير سواد، سُقْتُهُ بِرُمَّتِهِ لَتَضْمِينِهِ مَا أَعْرَفَهُ لِسَوَادٍ مِنْ شَعْرِ سَوَى مَرِثِيهِ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وقد جاءت المرثية في خير طريف عند الكلاعي، وأرجح أن يكون رواه عن وثيمة؛ فهو قد قال في جملة نقله من كتاب وثيمة: « وقال سواد بن قارب... من خبره يبكي النبي ﷺ لَمَّا بَلَغَتْ أَسَدَ السَّرَاةِ وَفَاتَهُ، وبعد أن قام فيهم مقامًا محمودًا يثبتهم في الدين، ويحذّرهم سوء عاقبة الارتداد، وكان قد سادهم وشرف فيهم، فأجابوه إلى ما أراد، وقبلوا رأيّه، وقال:

جَلَّتْ مُصِيبَتُكَ الْعَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمُصِيبَةَ بَعْدَهَا تَرْدَادُ »

المرثية^(١).

ويشهد لهذه القصة أنها من كتاب وثيمة أن ما قبلها وما بعدها من كتاب الكلاعي منه، فما قبلها هو قصيدة عبد الله بن سلمة، وما بعدها هو قصيدة عبد الحارث بن أنس بن الديان، وكتاتهما منه^(٢).

أردت أن أكتب هذا الشعر وهو كل ما انتهى إلينا من شعر سواد بن قارب - وهو قليل؛ نعلم أنه والمرثية نمط واحد لا نجد اختلافًا فيه، نمط له أحرف حية تنبض بالشعر، وقوافٍ مُفْلِقَةٌ ثابتة في أصول أبياتها لا اجتلاب فيها ولا إغراب، ويؤنسنا مع أن هذه الأبيات قليلة أنا وجدنا سوادًا كان يختم قصيدته بختم يذكر اسمه فيه، ففي غير المرثية قال:

وَكُنْ لِي شَفِيحًا يَوْمَ لَا دُورَ شَفَاعَةٍ بَمُغْنِ قَتِيلًا عَنِ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

وفي المرثية قال:

هَذَا وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ قَدَاهُ سَوَادُ

وإن احتمال الوضع - إن كان ثم احتمال - بعيد، ذلك أن سواد بن قارب مغموظ الشهرة شاعرًا؛ فهو ممن لا يتنافس الأفاكون في الحمل عليه.

(١) الاكتفاء للكلاعي ٧٠/٢.

(٢) انظر ص ٢١٤، ٢١٥ من هذا الكتاب.

٦

شَدَّادُ بن مالك بن ضَمْعَج:

والذي ذكره باسمه هذا هو ابن حبيب وحده في «المحبر» في جملة خبر البغايا اللواتي شمتن بوفاة النبي ﷺ فقد قال بعد أبيات امرئ القيس بن عابس السالفة: «وكتب رجل من تنعة كان شريفاً يقال له: شَدَّادُ بن مالك بن ضَمْعَج إلى أبي بكر رحمه الله:

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ: إِذَّ البَغَايَا رُمِنَ كُلِّ مَسْرَامٍ»^(١)

وأشدد ابن قتيبة الأبيات في «عيون الأخبار» عن ابن الكلبي، ولكنه لم يذكر صاحبها^(٢).

والأبيات كما يظهر من سياقها كأبيات امرئ القيس بن عابس الكندي؛ صحيحة

مقبولة^(٣).

٧

عامر بن الظَّفِيل الأزدي:

هو عامر بن الظَّفِيل بن الحارث الأزدي، ترجمه ابن حجر في القسم الأول من الصحابة في «الإصابة»^(١) وقال: «ذكره وثيمة في «الرذة» عن ابن إسحاق، وذكر أنه كان وافداً قومه،

(١) المحبر ص ١٨٤.

(٢) انظر: عيون الأخبار ١٦/٣.

(٣) انظر: توثيق مرثية امرئ القيس بن عابس ص ٢٠٤ من هذه الدراسة.

(٤) قسم ابن حجر كتاب «الإصابة» أربعة أقسام: الأول: فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة. الثاني: من ذكر في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي ﷺ ممن مات وهو دون سن التمييز. الثالث: فيمن ذكر في الكتب من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبرٍ فقط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ، ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا. الرابع: فيمن ذكر في الكتب على سبيل الروم والغلط (انظر: الإصابة ١/٣-٥).

والقائم فيهم في زمن الردة يحرضهم على الإسلام، وذكر له قصة طويلة وقصيدة حسنة، وله مرثية في النبي ﷺ :

بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى النَّوِي
رِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا
مَنْ هَدَيْنَا بِهِ إِلَى سُبُلِ الْحَقِّ
قِي وَكُنَّا لَا نَعْرِفُ الْمِنَهَاجَا^(١)

وهو غير عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي، الذي اشترط على النبي ﷺ الملك من بعده، فمنعه، ومات كافرًا^(٢)، صاحب الديوان الذي حققه ليال^(٣)، والمراد عند الإطلاق.

ومقطعة الأزدي التي وصلت إلينا ثلاثة أبيات، هي من قصيدة، حسنة كما قال ابن حجر، وقد رآها، ولكنه لم يثبت إلا بيتين منها. أما المقريني^(٤) وابن سيد الناس^(٥) فزادا بيتًا ثالثًا، وكلهم يروي عن «كتاب الردة» لوثيمة بن موسى الذي رواها عن محمد بن إسحاق بن يسار.

فالأبيات صحاح مستقيمة، وإن كنا في أسى أن لم نقرأ أعيننا بالقصيدة أجمع؛ إذ نحس فيها حبًا وحنانًا يمينين.

(١) الإصابة ٥٨٤/٣.

(٢) انظر: أسد الغابة ١٢٥/٣.

(٣) انظر:

The Diwan Of Abid Ibn al-abras And Amir Ibn AT-Tufail Of Amir Ibn Sasaah
(edited by Sir Charles Lyall , Leyden, ١٩١٣).

(٤) انظر: مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩).

(٥) انظر: منح المدح ص ١٤٢.

٨

عبد الحارث بن أنس بن الدَّيَّان:

صحابيٌّ حارثيٌّ نجراتيٌّ، وقد على رسول الله ﷺ سنة اثنتين على الأرجح^(١)، اختلفوا في اسمه، فقيل: عبد الحارث، وقيل: عبد الرحمن؛ فقد ترجمه ابن حجر في صحابة القسم الأول وسماه: عبد الحارث، ثم قال: «وأعاده الذهبي في «التجريد» فيمن اسمه عبد الرحمن، فقال: عبد الرحمن بن الحارث بن أنس. أسلم بنجران. قيل: له شعر. ولم يذكر [الذهبي] من أين نقله، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ غيَّر اسمه فسماه عبد الرحمن، لكن يكون ذكر الحارث في نسبه غلطاً»^(٢).

فإن صحَّ تغييرُ الرُّسولِ ﷺ لاسمه، فإن اسمه يكون عبد الرحمن بن أنس لا عبد الرحمن ابن الحارث قولاً واحداً.

وقصيدته ذاتُ الأربعة عشر بيتاً التي مطلعها:

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيهِ [سَلَامٌ] اللَّهُ أَوْدَى بِهِ الْقَدْرُ

رواها وثيمة في «الرِّدَّة» عن محمد بن إسحاق، صرَّح بهذه الرواية ابن حجر في «الإصابة»، وأنشد بيتين منها^(٣). وأنشدها جميعها الكلاعي في «الاكتفا» عن وثيمة أيضاً^(٤).

وإذا كان ابنُ إسحاق مدارَ القصيدة، وهو راوٍ ثقةٌ، ولم تكن من أنواع ما ردَّه النقاد من الشعر الذي رواه، كالشعر المنسوب إلى الأمم البائدة، والشعر المنظوم المعقود بقوافٍ باردة... ولم يخترمها ضعفٌ يهوي بها من عصر الفصاحة، بل كانت متينةً، غصَّة الكليم، لا خذلان فيها، وكان صاحبها لم يُشتهر حتى يوضع عليه؛ فإننا نصححها له، طيبةً نفوسنا بذلك.

وأنا أزيد ناظرًا في الأمر اطمئنانًا إليه فأقول: إن العلماء اقتصروا في الشهادة

(١) انظر: يمانيون في موكب الرسول ١٢٣/٢.

(٢) الإصابة ٢٧٩/٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٤) انظر: الاكتفا ٧١/٢.

على صحبة هذا الصحابي بما أورده وثيمة في كتاب «الردّة» عن ابن إسحاق فحسب؛ فقد استدركه الحافظ الطلطي على ابن عبد البر فقال: «ذكره وثيمة»^(١)، واستدركه ابن قتيبة عن وثيمة أيضًا، واحتج ابن حجر لصحته بما أورده وثيمة عن ابن إسحاق كذلك^(٢)، فانظر كيف وثق النقاد في وثيمة وابن إسحاق كليهما، ورأوهما أهلاً للحجّة والتقديم.

٩

عبدُ الله بن سلمة الهمداني:

ليست قصيدة عبد الله بن سلمة عن صواحبها ببعيد، فهي صحيحة رواها وثيمة عن ابن إسحاق، ذكر ذلك ابن سيد الناس، وذكر مقامه الحميد، وخطبته البليغة التي أصاحت لها قرين بعد وفاة النبي ﷺ، وهي من عيون خطب العرب، ثم قال: «فأثنى عليه أبو بكر خيرًا، وحمدته قرين، وكان سيّدًا، فقال:

إِنَّ فَقْدَ النَّبِيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ فَدَثُّهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
وَفَدَثُهُ الْفُؤُوسُ لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ فِرَارُ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ »

وأُشد بقية القصيدة فأتتها اثني عشر بيتًا^(٣). ومن الطريق نفسها، طريق وثيمة عن ابن إسحاق روى الكلاعي منها عشرة أبيات^(٤).

واقترع ابن حجر على ثلاثة، وكان لا يتكثّر من الشعر في تراجمه؛ لئلا يجنح بالكتاب عن

(١) مخطوطة الاستدراك على أبي عمر ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب»، للحافظ إبراهيم بن يحيى الطلطي (ورقة ٤) محفوظة بدار الكتب المصرية (تيسورية ٨٩ تاريخ).

(٢) انظر: الإصابة ٤/٢٧٩.

(٣) انظر: منح المدح ص ١٦٥.

(٤) انظر: الاكتفا ٢/١٦٩.

مقصده، ولو فعل لرأينا جملة عجيبة من شعر ضاع بضياح كتبه.

١٠

عبدُ الله بن مالك الأرحبي:

صحابيُّ سيِّد، ضمُّه ابنُ حجر إلى صحابة القسم الأول من كتابه اعتمادًا على كتاب
وثيمة لا غير، قال: «ذكر وثيمة في «الردّة» أن له صحبة، وأنشد له شعرًا في ذلك قال [أي
وثيمة]: قال ابن إسحاق: لما هَمَّتْ هَمْدان بالردّة قام فيهم عبدُ الله بن مالك الأرحبي، وكان
من أصحاب النبي ﷺ، له هجرةٌ وفضلٌ في دينه... وذكر له خطبةٌ طويلةٌ يقول فيها:

لَعَمْرِي لَئِنْ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لَمَا مَاتَ يَا ابْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدٍ^(١)

وقد روى ابنُ سيِّد الناس هذه الخطبة الرائعة تامةً من غير نقص، ولا أعلم أحدًا رواها
تامةً سواه، وروى أبياتًا خمسةً من أبيات مرثية الأرحبي نقلًا عن كتاب وثيمة بن موسى^(٢)،
وروى الأبيات الخمسة المقرئ في «إمتاع الأسماع»^(٣)، وهنَّ واقعاتٌ في الجزء الفريد
الذي أسقط (محقق) الكتاب من غير ما سبب نعرفه. أمَّا الكلاعيُّ الأندلسيُّ فقد زاد في
الرواية بيتًا سادسًا، وكان لعامري الجزيرة فضلٌ عنايةً بكتاب وثيمة الذي سار إليهم فأقام
بالأندلس ملاءمةً من الدهر^(٤).

(١) الإصابة ٤/٢٢٥.

(٢) انظر: منح المدح ص ١٥٧، ١٥٨.

(٣) انظر: مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٩ - ١٨٣٠).

(٤) انظر ص ١٥٦ من هذا الكتاب.

والمقطَّعةُ شعراً يميني رقيق الحواشي لم يطله شيء من أذى الوضّاعين.

١١

عمرو بن الفُحَيْلِ الزُّبَيْدِيُّ:

صحابيٌّ من المهاجرين، أضناه فقُدَّ النبي ﷺ فرثاه بمرثية خاشعة متهدّجة مطلعها:

أَسْعِدِينِي بِدَمْعِكَ الرَّقْرَاقِ لِفِرَاقِ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفِرَاقِ

رواها وثيمة عن محمد بن إسحاق، ذكر ذلك المقرئ^(١)، وابنُ سيّد الناس^(٢)، وابنُ حجر^(٣).

والمقطَّعة شأنها شأن المرائي اليمنية التي رواها وثيمة عن ابن إسحاق، قيِّمةٌ صحيحة.

١٢

مُحَقَّبَةٌ / مَحْفَنَةٌ / عُقْبَةُ بْنُ النُّعْمَانَ الْعَتَاكِيُّ:

اختلف في اسمه، ولعل تصحيف النساخ السبب، وقد جاء الخبر عنه من طُرُق: طريق عمَرَ بن شَبَّة في كتابه «أخبار البصرة»، وطريق محمد بن إسحاق في كتاب وثيمة «الردّة» - وهذا الذي جعل ابن حجر يترجمه مرتين ظناً منه أنه رجلان، وطريق ثالث هو طريق أحمد بن أعثم المؤرّخ الكوفي.

وهذا الصحابيُّ عرّف به ابنُ حجر فقال: «عُقْبَةُ بْنُ النُّعْمَانَ الْعَتَاكِيُّ، أَبُو النُّعْمَانَ، مِنْ أَهْلِ عُثْمَانَ. ذَكَرَهُ وَثِيمَةٌ فِي «الرَّدَّةِ»، وَأَنَّهُ ثَبِتَ عَلَى إِسْلَامِهِ، وَشَيَّعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي جَمَاعَةٍ

(١) انظر: مخطوطة إمتاع الأسع (ورقة ١٨٣١)، وهي مما أسقط من المرائي المروية في الكتاب.

(٢) انظر: منح المدح ص ٢٠٤.

(٣) انظر: الإصابة ٦٧٠/٤.

من قومه حتى قدموا على أبي بكر، فشكر لهم أبو بكر ذلك، وهو القائل:

وَفِينَا وَفِينَا يَفِيضُ الْوَفَاءُ وَفِينَا يُفْرِخُ أَفْرَاحَهُ...»

وذكر شعراً^(١).

وعرّف به في الثانية فقال: «محببة بن النعمان العتكيّ الأزديّ، ذكره عمر بن شبة في «أخبار البصرة» فيمن شهد فتح تُسْتَرَمَعِ أَبِي مُوسَى، قال: وكان شاعرَ الأزدي في وقته، وأنشد يخاطب عمرو بن العاص لما خاف على نفسه أيام الردّة يشجّعه ويؤمّنه:

يَا عَمْرُو إِنَّ كَانَ لِتَيْبِي مُحَمَّدٌ أَوْدَى بِهِ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ»

المرثية^(٢).

ويقفنا تماثل الترجمتين على أنهما لصحابيّ واحدٍ، خاصّةً إذا شفّعنا إلى ذلك أن ابن حجر ترجم الترجمتين في القسم الثالث من حُظّته التي اختطها في كتابه^(٣).

وجاء في «منح المدح» أن اسمه «محبّنة» عن محمد بن إسحاق من طريق وثيمة^(٤)، وأنا أذهب بهذا القول إلى أضعف المذاهب لكثرة ما وقع في هذا الكتاب من التصحيف والتحرّيف، لا أدري تصحيف ناسخ هو أو تصحيف ناشر؟

ولعل «عقبة» هو الاسم الصحيح، وهو الذي تصحّف إلى «محبّنة»، ولعلّ التصحيف جاء من نسخة كتاب عمر بن شبة؛ فقد سمّاه ابنُ أعثم: «عقبة» وهو يُنشد شعره يذكرُ عمراً:

(١) انظر: الإصابة ١٣١/٥ - ١٣٢.

(٢) المصدر السابق ٢٧٩/٦.

(٣) انظر إيضاح تقسيم ابن حجر في الهامش الرابع من ص ٢١٢ من هذه الدراسة.

(٤) انظر: منح المدح ص ٣١٣ - ٣١٤.

وَقَيْنَا لِعَمْرٍو يَوْمَ عَمْرٍو كَأَنَّهُ طَرِيدٌ بَعَثَهُ مَذْجِحٌ وَالسَّكَّاسِكُ^(١)

ونقله ابن حجر عن وثيمة بلفظ «عقبة»، ونقله ابن الأثير فيما استدركه ابن الدُّبَّاعِ على أبي عُمر بلفظ «عقبة» كذلك^(٢)، وتلك نسخة أخرى من كتاب وثيمة تؤكِّد رواية الأولى.

وأياً ما كان اسمُه فقد كان شاعراً الأزدي^(٣)، ومرثيته في النبي ﷺ تشبه ما نعرفه من شعره، كتكراره لفظة «فينا» في مقام الفخر، ففي المرثية قال:

يَا عَمْرُو إِنَّ حَيَاتَهُ كَوَفَاتِهِ فِينَا، أَتُبْصِرُ مَا نَقُولُ وَتَسْمَعُ؟
وله في أيام الرِّدَّةِ يُؤَيِّدُ عَمْرًا:

وَقَيْنَا، وَفِينَا يَفِيضُ الْوَفَاءُ وَفِينَا يُفْرِحُ أَفْرَاحَهُ^(٤)
وكتكراره بعض المعاني، كقوله في المرثية:

فَأَقِمَّ فَإِنَّكَ لَا تَخَافُ، وَجَارُنَا يَا عَمْرُو، ذَلِكَ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
وقوله يُؤَيِّدُ عَمْرًا:

وَتَحْنُ أَنْاسٍ يَأْمَنُ الْجَارُ وَسَطْنَا إِذَا كَانَ يَوْمَ كَاسِفِ السَّمْسِ، حَالِكُ^(٥)

وفيما نقلنا من هذه الحادثة الواحدة، حادثة الرِّدَّةِ، إشارةً إلى طلاوة شعره وتدقيقه، ولكننا لا ندرى مكانه الآن!

والقصيدة صحيحةٌ يزيدنا ثقةً بها مجيئها من غير طريق.

(١) انظر: منح المدح ص ٢١٣، وقد تصحفت «أعشم» إلى «أكثم»، وقد أشرت فيما مضى إلى امتلاء هذه النشرة بالتصحيف.

(٢) انظر: أسد الغاية ٥٩٤.

(٣) انظر: الإصابة ٢٧٩/٦، وقد رأى ابن حجر أن السَّرُّبَانِيَّ فاته ذكر هذا.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٣٢/٥.

(٥) انظر: منح المدح ص ٢١٣.

١٣

مُرَّانُ بنُ عُمَيْرِ ذِي مُرَّانٍ:

الهمداني، القَيْلُ ابنُ القَيْلِ، كاتَبَ الرِّسُولَ ﷺ والذَّهَبِيُّ^(١)، وقام هو في قومه في الرِّدَّةِ يثبَّتْهم على الإسلام، رائيًا محمدًا ﷺ فاتبعوه وأطاعوا أمره^(٢).

وقد رُوِيَ مَرثِيَّتُهُ من جِهَتَيْنِ يَشُدُّ بَعْضُهُما بَعْضًا: من جِهَةِ وَثِيمَةَ عن محمد بن إسحاق^(٣)، ومن جِهَةِ أُخْرَى نادرة تقضي بدقَّةِ روايات ابن إسحاق لهؤلاء المراثي، ولهذه اللامِيَّةُ خاصَّةٌ؛ هي رواية كتاب «الإكليل» للهمداني.

و«الإكليل» أجزاءٌ عشرة، عُثِرَ على أربعة منها، منها عاشُرُها الذي جعله الهمداني لأنساب حمير، وفيه قال: «... فأولد عُمَيْرٌ ذو مُرَّانٍ عُرْبِيًّا، وقد ذُكِرنا أولادُه، والأسودُ، ومُرَّان وهو القاتل في رسول الله ﷺ يرثيه ويؤتدُّ أبا بكر في أيام الرِّدَّةِ:

إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ طَوِيلٌ ذَاكَ مِثِّي عَلَى الرَّسُولِ قَلِيلٌ

فذكر القصيدة^(٤).

وهذا الكتاب ذخيرةٌ من ذخائر اليمن الفدَّة^(٥)؛ لِشَحَّةِ ما دُونَ عن يَمَنِ صدر الإسلام وإتجاهِ سواده الأَكْبَر^(٦).

(١) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله ص ٢٣١.

(٢) انظر: منح المدح ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) انظر: الإصابة ٦/٢٨٢-٢٨٣.

(٤) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للحسن بن أحمد الهمداني ١/٤٨؛ تحقيق محب الدين الخطيب، الدار السننية، ط ١/٧١٤٠هـ.

(٥) انظر عن نشرات الأجزاء التي عثر عليها من الإكليل: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، لجان سوفاجيه، وكلود كاين ص ١٧٨ (ترجمة الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتور عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م).

(٦) انظر ص ١٩٠ من هذا الكتاب.

وَيُغْلِي مِنْ قِيَمَةِ «الإِكْلِيلِ» أَنَّ الْهُمْدَانِيَّ كَانَ يَسْتَمِدُّ رَوَايَاتِهِ « مِنْ أَفْوَاهِ النَّسَابِيِّينَ، وَلَا سِيَّمَا نَسَابِي هَمْدَانَ، وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ. وَأَخَذَ كَذَلِكَ مِنَ الْمَسَانِدِ الَّتِي كَانَ يَجِيدُ قِرَاءَتَهَا، وَمِنَ الرِّجَالِ »^(١)، أَمَّا هَذَا الْجُزْءُ الْعَاشِرُ فَإِنَّ فِيهِ أَخْبَارًا عَنِ رِجَالِ هَمْدَانَ وَبَطُونِهَا لَا تَجِدُهَا فِي الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ الْآخَرَى، فَهَذَا الْجُزْءُ «مَرْجِعٌ تَارِيخِيٌّ وَأَدْبِيٌّ عَظِيمُ الْفَائِدَةِ»^(٢).

وَقَدْ انْفَرَدَ «الإِكْلِيلُ» دُونَ غَيْرِهِ بِسَرْدِ الْقَصِيدَةِ كَامِلَةً، وَلَعَلَّهَا كَانَتْ يَتَنَاشَدُهَا النَّاسُ فِي هَمْدَانَ كَمَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ. وَفِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى جَلِيلِ قَدْرِ كِتَابِ الْأَخْبَارِ وَالنَّسَبِ فِي رَوَايَةِ الْأَدَبِ.

فَالْقَصِيدَةُ ثَابِتَةٌ قَوِيَّةٌ.

١٤

مَسْرُوقُ بْنُ ذِي الْحَارِثِ الْهُمْدَانِيُّ:

قال ابن حجر: « ذكره وثيمة في «كتاب الردة» ، ثم أنشد قوله يخاطب أبا بكر إثر خطبته البليغة:

كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ تَعَاظَمَنِي الصَّبُّ رُ عَليهِ سِوَى التَّيِّبِ دَقِيقُ
أَيُّهَا الْقَائِمُ الْمُعَصَّبُ بِالْأَمِّ رِ لَأَنْتَ الْمُصَدِّقُ الصِّدِّيقُ

ثلاثة أبيات^(٣). ولكن روى ابن سيّد الناس القصيدة سبعة عشر بيتاً، وقد تكون منقوصة مع ذلك، وقد رواها مع خطبتها وخبرها عن وثيمة عن ابن إسحاق^(٤).

(١) الحسن بن أحمد الهمداني وكتابه الإكليل: مقالة للدكتور إحسان النص، بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثاني والسبعون ٦٢٣/٤ - ٦٢٥ (جمادى الأولى ١٤١٨هـ).

(٢) المصدر السابق، الموضوع نفسه.

(٣) الإصابة ٢٩٣/٦ - ٢٩٤.

(٤) انظر: منح المدح ص ١٦٣ - ١٦٤.

وهذه القصيدة من فاخر شعر رثاء النبي ﷺ، وأرقه، وأصوبه.

١٥

ابن ذي المشعار:

وقد جاء اسمه في مخطوطة «إمتاع الأسماع»^(١)، فكتبها الناسخ: «المعان» حيث قال: «ثم قام المعان [كذا]، وكان ملك أهل ناحيته، وكان مثالها [كذا] فخطب، ثم قال من أبيات:

أَلَا كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ بَالِغًا مَا بَلَغَ
خَفِيفٌ عَلَيَّ لَمَّا انْطَفَتْ مَعَاشِرُ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْوَتْعِ»^(٢)

والمعان شاعر إسلامي من اليمن اسمه: المعان بن رزوق بن الدهر الهمداني^(٣)، ولقد كدث أظنه هو حتى رأيت ابن سيد الناس نسب القصيدة إلى «المشعار» فقال ناقلاً كلمة وثيمة: «ثم قام المشعار، وكان ملك أهل ناحيته، وكان متألهاً...»، فبان تصحيف الناسخ حين صحّف «المشعار» إلى «المعان»، وصحّف «متألهاً» إلى «مثالها»^(٤). وكان ابن سيد الناس قد صرح أن القصيدة والخبر في كتاب «الردّة» لوثيمة عن ابن إسحاق.

ولكّتي وجدت ثلاثة أبيات من القصيدة في الجزء العاشر من «الإكليل» للهمداني، أحدها

قوله:

(١) لم يورده محقق «الإمتاع» أصلاً، كلاً، ولم يورد قصيدته ألبتة!

(٢) مخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٠).

(٣) انظر: الإكليل ٨٥/١٠ (تحقيق محب الدين الخطيب) ومن شعر المعان فيه:

أدلى غلامي دَلَوَهُ يَبْغِي بِهَا وَشَلًّا لِيَنْشَحَ قَلْبُ صَادٍ يَهْلَعُ
فَاتَتْ بِنَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ ثُوبِ الْمَقَامِ عَلَى الْعِصِيِّ مُشْرِعُ

(٤) انظر أمثلة عجيبة للتصحيف في كتاب التنبية على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني (تحقيق

محمد أسعد طلّس، دار صادر، بيروت، ط ١٤١٢/٢هـ).

وَكُلُّ أَتَالِينَ لَهُمْ صَيْغَةٌ وَصَيْغَةٌ هُنْدَانٌ خَيْرُ الصَّيَغِ

وجدتها منسوبة إلى «يزيد بن ذي المشعار الأصغر من رُحيب بن مالك بن حمرة ذي المشعار الأكبر؛ وهو المشارك لذي مُرَّان الأصغر [صاحب المرثية النبوية التي مرت بنا؛ المشارك له] في أرض البون ومخلاف خارف»^(١).

ومالك بن حمرة والذي يزيد هذا هو الوافد على رسول الله ﷺ، وقد خلط قومٌ بينه وبين مالك بن نمط؛ لعله لتصحيح وقع في «سيرة ابن هشام»، ثم جاز الأمر على من نقل من «السيرة» بعد ذلك؛ فشاع هذا الخلط بينهم، فقد جاء في «السيرة» في كتاب رسول الله ﷺ هُنْدَانُ: «هذا كتابٌ من رسول الله محمد لمخلاف خارف... مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط»^(٢) فسقطت واو العطف. وقد ورد الخبر في موضع آخر من «السيرة» صحيحاً في قوله: «قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ... منهم مالك بن نمط، وأبو ثور وهو ذو المشعار»^(٣).

قال صاحب كتاب «يمانيون في موكب الرسول»: «ولاشك في وقوع التباين وخلط بين ذي المشعار ومالك بن نمط، فذو المشعار هو مالك ذو المشعار بن حمرة بن أيفع الناعطي... كبير أقيال ناعط... ومالك بن نمط أرحبٌ بكَيْلِيٍّ. وإنما وقع الالتباس لأن ذا المشعار وَقَدَّ مع مالك بن نمط وأن اسميهما مالك...»^(٤)، فانظر إلى التصحيح كيف يفسد من العلم^(٥).

(١) الإكليل ٥٢/١٠ (تحقيق الخطيب)، وانظر: شعراء همدان في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور حسن عيسى أبو ياسين ص ٣٨٧ (دار العلوم، الرياض، ط ١٤٠٣هـ).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٥٩٩/٢.

(٣) المصدر السابق ٥٩٦/٢.

(٤) يمانيون في موكب الرسول، لمحمد حسين الفرح ٥٧/١-٥٨.

(٥) من الكتب التي أثبتت هذا الخلط: الإصابة ٧٥٣/٥، والفائق في غريب الحديث ١١٦/٤، والاستيعاب ١٣٦٠/٣، والروض الأنف ٤٢٥/٧، وسبل الهدى والرشاد ٤٢٨/٦.

ووجدتُ في كتاب «الإصابة» في ترجمة مشاعر بن ذي المشعار الهمداني هذه الكلمة:
 « ذكره وثيمة في كتاب «الردة» وقال: كان من سادات همدان، وكان على ناحيته، فلما همَّ
 قومه بالردة قام فيهم خطيباً، وكان متألّهاً، فناهم عن الردة، وقال في ذلك أبياتاً^(١)، لكنه لم
 يذكر بيتاً منها، وهذه الجملة التي نقلها ابن حجر من كتاب وثيمة أوفى من جملة صاحبيه
 ابن سيد الناس والمقرئ حين نقلها، ولقد تجلّى منها أن هذا الرجل هو صاحبنا يزيد؛
 فلعل «المشعار» كان لقباً يُتلقَّبون به، وقد ذُكر في «الاشتقاق» أن «المشعار» موضع^(٢)، وربما
 كان محلّ ملكهم.

والقصيدة من أندر قصائد العرب إذ بُنيت على رويّ حرف الغين الفوقية المعجمة، وهذا
 ما أظنه لا يخطر ببال وضّاع قطّ، وقد يكفي أن نصيحتها لذلك وحده؛ فكيف وقد جاءت
 من رواية قوية راسخة، رواية وثيمة عن محمد بن إسحاق بن يسار؟!

(١) الإصابة ١٦٠/٤.

(٢) انظر: الاشتقاق، لابن دُرَيْد ص ٤٢١.



الفصل الخامس
تَوْثِيقُ مَرَاتِي
طَائِفَةٍ مِنَ الْعَرَبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

المراجعي

سَأَلُمُ الْعَطْفَانِي:

[من المتقارب]

- ١ أَفَاطِمُ، بَصِي، وَلَا تَسْأِي
 ٢ [هُوَ الْمَرْءُ يُبْكِي، وَحُقُّ الْبُكَاءِ
 ٣ فَقَدْ هَدَّتِ الْأَرْضُ لَمَّا تَوَى
 ٤ فَمَا لِي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَا
 ٥ جَوَى حَلَّ بَيْنَ الْحَمَا وَالشَّغَافِ
 ٦ فَيَا عَيْنُ، وَنَحْيُكَ، لَا تَسْأِي
 ٧ وَقَدْ بَانَ مِنْكَ الَّذِي تَعْلَمِينَ
 ٨ وَمَنْ ذَا، لِكَ الْوَيْلُ، بَعْدَ الرَّسُولِ
 ٩ فَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ خَيْرَ الْأَنَامِ
 ١٠ وَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ سَهْلَ الْجَنَا
- لَصُبْحِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكُوبُ
 هُوَ الْمَاجِدُ السَّيِّدُ الطَّيِّبُ
 وَأَيُّ التَّيْرَةِ لَا يُنْكَبُ
 تِ إِلَّا جَوَى دَاخِلُ مُنْصِبُ^(١)
 فَخَيَّم فِيهِ، فَمَا يَذْهَبُ^(٢)
 وَمَا بَالُ دَمْعِكَ لَا يُسْكَبُ
 وَضَاقَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَالتَّذْهَبُ
 يُبْكِي مِنَ النَّاسِ، أَوْ يُنْدَبُ^(٣)
 كَثِيرَ الْفَوَاضِلِ، لَا يُجْدِبُ
 بِ، تَحْصُ الصَّرَائِبِ، لَا يُؤْشَبُ^(٤)

* التخريج: جعلت التعازي والمراثي للميرد ص ٣١٣-٣١٤ (تحقيق إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر) أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الطبقات الكبير ٢/٢٨٤، ٢٨٥ الأبيات: ١-٤، ١٤، ١٦، ١٧، ٢١-٢٤ معزوة إلى صفية بنت عبد المطلب، وكنا غزيت الأبيات نفسها إلى صفية في نهاية الأرب ١٨/٤٠٤ ما عدا البيت: ٢٣؛ وفي مناقب آل أبي طالب ١/١٣١/١ الأبيات: ١، ٥، ٦، ٨؛ ونسب الزمخشري في الفائق ٢/١٤١/٢ البيت: ٢٠ لسالم رضي الله عنه.

١. في الطبقات، ونهاية الأرب: «بصبحك...». وفي مناقب آل أبي طالب: «فقد فاتك الماجد الطيب».
٢. البيت زائد في الطبقات ونهاية الأرب. وفي نهاية الأرب: «... البكاء» على الماجد...».
٣. في الطبقات، ونهاية الأرب: «فأوحشت الأرض من فقده».
٤. في الطبقات، ونهاية الأرب: «... الجوى الداخل المنصب».
٥. في مناقب آل أبي طالب: «... ويحك لا تهجمي».

(١) الجوى: شدة الوجد من عشق أو حزن (اللسان: جوا). والتَّصَبُّ: الأعياء من العناء (اللسان: نصب).

(٢) الشَّغَاف: غلاف القلب، وهو جلدٌ دونه كالحجاب (اللسان: شغف).

(٣) الضريبة: الطبيعة والسجية والخلقة (تاج العروس: ضرب). ومحض الضريبة خالص الخلق، كريمه. لا يؤشَب: الأشابة من الناس الأخلاط (اللسان: أشب) والمعنى: لا يعاب.

- ١١ وَإِنْ تَبَّكَه تَبُّكَ نُورَ الْبِلَاءِ دِ، صَخَمَ الدَّسِيعَةَ، لَا يَحْسِبُ^(١)
- ١٢ وَإِنْ تَبَّكَه تَبُّكَ خَيْرَ الْأَنَامِ سَرِيعًا سَوَائِلُهُ، مُخْصِبُ^(٢)
- ١٣ وَإِنْ تَبَّكَه تَبُّكَ وَارِي الزَّيَادِ صَدُوقَ الْمَقَالَةِ، لَا يَكْذِبُ
- ١٤ وَتَبَّكَ الرِّسُولَ، وَحَقَّتْ لَهُ شُهُودُ الْمَدِينَةِ، وَالغَيْبُ
- ١٥ وَتَبَّكَ لَهُ الصُّمُّ، صُمُّ الْجِبَالِ وَشَرْقُ الْمَدِينَةِ، وَالْمَغْرِبُ
- ١٦ وَتَبَّكَه شِعَاءُ مَضْرُورَةٍ إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُحْجَبُ
- ١٧ وَتَبَّكَه شَيْخُ أَبُو وَلَدَةٍ تُطِيفُ بِعَقُوتِهِ، أَشْيَبُ^(٣)
- ١٨ وَتَبَّكَه أَهْلُ الثُّهَى وَالْحِجَا مِنْ النَّاسِ، وَالطَّارِقُ الْأَخْيَبُ^(٤)
- ١٩ وَتَبَّكَه صَيْفُ جَفَاءِ الصَّدِيقِ وَذُو النَّسَبِ الدَّاخِلِ، الْأَقْرَبُ
- ٢٠ وَتَبَّكَه شِعْتُ خِمَاصِ الْبُطُونِ أَصَرَ بِهِمْ زَمَنٌ أَنْكَبُ
- ٢١ [وَتَبَّكَكَ رَكْبٌ إِذَا أَرْمَلُوا] فَلَمَّ يُلْفَ مَا طَلَبَ الطَّلَبُ^(٥)

١٤. في الطبقات ونهاية الأرب: «تبكي...».

١٦. في الطبقات، ونهاية الأرب: «لتبكيك شطاء...».

١٧. في الطبقات، ونهاية الأرب: «لبكيك... * يطوف... أشهب».

٢٠. في الفائق: «... زمن أزيب»، والأزيب: الريح النكباء (اللسان: زيب).

٢١. البيت زائد في الطبقات، ونهاية الأرب.

(١) الدَّسِيعَةُ: مائدة الرجل إذا كانت كريمة. وقيل: هي الجفنة (اللسان: دسع).

(٢) السوَابِلُ: جمع سَابِلَةٍ، وهم المختلفون في الطرقات لحوائجهم (أساس البلاغة: سبل)، فكأنهم كانوا يسرعون إليه يستاحون منه. ويقال: أسبل المطر: إذا أرسل دَفْعَهُ وتكاثف (أساس البلاغة: سبل).

(٣) العِقُوتَةُ والعِقَاءُ: الساحة وما حول الدار (اللسان: عفا).

(٤) الثُّهَى: العقل، يكون واحدًا وجمعًا. وفي التنزيل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعْنَ﴾ [طه: ٥٤] (اللسان: نهى). والحِجَا: العقل والفتنة (اللسان: حجا). والحَيْبَةُ: الحرمان والخسران (اللسان: خيب).

(٥) الرَّمْلُ: الهرولة، يقال: رمل الرجل يرمل رَمَلًا ورَمَلَانًا، إذا أسرع في مشيته وهز متكبيبه (اللسان: رمل).

- ٢٢ [وَتَبِيكِ الْأَبَاطِحُ مِنْ فَقْدِهِ وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ]^(١)
 ٢٣ [وَتَبْكِي وَغَيْرَهُ مِنْ فَقْدِهِ بُحْزِنٌ، وَيُسْعِدُهَا الْمَيْثَبُ]^(٢)
 ٢٤ [فَعَيْنِي مَالِكٍ لَا تَدْمَعِينَ وَحُقُّ لِدْمَعِكَ يُسْتَسْكَبُ]

٢٢. البيت زائد في الطبقات، ونهاية الأرب.

٢٣. البيت زائد في الطبقات.

٢٤. البيت زائد في الطبقات، ونهاية الأرب.

- (١) الأباطيح: جمع أبطح، وهو مسيل الوادي، وبطحاء مكة وأبطحها: معروفة؛ لانبطحها. ومبني من الأبطح (تاج العروس: بطح). والأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس، وقميتعان.
- (٢) الوغيرة: حصن في جبال الشراة قرب وادي موسى (معجم البلدان: الواو والعين). والميثب: جبل بالمدينة، وكان موضع صدقة النبي ﷺ (انظر: تخریج الدلالات السبعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، للخزاعي، علي بن محمد بن سعود ص ٥٦٥، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٤١٩/٢هـ). والإسعاد هنا من المساعدة (اللسان: سعد).

(٤١)

أبو ذؤيب الهذلي: [من الكامل]

- ١ لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي عَسَلَانِهِمْ مَا بَيْنَ مَلْحُودٍ لَهُ وَمُضْرَجٍ^(١)
- ٢ مُتَبَادِرِينَ لِشَرْجَعٍ بَأَكْفِهِمْ نَصَّ الرِّقَابِ لِفَقْدِ أُنَيْضِ أَرْوَجٍ^(٢)
- ٣ فَهُنَاكَ صِرْتُ إِلَى الْهُمُومِ وَمَنْ يَبِثَّ جَارَ الْهُمُومِ يَبِثُّ عَيْرَ مُرُوجٍ
- ٤ كَسِمَتْ لِمَضْرَعِهِ الثُّجُومُ وَبَدْرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ أَطَامُ بَطْنِ الْأُنْبُجِ
- ٥ وَتَزَعَزَعَتْ أَجْبَالُ يَثْرِبَ كُلِّهَا وَتَحْيَلُهَا لِحُلُولِ حَظَبِ مُفْدِجٍ
- ٦ وَلَقَدْ زَجَرْتُ الظِّيرَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمُصَابِهِ وَزَجَرْتُ سَعْدَ الْأَذْبَجِ
- ٧ وَزَجَرْتُ أَنْ نَعَبَ الْمُسْحَجُ سَائِحًا مُتَقَائِلًا فِيهِ بِقَالِ الْأَقْبَجِ^(٣)

* التخریج: جعلت الاستيعاب ص ١٦٥٠ أصلاً لهذه القصيدة، وهي في أسد الغابة ٩٩/٦-١٠٠-١٠١ وفي الاكتفا ٦٤/٢ الأبيات: ١-٦، وكذا في مخطوطة إمتاع الأساع (ورقة ١٨٣٤)، وهي مما أخذت به المطبوعة؛ وفي الزيادات المضافة إلى شرح أشعار الهذليين صنعة السكري ٣/١٣٠٧-١٣٠٨ الأبيات: ١-٦؛ وفي الإصابة ١٣٤/٧ البيت: ٤.

١. في الأصل، ومضافات شرح الهذليين: «... عسلاتهم» بالمتناة الفوقية، تصحيف؛ وفي الاكتفا: «... غسلاتهم» بالغين المعجمة، تصحيف أيضاً.

٢. في الاكتفا: «متبادلين...». وفي مضافات شرح الهذليين: «متناذين...»

٥. في مخطوطة إمتاع الأساع: «وتصعصعت...» أي اضطربت (اللسان: صعصع).

٧. في أسد الغابة: «... بفألٍ أقبج».

(١) العسلان: مشية فيها اضطراب (انظر: كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ص ٦٤٦/١ (حققه عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة).

(٢) الشَّرْجَع: السرير يحمل عليه الميت (اللسان: شرح). ونَصَّ رَقَبَتَهُ: رفعها (اللسان: نصص). وقال الليث: الْأَرْوَجُ الَّذِي فِي صَدْرِ قَدَمَيْهِ انْبِساطُ (اللسان: روح).

(٣) نَعَبَ الْمُسْحَجُ: الغراب إذا نَوَّحَ (اللسان: شجع).

(٤٢)

أَبُو الْهَيْتَمِ مَالِكُ بْنُ الْقَيْهَانَ:

[من الطويل]

- ١ أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الْمُنَى لَمْ تُخَلِّدِ
 - ٢ لَقَدْ جُدِعَتْ آدَانُنَا وَأُتُوفُنَا
 - ٣ نَكَلَمُ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنْ بَعْدِ غِلْظَةٍ
 - ٤ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ، كُلُّهُمْ
 - ٥ نَصَارَى يَقُولُونَ الْفِرْسَى، وَمُتَافِقُ
 - ٦ وَأَوْعَدَ كَذَّابُ الْيَمَامَةِ جُهْدَهُ
 - ٧ [وَدَّانَاهُ فِيمَا قَالَ عَيْرَ مُقْصِرٍ
 - ٨ فَإِنْ تَكُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ سَمَاتَةٌ
 - ٩ وَمَا نَحْنُ إِنْ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ أَمْرَنَا
- لَأَنَّ الْمَنَابِي لِلتُّفُوسِ يَمْزِجِدِ
عَدَاةً فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
لِعَيْبَةِ هَادٍ كَانُ فِينَا، وَمُهْتَدِي
يَرُوحُ عَلَيْنَا بِالشَّنَانِ وَيَعْتَدِي^(١)
شَيْبُهُ بِذَاكَ الشَّامِتِ الْمُتَهَوِّدِ
فَأَجْلَبَ عَرْدًا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ^(٢)
أَخُو الْجَهْلِ حَقًّا ظَلَحَهُ بِنُ حُوَيْلِدِ
فَلَا يَأْمَنُوا مَا يُخْبِرُ اللَّهُ فِي عَدِ
بِحَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا بَعْدَ أَحْمَدِ

الضريح: جعلت رواية الاكتفا ٦٨، ٦٧/٢، ٦٨ أصلاً لهذه القصيدة؛ فهي أجود ترتيباً، وأصح ألفاظاً في العموم من رواية كتاب الردة لابن أعثم (المنسوب للواقدي) ص ٣٠، ٣١ التي فيها بيتان زائدان: ٧، ١٣ مع اختلاف في ترتيب الأبيات: ٣ موضع ٥، ٥ موضع ٣؛ وفي الاستيعاب ١٣٤٨/٤، ومنح المدح ص ٢٩٣ الأبيات: ١-٣، ١١، ١٢؛ وفي مخطوطة إمتاع الأسماح (ورقة ١٨٣٢) الأبيات: ١-٣، وقد أخذت المطبوعة بذلك ضمن ما أخذت به؛ وفي الوافي بالوفيات ٣٠٧/١٧ البيتان: ١١، ١٢.

١. في الردة، ومنح المدح: «... أن الغنى لم يخلد»، وفي الردة: «وأن... للرجال...».

٢. في منح المدح: «يعلّم أهل الشرك من غير غلظة * لهيبة...» تصحيفان.

٣. في الردة: «... يقولون الشجاء... * وكل كفور شامت متهود».

٤. في الردة: «وأرعد... * وأكلب فينا...».

٥. البيت زائد في الردة.

٦. في الردة: «فإن يك... * فلا تأمنوا...».

(١) الشَّنَان: البغض (اللسان: شناً).

(٢) أجلب، وجلب: من الصياح. وهم يجلبون عليه: يعينون عليه (اللسان: جلب).

- ١٠ بَأْمَنَعَ مِنْ شَاءٍ يَقْفِرُ مَطِيرَةً بِقَيْعَةِ قَاعٍ، أَوْ صَبَابٍ يَقْدَقِدُ^(١)
- ١١ وَإِنِّي لَأَزْجُو أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا عَلَيَّ، أَوْ الصَّدِيقِ، وَالْمَرْءُ مِنْ عَدِي
- ١٢ أَوْلَاكَ خِيَارُ الْحَيِّ فَهَرَبْنِ مَالِكٍ وَأَنْصَارُ هَذَا الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي
- ١٣ [وَأَمْسَى مُسَيِّلُمٌ فِي الْيَمَامَةِ غَالِبًا عَلَى النَّاسِ طَرًّا بِالْقَنَا وَالْمُهَنْدِ]

١٠. في الأصل: «... يقفر...» تصحيف، وفي الردة: «وفقعة قاع، أو ضباع...».
١١. في الاستيعاب والروافي: «ويحفظه الصديق والمراء...»، وفي الردة: «... أو الصديق أو عمرو من غد».
١٢. في الأصل: «أولئك...» تصحيف، وفي منح المدح: «أولئك خير...»، وفي الردة: «وتعدو زكاة الحي...».
١٣. البيت زائد في الردة، ولعله بعد البيت: ٦ أو ٧، ولكن إتيان هذا البيت آخر القصيدة ذو معنى أيضًا؛ كأنه آخر ما بلغ أبا الهيثم من الأمر.

(١) القبيعة: من القاع، والقاع ما انبسط من الأرض، وفيه يكون السراب نصف النهار (اللسان: قوع). ومراد الشاعر بقبيعة القاع: ما كان أخص نظامًا من القاع. والفدقد: المكان المرتفع فيه صلابة ويغلظ (اللسان: فدقد). وفي ذلك اليوم العصيب، يوم الوفاة، يقول عروة بن الزبير: «والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية؛ لفقد نبيهم، وقتلهم، وكثرة عدوهم» (تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٣٤٥/٢).

(٤٣)

قَيْسُ بْنُ عَنَمٍ:

[من الرجز]

- ١ أَلَا لِيِ الْوَيْلُ عَلَى مُحَمَّدٍ
- ٢ قَدْ كُنْتُ فِي حَيَاتِهِ بِمَقْعَدٍ
- ٣ وَفِي أَمَانٍ مِنْ عَدُوِّ مُعْتَدِي
- ٤ أَيْبُكَ لَيْلِي آمِنًا إِلَى الْعَدِ
- ٥ [وَلَسْتُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِمُخْلِدي]

* التخریج: رُوِيَ هَذَا الرَّجْزُ فِي الْإِصَابَةِ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً لَيْسَ فِيهَا الْبَيْتُ الْغَالِثُ ٤٩٤/٥-٤٩٥، وَمَرَّةً لَيْسَ فِيهَا الْبَيْتُ الرَّابِعُ ٣٣٨/٥ فَجُمِعَتْ بَيْنَهُمَا وَجَعِلَتْ الْإِصَابَةُ أَصْلًا، وَفِي أَسَدِ الْغَابَةِ ٤/٣٢٨ الْأَبْيَاتُ: ١، ٢، ٤، ٥، وَفِي الطَّبَقَاتِ الْكَبِيرِ ٩/١٢٢، وَتَهْذِيبِ الْكَمَالِ لِلْمَرْي ٢٣/١٢٠-١٢١، وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ لِأَبِي سَلِيمَانَ تَحْمِيْدِ الْحَطَّائِيِّ ٤/١١٢ (تَحْقِيقُ عَبْدِ الْكَرِيمِ إِبْرَاهِيمِ الْعَزِيزِيَّ، مَنَشُورَاتُ جَامِعَةِ أُمِّ الْقُرَى)، وَمَجْمَعِ الزُّوَائِدِ ٩/٣٩، وَمَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ ص ٢٣٢٨ الْأَبْيَاتُ: ١، ٢، ٤، وَفِي مَنَحِ الْمَدْحِ ص ٢٢٢ الْأَبْيَاتُ: ١-٣.

٢. فِي أَسَدِ الْغَابَةِ: « قَدْ كُنْتُ قَبْلَ مَوْتِهِ... ». وَفِي مَجْمَعِ الزُّوَائِدِ: «... بِمَرْصَدٍ».

٤. فِي الطَّبَقَاتِ، وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ، وَمَجْمَعِ الزُّوَائِدِ، وَتَهْذِيبِ الْكَمَالِ: « أَنَامُ... ».

٥. هَذَا الْبَيْتُ زَائِدٌ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ فَقَطْ.

(٤٤)

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: [من الطويل]

- ١ أَلَا إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَصْبَحَ أَهْلُهُ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 ٢ وَلَا ذَاكَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا مِنْ خِثَابِهِ عَلَى الدِّينِ وَالذُّنْيَا لِإِنْجَازِ مَوْعِدِهِ؛
 ٣ وَلَكِنْ أَصِيبْنَا بِالنَّيِّ؛ فَلَيْلُنَا طَوِيلٌ كَلِيلِ الْأَرَمِدِ الْمُتَلَدِّ (١)
 ٤ وَإِنَّا وَإِنْ جَاشَتْ فَرَارَةٌ كُلُّهَا وَذُنْبِيَانِ فِي مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ مُزِيدِ (٢)
 ٥ وَأَجْرَى لَهُمْ فِيهَا ذُيُولُ غُرُورِهِ طَلِيحَةٌ مَأْوَى كُلِّ غَاوٍ وَمُلْجِدِ؛
 ٦ نَعَادِرُهُمْ بِالْخَيْلِ حَتَّى نُقِيمَهُمْ بِضَمِّ الْعَوَالِي، وَالصَّفِيحِ الْمَهْنَدِ (٣)
 ٧ وَحَتَّى يُقَرُّوا بِالنُّبُوءَةِ أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ حَقٌّ، وَالكِتَابِ لِأَخِي مُحَمَّدٍ
 ٨ وَقَدْ سَرَّنِي مِنْكُمْ مَعَاشِرَ طَيِّبِ جَمَايَةِ هَذَا الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي
 ٩ وَتَبِعُكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَنَفُوسَكُمْ رَجَاءَ الَّذِي يَجْزِي بِهِ اللَّهُ فِي عَدِي
 ١٠ وَإِعْظَاؤَكُمْ مَا كَانَ مِنْ صِدْقَاتِكُمْ بِغَيْرِ جِهَادٍ مِنْ لِسَانٍ وَلَا يَدٍ (٤)

* التخریج: القصيدة في كتاب الردة لابن أعمش (المنسوب للواقدي) ص ٦٤، ولم أرها في غيره.

(١) الأرمد: الذي هاجت عينه (اللسان: رمد). والمتلدد: المتحير المتلقت (أساس البلاغة: لد).

(٢) جاش البحر: ارتفع وعلا، ومنه قول الأعشى:

أثوعدني إن جاش بحر ابن عمكم وبمحرّك ساج لا يوارى النّاعيا
 (كتاب الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الأعشى، والأعشى الآخرين ص ١٠٩، مطبعة أدلف هلز
 هوش، بيانه ١٩٢٧م)، أي أن القوم غضبوا وغلّوا وتجمعوا فكثّر عددهم لحرب المسلمين.

(٣) صمّ العوالي: يقصد بها الرماح، والصفیح المهند: السيف.

(٤) بعث أبو بكرٍ عدی بن حاتم إلى قومه ليدركهم أن يرتدوا مع طليحة، ففعل، وعاد بالغوث من طييب، وعاد
 مجديلة أيضا، فكانوا نصرا للمسلمين، حتى لقد قال الطبري رحمه الله: «فكان خير مولود ولد في أرض طييب»،
 وأعظمه عليهم بركة» (تاريخ الأمم والملوك ٢٥٤/٣).

(٤٥)

عبدُ الله بنُ أنيس:

[من الطويل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | نَفَى التَّوْمَ مَا لَا تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ | وَحَظَبُ جَلِيلٍ لِلْبَلِيَّةِ جَامِعُ |
| ٢ | عَدَاةَ نَعَى النَّاسِي إِيْنَا مُحَمَّدًا | وَتَلَكَ اللَّي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ ^(١) |
| ٣ | فَلَوْرَدٌ نَفْسًا قَتَلُ نَفْسٍ قَتَلْتُهَا | وَلِكِنَّهُ لَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ دَافِعُ |
| ٤ | فَأَلَيْتُ لَا أَبْكِي عَلَى هُلْكِ هَالِكِ | مِنَ النَّاسِ، مَا أَوْفَى ثَبِيرٌ وَفَارِعُ ^(٢) |
| ٥ | وَلَكِنَّنِي بَاكِ عَلَيْكَ، وَمُتْبِعُ | مُصِيبَتَهُ: إِيَّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ |
| ٦ | وَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ النَّيِّينَ قَبْلَهُ | وَعَادًا أُصِيبُوا بِالْوَرَى، وَالتَّبَايِعُ |

* التخریج: جعلتُ الاكتفا ٢/٦٦، ٦٧ أصلاً لهذه القصيدة، وفي الطبقات الكبير ٢/٢٧٨، ٢٧٩، ونهاية الأرب ١٨/٤٠١، وسبل الهدى والرشاد ١٢/٢٧٨ الأبيات جميعاً ماعداً: ٧، ١١-١٣، وفي الذخائر والأعلاق للإسبيلي ص ٢٢٢ الأبيات: ١، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٥، وفي الحماسة البصرية لصدر الدين البصري ٢/٥٩٤ (تحقيق وشرح ودراسة الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١/١٤٢٠هـ) الأبيات: ١، ٢، ٤، ٥، والقصيدة مما أفحمه محقق إمتاع الأسماع ١٤/٥٩٥ فيه، وليست منه وإنما نقلها من الطبقات لابن سعد.

١. في الحماسة البصرية: «... تمتليه الأضالع». وفي الطبقات، وسبل الهدى والرشاد، ونهاية الأرب: «تطاول ليلى واعترتني القوارع» * وخطب... «وفي الذخائر: «تطاول ليلى واعتراتني القوارع». وفي الذخائر: «... للخلائق جامع».

٢. في الطبقات، ونهاية الأرب، والسبل: «فلوردة ميتة قتل نفسي...».

٣. في الحماسة البصرية: «فوالله...». وفي الأصل: «... ما أوسى ثبير...» تصحيف. وفي الطبقات، والسبل: «فأليت لا أئني...». وفي الذخائر، ونهاية الأرب: «... لا أوسى...». وفي الحماسة البصرية: «... ما أوسى...»، وفي الذخائر: «... ما رسي...».

٤. في الطبقات، ونهاية الأرب، وسبل الهدى: «... عليه...».

٥. في الأصل: «وعاداً... والتتابع» تصحيف. وفي الذخائر، ونهاية الأرب: «... أصيبت...». وفي الطبقات، ونهاية الأرب: «... بالرزى والتتابع». وفي الذخائر: «... قبله والتتابع».

(١) استكت مسامعه: صُمّت، ومنه قول النابغة:

وَأُخْبِرْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَنَّكَ لَمْتَنِي وَتَلَكَ اللَّي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ
(أساس البلاغة: سكك).

(٢) ثبير: جبل عظيم بمكة (معجم البلدان: ثبير). وفارِع: أظم، وهو حصن بالمدينة (معجم البلدان: فارِع).

- ٧ فَإِنْ مَاتَ قَالَ إِسْلَامٌ حَيًّا، وَرَبُّنَا
 ٨ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِنَا
 ٩ ثَلَاثَةٌ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ هُمْ هُمْ
 ١٠ عَلِيٌّ أَوْ الصِّدِّيقُ، أَوْ عَمْرٌ لَهَا
 ١١ أَوْلَيْكَ خَيْرُ الْحَيِّ فَهَرَبْنَا مَالِكِ
 ١٢ أَوْلَيْكَ إِنْ قَامُوا بِهِ سَلَكُوا بِنَا
 ١٣ وَكُلُّ قُرَيْشٍ، وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
 ١٤ فَإِنْ قَالَ مِنَّا قَائِلٌ غَيْرَ هَذِهِ
 ١٥ يَا لَقُرَيْشٍ اقْلُدُوا الْأَمْرَ بَعْضَكُمْ
 ١٦ وَلَا تُبْطِئُوا عَنْهَا فَوَاقًا فَإِنَّهَا
- لِذَا الدِّينِ مِمَّا كَادَهُ الْيَوْمُ؛ مَا نِعُ
 وَهَلْ لِقُرَيْشٍ، يَا إِمَامَ، مُنَازِعٌ ١٩
 أَرْمَةٌ هَذَا الْأَمْرِ، وَاللَّهُ صَانِعٌ^(١)
 وَلَيْسَ لَهَا بَعْدَ الثَّلَاثَةِ رَابِعٌ
 وَأَوَّلُ مَنْ تَجَنَّبَ عَلَيْهِ، الْأَصَابِعُ
 مُحَجَّجَتْنَا الْعُظْمَى، وَقَلَّ التَّنَازُعُ^(٢)
 عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ لِلثَّلَاثَةِ تَابِعٌ
 أَبَيْتْنَا، وَقُلْنَا: اللَّهُ رَأَى وَسَامِعٌ
 فَإِنَّ صَاحِبَ الْعَجْزِ لِلْيَسَنِ قَارِعٌ
 إِذَا قُطِعَتْ لَمْ تُسِرْ فِيهَا الْمَطَامِعُ^(٣)

٨. في الطبقات، ونهاية الأرب، والسبل: «... في قریش من إمام ینازع».
 ١٥. في الطبقات، ونهاية الأرب، وسبل الهدى: «... قلدوا الأمر بعضهم» فإن صحيح القول للناس نافع. وفي الذخائر:
 «فإن نصير القوم للقوم نافع»، والروايتان أوضح من رواية الاكتفا.
 ١٦. في الطبقات، والسبل: «... لم یمن...». وفي نهاية الأرب: «... لم ٲمن...».

- (١) الأرمّة: جمع زمام، وهو الحبل (اللسان: زمم).
 (٢) المحجّة: الطريق، وقيل: جادة الطريق (اللسان: حجج).
 (٣) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، لأنها تحلب، ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل ليتدرّج، ثم تحلب (تاج العروس: فوق).

(٤٧)

ابن أبي عرّة: [من الكامل]*

- ١ دَهَبَ النَّبِيُّ فَرْتَقْنَا مَفْتُوقٌ وَلَقَدْ يَكُونُ وَفَتَقْنَا مَرْزُوقٌ
 ٢ دَهَبَ الَّذِي كُنَّا نُدَّالُ بِرِيحِهِ... وَفَقِيرُنَا بِرِيحِهِ مَرْزُوقٌ
 ٣ نَادَى مُنَادٍ: لَمْ يُمْثِ جَزَعَايَهُ فَتَلَا عَلَيْهِمْ مَوْتَهُ الصِّدِيقُ
 ٤ فَكَانَتْهَا وَالرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةٌ لَمْ يَتْلُهَا مِنْ قَبْلِهِ مَخْلُوقٌ

* التخريج: المقطعة في منح المدح ص ٢٢٠، ٢٢١ مخطوطة إمتاع الأساع (ورقة ١٨٣١)، وقد أسقطت من المطبوعة.

٢. في الإمتاع: «... كُنَّا بِهِ»

٣. في الإمتاع: «ولا عليه موته [كذا] الصديق»

(٤٨)

أبو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ:

[من الوافر]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أُرِفْتُ، فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ | وَلَيْلُ أَخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ |
| ٢ | وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ، وَذَلِكَ فِيمَا | أَصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلٌ ^(١) |
| ٣ | فَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَنَا وَجَلَّتْ | عَشِيَّةَ قَيْلٍ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ |
| ٤ | [فَقَطَّلَ النَّاسُ مُنْقَطِعِينَ فِيهَا | كَأَنَّ النَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ حَوِيلٌ] ^(٢) |
| ٥ | [كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوهُ عُنِي | أَصْرًا بَلَّتِ حَارِمِهِمْ عَلِيلٌ] |

* التخریج: جعلت رواية الذهبي في تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢١٩ أصلاً لهذه القصيدة، وهي في سير أعلام النبلاء ٢٠٤/١-٢٠٥-٢٠٥ بتسامها؛ وفي الاستيعاب لابن عبد البر ١٦٧٣/٤، والاكتفا ٦٥/٢، ومخطوطة إمتاع الأسباع (ورقة ١٨٣٢)، ونهاية الأرب ٤٠١-٤٠٠/١٨، والبدایة والنهایة ٢٨٢/٥، والمواهب اللدنیة بشرح الزرقاني ١٥٠/١٢-١٥١ جميعها الأبيات: ١-٣، ٧-٩، ١١، ١٢، ١٥، ١٨، وفي الحساسة البصرية ٥٩٣/٢ الأبيات: ٣، ٧-٩، ١٥، ١٨، وفي الزهرة ٥٠٩/٢ الأبيات: ١، ٣-٥، ١١، ١٨، وفي الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٤ الأبيات: ١، ٣، ٥، ١١-١٢، ١٦، وفي سلوة الكتيب ص ١٩٩-٢٠١ الأبيات: ١-١٩، وفي أسد الغابة ١٤٣/٦ الأبيات: ١-٣، ٧-٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٨، وفي منح المدح ص ٣٠٦ الأبيات: ١-٣، ٧-٩، ١١، ١٢، وفي مخطوطة السيرة النبوية للكارزوني (ورقة ١٦٨) الأبيات: ١-٣، ٧-٩، ١١، ١٢، ١٥، ١٨، وفي الإصابة ١٨٠/٧ البيت: ٣.

١. في المواهب اللدنية: «... فبتت...»، وفي سلوة الكتيب: «... وبتت...».

٢. في الاستيعاب: «فأسعدني...».

٣. في مخطوطة إمتاع الأسباع، والحساسة البصرية، والبدایة والنهایة، ونهاية الأرب، والاكتفا، والاستيعاب، ومنح

المدح، والمواهب اللدنية، ومخطوطة الكارزوني، والإصابة: «لقد...»، وفي الذخائر للإشبيلي: «وقد... مصيبت...».

وفي الإصابة: «... قد مات الرسول»، وفي منح المدح: «... ذهب الرسول».

٤. البيت زائد في السلوة، والزهرة. وفي الزهرة: «فكل...».

٥. البيت زائد في السلوة، والزهرة. وفيها: «... عمياً...» تصحيف، ولو حمل على الحال فالعنى ضعيف.

(١) أسعدني البكاء: أعانني فيما أنا فيه من الحزن، من سعه الله أي أعانه لا من السعادة ضد الشقاء (لسان العرب:

سعد)، وقد جاء هذا المعنى غير مرة في هذه المرآة النبوية.

(٢) ليس لفلان حول ولا حويل: ليس له حيلة (جمهرة اللغة: حلو).

- ٦ [وَحُقُّ لَيْلِكَ مَرْزِيَةٌ عَلَيْنَا وَحُقُّ لَهَا تَطْيِيرُ لَهَا الْعُقُولُ]
 ٧ [وَأَضْحَتْ أَرْضَنَا مِمَّا عَرَاهَا تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ]
 ٨ فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالْقَنْزِيلَ فِينَا يَرُوحُ بِهِ، وَيَغْدُو، جِبْرِئِيلُ
 ٩ وَذَلِكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتَ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ، أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ^(١)
 ١٠ [أُصِبْنَا بِالنَّبِيِّ، وَقَدْ رَزُّنَا مُصِيبَتَنَا، فَمَحَمَلَهَا ثَقِيلُ]
 ١١ نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشُّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَمَا يَقُولُ
 ١٢ وَيَهْدِينَا فَلَا نُخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا، وَالرَّسُولَ لَنَا ذَلِيلُ
 ١٣ [يُخَيِّرُنَا بظَهْرِ الْغَيْبِ عَنَّا يَكُونُ، فَلَا يَخُونُ وَلَا يُحُولُ]^(٢)
 ١٤ فَلَمْ تَرِ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَوْتَى عَدِيلُ^(٣)

٦. البيت زائد في السلوة.

٧. البيت زائد في السلوة، والمواهب اللدنية، والاكتفاء، ونهاية الأرب، والحماسة البصرية، والبداية والنهاية، ومخطوطة

إمتاع الأسماع، ومنح المدح، ومخطوطة سيرة الكازروني، وأسد الغابة. وفي أسد الغابة والسلوة: «وتصبح...». وفي

منح المدح، ومخطوطة إمتاع الأسماع: «وكادت...».

٩. في سير أعلام النبلاء: «نفوس الخلق...». وفي مخطوطة إمتاع الأسماع، والحماسة البصرية، والبداية والنهاية،

ونهاية الأرب، والاكتفاء، والمواهب اللدنية، ومنح المدح، والسلوة، ومخطوط سيرة الكازروني: «... أو كريت...».

١٠. البيت زائد في السلوة.

١١. في نهاية الأرب: «... عنها».

١٢. في ذخائر الإشبيلي: «... هو الدليل».

١٣. البيت زائد في السلوة، والزهرة. وفي الزهرة: «... فلا يحور ولا يحول».

١٤. في الزهرة: «ولم تر مثله...».

(١) نفوس الناس: أي دماؤهم على المجاز (تاج العروس: نفس).

(٢) حال الشيء يحول حولاً وحزولاً: إذا تغير عن حاله (جمهرة اللغة: حلو). أي أنه ﷺ لا يكذب ولا يفسر ولا

يبدل بأبي هو وأمي، أو أن الأمر يقع كما كان يخبر به.

(٣) العديل: النظير والمثيل (المحكم لابن سيده: عدل).

- ١٥ أَقَاطِمُ إِنْ جَرَعْتِ فَدَاكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهُوَ السَّيْبِلُ
 ١٦ فَعُودِي بِالْعَزَاءِ فَإِنَّ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ وَالْفَضْلَ الْجَزِيلُ^(١)
 ١٧ وَقُولِي فِي أَبِيكَ، وَلَا تَمَيِّ وَهَلْ يَجْزِي بِفِعْلِي أَبِيكَ قَيْلُ !
 ١٨ فَمَنْزُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَنْزٍ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ
 ١٩ [صَلَاةُ اللَّهِ مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ عَلَيْهِ، لَا تَحُولُ، وَلَا تَزُولُ]

١٥. في الاستيعاب، ومخطوطة إمتاع الأسماح، والحماسة البصرية، والبداية والنهاية، والاكتفاء، والمواهب اللدنية: «...

ذلك السبيل».

١٦. في الزهرة، وسير أعلام النبلاء، وأسد الغابة، والذخائر والأعلاق: «فعودي...» بالبدال المهملة.

١٧. في الزهرة: «وهل يُجْزِي...». وفي سير أعلام النبلاء: «... بفضل...».

١٩. البيت زائد في سلوة الكتيب.

(١) عاذ بالشيء: لاذ فيه، ولجأ إليه، واعتصم (اللسان: عوذ).

(٤٩)

أبيد بن ربيعة: [من الكامل]

- ١ إِنَّ التَّيَّئَةَ رَأْسَ كُلِّ مَنِيَّةٍ شُدَّتْ عَلَى أَعْرَ نَيْبِلِ
- ٢ وَالْحَارِثَ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ فِي مُلْكِ ذِي عِزٍّ لَهُ وَحُلُولِ
- ٣ وَرَمَتْ عَلَى الْحَبَشِيِّ فِي أَشْيَاعِهِ لَمَّا عَتَوْا بِحِجَارَةِ السَّجِيلِ
- ٤ وَتَنَازَلَتْ أَصْحَابَ تُبَّعَ عَنُودُهُ مِنْ بَعْدِ أَفْرَاسِ لَهُ وَخِيُولِ
- ٥ وَهِيَ الَّتِي فَجَعَتْ مَدِينَةَ رَاهِطِ وَالْقَرَيْتَيْنِ بِصَاحِبِ الإِنْجِيلِ
- ٦ وَبِحَامِلِ السُّورَةِ فِي أَلْوَاجِهَا فَجَعَتْ عَسَاكِرَ آلِ إِسْرَائِيلِ
- ٧ وَهِيَ الَّتِي فَجَعَتْ يَبْتَرِبَ أَهْلَهَا بِالسَّيِّدِ الْمُتَوَاضِعِ الْبُهْلُولِ
- ٨ بِالْمُضْطَفِّيِّ بِالْوَحِيِّ وَالْعَدْلِ الرَّضَى لِّلَّهِ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّخْلِيلِ
- ٩ خَيْرِ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ نُحْيَرُوا لِلْوَحِيِّ وَاتْتَمِنُوا عَلَى التَّنْزِيلِ
- ١٠ لَوْ كَانَتِ التَّقْوَى تُؤَجِّلُ مِنْ رَدَى أَحَدًا لَكَانَ أَحَقَّ بِالتَّأْجِيلِ
- ١١ أَبَاؤُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرُهُ مِنْ قَوْمِهِمْ وَكَذَلِكَ كُلُّ رُسُولِ
- ١٢ عَظُمَتْ خَلَائِقُهُ فَقَصَّرَ دُونَهَا مَرَفَ الْغَنَاءِ وَجِدَّةُ التَّنْبِجِيلِ
- ١٣ لَوْ عَاشَ عِشْنَا أَمِينِينَ بِغِبْطَةٍ مَا عَاشَ فِي كَنَفِ لَهُ وَقُضُولِ
- ١٤ مَنْ كَانَ قَدْ جَمَعَ التَّقِيَّ فِي شَيْبَةٍ جَمَعَتْ مِنَ الْأَخْلَاقِ كُلِّ جَمِيلِ

* التخریج: جعلت منح المدح ص ٢٨٠- ٢٨١ أصلاً للقصيدة وفي مخطوطة إمتاع الإسماع (ورقة ١٨٣١)، وفي الأبيات: ١٠ - ١٤ . وفي بعض ألفاظها استعمال أظنه من قبل الناسخ؛ وفي الأبيات ١١ - ١٤ طمس بسبب الرطوبة ولا سيما في الأسطر الأول . وهي مما أسقط من المطبوعة.

٣. في الأصل: «... على الجيش...» .

٩. في الأصل: «... وأتمنوا عل التأويل» .

- ١٥ قَلْبَيْنِ أُصِيبَ لَقَدْ أُصِيبْنَا بَعْدَهُ بِنُصِيْبَةٍ أَغْيَتْ بِكُلِّ سَبِيلِ
- ١٦ وَالْمُنْزِلِ الْغَيْبِ الْهَيْبَةِ دُعَاؤُهُ وَالْمُنْشِرِ الْأَمْرَاتِ بِالتَّنْزِيلِ
- ١٧ وَلِلَّهِ عَاذَرْنَا بِتَنْزِيلِ ضَيْعَةٍ أَسْفِينٍ مِنْ حُزْنٍ عَلَيْهِ طَوِيلِ
- ١٨ بِنُصِيْبَةِ الْمَيْتِ الَّذِي لَا مِثْلَهُ مَيْتٌ وَلَا حَيٌّ لَهُ تَعْدِيلُ

(٥٠)

[من السريع]	الرَّبْرِيقَانُ بْنُ بَدْر:
بَعْدَ نَسِيٍّ اللَّهُ خَيْرِ الْأَنْامِ	١ أَلَيْتَ لَا أَسَى عَلَى هَالِكِ
مِنْ حَمِيْرَةٍ كَانَتْ، وَتَذَرُ الظَّلَامِ	٢ بَعْدَ الَّذِي كَانَ لَنَا هَادِيَا
فَيْنَا، وَيَا مُحَيِّي لَيْلِ الْقِيَامِ ^(١)	٣ يَا مُبْلِغِ الْأَخْبَارِ عَن رَّبِّهِ
وَسَارِعِ الْحَلِي لَّهُمْ وَالْحَرَامِ]	٤ [وَهَادِي النَّاسِ إِلَى رُشْدِهِمْ
كُنَّا عَلَى مَهْوَاةٍ جُرِفَ قِيَامِ] ^(٢)	٥ [أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَنَا بَعْدَمَا
أَيَّامُهُ عِنْدَ حُضُورِ الْحِمَامِ	٦ فَاسْتَأْتَرَ اللَّهُ بِهِ إِذْ وَفَى
دَامَتْ لَهُمْ مِنَ الْإِلْحَامِ وَسَامِ	٧ وَأَيُّ قَوْمٍ أَدْرَكُوا غِبْطَةَ

* التخریج: جعلت الزهرة ٥١٠/٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي مخطوطة إمتاع الأسعاع (ورقة ١٨٢٩)، ومنح المدح

ص ١١٧، والوافي بالوفيات ١٧٤/١٤ الأبيات: ١-٥.

١. في مخطوطة الإمتاع، ومنح المدح، والوافي: «... لا أبكي...» بعد رسول...».

٤. البيت زائد في مخطوطة الإمتاع، ومنح المدح، والوافي.

٥. البيت زائد في مخطوطة الإمتاع، ومنح المدح، والوافي.

(١) ليل القيام: أطول ليلة في السنة، وهو السابع عشر من كانون الأول (جمهرة اللغة: جلو).

(٢) الجرف والجروف: ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر (اللسان: جرف).

تَوْثِيقُ مَرَائِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَرَبِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

١

ابن أبي عَزَّة:

رَوَى ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ فِي «مَنْحِ الْمَدْحِ» وَالْمَقْرِيزِيُّ فِي «إِمْتَاعِ الْأَسْمَاعِ» أَرْبَعَةَ آيَاتٍ فِي
رِثَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْهَا:

ذَهَبَ النَّبِيُّ قَرِيبُنَا مَفْتُونٌ وَلَقَدْ يَكُونُ وَفِيئُنَا [كَذَا] مَرْتُونٌ
وَنَسَبَاهَا إِلَى ابْنِ أَبِي عَزَّة^(١).

إِنَّ أَقْرَبَ مَا يَنْصَرَفُ إِلَيْهِ الْخَاطِرُ عِنْدَ سَمَاعِ هَذَا الْأِسْمِ هُوَ أَبُو عَزَّةَ الْجَمْحِيُّ الشَّاعِرُ
الْقُرَشِيُّ، وَاسْمُهُ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهَيْبٍ، كَانَ فِي الْأَسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ وَحَاجَةٌ قَدْ عَرَفْتَهَا فَاثْمُنْ عَلَيَّ. فَمَنَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ فَمَدَحَهُ
بِقَوْلِهِ:

أَلَا أُبَلِّغُكَ عَنِّي النَّبِيِّ مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ، وَالْمَلِيكَ حَمِيدٌ
فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ دَعَاهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ الْجَمْحِيِّ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَزَّةَ إِنَّكَ أَمْرٌ

(١) انظر منح المدح ص ٢٢٠، ٢٢١، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣١).

شاعر، فأعنتاً بلسانك، فاخرج معنا؛ فقال إنَّ محمدًا قد مَنَّ عليَّ فلا أريد أن أظاهِرَ عليه. قال: بلى، فأعنتاً بنفسك، فلَكَ اللهُ عليَّ إنَّ رجعتُ أن أُعْنِيكَ، وإنَّ أُصِبتُ أن أجعل بناتِكَ مع بناتي، يُصِيبهنَّ ما أصابهنَّ من عُسرٍ وُسرٍ. فخرج أبو عزة في تهامة يدعُو بني كِنانة بشعره إلى حرب المسلمين. ثم إنه أسر بحمراء الأسد فقال: يا رسول الله: أقتلني، فقال رسول الله ﷺ: والله لا تَمْسُحَ عارضِيكَ بمكَّةَ بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرَّتين، اضرب عنقه يا زبير فضرِبَ عنقه^(١).

فهذا قُتل على الكفر، وليست الأبيات له.

وإذا أخذنا بظاهر المنسوخ فليس يُعرف بابن أبي عزة من الصحابة إلا ثلاثة، ولكن لسْتُ أعلم لهم من الشعر شيئًا.

أحدهم ابنُ أبي عزة الجمحي هذا، واسمه مُرَّة، ذكره ابن حجر فقال: «مُرَّة بن أبي عزة بن [كذا] عمرو بن عمير بن وهب [كذا] بن حذافة بن جُمح الجمحي، قُتل أبوه بحمراء الأسد بعد أحد، ولمُرَّة هذا عَقِبٌ بالمدينة. ذكره الزُّبير^(٢)».

وهو يعني القول الذي لعلَّ الزُّبير^(٣) رواه عن عمِّه مُصعب بن الزبير، وهو قوله في «نسب قريش»: «ولم يبق من ولد أبي عزة إلا نساءٌ بناتٌ لمحمد بن مسلم بن مُرَّة بن أبي عزة؛ وكان مُرَّة قد غلب على نَسبهنَّ، وكان ذا مال وصوت، وهنَّ: خديجة، وأمُّ محمد، وأمُّ إياس، ومريم؛ وُلدت أمُّ إياس لجعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٤)».

فنحن وإن لم نعلم عن مُرَّة وشعره - إن كان ذا شعرٍ - شيئًا يذكر، فإنه يجوز أن تكون

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ١٠٤/٣، وطبقات فحول الشعراء ٢٥٣/١ ومن عجب أن ابن سيد الناس وهم فظُّه هو (انظر منح المدح ص ٢٢٠).

(٢) الإصابة ٨١/٦.

(٣) لم أجد في الشطر الباقي من كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار (تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٣٨١هـ).

(٤) نسب قريش ص ٣٩٨.

الآبيات الأربعة له؛ لأنه قرشيٌّ وُلد في بيت شاعرٍ مطبوع.

ويجوز أن تكون الآبيات لصحابيٍّ آخر اسمه: «سفيان بن أبي عزة الجذامي، كان نازلاً في بني حنيفة، ولم يرتد، ذكر ذلك وثيمة، وذكر أن خالد بن الوليد أخذه فيمن ظفربه من أهل اليمامة فأراد قتله، فقال له سفيان: يا خالد، إن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبدٍ يقتل عبداً إلا قعد له يوم القيامة على الصراط»، فخلّى سبيله، وفيه يقول الشاعر:

إِنِّي وَالْحَصِينُ وَابْنُ أَبِي عَزْ رَةَ سُفْيَانُ دِينُنَا الْإِسْلَامُ^(١)

أويكون عبد الرحمن بن أبي عزة أو ابن أبي عمرة. قال ابن حجر: «أخرج عنه بقي ابن تخلد في «مسنده» حديثاً، واستدركه الذهبي، وأنا أخشى أن يكون عبد الرحمن بن أبي عمرة الآتي في القسم الثاني»^(٢).

ومع ذلك فلا جزم بنسبة المراثية لأحدٍ من هؤلاء النفر.

٢

أبو ذؤيب الهذلي:

الشاعر العظيم، قيل: اسمه حُوَيْلِد بن خالد بن مُحَرِّث، وقال ابن الكلبي: حُوَيْلِد بن مُحَرِّث^(٣). قال ابن سلام: «وكان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غمزة فيه ولا وهن». وكان يراه أشعر هذيل^(٤). وهو صاحب إحدى أشهر مراثيات العرب التي مطلعها:

أَمِنَ الْمَسُونِ وَرَزِيهَا تَتَوَجَّعُ
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبِرٍ مَنْ يَجْرَعُ

(١) الإصابة ١٢٥/٣.

(٢) المصدر السابق ٣٣٥/٤.

(٣) انظر: الاستيعاب ١٦٤٨/٤.

(٤) انظر: طبقات فحول الشعراء ١٣١/١.

قالها يرثي بها أبناءه^(١).

وقد روي لأبي ذؤيب بيتان في رثاء النبي ﷺ، وقصيدة من سبعة أبيات، روى ذلك محمد بن إسحاق في خبر قدومه على رسول الله ﷺ يوم أدركه وقد مات، قال ابن إسحاق: حدثني أبو الآكام الهذلي، عن الهرماس بن صعصعة الهذلي، عن أبيه أن أبا ذؤيب الشاعر حدثه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل، فاستشعرت حزناً، وبثت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظلمت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السحر أغفيت، فهتف بي هاتف وهو يقول:

حَظْبُ أَجَلُ أَنَاخَ بِالإِسْلَامِ بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الآطَامِ
قُبْضُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فَعْيُونُنَا تَذْرِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

ثم قال: وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحاج إذا أهلوا بالإحرام. فقلت: مه؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ. وفي الخبر أنه قال يرثي رسول الله ﷺ:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي عَسَلَانِهِمْ مَا بَيْنَ مَلْحُودٍ لَهُ وَمُضْرَجٍ

المراثية^(٢).

وهذا الخبر رواه ابن إسحاق عن أبي الآكام الهذلي، وفي بعض الكتب: أبو الأكارم^(٣)، عن الهرماس بن صعصعة الهذلي، عن أبيه. وهؤلاء قوم من الهذليين لا يعرفون، ولم أجد لهم ذكراً في كتب الرواية من أدب أو تاريخ أو أخبار أو حديث أو غيرها، والأشبه أن يكون هذا الخبر منقلاً على الشعر، مما أتى به ابن إسحاق فأدخله في كتابه.

والذي يعرِّز ذلك بعد تهافت الإسناد ما وقع في الخبر من تنبؤ بما سيكون بعد من

(١) انظر: الاستيعاب ٤/١٦٤٨-١٦٥١.

(٢) انظر الصفحات نفسها من الاستيعاب.

(٣) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم ص ٢٨٨٥.

حوادث، وكان الراوي رآها، كقوله: « فوثبت من نومي فزِعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فتفاءلت به ذججاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي ﷺ قد قبض، وهو ميت من عِلته»^(١).

ما أدري أبا ذؤيب بهذا كَيْه ؟

وكقوله: « فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجر به، فعزَّ شيهم - يعني القنفذ - وقد قبض على صلي - يعني الحية - فهي تلتوي عليه، والشيهم يقضمها حتى أكلها، فزجرت ذلك فقلت: الشيهم شيء مهم، والتواء الصلي التواء الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ، ثم أولت أكل الشيهم إيَّاهما غلبة القائم بعده على الأمر، فحثت ناقتي حتى إذا كنت بالغاية، فزجرت الطائر فأخبرني بوفاته، ونعب غراب سأنح فنطق بمثل ذلك... »^(٢).

وبذلك يختصر صاحب الخبر الحوادث في خبره غير متنبه لتزيده من ذكر الزواجر الدالة هي الأخرى على ضعف الخبر، وإلا فأين أبو ذؤيب من الإسلام، وهم وإن قرب عهدهم به قد علموا أنه ينحى عن أفعال الجاهلية، وإذا كان فلا يكون الأمر بهذه الكثرة.

ولا يعني ضعف الخبر ضعف الشعر الذي جاء فيه ابتداءً، فلا يبعد أن يكون ما حول الشعر ما اخترع إلا من أجل رواج الشعر. ولكن مثل هذا الرثاء المروي قديماً في كتاب ابن إسحاق لشاعرٍ فحلٍ متنبعٍ شعره، من أصحاب المرثي^(٣) كأبي ذؤيب؛ كان ينبغي أن يُشتهر ويذيع صيته عند المتقدمين خصوصاً وهو في النسب ﷺ، وكان ينبغي لراوي الديوان وصانعه^(٤) أبي سعيد السُّكري (ت ٢٧٥ أو ٢٩٠)؛ أن يُثبت فيه لو علم منه الصحة، فلعلهم

(١) انظر: الاستيعاب ١٦٤٩/٤.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، للدكتور أحمد كمال زكي ص ٣٣٦ (دار الكتاب العربي

للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٩هـ). وانظر في تتبع شعره مقدمة محقق شرح أشعار الهذليين، للسكري ص ٣.

(٤) ديوانه في الجزء الأول من كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد السكري ص ١-٢٣٥، وانظر أيضاً القسم

الأول من ديوان الهذليين ص ١-١٦٥ (دار الكتب المصرية، ط ١٩٩٥م).

عرفوا ضعفه فأهملوه.

٣

أبو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ^(١):

كان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتها حليلة بنتُ أبي ذؤيب السعدية. قيل: اسمه المغيرة، وقيل: بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه. كان من المشبهين بالرسول ﷺ^(٢).

وهو شاعرٌ قرئش في الجاهلية^(٣)، كان يهاجي حسانَ بن ثابتٍ قبل إسلامه، وينافح عن المشركين^(٤)، ثم أسلم يوم الفتح قبل دخول الرسول ﷺ مكة فحسُن إسلامه، يُروى أنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياةً منه^(٥)، ولقد اعتذر إليه مما كان منه فكان مما قاله :

لَعَنُوكَ إِنِّي يَوْمَ أَجْمَلُ رَأِيَةً لِيَتَغَلَّبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانَ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوَانِي جِئِنِ أَهْدَى وَأَهْتَدِي
أَصْدٌ وَأَنَايَ جَاهِدًا عَنِ مُحَمَّدٍ وَأُذْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ^(٦)

ثم شهد حُنينًا، فأبلى فيها بلاءً حسنًا، وكان ممن ثبت يومئذٍ ولم يفرَّ، ولم تفارق يده لجام

(١) يمحذف النساخ الألف الوسطية من بعض الأعلام كلفظة « الحارث » يكتبونها: « الحرث » (انظر: ضبط النص والتعليق عليه، للدكتور بشار عواد معروف ص ١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ)، ولعل اطراح هذه الألف أثر من آثار المسند اليماني إذ كانوا يكتبون: « همدان، ورثام »: « همدن، ورثم » (انظر: الإكليل ١٥٤/٨ بتحقيق محمد بن علي الأكوخ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ)، ولكنهم ينطقونها، والذي عليه الرسم الإملائي الآن إثباتها، أمّا من الوقوع في اللحن.

(٢) انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر ١٦٧٣/٤.

(٣) انظر: معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٧١.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام ٢٧٢/٣، ٢١٢/٣.

(٥) انظر: الاستيعاب ١٦٧٣/٤.

(٦) سيرة ابن هشام ٤٠١/٤.

بغلة رسول الله ﷺ حتى انصرف الناس إليه. وكان الرسول ﷺ يحبُّه، وشهد له بالجنة فقال: «أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة، أو سيد فتیان أهل الجنة»، وكان يقول: «أرجو أن تكون خَلْفًا من حمزة». مات سنة عشرين بالمدينة، وقيل: خمس عشرة^(١).

تلك أماراتُ حبِّ وقرْبى ومودَّةٍ بين الرسول وابن عمه أبي سفيان، ولقد تظاهر المصنفون فردِّدوا قصيدته اللامية التي أنشدتها في البكاء على النبي ﷺ لَمَّا مات^(٢):

أَرَقْتُ قَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخِي الصُّبَيْبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي الْبُكَاءُ وَذَآكَ فِيمَا أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
فَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَنَا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قَيْلٍ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ

وهي عن ابن إسحاق، قال ذلك ابنُ عبد البر في «الاستيعاب»^(٣)، والذهبي في «تاريخ الإسلام»^(٤)، و«سير أعلام النبلاء»^(٥)، وابن حجر في «الإصابة»^(٦).

وهؤلاء نقلوها من كتاب «السيرة» لابن إسحاق على الأغلب؛ لاختلاف بلدانهم وأزمانهم. وقد جاءت الدراسة على تفصيل القول في رواية ابن إسحاق، ورجَّحت أنه ثقةٌ محلُّه الصدق، وأنه ناقل لا غير، وأنَّ الضرر لا يكون منه في ذاته، بل يكون ممن روى عنهم إن كان ثمَّ ضرر، وأنَّ الذي أنكر عليه ليس من قبيل قصيدة أبي سفيان هذه^(٧).

فلا غَمَّرَ في القصيدة من جهة ابن إسحاق إلا إن عدَّنا قولاً ذكره محمد بن سلام

(١) انظر تخریج القصيدة.

(٢) الاستيعاب ١٦٧٥/٤.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٢١٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ٢٠٤/١-٢٠٥ (تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١٦٧/١١هـ).

(٥) الإصابة ١٧٩/٧.

(٦) انظر من هذه الدراسة ص ١٩٠ وما بعدها.

الجمعي وهو يترجم لأبي سفيان؛ غمراً حين قال: «ولأبي سفيان بن الحارث شعرٌ كان يقوله في الجاهلية، فسقط، ولم يصل إلينا منه إلا القليل. ولسنا نعدُّ ما يروي ابنُ إسحاق له ولا لغيره شعراً، ولأنَّ لا يكون لهم شعراً، أحسن من أن يكون ذلك لهم»^(١).

لقد كان ابن سلامٍ مُغضباً مما في كتب ابن إسحاق من الشعر الزائف، وقد أجمت عن ذلك^(٢). ومحمد بن سلامٍ إنما قال ذلك لا من أجل أبي سفيان وحده، وإنما تذكّر شعراً لغير أبي سفيان في كتاب ابن إسحاق وليد العصبية للقبيلة، وهو شعراً لا خلاف على قبحة وبطلانه ووضوحه؛ وليست مرثية أبي سفيان من شعر الحمية الذي يلهب الأنوف، ولا هي من الشعر الرديء الساقط الذي نُتِرَه شاعر قرشي أباً سفيان بن الحارث عنه، بل إن ابن سلامٍ نفسه قال في موضع آخر يصف أشعار القرشيين: «أشعار قرشي أشعار فيها لينٌ، فتشكل بعض الإشكال»^(٣)؛ فليس شرطاً أن تكون قصيدة أبي سفيان فحمةً جزلةً حتى نصتحها له، ولكننا الشرط أن لا تكون قصيدةً منحطةً رديئةً لا تليق بشاعرٍ قرشي. ولعلك أن تقول في هذا المقام أيضاً: إن ابن سلامٍ لم يُخصَّ من شعر أبي سفيان بحكمه هذا إلا شعره الجاهلي فقط.

كما أن من الحق أن نذكر أن أباً سفيان كان يُعاب في بعض شعره، فقد قال ابن هشام بعد قصيدته التي أولها:

أَحْسَانُ إِنَّمَا يَا ابْنَ آكِلَةِ الْفَعَا وَجَدِكَ، نَعْتَالُ الْخُرُوقِ كَذَلِكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْعَافِيرُ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلْتِ مِنَّا بِشِدِّ مُدَارِكِ

قال: «بقيت منها أبياتٌ تركناها؛ لقبح اختلاف قوافيها»^(٤).

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٤٧/١.

(٢) انظر ص ٢٠٠ من هذا الكتاب.

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢٤٥/١.

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام ٢١٣/٣.

فلا ضَيْرٌ إِذَا لَقِينَا مِنْ شَعْرِ أَبِي سَفِيَانَ مَا لَا تَطِيبُ بِهِ نَفُوسَنَا، وَتِلْكَ مَسْأَلَةٌ أُخْرَى مِنْ مَسْأَلَاتِ الْحُكْمِ عَلَى صِحَّةِ الشَّعْرِ: أَنَّهُ لَيْسَ لِرَأْمًا لِيَكُونَ الشَّعْرُ صَحِيحًا أَنْ يَكُونَ سَلِيمًا مُبْرَأً مِنَ الْعُيُوبِ وَالْعُلَلِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّعْرُ الصَّحِيحَ نَازِلًا عَنِ الدَّرَجَةِ السَّامِقَةِ إِلَى دَرَجَةِ وَسْطٍ غَيْرِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَضِيعًا مُبْتَدَلًا أَبْتَةً. وَمَرْتِبَةٌ أَبِي سَفِيَانَ هَذِهِ لَيْسَتْ بِوَضِيعَةٍ وَلَا هِيَ بِمُبْتَدَلَةٍ، نَعَمْ، فِيهَا لِينٌ، وَنَعَمْ فِي النَّفْسِ مِنْ بَعْضِ أَيْبَاتِهَا شَيْءٌ، وَإِنَّا لَنُذْهِبُ مَذَاهِبَ شَيْءٍ فَلَا نَجِدُ بُدًّا مِنْ إِنْكَارِ أَيْبَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ، وَلَا سِيَّمًا الْأَيْبَاتِ الرَّائِدَةَ عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ^(١)، كَالْبَيْتِ الْأَخِيرِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ صَاحِبُ «سَلْوَةِ الْكُتَيْبِ»:

صَلَاةَ اللَّهِ مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ عَلَيْهِ، لَا تَحُولُ وَلَا تَزُولُ
فَهُوَ بَيْتٌ سَقِيمٌ شَادٌّ مِنْ بُنْيَانِ الْقَصِيدَةِ.

وكذا البيت السادس:

وَحَقُّ لَيْلِكَ مَرْزِيَّةٌ عَلَيْنَا وَحَقُّ لَهَا تَطِيرُ لَهَا الْعُقُولُ
وَالْبَيْتُ الْعَاشِرُ:

أُصِبْنَا بِالنَّجِيِّ وَقَدْ رُزِقْنَا مُصِيبَتَنَا، فَمَحَمَلُهَا ثَقِيلٌ

فكلاهما لم يرد إلا في «سلوة الكتيب» كذلك؛ وهما ضعيفان؛ لتكرار المعنى فيهما، ولتفرد صاحب «السلوة» بهما من دون بقية الرواة، فأين عنهما وعن أخيهما ذلك الحشد الكبير من الرواة الذين رَوَوْا القصيدة؟ وكيف لم تبلغ هذه الأبيات إلا ابن ناضر الدين الدمشقي وحده وهو المتوفى سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة؟!

أَمَّا أَيْبَاتٌ أُخْرَى مِنْ قَبِيلِ قَوْلِ أَبِي سَفِيَانَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ:

(١) انظر التخريج والمقابلة.

فَقَدْنَا الْوَحْيَ وَالْتَزِيلَ فِينَا يَرُوحُ بِهِ وَيَعْدُو جِبْرِئِيلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتَ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
نَسِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بَمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالًا عَلَيْنَا، وَالرَّسُولُ لَنَا ذَلِيلُ
فَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَوْتَى عَدِيلُ
أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَذَلِكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهُوَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

أقول: أبيات كهذه أبياتٌ كريمةٌ صادقةٌ تأخذ بالألباب، وهي صحيحةٌ مُصعدةٌ في الصَّحَّةِ إلى أبي سفيان بن الحارث، وهي - لا عَرَوْ - جزءٌ غيرُ منفردٍ من نسيج ديوان المراثي النبويَّةِ في أشعار الصحابة.

٤

الزُّبَيْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ:

تميميٌّ، من شعراء الصحابة المخضرمين، وفد في قومه على رسول الله ﷺ سنة تسع، وكان أحد ساداتهم؛ فولاه النبيُّ صدقاتهم، وأقره على ذلك أبو بكرٍ وعمر^(١).

قال أبو حاتم: وسألت الأصمعيَّ « عن خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ، وَعَنْتَرَةَ، وَالزُّبَيْرِقَانَ بْنِ بَدْرٍ، قَالَ: هُوَ لَاءُ أَشْعَرِ الْفَرَسَانِ، وَمِثْلُهُمْ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ... لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُمْ مِنَ الْفَحْوَلِ »^(٢). وإن يكن الذي نعلمه من شعر الزُّبَيْرِقَانَ قليلاً، فإن شهادة الأصمعيِّ، وقرنه إياه مع أولئك الطبقة العالمة؛ تقرِّبُ له ونعتُ بالإجادة في الشعر. وأمَّا أن الأصمعيَّ لم يجعله في الفحول،

(١) انظر: منح المدح ص ١١٤.

(٢) فحولة الشعراء، للأصمعي ص ٢٧.

فكأنه لأنه لم يكن من المطيلين؛ فها هو أبو حاتم يحكي: وقال لي الأصمعي مرة: «الزُّبْرَقَانُ فارسٌ، شاعرٌ، غيرُ مطيلٍ»^(١).

ولعلَّ أمثل ما يقترب من هذه النعوت لشعر الزُّبْرَقَانِ هو قوله :

لِي ابْنُ عَمِّ لَآ يَزَا لُ يَعْيبُنِي وَيُعِينُ عَائِبُ
وَأُعِينُهُ فِي الثَّائِبَا تِ وَلَا يُعِينُ عَلَى التَّوَائِبِ
تَسْرِي عَقَارِبُهُ إِلَيْتِي وَلَا تَدْبُ لَهُ عَقَارِبُ
لَا لِابْنِ عَمِّكَ لَآ يَخَا فُ الْمُحْزِنَاتِ مِنَ الْعَوَائِبِ^(٢)

وهي من شعره القليل الساقط إلينا، مع أن للزُّبْرَقَانِ ديوانًا عيله الأصمعي وأبو عمرو وغيرهما^(٣).

وإذا قرأت مرثيته النبوية التي يستهلها بقوله:

أَلَيْتُ لَآ آسَى عَلَى هَالِكِ بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ خَيْرِ الْأَنْبَاءِ

ألفيتها كما وصف الأصمعي قصيرة مقتضبة، قليلة الأبيات؛ فهي سبعة أبيات وحسب.

وقد وردت مرثية الزُّبْرَقَانِ في كتب أقدمها كتاب «الزُّهرة» للأصبهاني المتوفى في السنة السادسة والتسعين بعد المئتين^(٤)، ثم في كتاب «مِنَحِ الْمَدْحِ» لابن سيد الناس المتوفى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمئة^(٥)، وكتاب «الوافي» للصلاح الصفدي المتوفى بعد انقضاء أربع وستين وسبعمئة سنة على الهجرة^(٦)، ولسنا ندري عمَّن هؤلاء رَوَوْا المرثية، ولا من أيِّ كتاب

(١) فحولة الشعراء ص ٣٧.

(٢) انظر: الأغاني ١٨٢/٢.

(٣) انظر: الفهرست ص ١٧٨.

(٤) انظر: الزُّهرة ٥١٠/٢.

(٥) انظر: منح المدح ص ١١٦.

(٦) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي ١٧٤/١٤.

نقلوا، على أننا نعلم أن ابن سيد الناس يكثر النقل من كتاب وثيمة، ولكنه لا يظهر من القصيدة نشأتها في ليالي الردة؛ ونعلم أيضًا من الصفديّ بحته، وإدماته التفتيش في الكتب، ولكنه لم يصرّح بالمصادر التي رجع إليها.

ولن نتخذ جهلنا بأصول المراثية ذريعة لرفضها، ذلك أنك مهما قرأت فيها لن تلقى ما يحثك على الغيظ منها، أو القول بزيف نسبتها إلى الزبيرقان بن بدر رضي الله عنه.

٥

سَالِمُ الْعَطْفَانِي:

لسالم مرثية بائنة يبدوها بقوله:

أَقَاطِمُ بَعِيٍّ وَلَا نَسَائِي لِصُبْحِكَ مَا ظَلَعَ الْكُوكُبُ

نسبها ابن سعد أساسًا إلى صفية بنت عبد المطلب^(١)، وأظنّ النويري اقتفى ابن سعد في ذلك، وكان النويري ينقل في المراثي النبوية عن ابن سعد خاصة^(٢).

ولكنني وجدت في كتاب «التعازي والمراثي» للمبرد خبرًا مخالفًا؛ فقد حكى أن الرياشي أنشده «لرجل من عطفان من بني عبد الله، كانت له صحبة، قُتل يوم جُلُولاء، يقال له: سالم، يرثي رسول الله ﷺ، يقول:

أَقَاطِمُ بَعِيٍّ وَلَا نَسَائِي لِصُبْحِكَ مَا ظَلَعَ الْكُوكُبُ»^(٣)

ثم رأيت الزمخشريّ نسب البيت العشرين من هذه القصيدة لسالم المحاربي، وهو

(١) انظر: الطبقات الكبير، لابن سعد ٢/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) يظهر ذلك من التشابه الواضح بينهما (انظر المقابلة).

(٣) التعازي والمراثي، لمحمد بن يزيد المبرد ص ٢٩٥ (تحقيق إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر).

قوله :

وَيَبْكِيهِ شُعْتُ حَمَاضِ الْبُظُونِ أَضَرَ بِهِمْ زَمَنُ أَزْيَبٍ^(١)

وكذا فعل ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب» حين نسب أربعة أبيات منها إلى سالم بن زهير المحاربي^(٢).

فإذا ما جمعنا ذلك إلى ما للقصيدة من طول لم نعهده في الشعر الذي صحَّحناه لصفية - رضي الله عنها، وإلى ما للقصيدة من طابع البداوة، وما لها من خصائص تباين خصائص ذلك الشعر^(٣)؛ فإنَّ الراجح أن تكون القصيدة لسالم الغطفاني، وليس بغريب وقوع خطأ النسبة في كتاب ابن سعد؛ فقد نسب قصيدة لأروي^(٤)، أثبتت الدراسة قطعاً نسبتها إلى صفية - رضي الله عنها^(٥).

أما نسبُ الزمخشري وابن شهر آشوب سالمًا إلى محارب؛ فكأنه لأنَّ محاربًا بنو عمِّ لبني عبد الله الغطفانيين، وهم يجتمعون في قيس عيلان بن مضر؛ فبنو عبد الله هم بنو عبد الله ابن غطفان بن قيس بن سعد عيلان، ومحارب هو ابن خَصَفَةَ بن قيس عيلان^(٦).

وكل ذلك يكاد لا يشك. ولكنَّ المشكل أن نهتدي: من يكون سالم الغطفاني ذاك الذي له صحبة، وقتل يوم جلولاء سنة تسع عشرة^(٧)؟

(١) انظر: الفائق، للزمخشري ١٤١/٢.

(٢) انظر: مناقب آل أبي طالب ١٣٢/١.

(٣) انظر ص ٣١٠ من هذا الكتاب.

(٤) انظر: الطبقات الكبير ٢٨٢/٢.

(٥) انظر ص ٣٠٣ من هذا الكتاب.

(٦) انظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ص ٢٤٣ وما بعدها (تحقيق عبد السلام محمد هارون).

(٧) وقيل: سبع عشرة (انظر: تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري ص ٢٦، تحقيق

الدكتور أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ط ١٣٩٧/٢هـ).

أشبه الناس أن يكون سالمًا هو الشاعرُ المُجيدُ سالمُ بن دارة الغطفاني؛ فهو مخضرمُ عاش زمن النبي، ومن بني عبد الله الغطفانيين. قال أبو الفرج الأصفهاني: «فأمَّا سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام... ودارة لقبٌ غلب على جدهم، ومُسافِعٌ أبوهم، وهو ابن شريح بن يربوع الملقَّب بدارة بن كعب بن عدي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله ابن غطفان»^(١).

وهذا التفسير لدارة مذكور في كتابهم، قال الأمدئي: «ويربوع هو دارة، سُمِّي بذلك لجماله، شُبِّه بدارة القمر، كذا وجدتُ في كتاب بني عبد الله بن غطفان»^(٢)، وكونه في كتابهم مصداقٌ على ضعف قول من قال: إن دارة لقبٌ لأمه^(٣).

ومما يشدُّ من أزر هذا القول ذُكْرُ ابن حجرٍ سالمِ بن دارة في القسم الثالث من كتاب «الإصابة»^(٤)، لكنه قال: «وقرأت في ديوان شعر سالم أنه قتل في خلافة عثمان، قتله زُمَيْل ابن أمِّ دينار الفَرَّارِيُّ؛ لأن سالمًا كان هجاء»^(٥)، فهل خلط الرِّياشيُّ بين أن يكون سالمٌ قُتل يوم جلولاء سنة تسع عشرة، وبين أن يكون قُتل في خلافة عثمان رضي الله عنه؟ أم يكون سالم الذي في رواية الرِّياشيِّ غطفانيًّا آخر من بني عبد الله، له صحبة وقُتل يوم جلولاء؟ ولكن يُعترض على ذلك أنه لو كان قتل يوم جلولاء لعُرف، وقد فُتِّشَتْ في كتب الصحابة فلم أجد أحدًا اسمه سالمٌ من بني غطفان سوى سالم بن دارة هذا، وهو وإن كان من صحابة القسم الثالث فإن من العلماء من يُدخل رجلاً في الصحابة لخير ما أو رواية ما،

(١) الأغاني ٢١/٢٣٠.

(٢) المؤلف والمختلف، لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدئي صه (تحقق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي)، القاهرة، ١٣٨١هـ).

(٣) انظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٤٤/٢ (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤/١٤١٨هـ).

(٤) اقرأ ما سبق من الكلام على تقسيم ابن حجر لكتابه في ص ٢١٢ من هذه الدراسة.

(٥) الإصابة ٢/٤٤٦.

فلعل الرياشي أو من روى عنه الرياشي فعل ذلك، وأراد سالم بن دارة، أو لعل هذه المرثية كانت السبب في أن يرد في الخبر قول الراوي: « كانت له صحبة ».

ومما يشكل كذلك إيراد المبرد اسم سالم مطلقاً هكذا من دون أن يذكر أنه ابن دارة، وهو الذي أورد خبراً لسالم بن دارة في الكتاب نفسه وسمّاه^(١)، أولم يك يعلم أن سالمًا الذي ذكره الرياشي هو ابن دارة فينسبه إلى دارة ؟

على أنه يمكن أن يجاب: إن المبرد نقل الرواية كاملة من غير أن يسأل الرياشي عن كنه سالم الغطفاني، ويجوز أن يكون سألته فلم يجزم له الرياشي بشيء كأنما يؤدي هو أيضًا الرواية كما سمع ولا يزيد أمانة وصدقًا.

ومما هو مشكل قبل ذلك نص كلام ابن شهر آشوب أن أبا سالم اسمه زهير، ولم أره عند غيره، ولم أر في ترجمة من عاش تلك المدة من اسمه سالم بن زهير؛ ولكنني وجدت ربيعة ابن زهير المحاربي، ورفاعة بن زهير المحاربي، وكانا من أمراء جيش عمرو بن العاص في فتح مصر^(٢)، فهل يكون سالم أخا هذين الرجلين أو أحدهما، ويكون من صغار الصحابة الذين لم يذع لهم ذكر، وهم كثير ؟ نعم، قد يكون.

بيد أن ذلك الإشكال أجمعه لا يضير في شيء، وغاية الأمر أن نقول: إن صحابيًّا من بني عبد الله الغطفانيين اسمه سالم: سالم بن دارة، أو سالم بن زهير، أو سالم غيرهما؛ كانت له مرثية نبوية افتقر بها ثغر بدوي أذهلته مصيبة أن مات رسول الله ﷺ.

(١) انظر: التعازي والمرآئي، للمبرد ص ٢٥٤.

(٢) انظر: فتوح الشام، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد ٢/٢١٢، ٢/٢٣٤ (دار الكتب العلمية، ط ١٤١٧هـ)، ولعلهما رجل واحد نال اسمه تصحيف من النسخ؛ لأن (ربيعة) لم يذكر في الكتاب إلا مرة واحدة، وأما (رفاعة) فذكر مرارًا؛ فلعله هو رفاعة.

٦

عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ:

أبو طريف، عدِيُّ بن حاتم طيِّبٍ، كان يقول: « ما دخلتُ على النبي ﷺ إلاَّ وسَّع لي أو تحرك لي، وقد دخلت عليه يوماً في بيته وقد امتلأ من أصحابه، فوسَّع لي حتى جلستُ إلى جنبه »^(١). تلك منزلته من النبي ﷺ. فلما مات النبي وارتدَّت العرب، ثبت هو على الإسلام فلم يرتد، وقدم على أبي بكر بصدقات قومه، وكان عظيمهم فأطاعوه، فأنقذهم الله به من الكفر والسيِّف^(٢). حتى لقد قال الطبري: « فكان خير مولود وُلد في أرض طيِّب، وأعظمه عليهم بركة »^(٣)، توفي رضي الله عنه سنة سبع وستين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وستين، وله مئة وعشرون سنة^(٤).

وقد ذكر المرزبانيُّ عدِيًّا في «معجم الشعراء»^(٥). ومن شعره قوله :

بَرَى ابْنُ حُرَيْثٍ أَنْ هَتَيْ مَالَهُ	وَمَا كُنْتُ مَوْضُوعًا بِحُبِّ الدَّرَاهِمِ
وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: لَا تُحْكِنُهُ إِنَّهُ	عَلَى كُلِّ مَا حَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ
فَيَذْهَبَ مِنْكَ الْمَالُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ	وَحَمَامَتِهَا، وَالنَّخْلُ ذَاتَ الْكَمَائِمِ
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ تَرْكِ سُنَّتِهِ	جَرَّتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَاصِمِي
وَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سُوءِ نِيَّتِهِ	تُحَدِّثُهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ^(٦)

(١) الاستيعاب ٣/١٠٥٨.

(٢) انظر: أسد الغابة ٩/٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/٢٤٤.

(٤) انظر: أسد الغابة ١٠/٤.

(٥) انظر: معجم الشعراء، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى ص ٨٤.

(٦) انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تصنيف ابن منظور، محمد بن مكرم ٣٠١/٩ (دار الفكر، دمشق،

ومنه قوله :

أَجِيبُوا يَا بَنِي نُعَلِّ بْنِ عَمْرٍو وَلَا تَكِمُوا الْجَوَابَ مِنَ الْحَيَاءِ
فَلِيَّ قَدْ كَثُرَتْ وَرَقٌ عَظِيمِي وَقَلَّ اللَّحْمُ مِنْ بَعْدِ النَّقَاءِ
وَأَصْبَحْتُ الْقَدَاءَ أُرِيدُ شَيْئًا يَقِينِي الْأَرْضَ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ^(١)

وكانت هذه القصيدة المرثية مما قاله عدئي وهو قائم في قومه يطعمهم وينذرهم، ويصف أساه بفراق النبي ﷺ، ويعيد فيها أن سيقوم مقامًا يُحمد له بعد ما تراخى عن الإسلام لله سينيًا، فكأنَّ إيعاد المرتدين في مقام رثاء النبي حقٌّ لازمٌ من حقوق هذا الرثاء عنده إن ابغى الصدق فيه، وكانَّ جهاد هؤلاء في دين عدتي فرضٌ أملاه الوفاء للرسول ﷺ، وذلك ما أساغ لنا أن نعدَّ القصيدة بكل أبياتها رثاءً وإن بدا أنَّ بعض أبياتها في غير الرثاء.

ولم يرو المرثية - فيما أعلم - إلا ابنُ أعثم في «كتاب الردة»^(٢). قال: قال عدئي بن حاتم:

أَلَا إِنَّ هَذَا اللَّيِّنَ أَصْبَحَ أَهْلُهُ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَلَا ذَلِكَ مِنْ دَلٍّ وَلَا مِنْ تَخَافَةٍ عَلَى اللَّيِّنِ وَاللُّنْيَا لِإِنْجَازِ مَوْعِدِ
وَلَكِنِ أُصِيبْنَا بِالنَّبِيِّ، فَلَيْلُنَا طَوِيلٌ كَلَيْلِ الْأَرْمَدِ الْمُتَلَدِّدِ

عشرة أبيات^(٣)، لا تشوبهنَّ من الوضع شائبةٌ، خاصَّةً ونحن نظمنا إلى ذلك الإسناد الجمعي الذي بدأ به صاحب «الردة» كتابه^(٤)، كما أنها ليست من ذلك الشعر المتهافت الذي تلوكة أفواه المخترعين، بل هي شعر واضح فصيح نعقل أن يقوله نابهٌ كعدتي، وهو قريبٌ من شعره الذي تقدَّم. وينأى بها عن مظنة الوضع كذلك أن رثاءه ممزوج بروح الحماسة فيه، وأنه مما خلَّفته حادثة الردة، وقد خلَّفت فيما خلَّفت خيرًا كثيرًا، بعض هذا الشعر منه.

(١) انظر: المصدر السابق ٣٠٤/٩.

(٢) انظر ما قبل عن مصنف هذا الكتاب في ص ١٥٦ من هذه الدراسة.

(٣) انظر: كتاب الردة المنسوب للواقدي ص ٦٤.

(٤) انظر ما قبل عن الإسناد الجمعي في ص ١٥٨ من هذه الدراسة.

٧

عبد الله بن أنيس:

جُهَيٌّ، ثم أنصاري حليفهم، شهد العقبة وبدراً^(١)، وبعثه رسول الله ﷺ ليقتل ابن نُبَيْح الهذلي، فلما قتله أعطاه الرسول عصاً تكون آيةً بينهما يوم القيامة، فقرنها بسيفه، فلم تنزل معه حتى مات^(٢). وعبد الله أحد الذين كسروا أصنام بني سلمة، مات رضي الله عنه سنة أربع وخمسين^(٣).

كان عبد الله بن أنيس يقول الشعر، ومما يروى له قوله في قتله الهذلي، وهو مما رواه ابن هشام ولم ينكر صحته:

تَرَكْتُ ابْنَ نُورٍ كَالْحَوَارِ وَحَوْلَهُ نَوَائِحُ تُفْرِي كُلَّ جَيْبٍ مُقَدِّدٍ^(٤)

بل إنه شاعر حاذق على يسير ما نعرف من شعره؛ أجل، وفي قصيدته هذه ما يؤيد ذلك من لفظ وصورة كقوله:

تَتَاوَلَتْهُ وَالظُّغْنُ خَلْفِي وَخَلَفَهُ
عَجُومٌ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كَأَنَّهُ
أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجِمُ رَأْسَهُ:
بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ، مُهْتَدٍ
شِهَابٌ غَضَى مِنْ مَلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ
أَنَا ابْنُ أَنْيْسٍ قَارِئًا غَيْرَ فُعْدٍ

وما مرثيته في النبي ﷺ ببعيد عن ذلك، إن لم تكن أحسن من ذلك ألفاظاً وتصويراً وصدق عاطفة، وهو يقول في مطلعها:

نَقَى الثَّوَمَ مَا لَا تَبْتِغِيهِ الْأَصَابِعُ
عَدَاةَ نَعَى النَّاعِي إِلَيْنَا مُحَمَّدًا
وَخَطَبُ جَلِيلٌ لِلْبَيْتَةِ جَامِعُ
وَتِلْكَ النَّبِيِّ تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

(١) انظر: أسد الغابة ٣/١٧٨.

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٤/٦٢٠.

(٣) انظر: الاستيعاب ٣/٨٦٩-٨٧٠.

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٤/٦٢٠.

وقد روتها الرواة من طريقين: طريق وثيمة بن موسى، وطريق هشام بن محمد الكلبي. أمّا طريق وثيمة فلم يصرّح بها إلا أبو الزبيع الكلابي في كتاب «الاكتفا»^(١)، وروى القصيدة تامّةً، وهي طريقٌ صحيحةٌ خاليةٌ مما يعيب مثلما مضى القول.

وأما الطريق الثانية فهي عند ابن سعدٍ في «الطبقات» قال: «أنشدنا هشام بن محمد الكلبي، عن عثمان بن عبد الملك، أن عمران بن بلال بن عبد الله بن أنيس قال: سمعتها من مشيختنا، قال: قال عبد الله بن أنيس يرثي النبي ﷺ: تطاول ليلى...» المرثية^(٢).

ورواية ابن الكلبي عَضُدٌ لرواية وثيمة، وإن كنا لم نهتدِ إلى ترجمةٍ لعمران بن بلال، والفروقات بين الروایتين تنجلي عن اختلاف رجالهما، وهذا يزيد ثقتنا بالقصيدة^(٣)، وأنّ رواية ابن الكلبي رواية جيّدة.

وكنّت أظن رواية ابن الكلبي من مرويات كتاب «إمتاع الأسماع» اعتمادًا على مطبوعته الفاسدة، ولكفي حين نظرت في المخطوطة لم أجد أثرًا لهذه الرواية ولا للقصيدة، ثم تبين لي أن ناشره أخذ الرواية من كتاب ابن سعدٍ فأقحمها بحروفها في الكتاب^(٤).

ثم لعلّ شاكًا أن يظنّ في بعض أبيات القصيدة، وهي قوله:

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِنَا؟	وَهَلْ لِقُرْنَيْشٍ، يَا إِمَامَ، مُتَانِعٌ؟
ثَلَاثَةٌ زَهَبُ مِنْ قُرْنَيْشٍ هُمْ هُمْ	أَزِمَةٌ هَذَا الْأَمْرِ، وَاللَّهُ صَانِعُ
عَلِيٍّ، أَوْ الصِّدِّيقِ، أَوْ عَمْرٍ لَهَا	وَلَيْسَ لَهَا بَعْدَ الثَّلَاثَةِ رَابِعُ

ثم قوله:

(١) انظر: الاكتفا/٢-٦٦.

(٢) الطبقات الكبير/٢-٢٧٨.

(٣) انظر: نظرية النظم الشفوي، مقدّمة المترجم الدكتور فضل العماري ص ٩، ١٠.

(٤) قارن بين مطبوعة النمسي لإمتاع الأسماع ٥٩٥/١٤ ومخطوطة الإمتاع (ورقة ١٨٢٧)، وقرأ تمهيد هذه الدراسة.

وَكُلُّ قُرَيْشٍ، وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
فَإِنْ قَالَ مِنَّا قَائِلٌ غَيْرَ هَذِهِ
فَيَا لَقُرَيْشٍ اقْلُدُوا الْأَمْرَ بَعْضَكُمْ
وَلَا تُبْطِلُوا عَنْهَا فُؤَادًا فَإِنَّهَا
عَلَى كُلِّ حَالٍ لِلثَّلَاثَةِ تَابِعُ
أَبَيْتِنَا، وَقُلْنَا: اللَّهُ رَأَى وَسَامِعُ
فَإِنَّ ضَجِيحَ الْعَجْزِ لِلسِّنِّ قَارِعُ
إِذَا قُطِعَتْ لَمْ تَسْرِ فِيهَا الْمَطَامِعُ

فربما قيل: إن أحداً من قريش وضع القصيدة تأييداً لأبي بكر ضدّ الأنصار. ولكنه لا حُجَّة في ذلك؛ لأن الخلاف بين المهاجرين والأنصار كان قد انقطع بببيعة أبي بكر، ولم ينبعث بعد ذلك. وإنَّ خلافاً بعدُ كان بين المهاجرين أنفسهم، ثم طغى فيه قومٌ من الشيعة، ووضعوا فيه من الشعر ما وضعوا، وليست قصيدة عبد الله بن أنيس من ذلك في شيء؛ بل هي قد جمعت بين عليٍّ وأبي بكر، وهذا يدفع الشبهة عن القصيدة، ويصححها.

ويصححها كذلك أن عبد الله بن أنيس كان حليفاً للأنصار، فكيف يقدم القرشيين الثلاثة إن لم يكن يدين بذلك ويعتقده؟

ويصححها أن عبد الله بن أنيس كان ثالثاً ثلاثة من شعراء المراثي النبوية ذهبوا في شعرهم هذا المذهب، مظهرين لنا ما كان إذ ذاك من اجتماع الصحابة على ثلاثة نفر هؤلاء، والشاعران الآخران أنصاريٌّ آخر هو أبو الهيثم بن القتيبان^(١)، ويمانيٌّ هو عبد الحارث بن أنس بن الدَّيَّان^(٢).

ويؤيد صححتها، ويقصُّ قصتها، ويصل سببها صلةً عزيزةً بعبد الله بن أنيس الخبر الذي جاءت في كتفه من رواية وثيمة - إن صحَّ -، قال الكلاعي: «وذكر وثيمة بن موسى أن عبد الله ابن أنيس الجهني كان غائباً ببعض ضواحي المدينة، فلما انتهى إليه الخبر بوفاة الرسول ﷺ أظلمت عليه الأرض، ثم قال: والله لو أن ميتاً رده قتل حتى نفسه لقتلت نفسي، ولكن

(١) انظر توثيق قصيدته.

(٢) انظر توثيق قصيدته.

أفرغ إلى أمر الله، إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم سأل الذي أخبره الخبر: هل استخلف رسول الله ﷺ رجلاً بعينه؟ قال: لا والله. قال: الله أكبر، لو استخلفه هل كنا بمعصيته. فهل اجتمع الناس على رجلٍ؟ قال: أمرَ نبيُّ الله أبا بكرٍ أن يصلي بالناس. قال: هي إعلام الإمامة، وليس كلُّ من صلَّى بإمام؛ ما فعل عليٌّ؟ قال: هو في بيته. قال: لا يريد بها يا ابن أخي، لها ثلاثة من قريش: عليٌّ وأبو بكرٍ وعمر، من ادَّعى منازلهم قصرَ دونهم. ما صنعت الأنصار؟ قال: اعتزلت، قال: كلاً، طائف من الشيطان، لم يكن الله ليخذلهم مع ما سبق لهم، يث عندى الليلة فإني عليل، ولا أراي إلا لما بي من هذه الصدمة، ولكن أبلغ عني قريشاً، فقال: نفا النوم ما لا تبتغيه الأصابع... «المرثية»^(١).

٨

عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخَزَاعِيِّ:

حجازيٌّ من خزاعة، «كان أحد من يحمل ألوية خزاعة يوم فتح مكة»^(٢)، وهو صاحب الصَّريخ المعروف يوم نقضت بنو بكرٍ وقريشُ العهد الذي كان بينهم وبين الرِّسول، فقتلوا رجلاً من خزاعة من بني كعبٍ حلفاء النبيِّ، فخرج عمرو بن سالم حتى قديم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

لَاهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا
جِلْفَ أَيْنَا وَأَيِّهِ الْأَثَلَتَا
كُنْتَ أَبَا بَرٍّ وَكُنْتَ وَلَدَا
تُتُّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَفَرًا أَبَدَا

(١) الاكتفا ٢/٦٧.

(٢) الاصابة ٤/٦٣٢.

وفيها:

إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا
وَجَعَلُوا فِي كُدَاءِ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيِّنَاتِنَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
فَقَتَّلُونَا رُكْعَا وَسُجْدَا

فقال الرسول: «قد نصرت يا عمرو بن سالم»^(١)، وفي رواية: «لا نصري الله إن لم أنصركم»^(٢). فكان ذلك مآهاج فتح مكة.

وفي هذا النشيد مَقْتَعٌ لنعلم مبلغ إتقان عمرو بن سالم للشعر، حتى لو لم نعلم من شعره شيئاً يمكن التعويل عليه، وهذا ابن الكلبي يشهد له فيقول: «عمرو بن سالم بن حُضَيْرَةَ، الشاعر»^(٣)، وقد ذكره دِغْبَلٌ في كتابه «معجم الشعراء»^(٤).

وأنا كلما قرأتُ المرثية أَلْفَيْتُ رُوحَ عمرو كما أَلْفَيْتُهَا في الصرِيخِ؛ وثَابَةً فَائِرَةً، وَأَحْسَسْتُ في المرثية - وكانت قريبَ عهد من نصرِ الرسولِ إِيَاهُمْ - تَلَهَّفَ الرَّائِي وَحَسْرَتَهُ وَأَلَمَهُ لِفُقْدَانِ الرَّجُلِ الَّذِي تَجَدَّهُمْ وَوَقَى لَهُمْ، وَهَا هُوَ ذَا يَصِفُ يَوْمَ وَفَاتِهِ مِثْلَمَا رَأَاهُ بَعِينِيهِ فَيَقُولُ:

فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَعْظَمَ حَادِيًا وَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَوْجِعَا
وَلَمْ أَرِ مِنْ يَوْمٍ أَعَمَّ مُصِيبَةً وَلَا لَيْلَةً كَانَتْ أَمَرَ وَأَفْظَعَا ١

(١) معرفة الصحابة، لأبي نعيم ص ٢٠١٣.

(٢) الاستيعاب ١١٧٦/٣.

(٣) أسد الغابة ٤/٢١٤.

(٤) ذكر ذلك المرزباني في: معجم الشعراء ص ٤٥.

وهو يكاد لا يصدق موته، أو كأنه لا يحب تصديقه:

إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي فِرَاقَ مُحَمَّدٍ تَهَيَّجَ حُزْنِي وَالْفُؤَادُ تَقَطَّعَا
فَيَا لِكِ نَفْسًا لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا عَلَى الدَّهْرِ طَوْلُ الدَّهْرِ إِلَّا تَصَدَّعَا

ألمست تسمع الصوت نفسه، صوت الرجل الحزين الذي مات ناصره؟ بلى وتسمع الصدق في قصيدته، وتعلم عنها عظيم قدر النبي ﷺ في نفوسهم:

لَعَمْرِي لَيْنٌ جَادَتْ لَكَ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ لَمَحْفُوقَةٌ أَنْ تَسْتَهْلَّ وَتَذَمَّعَا
فَيَا حَفْصُ إِنَّ الْأَمْرَ جَلَّ عَنِ الْبُكَاءِ غَدَاةَ نَعَى النَّاسِ عِي النَّيِّ فَأَسْمَعَا

إن هذه الأبيات جميعاً أبياتٌ لم يَبْحُ بها إلا لسان واحد، ولم تجذُ بها سوى نفس واحدة؛ ذلك خالص ما يمكن قوله في توثيق هذه المرثية؛ إذ لم يرشدنا أحدٌ ممن رواها عمَّن رواها، لم يفعل ذلك الأصهباني في «الرَّهْرة»^(١)، ولا الكلاعي في «الاكتفا»^(٢)، ولا البصري في «الحماسة البصرية»^(٣).

٩

قيس بن عَنيم:

هو أبو عَنيم قيس بن عَنيم المازني^(٤)، أو الأَسدي^(٥). وقال ابن سعيد: من بني عمرو بن

(١) الرَّهْرة ٥١٠/٢.

(٢) الاكتفا ٧٥/٢.

(٣) الحماسة البصرية ٥٩٥/٢.

(٤) انظر: الإصابة ٥١٢/٥.

(٥) انظر: المصدر السابق ٤٩٤/٥-٤٩٥.

تميم^(١). له صحبة^(٢)؛ ولا بنه غنيم إدراك للنبي ﷺ ولكنه لم يره^(٣)، وقال ابن فتحون: رآه^(٤).
 روي رجزه في الالتياح لوفاة الرسول ﷺ من طريق شعبة عن عاصم الأحول؛ قال ابن
 سعد: «أخبرنا وهب بن جرير بن حازم، قال: أخبرنا شعبة، عن عاصم، عن غنيم بن قيس
 قال: إني لأحفظ كلمات قالهنّ أبي على النبي ﷺ:

أَلَا لِي الْوَيْلُ عَلَى مُحَمَّدٍ...»

الرجز^(٥).

ومن الطريق نفسها أخرجه البخاري، والبغوي^(٦)، والميزي^(٧)، وابن الأثير^(٨)، كلهم ينسبه
 إلى قيس.

لكن روي في «الإصابة» أن ابن سعد أخرج «من طريق محمد بن الوضاح، عن عاصم
 الأحول، قال: قال غنيم بن قيس: «أشرف علينا راكبٌ فنعى لنا رسول الله ﷺ فنهضنا من
 الأخرية^(٩)، فقلنا: بأبينا وأميننا رسول الله ﷺ، وقلت: ألا لي الويل على محمدٍ»^(١٠).

فهذه رواية شاذة؛ لأن شعبة عن عاصم أوثق من محمد بن الوضاح عن عاصم^(١١)، ثم

(١) انظر: الطبقات الكبير ١٢٢/٩.

(٢) انظر: الإصابة ٥١٢/٥.

(٣) انظر: تهذيب الكمال، للميزي ١٢٠/٢٣.

(٤) انظر: منح المدح ص ٤٢٣.

(٥) الطبقات الكبير ١٢٢/٩.

(٦) كما في الإصابة ٥١٢/٥.

(٧) انظر: تهذيب الكمال ١٢٠/٢٣.

(٨) انظر: أسد الغابة ٤/٣٨٢.

(٩) الأخرية: جماعات البيوت المتدانية (اللسان: حوا).

(١٠) الإصابة ٣٣٨/٥.

(١١) هو الإمام الكبير الحافظ شعبة بن الحجاج (انظر ترجمته في: تهذيب الكمال ٤٧٩/١٢).

إن ابن سعد نفسه أخرج الخبر في موضع آخر من «الطبقات» عن شعبة عن عاصم، وقد ذكر آنفاً.

أمّا قول الهيثمي بعد أن نسبها لغنيم: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن آدم، وهو ثقة»^(١)، فقد قصد إلى هذه الرواية بعينها، ولم يحكم على الخبر من جميع طرقه، وتلك طريقة من طرق المحدثين. وإنه يكون رجال الإسناد ثقات، والخبر ضعيف إذا روي من إسناد آخر أو ثق منه وأمتن برواية مناقضة، وهذا ما اصطلحوا على تسميته بالشذوذ^(٢)، وبه حكمت على رواية محمد بن الوضاح على عاصم، وقدّمت عليها رواية شعبة عن عاصم، وهي الرواية التي اعتمدها أكثر من روى المروية من المحدثين والمؤرخين.

وعلى ذلك فالرجز لقيس واليد غنيم لا لغنيم ابنه، وهو كما أتضح من إسناده قوي صحيح النسب إلى قيس رضي الله عنه.

١٠

لبيد بن ربيعة:

أبو عقيل، أحد رؤوس بني عامر، وشاعرهم الكبير، وفد مع قومه على رسول الله ﷺ قبل الفتح فأسلم وحسن إسلامه، وله في تدبئه القصص المشهورات. مات سنة إحدى وأربعين وقد جاوز مئة سنة بعشرين سنة أو نحوها على أرجح الأقوال^(٣).

ولبيد في الشعر علم في رأسه ناز، وله ديوان كبير عيله جماعة من المتقدمين، منهم

(١) مجمع الزوائد ٣٩/٩.

(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت ص ١٤١ (تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة).

(٣) انظر: الإصابة ٦٧٦/٥.

أبو عمرو الشيباني، والأصمعي، والطوسي، وابن السكيت^(١)، وقد طبع ما عثر عليه منه طبعات مختلفة متفاوتة^(٢) المعول منها على تلك التي حققها الدكتور إحسان عباس بشرح الطوسي^(٣).

ومَّا يَتَّصِلُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ الْمَرَاتِي رَوَيْتُهُمْ أَنْ لَبِيدًا مَا قَالَ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَيْتٍ شِعْرٍ وَاحِدٍ هُوَ قَوْلُهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى أَكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبًا لَأَ

قال ابن عبد البر: « وقد قيل: إن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلوي، وهو أصح عندني^(٤)».

وقيل: بل قوله:

مَا عَاتَبَ الْمَرْءَ الْكَرِيمَ كَنْفِيهِ وَالْمَرْءُ يُضْلِحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

وهذا القول غير صحيح؛ فإنَّ للبيد قصائد لا شك في أنه قالها في الإسلام خلا هذا البيت، منها مرثية في أخيه أريد، وقصيدتان ذكر فيهما عمه أبا براء ملاعب الأستة وعامر بن الطفيل، وقصائد أخرى غير ذلك^(٥).

ومع ذلك لا أعلم أن لبيدًا قال في النبي ﷺ شعراً إلا ما وجدته في «منح المدح» وفي

(١) انظر: الفهرست ص ١٧٨.

(٢) انظر: اكتفاء القنوع ص ٣٥، وانظر: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إبان سركيس ١٥٨٧/٢ (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، صورتها مكتبة الثقافة الدينية ببورسعيد).

(٣) انظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤م).

(٤) الاستيعاب ١٣٣٥/٣.

(٥) انظر مقدمة شرح ديوان لبيد ص ٢٧-٢٨، وقرأ بحث هذه المسألة في كتاب أستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور: حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام ص ١٠٧-١١١.

مخطوطة «إمتاع الأسماع» من نسبة قصيدة إليه يرثي فيها النبي ﷺ، رأسها:

إِنَّ الْمَيِّتَةَ رَأْسَ كُلِّ مَيِّتَةٍ شُدَّتْ عَلَى أَعْرَ نَيْلٍ^(١)

وهي مرثية لامية من ثمانية عشر بيتاً، وقد رواها ابن سيد الناس في «المنح» عن ابن إسحاق، وهي - لا جرم - مما أدخل على ابن إسحاق، فهي لا تُشبه شعر لبيد في شيء، وإنها قصيدة عادية النسيج إن لم نقل: ضعيفته، وفيها أبيات منكرة الوزن^(٢).

وكان لبيد شديد أسير الشعر، متين أعاريضه. وهي قصيدة قريبة اللغة، وكان لبيد شاعراً غريب اللفظ، جزّل الكلام من طبقة النابغة الجعدي، وأبي ذؤيب، والشماخ^(٣).
وإما قول ابن سلام فيه: «وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام»^(٤)؛ فإنه يعني بالقياس إلى تلك الطبقة^(٥).

قال الفراء: «كان لبيد وابن مقبل يجريان مجرى واحداً في خشونة الكلام وصعوبته... وأهل العربية يشتهونه لكثرة غريبه»^(٦).
فالقصيدة ركيكة لا تصح نسبها إلى لبيد الفحل.

(١) انظر: منح المدح ص ٢٨٠ - ٢٨١ ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣١)، وهي مما أسقط من مطبوعته.

(٢) كعجز البيت الأول، وصدر البيت الثاني.

(٣) انظر: طبقات فحول الشعراء ١٢٣/١.

(٤) المصدر السابق ١٣٥/١.

(٥) انظر مقدمة شرح ديوان لبيد، للدكتور إحسان عباس ص ٣٥.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٩/٢٢٨.

أبو الهيثم ابن التَّيْهَانِ:

هو مالك بن التَّيْهَانِ^(١) بن مالك بن عتيك الأنصاري. شهد بيعة العقبة، وكان أوَّل من بايع، وشهد بدرًا والمشاهد كلها^(٢)، وهو نقيب الأنصار وخطيبهم^(٣). توفي في خلافة عمر سنة عشرين، وقيل: بصَّفين سنة سبع وثلاثين^(٤).

لا أعلم لأبي الهيثم من الشعر سوى مرثيته النبوية، وهي مرثية مروية منذ قديم، وعسى روايتها كانت من غير طريق؛ فقد رواها ابنُ أَعْتَمِ في كتاب «الرِّدَّة» بإسناده^(٥)، ورواها الكلَّاعي وهو ينقل من كتاب «الرِّدَّة» لوثيمة وإن لم يصرِّح بذلك^(٦).

قال أبو محمد أحمد بن أَعْتَمِ الكوفيُّ بعد ما ساق إسناده الجمعيَّ عن نفرٍ من الصحابة والتابعين^(٧): «إنه لما قبض النبي ﷺ شِمت اليهود والنصارى بأهل الإسلام، وظهر النفاق في المدينة من كان يخفيه قبل ذلك، وماج الناس واضطربوا، وأقبل مالك بن التَّيْهَانِ الأنصاريُّ حتى وقف على قومه، فقال: يا معشرَ الأنصار، أنصتوا، واسمعوا مقالتي... ثم أنشأ يقول:

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الْفَتَى لَمْ يُخَلِّدِ وَأَنَّ الْمَنَابِيَا لِلرِّجَالِ يَمْزُضِدِ
لَقَدْ جُدِعَتْ آدَانُنَا وَأُتُوفُنَا عَدَاةً فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

... «القصيدة»^(٨).

(١) في الاشتقاق: «والتَّيْهَانُ: فَيُعْلَانُ مِنَ التَّيْهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَاهَ يَتِيهُ تَيْهًا وَتَيْهَانًا، إِذَا تَاهَ عَلَى وَجْهِهِ» ص ٤٤٥.

(٢) انظر: الإصابة ٤٤٩/٧.

(٣) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْمٍ ص ٢٤٤٧.

(٤) انظر: معجم الصحابة، للبغوي ١٨٦/٥.

(٥) انظر: كتاب الرِّدَّة المنسوب للواقدي ص ٣٠، وأقرأ ما سلف في ص ١٥٦ من هذا الكتاب.

(٦) انظر: الاكتفا ٦٧/٢-٦٨.

(٧) انظر معنى (الإسناد الجمعي) في ص ١٥٨ من هذا الكتاب.

(٨) الرِّدَّة ص ٢٨-٣٠، وانظر الحديث عن هذا الإسناد في ص ١٥٨ من هذا الكتاب.

إنَّ الفروق بين الروايات تُبرز أنَّ القصيدة رويت من غير طريق، وهذا يُعظِّم الوثوق بها؛
فقد روي البيت الخامس عند الكلاعي:

نَصَارِي يَقُولُونَ الْفِرْسَى، وَمُنَافِقُ شَيْبَةُ بِدَاكِ الشَّامِيَةِ الْمُتَهَوِّدِ

وروي في «الردّة»:

نَصَارِي يَقُولُونَ الشَّجِي، وَمُنَافِقُ وَكُلُّ كُفُورٍ شَامِيَةٍ مُتَهَوِّدِ

وروي البيت الحادي عشر في كتاب الكلاعي:

وَأَيُّ لَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا عَلِيٌّ، أَوْ الصِّدِّيقُ، وَالْمَرْءُ مِنْ عِدِي

وهو في «الاستيعاب»^(١)، و«الوافي»^(٢):

وَأَيُّ لَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا وَيَحْفَظُهُ الصِّدِّيقُ، وَالْمَرْءُ مِنْ عِدِي

وفي «الردّة»:

وَأَيُّ لَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا عَلِيٌّ، أَوْ الصِّدِّيقُ، أَوْ عَمْرُو مِنْ عِدِي

وروي البيت الثالث عشر في كتاب الكلاعي:

أَوْلَاكَ خِيَارُ الْحَيِّ فَهَرُبْ مِنْ مَالِكٍ وَأَنْصَارُ هَذَا الَّذِينَ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي

وهو في «الردّة»:

وَتَعْدُو زَكَاةَ الْحَيِّ فَهَرُبْ مِنْ مَالِكٍ وَأَنْصَارُ هَذَا الَّذِينَ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي

ثم إنه مع حرص الكلاعي على إثبات القصيدة كاملة، إلا أنَّ صاحب «الردّة»

زاد بيتين.

(١) الاستيعاب ٤/١٣٤٨.

(٢) الوافي بالوفيات ١٧/٣٠٧.

والقصيدة آيةٌ أخرى لما كان عليه الصحابة من اجتماع على تفضيل الثلاثة^(١)، ولم تمنع أنصاريَّةُ أبي الهيثم وكونه من كبارهم أن يقول بذلك ويتمناه، ويعتقد أنه الخيرُ للمسلمين. ولا تبرُّغ في القصيدة عصبيةٌ لقريش على الأنصار قَطُّ، فقد وُتدت تلك الفتنة في مهدها يوم السقيفة ببيعة أبي بكر، ولكنَّ الذي ثار بعد ذلك كان من القرشيين أنفسهم كما ذكرت قبل؛ فلا شبهة تحوم حول القصيدة من هذا الوجه.

بل إنَّ في الخبر قبلها تفسيرًا لأبياتها، ففيه: «وأقبل مالك بنُ التَّيْهان الأنصاريُّ حتى وقف على قومه فقال: يا معشر الأنصار، أنصتوا، واسمعوا مقالتي، وتفهموا ما ألقىه إليكم، واعلموا أنه قد شيمت اليهود والنصارى بموت نبينا محمدٍ - عليه السلام، وقد ظهرت حسيكة^(٢) أهل الردة، وعظَّم المصائب علينا أن مسيلمة الكذاب خرج بأرض اليمامة برعيٍّ وِسْريٍّ، وقد تعلمون أنه كان يدَّعي النبوة في حياة نبينا ﷺ، والآن قد بلغني أن طليحة بن خويلد الأسديُّ أيضًا قد ادَّعى النبوة ببلاد نجد، وأنا والله خائفٌ على قبائل العرب أن ترتدَّ عن دين الإسلام، فإن لم يَقم بهذا الأمر رجلٌ من بني هاشم، أو رجلٌ من قريش، فهو والله الهلاك والبوار، ثم أنشأ أبو الهيثم يقول: ألا قد أرى أن الفتى لم يخلِّد [القصيدة]، قال: ثم أقبل أبو بكر الصديقي رضي الله عنه على المسلمين فقال: أيُّها الناس، إنه من كان يعبدُ الله فإن الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات...»^(٣).

فانظر إلى هذا الخبر كيف أضاء من ظلمة الماضي، ونور لنا الطريق فيه؛ فالقصيدة لعلها أوَّل شعر المراثي النبويَّة، وأقدمه عهدًا بوفاة الرسول ﷺ، ووقتها كان يومٌ تلجج الناس ساعةً تهددهم عمر بن الخطاب قبل السقيفة؛ فسقطت شبهة عصبية القرشية على الأنصار؛

(١) انظر في ذلك أيضًا ص ١٧٦، ص ٢٣٨.

(٢) الحسيكة: العداوة (أساس البلاغة: حسك).

(٣) الردة المنسوب للواقدي ص ٢٩-٣١.

لأن الخلاف كان لم يحن بعد.

والقصيدة تكشف عما كان عليه سادة الصحابة كأبي الهيثم من حذب على دين النبي ﷺ، وإشفاق على بيضته، وكيف توجسوا خيفة من الردة من قبل أن يستطير شررها، وجنحوا إلى أن المخرج في أن يلي الأمر أحد من قريش رهط النبي، ولم يكن أبو الهيثم بذعاً في مذهبه؛ إذ قال بمثل قوله ملاً آخرون من شعراء المرآي النبوية^(١)، قال أبو الهيثم:

وَمَا نَحْنُ إِذْ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ أَمْرَنَا بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا بَعْدَ أَحْمَدِ
بَأَمْتَعٍ مِنْ شَاءِ بِقَفْرِ مَطِيرَةٍ بِقِيَعَةِ قَاعٍ، أَوْ صَبَابٍ بِقَدْقِدِ

روى الطبري عن عروة في يوم الوفاة قال: «والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية؛ لفقد نبيهم، وقتلهم، وكثرة عدوهم»^(٢).



(١) انظر القصيدتين الأخيرين ص ١٧٦، ص ٢٣٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، للطبري ٢٢٥/٣.

الباب الثاني
توثيقُ مرآتي الصَّحَابِيَّاتِ
رضي الله عنهنَّ



المزني

(٥١)

[من البسيط]

- ١ قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ
 ٢ إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابِلَهَا
 ٣ قَدْ كُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
 ٤ وَكَانَ جِبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يَحْضُرُنَا
 ٥ فَقَدْ رُزِفْتُ أَبَا سَهْلًا خَلِيقَتُهُ
 لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخَطْبُ^(١)
 فَاحْتَلَّ لِقَوْمِكَ، فَاشْهَدُهُمْ، وَلَا تَغِيبْ
 عَلَيْكَ تَنْزِيلَ مَنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ
 فَعَابَ عَنَّا، وَكُلُّ الْغَيْبِ مُحْتَجِبُ
 تَحْضُضَ الضَّرِيبَةِ وَالْأَعْرَاقِ وَالنَّسَبِ

* التخریج: جعلتُ رواية الطبقات الكبير لابن سعد ٢٨٨/٢ أصلاً لهذه المقطعة مع أنه عزاها لهند بنت أثنائه، وفي الدراسة تفصيل القول في تصحيح نسبتها إلى صفية رضي الله عنها؛ وهي في مخطوطة إمتناع الأساع (ورقة ١٨٢٧)؛ وفي لسان العرب (هنيث) البیتان ١، ٢، والبيان والتبيين للجاحظ ٣/٣٦٣، والمعجم الكبير للطبراني ٣٢١/٢٤ (تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ص ٣٣٧٧، ومجمع الزوائد للهيتمي ٣٩/٩ البيت الأول.

١. في المعجم الكبير، ومجمع الزوائد: «... يكثر...» بالياء آخر الحروف. وفي معرفة الصحابة: «... لم تُذكر...».
٢. في اللسان: «فاحتلَّ قومك...» بالخاء المعجمة الفوقية، وهي أولى في المعنى. وفي مخطوطة الإمتناع: «... لقربك...» تصحيف. وفي البيان والتبيين: «... فاشهدهم فقد سغبوا...».
٤. في مخطوطة الإمتناع: «... بالآيات يأتينا...».
٥. في مخطوطة الإمتناع: «... أبا صافب...».

(١) الهنيئة: الداهية، وقيل: الأمور والأخبار المختلطة، يقال: وقعت بين الناس هنايت (اللسان: هنيث). والخطب: بفتح الطاء: جمع خطبة؛ أو بضمها: جمع خطب، ومنه قول الأخطل:
 كَلَّمَجْ أَيْدِي مَثَاكِلِ مَسْلُوبَةٍ يَنْدِينُ ضُرْسَ بَنَاتِ الدَّهْرِ وَالْخَطْبِ
 (اللسان: خطب).

(٥٢)

[من الخفيف]

- | | | | | |
|---|--|-------------|------------------|---------------------|
| ١ | عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ تَسْكَابِ | لِلنَّبِيِّ | المُظْهِرِ | الأَوَابِ |
| ٢ | وَأَنْدِي الْمُضْطَفَى فَعْمِي وَخُصِي | يَدْمُوعِ | عَزِيرَةِ | الْأَسْرَابِ |
| ٣ | عَيْنُ مَنْ تَنْدُبِينَ بَعْدَ نَبِيِّ | خَصَّهُ | اللَّهُ رَبَّنَا | بِالْكِتَابِ |
| ٤ | فَاتِحِ، خَاتِمِ، رَجِيمِ، رُؤُوفِ | صَادِقِ | الْقَبِيلِ، | طَيِّبِ الأَنْوَابِ |
| ٥ | مُشْفِقِ، نَاصِحِ، شَفِيقِ عَلَيْنَا | رَحْمَةٍ | مِنْ | إِلَهِنَا الوَهَابِ |
| ٦ | رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ | وَجَزَاهُ | الْيَلِيكَ | حُسْنِ الثَّوَابِ |

(٥٣)

[من الخفيف]

- | | | | |
|--|---|--|---|
| أَرْقُبُ اللَّيْلَ، فَعَلَّةَ الْمَحْرُوبِ | ١ | لَهْفَ نَفْسِي، وَبِكَ كَالْمَسْلُوبِ | ١ |
| لَيْتَ أَنِّي سُقَيْتُهَا بِشَعُوبِ ^(١) | ٢ | مِنْ هُمُومٍ وَحَسْرَةٍ أَرْقَيْتَنِي | ٢ |
| وَافَقَتْهُ مَنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ | ٣ | حِينَ قَالُوا: إِنَّ الرَّسُولَ قَدْ أَمَسَى | ٣ |
| فَأَشَابَ الْقَدَالَ مِثِّي مَشِيبي | ٤ | [إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَرِيحٌ] | ٤ |
| لَيْسَ فِيهِمْ بَعْدَ عَيْشِ [حَبِيبِي] | ٥ | حِينَ رَيْنَا بِيُوتَةَ مُوحِشَاتِ | ٥ |
| خَالَطَ الْقَلْبَ، فَهُوَ كَالْمَرْغُوبِ | ٦ | فَعَرَانِي لِذَاكَ حُزْنٌ طَوِيلٌ | ٦ |
| بَعْدَ أَنْ بَيْنَ بِالرَّسُولِ الْقَرِيبِ] | ٧ | [لَيْتَ شِعْرِي، وَكَيْفَ أُمِيبِي صَحِيحًا | ٧ |
| سَيِّدِ النَّاسِ، حُبُّهُ فِي الْقُلُوبِ] | ٨ | أَعْظَمِ النَّاسِ فِي الْبَرِيَّةِ حَقًّا | ٨ |
| يَعْلَمُ اللَّهُ حَوْبِي وَنَحْيِي ^(٢) | ٩ | [فَإِلَى اللَّهِ ذَلِكَ أَشْكُو، وَحَسْبِي | ٩ |

* التخرُّج: جعلتُ مجمع الزوائد ٣٨/٩، ٣٩ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي المعجم الكبير للطبراني ٣٢/٢٤ الأبيات: ١-٦؛

وفي الطبقات الكبير ٢٨٤/٢ الأبيات جميعاً.

١. في الطبقات: «أرق الليل...». وفي المعجم الكبير: «أرقت...».

٢. في الطبقات: «... وحسرة ردفتي».

٤. في الأصل: «حين جئنا لال بيت محمد * فأشاب القذال أي مشيب * وهو مكسور، وما أنبئه في الطبقات. وفي

المعجم: «... لبيت آل محمد».

٥. في الطبقات: «إذ رأينا بيوته...». وفي الأصل: «... عيش غريب * لعله تصحيف، وما بين المعرفين في الطبقات.

٦. في الطبقات: «أورث القلب ذاك حزناً طويلاً». وفي المعجم: «فعلاني... * خلط...».

٧. البيت زائد في الطبقات.

٨. البيت زائد في الطبقات.

٩. البيت زائد في الطبقات.

(١) الشُّعُوب: المَنِيَّة (اللسان: شعَب).

(٢) الحَوْبَةُ: الحالة الشديدة السيئة (تاج العروس: حوب).

(٥٤)

[من الوافر]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | أَرَقْتُ، فَبِتُّ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ | لَوَجِدُ فِي الْجَوَانِحِ ذِي دَيْبِ |
| ٢ | فَشَيْبِي، وَمَا شَابَتْ لِدَائِي | فَأَمَسَى الرَّأْسُ مِنِّي كَالْعَسِيْبِ ^(١) |
| ٣ | لِقَفْدِ الْمُضْطَفَى بِالثَّوْرِ حَقًّا | رَسُولِ اللَّهِ، مَا لَكَ مِنْ ضَرِيْبِ |
| ٤ | كَرِيمِ الْخَيْمِ، أَرْوَعٍ، مَضْرِحِي | طَوِيلِ الْمَبَاعِ، مُنْتَجِبِ، نَدِيْبِ ^(٢) |
| ٥ | يَمَالِ الْمُعْدِمِينَ وَكُلِّ جَارِ | وَمَاوَى كُلِّ مُضْطَهْدِ غَرِيْبِ |
| ٦ | فَأَمَّا تُمْسِ فِي جَدَّتِ مُقِيْمًا | فَقَدَمًا عَشَتْ ذَا كَرَمٍ وَطِيْبِ |
| ٧ | وَكُنْتَ مُوَفَّقًا فِي كُلِّ أَمْرٍ | وَفِيْمَا نَابَ مِنْ حَدَثِ الْخَطُوبِ |

* التخریج: القصيدة في الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٢٨٥.

(١) العسب: جريدة من النخل مستقيمة، دقيقة، يُكشط حوضها (اللسان: عسب).
 (٢) الخيم: الشيمة والطبيعة والسجية (اللسان: خيم)، وأروع: حي النفس، ذكي (اللسان: روع)، والمضرحي: الأبيض من كل شيء (تاج العروس: ضرح)، ورجل نذب: خفيف في الحاجة، سريع، طريف، نجيب (اللسان: ندب).

(٥٥)

[من الخفيف]

- ١ ظالَ لَيْلِي أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي لَيْسَ مَيْتِي كَسَائِرِ الْأَمْوَاتِ
 ٢ لَيْسَ مَيْتِي بِحَسَبِ مَنْ مَاتَ فِي النَّاسِ وَلَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَيَاةِ
 ٣ ظالَ لَيْلِي لِتَكْبَةِ قَطْعَتْنِي لَا أَرَى مِثْلَهَا مِنَ التَّكْبَاتِ

التخريج: المقطعة في مخطوطة الزهرة التي بتورينو (ورقة ١٢٧) مصورة بمكتبة الإسكندرية من محفوظات: **Biblioteca**

Reale Torino Orientau 68، وهي في مطبوعة الدكتور إبراهيم السامرائي للزهرة ٥٠٨/٢.

٢. البيت في مطبوعة الزهرة: ١ ليس ميتي كمثل من مات من سائر الناس... ١، وهو مختل وزنًا، والعجيب أن المحقق يعتمد مخطوطة تورينو هذه.

(٥٦)

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | أَبَ لَيْلِي عَلَيَّ بِالنَّسْهَادِ | وَجَفَا الْجَنْبُ عَيْرَ وَظِيَّ الْوَسَادِ |
| ٢ | وَاعْتَرَّتْنِي الْهُمُومُ جِدًّا بَوَهْنِ | لِأُمُورٍ نَزَلْنَ، حَقًّا شِدَادِ |
| ٣ | رَحْمَةً كَانَ لِلْبَرِيَّةِ ظُرًّا | فَهَدَى مَنْ أَطَاعَهُ لِلسَّدَادِ |
| ٤ | طَيَّبَ الْعُودِ وَالضَّرِيبَةَ وَالنِّسِيمِ | مَخْضُ الْأَنْسَابِ، وَارِي الزَّيَادِ ^(١) |
| ٥ | أَبْلَجٌ، صَادِقُ السَّجِيَّةِ، عَفٌّ | صَادِقُ الْوَعْدِ، مُنْتَهَى الرُّوَادِ |
| ٦ | عَاشَ مَا عَاشَ فِي الْبَرِيَّةِ بَرًّا | وَلَقَدْ كَانَ نُهْبَةً الْمُرْتَادِ |
| ٧ | ثُمَّ وَلَّى عَنَّا فَقِيدًا حَمِيدًا | فَجَزَاةَ الْجِنَانِ رَبُّ الْعِبَادِ |

* التخریج: القصيدة في الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٢٨٦.

(١) الضريبة: الطبيعة والسجية (اللسان: ضرب). والشيم: الحلق والطبيعة (اللسان: شيم).

(٥٧)

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ وَسُهُودِ | وَأُنْدِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ ^(١) |
| ٢ | وَأُنْدِي الْمُصْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدِ | خَالَطَ الْقَلْبَ، فَهُوَ كَالْمَعْقُودِ |
| ٣ | كَيْدُ أَفْضِي الْحَيَاةِ لَمَّا أَتَاهُ | قَدْرٌ حُطَّ فِي كِتَابِ عَجِيدِ |
| ٤ | فَلَقَدْ كَانَ بِالْعِبَادِ رُؤُوفًا | وَأَلْهُم رَحْمَةً، وَخَيْرَ رَشِيدِ |
| ٥ | رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَيًّا وَمَيِّتًا | وَجَرَاهُ الْجَنَانَ يَوْمَ الْخُلُودِ |

* التخریج: المقطعة في الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٢٨٦، وفي منح المنح ص ٣٤٦ - ٣٤٧ نقلًا عن الطبقات الكبير،

وفي سير أعلام النبلاء ٢/٢٧١.

(١) السهود: الأرق (اللسان: سهد).

(٥٨)

* [من البسيط]

- ١ يَا عَيْنُ، جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ مُنْحَدِرٍ وَلَا تَمَلِّي، وَبِكَيْي سَيِّدَ الْبَشَرِ
 ٢ بَكَيْي [الرَّسُولِ] فَقَدْ هَدَّتْ مُصِيبَتُهُ جَمِيعَ أَهْلِي، وَأَهْلَ الْبَدْوِ، وَالْحَضَرِ
 ٣ وَلَا تَمَلِّي بُكَاءِكَ الدَّهْرَ مُغْوَلَةً عَلَيْهِ مَا غَرَّدَ الْقُمْرِيُّ بِالسَّحْرِ

* التخریج: المقطعة في أنساب الأشراف للتبلاذري ٥٩٤/١.

١. في الأصل: « بكى رسول الله... » ولكن البيت يخلل وزنه.

٣. في الأصل: «... بكاءك... » بتحقيق الهمزة، تصحيف.

(٥٩)

[من الطويل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أُكْفِكُفٌ مِنْ دَمْعِي سَوَاتِرَ عَثْرَةٍ | تُغْطِي اللَّهَاءَ، أَيْنَ الْبُحُورُ الْجِصَادِمِ [٤] (١) |
| ٢ | لِفَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ | فَيَا عَيْنَ جُودِي بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ |
| ٣ | نَبِيٍّ أَتَى بِالْحَقِّ وَالثَّوْرِ وَالْهُدَى | وَتَحْنُ عُمَاءُ فِي سَبِيلِ الْمَحَارِمِ |
| ٤ | فَقَدْ هَدَّأْنَا فَقَدْ الرَّسُولِ فَأَعْوِلِ | يَحْزِنُ طَوِيلِ آخِرِ الدَّهْرِ دَائِمِ |

* التخریج: جعلتُ معرفة الصحابة لأبي نعيم ص ٣٣٧٧ - ٣٣٧٨ أصلاً لهذه المقطعة؛ وفي الإصابة ٧/٧٤٥ البيت الثاني.

(١) لم أتبن المعنى في عجز البيت؛ فلعله من تحريف وتصحيح دخلاء.

(٦٠)

[من الطويل]

١ فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يُهْتَدَى بِهِ يُخَصُّ بِتَنْزِيلِ الْمَثَانِي الْمُعْظَمِ

* التخریج: البيت في النكت والعيون، للماوردي ١٧٠/٣ (راجعته وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٦٧/٤ (دار الغد، القاهرة، ط ١٤١٦/٢هـ).

(٦١)

[من الطويل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَعْيَنِي، جُودًا يَدْمِجُ سَجَمَ | يُبَادِرُ عَرْنَا بِمَا مُنْهَدِمٌ ^(١) |
| ٢ | أَعْيَنِي، فَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا | بَوَجْدٍ وَحُزْنٍ شَدِيدِ الْأَلَمِ |
| ٣ | عَلَى صَفْوَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعِبَادِ | وَرَبِّ السَّمَاءِ وَبَارِي النَّسَمِ |
| ٤ | عَلَى الْمُرْتَضَى لِلْهُدَى وَالثَّقَى | وَالرُّشْدِ وَالنُّورِ بَعْدَ الظُّلَمِ |
| ٥ | عَلَى الظَّاهِرِ الْمُرْسَلِ الْمُجْتَبَى | رَسُولِ تَحِيَّةِ ذُو الْكَرَمِ |

* التخریج: المقطعة في الطبقات الكبير لابن سعد ٢/٤٨٥.

(١) القزب: الراوية التي يحمل عليها الماء، والدلو العظيمة (اللسان: غرب).

(٦٢)

* [من الطويل]

- ١ أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا
 ٢ وَكَانَ بِنَا بَرًّا رَحِيمًا نَبِينَا
 ٣ لَعَنَرِي مَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ
 ٤ كَأَنَّ عَلِيَّ قَلْبِي لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ
 ٥ أَفَاطِمُ، صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ
 ٦ أَرَى حَسَنًا أَيْمَتَهُ وَتَرَكْتَهُ
 وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
 لَيْتِكَ عَلَيْنِكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
 وَلَكِنْ لَهْرَجَ كَانَ بَعْدَكَ آتِيَا
 وَمَنْ حُبِّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَكَوِيَا
 عَلَيَّ جَدِّثِ أَمْسَى يَبْتَرِبُ ثَارِيَا
 يُبْكِي وَيَدْعُو جَدَّهُ الْيَوْمَ قَائِيَا

* التخریج: جعلت رواية المعجم الكبير للطبراني ٣٢١، ٣٢٠/٢٤ أصلًا لهذه القصيدة. وهي في الطبقات الكبير لابن سعد ٤٨٢/٢، ٤٨٣، ومجمع الزوائد للمهيشي ٣٩/٩، والاستيعاب لابن عبد البر ٤٩/١، والاكتفا للكلاعي ٦٥/٢، وسلوة الكتيب لابن ناصر الدين ص ٢٠٦، ٢٠٧، ومخطوطة إمتاع الأساع (ورقة ١٨٢٨، ١٨٢٩)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي ١٢٤/١٤، ٢٨٥، والذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٤ بهذا الترتيب: ١، ٥، ٣، ٤، ٧، ٤، ٦، ٨، ١٠ وفي تاريخ الخميس ١٧٣/٢ الأبيات: ١-٥، ٧-١٠ وفي أنساب الأشراف للبلاذري ٥٩٤/١ الأبيات: ٤، ١، ٥، ٧، ٩، ١٠ وفي المواهب اللدنية للقسطلاني بشرح الزرقاني ١٤٩/١٢-١٥٠ الأبيات: ١، ٥، ٧، ٩، ١٠، ٦ وفي الإصابة ٤٨٠/٧ الأبيات: ٤، ١.

١. في مجمع الزوائد: «... رخاءنا» بالخاء المعجمة الفوقية. وفي أنساب الأشراف: «... رجائيا».
٢. في الطبقات، وسلوة الكتيب، وسبل الهدى: «وكنت بنا زوقًا رحيمًا نبينا». وفي الاكتفا، والاستيعاب، والمواهب، وتاريخ الخميس: «وكنت رحيمًا هاديا ومعلما». وفي مخطوطة الإمتاع: «وكنت بنا زوقًا ومشققا». وفي الذخائر: «وكنت لنا حرزا حصينا نبينا».
٣. في الطبقات، وسلوة الكتيب، ومخطوطة الإمتاع، وسبل الهدى: «العمرک... لموته». وفي الاكتفا، والاستيعاب، والمواهب، وتاريخ الخميس: «لعمرک... * ولكن لما أخشى من الهرج آتيا». وفي الذخائر: «ولكن أمرًا بعده كان آتيا».
٤. في الطبقات، وسلوة الكتيب، والاكتفا، ومخطوطة الإمتاع، والاستيعاب، والمواهب، وسبل الهدى، وأنساب الأشراف، والذخائر، وتاريخ الخميس: «كان علي قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المكابيا».
٥. في أنساب الأشراف: «أفاطم حيّ الله...».
٦. في الذخائر: «أبا حسن...». وفي الطبقات، ومخطوطة الإمتاع، وسبل الهدى: «أبا حسن فارقته وتركته * فبك بحزن آخر الدهر شاجيا».

- ٧ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أُجْمِي، وَخَالَتِي وَعَمِّي، وَنَفْسِي قَصْرَةً، وَعِيَالِيَا^(١)
- ٨ صَبْرَتْ وَبَلَغَتْ الرِّسَالَةَ صَادِقًا وَمَتَّ صَلِيبَ الْعُودِ، أَبْلَجَ، صَافِيَا
- ٩ فَلَوْ أَنَّ رَبَّ الْعَرْشِ أَبَقَاكَ بَيْنَنَا سَعِدْنَا، وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَا ضِيَا
- ١٠ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ نَجِيَّةً وَأَدْخَلْتَ جَنَّاتٍ مِنَ الْعَدْنِ رَاضِيَا

٧. في الطبقات، وسلوة الكتيب، ومخطوطة الإمتاع، وسبل الهدى: «... قصره ثم خاليا». وفي الاكتفاء والاستيعاب: «وعمي وآبائي ونفسي وماليا». وفي المواهب: «وعمي وخالي ثم نفسي وماليا». وفي أنساب الأشراف: «... نفسي وخالتي* وأمي وعمي قصره وعياليا». وفي الذخائر: «... وأمي وأسرتي* وعمي ونفسي والحدود وخاليا». ٨. في الطبقات، وسبل الهدى، والذخائر: «وقمت صليب الدين...». وفي الاكتفاء والاستيعاب، وتاريخ الخميس: «صدقتم...*... صليب العود...». وفي السلوة: «وقدمت صلب الدين...». وفي مخطوطة الإمتاع: «وقمت عرفت الدين...».

٩. في الطبقات، وأنساب الأشراف، ومخطوطة الإمتاع، وسبل الهدى: «فلو أن رب الناس...». وفي الاكتفاء والاستيعاب، والمواهب، وتاريخ الخميس: «... رب الناس أبقي نبينا». وفي الذخائر: «... رب الخلق أبقاك سالما». وفي الطبقات: «... أمرنا...» تصحيف.

(١) قَصْرَةٌ: أي دون الناس (اللسان: قصر).

(٦٣)

[من الخفيف]

- ١ مَا لِعَيْنِي لَا تَجُودَانِ رَبِّمَا
 ٢ يَوْمَ نَادَى إِلَى الصَّلَاةِ بِلَأَلْ
 ٣ كُلُّ يَوْمٍ أَصْبَحْتَ فِيهِ نَقِيلاً
 ٤ لَمْ أَجِدْ قَبْلَهَا وَلَسْتُ بِلَاقٍ
 ٥ وَحَمَانَ الشَّيْخِ مُنْحَدِرٍ فِي عَارِضٍ
 ٦ وَهِيَ فِي الصَّدْرِ قَدْ تُسَاقُ حَيْثُمَا
 ٧ لَيْتَ يَنْوِي بِكُونٍ قَبْلَكَ يَوْمًا
 ٨ خُلُقًا عَالِيًا، وَدِينًا كَرِيمًا
 ٩ وَسِرَاجًا يَهْدِي الظَّلَامَ مُنِيرًا
 ١٠ حَازِمًا، عَازِمًا، حَلِيمًا، كَرِيمًا
 ١١ إِنَّ يَوْمًا أَتَى عَلَيْكَ لَيَوْمٌ
 ١٢ فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مِنَّا وَمِنْ
- إِذْ رُزِينَا خَيْرَ التَّرِيَةِ حَيًّا
 فَبِكَيْتِنَا بَعْدَ التِّيْدَاءِ مَلِيًّا
 لَا تَرُدُّ الْجَوَابَ مِنْكَ إِلَيْنَا
 بَعْدَهَا غُصَّةٌ أَمْرٌ عَلَيْنَا
 ه كَالْمِسْكِ قَاحٌ ذَكِيًّا^(١)
 وَمِنْ الْوَقْتِ عِنْدَ ذَلِكَ هَوِيًّا [٤]^(٢)
 أَنْضَجَ الْقَلْبَ لِلْحَرَارَةِ كَيْمَا
 وَصِرَاطًا تَهْدِي بِهِ، مُسْتَوِيًّا
 وَنَبِيًّا مُسَوِّدًا عَرَبِيًّا
 عَائِدًا بِالنَّوَالِ، بَرًّا، تَقِيًّا
 كَوَزَتْ شَمْسُهُ، وَكَانَ جَلِيًّا
 رَبِّكَ بِالرُّوحِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

* التخریج: جعلت الزهرة للأصبهاني ٥٠٨/٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وفي الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٤ الأبيات:

١-٤، ٧-١٢؛ وفي الإصابة ٧/٧٤٤ البيت: ١١.

١. في الذخائر: «إذ فقدنا...».

٣. في الذخائر: «جل... فيه عليلاً* لا يرد...».

٨. في الذخائر: «... يهدي إليه سويًّا».

٩. في الذخائر: «وسراجاً مجلجلاً...» *... مسدداً...».

(١) البيت مضطرب الوزن، مستغلق.

(٢) عجز البيت لم أتبيته.

توثيق مرآي صفيَّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها

١

هي صفيَّة بنت عبد المطلب بن هاشم، أمُّ الزبير بن العوام، عمَّة الرسول ﷺ، اتفقوا على إسلامها من بين عماته، توفيت في خلافة عمر سنة عشرين، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودُفنت بالبقيع^(١).

كانت صفيَّة - رضي الله عنها - امرأةً لبيبةً حازمةً، وكانت شاعرة، اختار لها أبو تمام في «الحماسة» قولها :

أَلَا مَنْ مَبْلُغُ عَنِّي قُرْنِشًا فَقِيَمَ الْأَمْرُ فِينَا وَالْإِمَارُ ١٢
لَنَا السَّلْفُ الْمُقَدَّمُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَلَمْ تُوقَدْ لَنَا بِالْقَدْرِ نَارُ
وَكُلُّ مَنَاقِبِ الْحَيْرَاتِ فِينَا وَتَعْضُ الْأَمْرِ مَنَقْصَةً وَتَارُ^(٢)

(١) انظر: الاستيعاب ٣/١٨٧٣.

(٢) انظر: شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن ٤/١٧٨٨ (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط١/١٤١١هـ).

ويروي المصعب في «نسب قريش» أن الزبير بن العوام ابنتها كان يتيمًا في حجر نوفل ابن خويلد، وكانت صفية بنت عبد المطلب تضرب الزبير وهو صغير، وتغليظ عليه، فعاتبها نوفل في ذلك، وقال: أنت تبغضينه! فقالت صفية:

مَنْ قَالَ لِيَّ أَبْغُضُهُ فَقَدْ كَذَبَ
وَأَنَا أَضْرِبُهُ لِيَّ يَلْبُ
وَيَهْزِمَ الْجَيْشَ وَيَأْتِي بِالسَّلْبِ
وَلَا يَكُنْ لِمَالِهِ خِيبَةٌ مَحْبُ
يَأْكُلُ مَا فِي الظِّلِّ مِنْ تَمْرٍ وَحَبِّ

فقال نوفل: «يا بني هاشم، كُفُّوا عَنَّا شَاعِرَتَكُمْ هذه»^(١).

مع ذلك لم يبلغنا أن صنَّعَ أحدٌ من المتقدمين ديوانًا لشعرها، إلا أن يكون سبق شعرها في كتاب «أشعار القرشيين» صنعة أبي العباس أحمد بن محمد بن بشر المرثدي، المتوفى سنة ست وثمانين ومئتين^(٢). وقد جمع الدكتور محمد أبو المجد شعرها في كتاب، وقدم له بدراسة تتناول مصادر هذا الشعر ورواياته، وما يُشكُّ في نسبته من شعرٍ إلى صفية^(٣).

(١) نسب قريش ص ٢٣٠.

(٢) انظر: الفهرست ص ١٤٣.

(٣) انظر: شعر صفية بنت عبد المطلب: جمع وتحقيق ودراسة، للدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني ص ٢٥-٥٢

(مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١/١٤٢٣هـ).

٢

روت الكتبُ مقطَّعةً في رثاء النبي ﷺ أوَّلهَا، أو منها:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الحُطْبُ

فنسبها ابن سعد إلى هند بنت أئانة^(١)، ونسبها ابن طيفور^(٢)، والنويري^(٣)، وغيرهما^(٤) إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ورضي عنها.

وهؤلاء جميعاً لم يذكروا لنسبتهم حجةً ولا سنداً. ولكن رواها قوم آخرون ناسبين إياها لصفية بنت عبد المطلب، ذاكرين إسنادهم:

منهم الطبراني الذي رواها فقال: «حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا محمد بن عبد الله ابن نمير، ثنا حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: لما قبض النبي ﷺ خرجت صفية تلتع بردائها وهي تقول :

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ يَكُنْ الحُطْبُ»^(٥)

وبالطريق نفسها أخرجها أبو نعيم في «معرفة الصحابة»^(٦).

قال الهيثمي في «المجمع»: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن محمداً لم يدرك صفية»^(٧).

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٨.

(٢) انظر: بلاغات النساء، لأحمد بن طيفور ص ١٦-١٨ (صححه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة والدة عباس الأول ١٣٢٦هـ).

(٣) انظر: نهاية الأرب ٥/١٦٦.

(٤) كأبي السعادات المبارك ابن الأثير في «النهاية» في «غريب الحديث والأثر» ٥/٢٧٧ (تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت).

(٥) المعجم الكبير، للطبراني، سليمان بن أحمد ٢٤/٣٢١ (تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).

(٦) انظر: معرفة الصحابة ص ٣٣٧٧.

(٧) مجمع الزوائد ٩/٣٩.

وإذا سترت روايات شعر العرب شقَّ عليك أن تجد إسنادًا يصل بالشعر إلى ذلك الزمن القديم، وقد ارتضى للشعر من الأسانيد ما انتهى منها إلى حافة القرن الأول وأوائل القرن الثاني، وضح بذلك^(١)؛ فما بالك وقد أوغل الإسناد فيما بعد ذلك حتى كُرب يصل إلى الشاعرة ربّة الشعر صفية؟ ثم ما بالك برجالٍ حكّم الهيثمي لهم أنهم رجالٌ الصحيح؟ أمّا أنّ محمدًا الباقر بن علي بن الحسين المولود سنة سبع وخمسين، والمتوفى سنة ثلاث عشرة ومئة لم يدرك صفية؛ فإن ذلك شأن التحديث لا شأن رواية الشعر، وفي الخلط بينهما تزلُّ الأقدام، وإن المعوّل هنا على أن محمدًا متقدّم، وهو ثقة، وهو من آل البيت الذين يعرفون أخباره ويروون آثاره، فلو كانت المراثية لفاطمة لكان أعلم الناس بها، ولنسبها إليها.

ونسبة ابن سعد إياها لهند بنت أئمة وهم، إمّا من قبّله، أو من قبّل من روى عنه، وقد وقع وهم نسبة في كتاب ابن سعد غير هذا، فلا يُستغرب^(٢).

ومما يبعث الظمأنينة أن الجاحظ الذي مات سنة خمسين وخمسين ومثتين، وعاش نحو قرن من الزمن نسبها هو الآخر لصفية في «البيان والتبيين»^(٣)، وكذلك فعل أبو الحسن المسعودي وقال: «... وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها - عليه السلام - من قول صفية بنت عبد المطلب: «قد كان بعدك أنباءً وهنثشة...»^(٤)، وكأنه قصد إلى التوفيق بين الفريقين.

(١) انظر: مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٧٤ وما بعدها.

(٢) انظر ص ٣٠٣ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: البيان والتبيين ٣/٣٦٣.

(٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، علي بن الحسين ٣/٣١١ (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار

الفكر، بيروت، ط ١٣٩٣هـ).

٣

وحدَّث ابن سعد قال: «وقالت أروى بنتُ عبد المطلب أيضًا:
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا»
 عشرة أبيات^(١)، وتبعه في عزوها إلى أروى بعض المتأخرين^(٢).

ولكنَّ ابن سعد وهم، أو وهم من نقل عنه ابنُ سعد أيضًا؛ فالقصيدة من شعر صفيَّة لا ربية في ذلك، رواها عنها الزبير بن بكار في بعض كتبه^(٣)، وأثبت ذلك جلان أندلسيَّان: أبو عمر ابنُ عبد البرِّ، وأبو الربيع الكلاعيُّ.

أمَّا الكلاعيُّ فقال: «وذكر الزبير بنُ أبي بكر بإسناد له إلى هشام بن عروة أن صفيَّة بنتُ عبد المطلب... قالت ترثي رسول الله ﷺ لما توفي: أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا...»^(٤)، ولكنَّ ابن عبد البر صرح بالإسناد فقال: «قال الزبير: حدثني عتي مضعب بن عبد الله، قال: حدثني أبي عبد الله بن مصعب، قال: رويت عن هشام بن عروة لصفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ: أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ...»^(٥)، فهذا إسناد قرشي، هاشمي من وجه.

وهشام رواها عن أبيه عروة بن الزبير، وهو أعلم بشعر جدِّته؛ فقد رويت القصيدة من طريق أخرى عند الطبراني موصولةً إلى عروة، وهي طريقُ حسنِّها الهيثمي^(٦). قال الطبراني: حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحزاني، حدثني أبي، ثنا ابنُ لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة

(١) الطبقات الكبير ٢/٤٨٢.

(٢) كالنويري، والمقريزي، وابن ناصر الدين، وغيرهم (انظر التخريج).

(٣) فتشَّت جمهرة نسب قرش وأخبارها، للزبير، والأخبار الموقفيات، له (تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، عالم

الكتب، بيروت، ط ١٤١٦هـ) فلم أعثر عليها.

(٤) الاكتفا ٢/٦٤-٦٥.

(٥) الاستيعاب ١/٤٨.

(٦) انظر: مجمع الزوائد ٩/٣٩.

قال: قالت صفيّة... ألا يا رسول الله كنت رجاءنا...^(١)، وفي الفروقات بين الألفاظ بيان لتعدّد الطُّرُق.

والقول في هذه المرثية لا يختلف عن القول في سابقتها من حيث الصحة والعوئيق.

ولا تختلف المعاني في المرثية عن معاني سابقتها؛ فإذا كانت صفيّة وصفت هنالك اضطراب القوم من بعده فقالت:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَاءٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الْحُطْبُ
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابِلَهَا فَاخْتَلَّ لِقَوْمِكَ، فَاشْهَدُهُمْ، وَلَا تَغِيبْ
 فإنها في قصيدتنا هذه كانت تخاف ذلك وتخشاه، ولقد وكّدت ذلك مرّتين في بيتين:
 لَعَمْرُكَ مَا أَبْكِي الشَّيْءَ لِفَقْدِهِ وَلَكِنْ لَهْرُجُ كَانَ بَعْدَكَ آتِيَا
 كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لِفَقْدِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ حَيْثُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَكَاوِيَا
 وكان قصيدتها الياثية هذه متقدّمة زمنًا.

واستقامة الإسناد مع اتّساق المعاني يذهبان بالقصيدة، بل القصيدتين إلى الصحة والقبول.

ولا بأس أن يكون نالها شيء من الزيادة بالوضع كهذا البيت الذي نشم منه رائحة تشييع^(٢):

أَرَى حَسَنًا أَيَّتَمَّتْهُ وَتَرَكْتَهُ يُبْكِي وَيَدْعُو جَدَّهُ الْيَوْمَ نَائِيَا

(١) المعجم الكبير، للطبراني ٣٢٠/٢٤.

(٢) انظر: شعر صفيّة بنت عبد المطلب، للدكتور محمد أبو المجد ص ٨٢.

٤

ولصفيَّة - رضي الله عنها - مرثية نبوية مطلعها قولها:

لَهْفَ نَفْسِي وَبِئْسَ كَالْمَسْلُوبِ أَرْقُبُ اللَّيْلَ فِعْلَةَ الْمَحْرُوبِ

رواها ابن سعد^(١). ورواها الطبراني في «المعجم الكبير» فقال: «حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرَّاني، حدثني أبي، ثنا ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة قال: قالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ: لهف نفسي...»^(٢).

ورواها الهيثمي عن عروة أيضاً، وقال: «إسناده حسن»^(٣).

ونحن لن نخرج في هذا الإسناد عن قول الهيثمي فيه إذ حسنته، والحسن في الحديث صحيح قوي في الشعر، لما علمت من جيطة المحدثين وحذرهم في الرواية والقبول. أما أن في بيتين من أبياتهما ما يثير الشك فيها - كما يرى الدكتور محمد أبو المجد - فإن ثمة جواباً عنهما.

رأى الدكتور أن لفظة «المسلوب» في قولها:

لَهْفَ نَفْسِي وَبِئْسَ كَالْمَسْلُوبِ...

ولفظة «صحيحاً» في قولها:

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أُمْسِي صَحِيحًا...

رأهما - لما فيهما من صيغة التذكير - تلقيان ظللاً من الشك حول نسبة الأبيات إلى صفية رضي الله عنها^(٤).

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٤.

(٢) المعجم الكبير ٣٢/٢٤.

(٣) مجمع الزوائد ٣٩/٩.

(٤) انظر: مرآتي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد علي ص ٥٠.

وإنه لبَيِّنٌ أن لفظة «المسلوب» جاءت في معرض التشبيه، فصفيّة لم تقل: أنا المسلوب، وإنما شَبَّهت نفسها بالإنسان المسلوب عقله أو ماله أو ولده^(١). وهي رجعت إلى هذا المعنى مرة أخرى في مرثية أخرى مفصحة عن السبب الذي أسهرها وأزرقها، فقالت:

أَرَقْتُ فَيْتُ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ لِيُوجِدَ فِي الْجَوَانِحِ ذِي دَبِيْبٍ^(٢)

ولكن لفظة «صحيح» البتّ في أمرها عسير؛ فإمّا أن يكون البيت مُقْحَمًا؛ وهذا غير بعيدٍ لأنه ليس من رواية الطبراني، وإما أن يكون قد أصابه من التصحيف والتحريف، وإما أن تكون اللفظة من (فعل) بمعنى (مفعول)، وتكون كما قال أبو بكر ابن الأنباري في «المذكر والمؤنث»: «وإذا كانت (فعل) بمعنى (مفعول) لم يدخل الهاء في مؤنثه؛ كقولك: عينٌ كحيلٌ، وكفٌ خَضِيْبٌ، ولحيةٌ ذَهِيْبٌ، معناه: عين مكحولة، وكفٌ مخضوبة، ولحية مدهونة، فصرف عن (مفعول) إلى (فعل) فألزم التذكير...»^(٣).

والحق أننا لا نعلم أنه قد سُمع: امرأة مصحوحة، وقد يُستغرب ذلك، إلا أن الغرابة قد تقل في: امرأة صحيحٌ؛ فقد نقل ابن الأنباري شيئًا قريبًا من ذلك فقال: «وقد حكى الأصمعي أيضًا: امرأةٌ خَلِيقٌ، إذا كانت حسنة الخلق؛ وامرأةٌ قَتِيْنٌ، إذا كانت قليلة الطعم؛ وكذلك زَهيدٌ. فأدخل ابن السكّيت هذا فيما ذكر والفعل له مما يشترك فيه الرجال والنساء، وحكاها عن الأصمعي. قلت [أي ابن الأنباري]: وهذا عندي غلطٌ؛ لأن خَلِيقًا، وزَهيدًا، وقَتِيْنًا في تأويل (مفعول)؛ لأن معنى قَتِيْنٌ: قَلِيلٌ طَعْمُهَا، وكذلك زهيد، ومعنى خَلِيقٌ: يُسْتَحْسَنُ خَلْقُهَا، فهو بمنزلة جريح، وصنيع...»^(٤)، فتكون «صحيحًا» التي في

(١) انظر: لسان العرب (سلب).

(٢) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٥.

(٣) المذكر والمؤنث، لأبي بكر محمد بن الأنباري ١٥/٢ (تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٤١٩هـ)

وقد يجوز أن يكون المذكر مؤوَلًا بمؤنث ويكون المعنى مثلاً «شخصًا صحيحًا»، وقد جاء شبه ذلك من تأنيث المذكر إذ أول مؤنث في قول النبي ﷺ في حديث الذباب: «فإن في إحدى جناحيه داء، وفي الآخر شفاء» والجناح مذكّر ولكنه من الطائر بمنزلة اليد، فجاز تأنيثه مؤوَلًا بها. ومنه قول الله عز وجل: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا» فَأَثَّتْ عِدَّةَ الْأَمْثَالِ، وهي مذكّرة، لتأويلها بالحسنات (انظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك ص ٨٤ - ٨٥، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار العروبة بالقاهرة).

(٤) المذكر والمؤنث، لابن الأنباري ٢/٢٤-٢٥.

البيت بتقديرٍ من نحو هذا التقدير كأن يكون معناها: يُراد صحتها، أو يُرى صحتها، والله أعلم.

وقد تكون من نحو قولهم: «مِلْحَقَةٌ جديدٌ، بغير هاء؛ لأن المعنى: مجدِّدٌ، ومجدودَةٌ، من جدَّدت الشيء: قطعته وفصلته»^(١)، فتكون «صحيحًا» بمعنى مصحَّحة من صحَّحت الشيء: جعلته صحيحًا مستقيمًا، فكان صفيَّة أرادت أن حالها لا يستقيم بعد وفاة النبي ﷺ، والله أعلم.

هذا، ولا ضير أن نستلَّ البيت من المراثية فنخرجه منها؛ فإنه لم يأت من رواية عروة، وعروة أعلم بشعر جدِّته، ولربما كان مدخولاً في رواية الواقدي، فلا إشكال فيه على أي حال.

٥

وحكى ابن حجر في «الإصابة» أن لصفية رثاء في النبي ﷺ لم يذكر منه إلا بيتاً واحداً، قال: «وذكر لها ابن إسحاق من رواية إبراهيم بن سعيد وغيره في «السيرة» أبياتاً مراثية في النبي ﷺ منها:

لِقَفْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ قَبَا عَيْنُ جُودِي بِالذُّمُوعِ السَّوَاغِمِ»^(٢)

ومن طريق ابن إسحاق برواية إبراهيم بن سعد نفسها وجدت أربعة أبيات من المراثية في كتاب «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم، فعنه قال: «حدثنا حبيب بن الحسن، ثنا محمد بن يحيى، ثنا أحمد بن محمد بن أيوب، ثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق قال: قالت صفية

(١) المتذكر والمؤنث ٢/٢٤٢.

(٢) الإصابة ٧/٧٤٥.

بنت عبد المطلب تبكي رسول الله ﷺ:

أَكْفَكُفٌ مِنْ دَمْعِي سَوَايِرَ عَنَبَةٍ تُعْطِي اللَّهْمَا أَيْنَ الْبُحُورِ الْجِصَادِمِ [١]
 لِفَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ حَانَ يَوْمُهُ فَيَا عَيْنِ جُودِي بِالْذُمُوعِ السَّوَاجِمِ
 نَيْيٌ أَنِّي بِالْحَقِّ وَالثَّوْرِ وَالْهَدَى وَتَحْنُ عُمَاءٌ فِي سَبِيلِ التَّحَارِمِ
 فَقَدْ هَدَّئْنَا فَقَدْ الرَّسُولُ فَأَعْيُولِي بِحُزْنٍ طَوِيلٍ آخِرَ الدَّهْرِ دَائِمِ^(١)

والمرثية بهذه الرواية حسنة جيدة.

وفي بعض الكتب المتأخرة معزوة إليها هذا البيت :

فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يُهْتَدَى بِهِ يُخْصُّ بِتَنْزِيلِ الْمَنَانِيِّ الْمُعْظَمِ^(٢)

وهو بيتٌ كان يمكن أن يكون من المرثية لولا أن قافيتها مؤسّسة، وهو ليس كذلك، وألف التأسيس لازمة موضعها من القصيدة جميعها^(٣). وعلى أية حال يصعب الجزم فيه برأي؛ لتأخر روايته، ولأنه بيت واحد فحسب لا يكاد يظهر من الخصائص شيئا.

٦

فتلك المراثي الأربع الأنفات صحاح لصفية - رضي الله عنها، وقد غزّي إليها ثمان غيرهن، خمس منهن انفرد بروايتهن ابن سعيد في المتقدمين، ولم يذكرهن سنداء، ولا نعلم لهن سنداء؛ وسادسة انفرد بها البلاذري وحده؛ وثلثان رواهما غيرهما آخرت القول فيهما.

(١) معرفة الصحابة، لأبي نعيم ص ٣٣٧٧ - ٣٣٧٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٤/٣٧٦٧.

(٣) التأسيس: ألف ساكنة قبل حرف الروي بحرف متحرك يلزم ذلك الموضع من القصيدة جميعها (انظر: الوافي بمعرفة القوافي، للعناني، أبي العباس أحمد بن علي الأصبغي الأندلسي ص ١٠٠، تحقيق الدكتورة نجاة بنت حسن نولي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٨هـ).

وهذه مطالع المرآئي الست :

الأولى :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِهِ تَسْكَابُ لِلنَّبِيِّ الْمُظَهَّرِ الْأَوَّابِ^(١)

والثانية :

أَرَقْتُ، فَيْتُ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ لَوْجِدُ فِي الْجَوَانِحِ ذِي دَيْبِ^(٢)

والثالثة :

أَب لَيْلِي عَلَيَّ بِالتَّسْهَادِ وَجَفَا الْجَنْبِ غَيْرَ وَظَاءِ الوَسَادِ^(٣)

والرابعة :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِهِ وَسُهُودِ وَأَنْدِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ^(٤)

والخامسة :

أَعْيَيْ جُودًا بِدَمْعِ سَجَمِ يُبَادِرُ غَرَبًا بِمَا مُنْهَدِمِ^(٥)

والسادسة التي عند البلاذري :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ مِنْكَ مُنْحَدِرِ وَلَا تَمَلِي وَبِحِصِّي سَيِّدَ البَشَرِ^(٦)

أولئك المرثيات الست روين مفرداتٍ من غير إسناد يعول إليه، ولا أصل يُأَل إليه، سوى أنَّ ابن سعيد والبلاذريَّ أخرجاهنَّ في كتابيهما، وهما متقدِّمان ومن أهل الشأن، ولكنَّ

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٢٨٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/٢٨٦.

(٤) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢/٢٨٥.

(٦) انظر: أنساب الأشراف، للبلاذري ١/٥٤٩ (تحقيق محمد حميد الله).

هذا الإخراج وحده ليس بعمدة يُعتمد عليها في مثل هذا الوطن، ومع ذلك فنحن نحكم بصحة هذه المراثي الست، ونثبتهن لصفية - رضي الله عنها، والحجة في ذلك أننا لو جعلنا المراثي الأربع الأوّل المقطوع بصحتهنّ أصلاً نقيس عليه هاته المراثي الست؛ لألفينا الست مجري على سنن الأربع الصحيحات، وتمضي على نمط صفية فيهنّ.

وتفصيل ذلك أنه قد برّز في المراثي الأربع الصحيحات سمات رأيناها بادية في المراثي الست، منها:

١. حرص صفية على التوكيد واستنفاد المعنى.

٢. ودوران حرف الفاء عندها، وإكثارها من استعماله.

٣. وأنها تكرر في الرثاء معاني بعينها بالفاظ متقاربة أو معادة.

فأما حرصها على التوكيد، وورغبتها إلى الإحاطة بالمعنى بالنفاذ فيه إلى آخر ما يمكنها النفاذ إليه؛ فإنك واجده في المراثي الأربع في مثل هذه الأبيات منها:

إذ رأينا أنّ النبيّ صريعُ	فأشّاب القذال أيّ مشيب
أوزت القلب ذاك حزنًا طويلًا	خالط القلب فهو كالمزعوب
أعظم الناس في البرية حقًا	سيد الناس حبه في القلوب
فقد هدنا فقد الرسول فأعولِي	بحزن طويل، آخر الدهر، دائم
فدى لرسول الله أيّي وخالتي	وعتي ونفسي قصرة ثم خالينا

وهذا التوكيد، وإرادتها البلوغ بالمعنى إلى منتهاه تلمسهما في المراثي الست؛ ففي المرثية الأولى منهن (على ترتيبهن الذي سلف قريبًا) تشني صفية على الرسول ﷺ بين العامة والخاصة لا تستثني من الشفاء أحدًا:

وَأندِي المصطفى فعتي وخصي يدموع غزيرة الأشراب

وفي الثانية تؤكد اصطفاؤه بلفظة «حقًا» لترجم بها حزنها البالغ عليه؛ فهو الرجل الذي لا مثيل من الخلق له:

لَفَقَدِ الْمُصْطَفَى بِالتُّورِ حَقًّا رَسُولِ اللَّهِ مَالِكٍ مِنْ صَرِيحٍ
وهي في العالمة لا تفتأ تفعل ذلك:

وَاعْتَرَتْني الهُمومُ جِدًّا بَوَّهِنٍ لأُمُورٍ نَزَلْنَ، حَقًّا، شِدَادٍ
رَحْمَةً كَأَنَّ لِلْبَرِيَّةِ طُرًّا فَهَدَى مَنْ أَطَاعَهُ لِلسَّدَادِ

وتنعت في المرثية الرابعة منهن حزنها بأنه شديد:

وَأُنْدِي المِصْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدٍ خَالَطَ القَلْبَ فَهَوَ كَالْمَعْمُودِ

ثم تدعو عينيها إلى البكاء الخالص المتواصل، وأن تجتهد فيه؛ وذلك في الخامسة:

أَعْيَيْتِي فَاسْحَنَفِرًا وَأَسْكَبًا يَوْجِدُ وَحُزْنَ شَدِيدٍ الأَلَمِ

وفي سادسة الست تعدد من هدَّهم الحزنُ عليه على سبيل الحصر:

بَعَثَنِي الرَّسُولَ فَقَدْ هَدَّتْ مُصِيبَتُهُ جَمِيعَ قَوْمِي، وَأَهْلَ البَدْوِ، وَالْحَضَرِ

ولعلَّ تشديد صفة هذا، وحرصها على لئمة المعنى والتعمق في دروبه؛ إنما هو صدق من روح صفة، وصوره من صور الحزم الذي عرفت به مدى أيامها، وقد يصح أن يقال أيضًا: إن إكثار صفة من مرثي النبي ﷺ ابن أخيها، وأنها لم تكثف فيه بمرثيتين أو ثلاث، وإنَّ إعادتها معاني بذاتها، وألفاظًا مجرورها؛ لعلامة توثيق منها وتوكيد للرثاء، وطسوج إلى أداء الحقي كما ينبغي، وفي ذلك كيلة نفس من نفس صفة وحماستها وقوتها رضي الله عنها، وقد رأينا مثل ذلك في إكثار الخنساء من مرثي أخيها صخر في الجاهلية^(١).

(١) للخنساء ما يزيد على خمسين وعشرين مرثية في أخيها صخر (انظر: مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، للدكتور عبد الحلیم حفي ص ٢٢٤-٢٢٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م).

وأما دوران حرف الفاء في المرائي الأربع، فأمثلته مستفيضة ظاهرة، إذ قالت فيهن على

العوالي:

(ف) إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
 وكان جزيرل بالآيات يخضرنا
 (ف) لبيت قبلك كان الموت صادفنا
 (ف) فقد رزئت أبا سهلاً خليقته
 (ف) اختل لقومك (ف) أشهدهم، ولا تغيب
 (ف) غاب عنا، وكل الخير محتجب
 لما نعييت وحالت ذوتك الكئيب
 تحض الصريبة والأعراق والنسب

وقالت:

إذ رأينا أن النبي صريع
 أوزت القلب ذاك حزنا طويلاً
 (ف) إلى الله ذاك أشكوا، وحسبي
 (ف) أشاب القذال أي مسيب
 خالط القلب (ف) هو كالترغوب
 يعلم الله حوبتي ونجبي

وقالت:

لفقد رسول الله إذ حان يومه
 (ف) قد هدنا فقد الرسول (ف) أغوي
 (ف) ياعين جودي بالدموع السواجم
 يحزن طويل، آخر الدهر، دائم

وقالت:

(ف) لو أن رب الناس أبغاك بيننا
 سعدنا، ولعن أمره كان ماضياً

وقد جاءت هذه الفاءات الملقبة تترى في المرائي الست آية ثانية أن المرائي العشر كلها إنما هي من نسيج واحد، ومن عمل إنسان واحد؛ ففي المرثية الأولى من الست (على الترتيب) نقرأ:

واندبي المضطقى (ف) عتي وخصي
 يدموع غزيرة الأسراب

وفي الثانية:

أرقت، (ف)بِتْ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ
 (ف)سَيِّبِي وَمَا شَابَتْ لِدَائِي
 (ف)إِمَامًا تُمِيس فِي جَدَثٍ مُقِيمًا
 لِيُوجِدَ فِي الْحَوَانِجِ ذِي دَيْبِ
 (ف)أَمْسَى الرَّأْسِ مِنِّي كَالْعَسِيْبِ
 (ف)قَدَمَا عِشْتَ ذَا كَرَمٍ وَطِيْبِ

وفي الثالثة:

رَحْمَةٌ كَانَتْ لِلْبَرِيَّةِ طُرًّا
 ثُمَّ وَلى عَنَّا فَقِيْدًا حَمِيْدًا
 (ف)هَدَى مَنْ أَطَاعَهُ لِلسَّدَادِ
 (ف)جَزَاهُ الْجِنَانُ رَبُّ الْعِبَادِ

وفي الرابعة:

وَأَنْدُبِي الْمُضْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيْدِ
 (ف)لَقَدْ كَانَتْ بِالْعِبَادِ رُؤُوفًا
 خَالَطَ الْقَلْبَ (ف)هُوَ كَالْمَعْمُودِ
 وَلَهُمْ رَحْمَةٌ وَخَيْرٌ رَشِيْدِ

وفي الخامسة:

أَعْيَيْتِي (ف)سَاخَنْفِرًا وَاسْكُبَا
 يُوْجِدُ وَحُزْنٍ شَدِيْدِ الْأَلْمِ

وفي السادسة:

بِكَيْ الرَّسُولِ (ف)بَقْدَ هُدًى مُصِيْبَتُهُ
 جَمِيْعَ قَوْمِي، وَأَهْلَ الْبَدْوِ، وَالْحَضْرِ

وإن قصر المرثي العشر، وقربها بعضها من بعض لفظًا ومعنى، وتكرار كثير من جملها وصيغها، كل ذلك يجعلها كأنها قصيدة واحدة لا تلبث الفاءات أن تتوالى منشورة في جنباتها.

أجل، لا أقول إنها دليل وحدها على اتساق هذا الشعر واستوائه؛ لا أقول ذلك، ولا يمكن أن يصحح ذلك المرثي بمفرده، ولكنها دليل يتضافر مع أدلته غيره على تصحيح المرثي العشر. وإني أرى أثرًا لحرف الفاء في شعر لصفية غير شعر الرثاء، كقولها في مقطعة

من أربعة أبيات :

عَاجَلْتُ أَرْمَانَ الدُّهُورِ عَلَيْنِكُمْ وَأَسْمَاءَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ، أَيِّمُ
(ف) مَيْكُتُرُ إِنْ عُوْفِيْتُمْ وَسَلِمْتُمْ سُرُورِي، وَإِيَّيْ إِنْ مَرِيْتُمْ لِأَرْزَمُ
(ف) مَلَوْكَانَ فِي الكُفَّارِ زَبِيرٌ عَدْرَتُهُ وَلَحِيْقٌ زَبِيرًا، أَيُّهَا النَّاسُ، مُسْلِمٌ^(١)

وأما المعاني، فكأين من معنى كان في المراثيات الأربع الصحاح؛ هو يدور في المراثي الست، ويرقى بهن إلى درجة التوثق، كاستدماعها في مطالع القصيدة، وهو واضح يتين لا يحتاج إلى أمثلة. وهالك معاني أخرى غيره:

فلقد غادر موت النبي ﷺ في جنان صفيّة جرحًا غائرًا أعيها وأسهر ليلها، وزاد من أوجاعها ما كانت تحشاه - شأن عقلاء الصحابة - من الحوادث والخطوب التي تلت وفاته ﷺ، فقعدت تذكر ذلك وتعيد فيه، رأينا ذلك في اثنتين من المراثي الأربع في قولها:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الخُطْبُ
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الأَرْضَ وَإِبْلَهَا فَاخْتَلَّ لِقَوْمِكَ فَاشْهَدَهُمْ وَلَا تَغِيْبِ

وقولها:

لَعَنَرِي مَا أَبْعَيْ النَّبِيَّ لِقَفْدِهِ وَلَكِنْ لَهْرَجَ كَانَ بَعْدَكَ آتِيَا
كَأَنَّ عَلَيَّ قَلْبِي لِقَفْدِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ حُبِّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ المَكَاوِيَا

ورأيناه في أربع من المراثي الست:

في الثانية:

(١) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساکر ٦٩/١٧، وانظر: شعر صفيّة بنت عبد المطلب، للدكتور محمد أبو المجد علي

أرقت، فبت ليلي كالسليب
فشيبي وما شابت لِدائي
لِفقدِ المِصطَفَى بِالتَّوَرِّ حَقًّا
وَكُنْتَ مُوَفِّقًا فِي كُلِّ أَمْرٍ

وفي الثالثة:

أب ليلي عليَّ بِالتَّشَهَادِ
وَاعْتَرَيْتَنِي الِهُمُومُ جِدًّا يُوْهِنُ
وَحَقًّا الجُنُبُ غَيْرَ وَطءِ الوِسَادِ
لِأُمُورٍ تَزَلْنَ حَقًّا شِدَادِ

وفي الرابعة:

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ وَسُهُودِ
وَأُنْدِي المِصطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدِ
وَأُنْدِي حَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ
خَالَطَ القَلْبَ قَهْوَرًا كَالْمَعْمُودِ

وفي السادسة:

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ مُنْحَدِرِ
بِحَيِّ الرِّسُولِ فَقَدْ هَدَّتْ مُصِيبَتُهُ
وَلَا تَمَلِّي وَبِحَيِّ سَيِّدِ البَشَرِ
بِجَمِيعِ قُومِي وَأَهْلِ البَدْوِ وَالْحَضَرِ^(١)

وتسمُّعها - رضي الله عنها - لا جازعة، ولا مستنكرة قضاء الله تعالى في العباد: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَاثِقَةٌ لِمَوْتٍ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، و﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، فأكدت هذا المعنى،

(١) استبعد الدكتور محمد أبو المجد أن تكون هذه المرثية صحيحة بسبب ذكر « الفُري » في بيتها الثالث، وقال: « لم أجد على السنة شعرائها كما وجد - وبكثرة - على ألسنة الشعراء في البيئات الخصيبة المتحضرة كالأندلس ومصر والعراق » (شعر صفية بنت عبد المطلب ص ٢٨-٢٩)، ولكني وجدت ذكره في شعر جاهلي في قول أبي عامر جدِّ العباس بن مرداس السلمى:

لا تَسبِ اليَوْمَ ولا حُلَّةَ
لا صُلِّحَ بيبي فاعلموه ولا
أَسعَ الفَتَى على الرَّاتِقِ
بينكم ما حملت عاتقي
سيفي وما كُتِّبَ بنجدٍ وما
قَرَّقَزُ قُمُرُ الوَادِ بالشاهقي

(لسان العرب: قمر).

ورددته تبييتاً لفؤادها، وتذكرةً لنفسها؛ كي تتسلى وتتصبر؛ فتسمع إيمانها بقدر الله المسطور في اللوح في مرثيتين من الأربع:

حِينَ قَالُوا: إِنَّ الرَّسُولَ قَدْ أَمْسَى
وَأَفْقَتْهُ مَنِئِيهَ الْمَكْتُوبِ
فَلَوْ أَنَّ رَبَّ النَّاسِ أَبْقَاكَ بَيْنَنَا
سَعِدْنَا، وَلَكِنْ أَمْرُهُ كَانَ مَا ضِيَا
والمعنى نفسه في رابعة المراثي الست:

كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ لَمَّا آتَاهُ
قَدْرٌ حُطَّ فِي كِتَابٍ تَحْيِدِ
وكانت تذكر الوحي في الأربع:

قَدْ كُنْتُ بَدْرًا وَتُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تَنْزِلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ
وَكَانَ جِبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يَحْضُرُنَا
فَقَابَ عَنَّا، وَكُلَّ الْغَيْبِ مُحْتَجِبُ
وتذكره في الأولى:

عَيْنٌ مَنْ تَنْدُبِينَ بَعْدَ رَسُولِ
حَصَّهُ اللَّهُ رَبُّنَا بِالْكِتَابِ
ومن مسالك صفة جمعها بين «الجدث» و«المساء» و«القواء»:

أَقَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ
عَلَى جَدَثِ أَمْسَى بِيَثْرِبِ ثَاوِيَا
وجمعهن في المرثية الثانية من الست أيضًا:

فَأَمَّا تُنْسِ فِي جَدَثٍ مُقِيمَا
فَقَدِمَا عِشْتَ ذَا كَرَمٍ وَطِيبِ
وانها لتقول بيتًا في إحدى المراثي الأربع:

أَوْرَثَ الْقَلْبَ ذَاكَ حُزْنَا طَوِيلَا
خَالَطَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَالْمَرْعُوبِ
يُسمع صدهاء في قولها من رابعة الست:

وَأَسْدِي الْمُصْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدِ
خَالَطَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَالْمَعْمُودِ

وصفِيَّة - رضوان الله عليها - لا تملك في آخر إحدى البكائيات الأربع إلا أن تدعو للنبي ﷺ وتصلي عليه، متمثلة أمر رب العالمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والصلاة في حقيقة اللغة الدعاء؛ فتقول:

عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ نَحِيَّةً وَأَدْخِلْتَ جَنَاتٍ مِنَ الْعَذَنِ رَاضِيًا

وهذا مرقوم في أولى المراثيات الست:

رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَجَزَاهُ الْمَلِيكُ حُسْنَ الثَّوَابِ

وفي ثالثتهن:

نُمَّ وَلَى عَنَّا فَقِيدًا حَمِيدًا فَجَزَاهُ الْجِنَانِ رَبُّ الْعِبَادِ

وفي الرابعة منهن:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَجَزَاهُ الْجِنَانِ يَوْمَ الْخُلُودِ

والصلاة والسلام على النبي ﷺ والدعاء له، وإن وُجد في شعر الصوفية والمتأخرين، فإنه ليس مستغربًا، ولا عجبًا أن يوجد في شعر الصحابة، وما العجب في ذلك وقد ثبت بطريق من العلم الصحيح^(١).

فهذه إذن عشر مراثٍ من شعر صفِيَّة كأنهنَّ لَبَيَاتٌ في بناء واحدٍ، متساوياتٌ، متشابهاتٌ، رقيقاتٌ، صُنْعَةٌ واحدةٌ، وصوتٌ لا يختلف.

(١) انظر ذلك في الكلام على المعاني الإسلامية ص ٤٢٠.

٧

وأُشِدُّ ابْنُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيُّ فِي «الرَّهْرَةَ» تَائِيَةً مَنْسُوبَةً لَصَفِيَّةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - مِنْ ثَلَاثَةِ
أَبْيَاتٍ، تَفَرَّدَ بِهَا، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَيْنَ أَتَى بِهَا، أَوْهَا :

طَالَ لَيْلِي أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي لَيْسَ مَيْتِي كَسَائِرِ الْأَمْوَاتِ^(١)

وقد نبّه الدكتور محمد أبو المجد إلى خللٍ في عروض البيت الثاني^(٢) نقلاً عن مطبوعة
«الرّهرة» التي نشرها الدكتور إبراهيم السامرائي، وهو فيها على هذه الصورة :

لَيْسَ مَيْتِي كَمِثْلِ مَنْ مَاتَ مِنْ سَائِرِ الثَّا سِ، وَلَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَيَاةِ^(٣)

ثم أصلح الدكتور أبو المجد من البيت فجعله هكذا :

لَيْسَ مَيْتِي وَمِثْلَ مَنْ مَاتَ مِنَ الثَّا سِ، وَلَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَيَاةِ^(٤)

وقد رجعت إلى مخطوطة (تورينو) التي اعتمدها السامرائي في نشرته الكاملة للكتاب؛
فوجدت البيت فيها مستقيماً، على هذه الصورة :

لَيْسَ مَيْتِي بِمِثْلِ مَنْ مَاتَ فِي الثَّا سِ، وَلَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَيَاةِ^(٥)

ومن عجبٍ أن المحقق لم يثبت ذلك.

ولا أجد في الأبيات الثلاثة مرجحاً إلا أن يقال: إن فيها شبهاً بمراتي صفية إذ تدعو
أخواتها إلى مساعدتها في البكاء:

طَالَ لَيْلِي أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي لَيْسَ مَيْتِي كَسَائِرِ الْأَمْوَاتِ

(١) انظر: الرّهرة ٥٠٨/٢.

(٢) انظر: مراثي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ١٤٧.

(٣) انظر: الرّهرة ٥٠٨/٢ (تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، الأردن، ط ٤/١٩٨٥ م).

(٤) انظر: شعر صفية بنت عبد المطلب، للدكتور محمد أبو المجد ص ١٢٣.

(٥) انظر: مخطوطة الرّهرة (ورقة ١٢٧)

أو فيها شبه السعي إلى الإمام بالمعنى من طرفيه في قولها :
 لَيْسَ مِنِّي بِحَسْبِ مَنْ مَاتَ مِنَ النَّاسِ، وَلَا كَانَ مِثْلَهُ فِي الْحَيَاةِ
 فلعلها منها.

٨

آخر ما نُسب إلى صفيّة من مرثي يائيّة مطلعها:

مَا لِعَيْنِي لَا تَجُودَانِ رِيًّا قَدْ رُزِينَا خَيْرَ التَّيْرَةِ حَيًّا

رواها ابن داود في «الزّهرة»^(١)، وأبو الحسن الإشبيلي في «الذخائر والأعلاق»^(٢)، لا تشبه شعر صفيّة، ولا هي منسوجة على منواله، وأظنُّ ظنًّا غالبًا قُرب أن يكون يقينًا أنها قصيدة موضوعة عليها، منحولة؛ لأسباب:

أنها لم يُسندها أحد ممن رواها أو روى بعضها بسند، ولا عزاها أحدٌ إلى أصل، فهذا خارج القصيدة.

أمّا القصيدة من داخلها، فليس فيها من خصائص شعر صفيّة التي فُصل فيها أنفاً شيء، بل إن فيها ما يخالف طريقتها في الشعر، كالمبالغة التي لم تُعرف في مرثيها، وشتان ما بين توكيد الشيء والمبالغة فيه، وذلك هذا البيت:

إِنَّ يَوْمًا أَتَى عَلَيْكَ لَيَوْمٌ كُورَتْ شَمْسُهُ وَكَانَ جَلِيًّا

(١) انظر: الزّهرة ٥٠٨/٢

(٢) انظر: الذخائر والأعلاق، لأبي الحسن الإشبيلي ص ٢٢٤.

وينال منها إيرادها قصة أذان بلال التي تروى في كتب السيرة، كأنما أراد الناظم زخرفة المرثية بتلك القصة الحزينة التي لا نعرف مدى ثبوتها، وكثيراً ما يلجأ الوضّاعون إلى السير بمدون بها في قصائدهم، وذلك هذا البيت:

يَوْمَ نَادَى إِلَى الصَّلَاةِ بِلَالٌ فَبَكَيْتَنَا عِنْدَ التَّدَاءِ مَلِيًّا

ثم إن الناظم نسي أنه ينظم على لسان امرأة، كأنه كان يجهز القصائد، ثم يدسها في الكتب مفرقاً إياها على أسماء شتى، وكأنه لم يُقدِّر أنَّ هذه المرثية بعينها سيؤول نصيب افترائها إلى صفيّة - رضي الله عنها - فغفل، ولم يفتن إلى قوله بضمير المذكر :

لَمْ أَجِدْ قَبْلَهَا وَلَسْتُ بِلَاقٍ بَعْدَهَا غُصَّةٌ أَمْرٌ عَلِيًّا^(١)

ولم يكن ذا علم بشعر الأولين، وزلّ في مهواة المعاصرة، فلم يستطع أن يخلص قصيدته من تعابير المتأخرين في قوله:

لَيْتَ يَوْمِي يَكُونُ قَبْلَكَ يَوْمًا أَنْضَجَ الْقَلْبَ لِلْحَرَارَةِ كَيْبًا !

وهذا معنى مُبتدَل يستعمله العامة إلى يوم الناس هذا، وأكثر الوضّاعين على غير علم، فلا يكون وضعهم مشكلاً، لكن المشكل ما يكون من وضع العلماء.

ذلك ما أدّى بنا إلى صرف القصيدة عن صفيّة - رضي الله عنها، وأدّى بالقصيدة إلى الخمول، وانطفاء جذوة الحزن التي رأيناها قبل في مرثيتها وقادة حية.

(١) انظر: مرثي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ٤٩-٥٠.



المزني

(٦٤)

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ:

[من الكامل]

- ١ مَا فَاضَ دَمْعِي عِنْدَ نَائِبَةٍ إِلَّا جَعَلْتُكَ لِلْبُكََا سَبَبًا
 ٢ وَإِذَا ذَكَرْتُكَ سَاحَتَكَ بِهِ مِثِّي الْجُفُونُ فَمَاضَ الدَّمْعُ وَاشْتَبَا
 ٣ إِلَيَّ أُجِلُّ تَرَى حَلَلَتْ بِهِ عَنِّي أَنْ أَرَى بِسِوَاهُ مُكْتَبَا

* التخریج: جعلتُ مخطوطة أنوار العقول من أشعار وصي الرسول (المكتبة البريطانية، ورقة ٦) أصلاً لهذه المقطعة؛ وهي في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٦٨، ١٦٩ (مكتبة نينوى الحديثة، طهران).

١. في تذكرة الخواص: «... عند نازلة».

٢. في تذكرة الخواص: «... وانسكبا».

٣. في تذكرة الخواص: «أن لا أرى بئراه...».

(٦٥)

[من الخفيف]	أُمُّ أَيِّمَن:
١ عَيْنُ، جُودِي؛ فَإِنَّ بَدْلَكَ لِلدُّمِّ	ع شِفَاءً، فَأَكْثِرِي مِلْبُكَاءِ ^(١)
٢ حِينَ قَالُوا: الرَّسُولُ أَمْسَى فَقَيْدًا	مَيِّتًا، كَانَ ذَلِكَ كُلُّ الْبَلَاءِ
٣ وَأَبِكِيَا حَيْرَ مَنْ رَزَيْتَاهُ فِي الدُّنْ	يَا، وَمَنْ خَصَّهُ بِوَحْيِ السَّمَاءِ
٤ بِدُمُوعِ غَزِيرَةٍ مِنْكَ حَتَّى	يَقْضِي اللَّهُ فِيكَ خَيْرَ الْقَضَاءِ
٥ فَلَقَدْ كَانَ مَا عَلِمْتُكَ وَضُولًا	وَلَقَدْ جَاءَ رَحْمَةً بِالضِّيَاءِ
٦ وَلَقَدْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ نُورًا	وَسِرَاجًا يُضِيءُ فِي الظُّلَمَاءِ
٧ ظَيَّبَ الْعُودِ، وَالضَّرِيَّةِ، وَالنَّعْفِ	سِدِينَ، وَالْحَيْمِ، حَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ

* التخريج: القصيدة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٨، وفي منح المدح ص ٣٣٧، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٢) الأبيات: ٣-٥، ٧، ولكن محقق إمتاع الأسماع لم ينظر في المخطوطة، وأبى إلا أن ينقل الأبيات كما وردت في كتاب الطبقات (انظر: مطبوعته ١٤/٦٠٢)، ثم سها فنسبها لعاتكة بنت زيد اطمئنانًا للقصيدة التي قبلها!

(١) إسقاط نون «من» الحجازة قبل لام التعريف ذائع في كلام العرب، كقول الشاعر:
 لم يَشْخُ قَلْبِي وَمِنْ حَادِثِ إِلَّا
 صاحبي المتروك في تَقْلَمِ
 (المفضليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي ص ٢٣٨) (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٦).

(٦٦)

هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

[من البسيط]

- ١ يَا عَيْنُ، جُودِي بِدَمْعِ مِنْكَ، وَابْتَدِرِي
 ٢ أَوْ قَيْضِ غَرْبِ عَلَى عَادِيَّةِ طَوَيْتِ
 ٣ لَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْأَنْبَاءِ مُغْضِلَةٌ
 ٤ أَنَّ الْمُبَارَكَ وَالْمَيْمُونَ فِي جَدِّ
 ٥ أَلَيْسَ أَوْسَطَكُمْ بَيْنَنَا وَأَكْرَمَكُمْ
 كَمَا تَسْرُلُ مَاءَ الْغَيْثِ فَاثْتَعَبَا^(١)
 فِي جَدُولِ حَرْقِي، بِالْمَاءِ قَدْ سَرَبَا^(٢)
 أَنَّ ابْنَ أَمِينَةَ الْمَأْمُونَ قَدْ ذَهَبَا
 قَدْ أَحْفُوهُ تُرَابَ الْأَرْضِ وَالْحَدَبَا^(٣)
 خَالًا وَعَمًّا كَرِيمًا لَيْسَ مُؤْتَشَبَا^(٤)

* التخريج: المقطعة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٧، ومخطوطة إمتاع الأسع (ورقة ١٨٣٣)، وفتح البدح ص ٣٦١.

١. في مخطوطة الإمتاع: «... وانهمري *... وانشعبا». وفي منح المدح: «... وانهمري * كما ينزل... منسكبا».

٢. في منح المدح: «... قد شربا * بالشين المثلثة المعجمة، تصحيف.

٤. في مخطوطة الإمتاع، وفتح المدح: «... والمأمون في جدث».

(١) ابتدري: أي سبلي بالدموع (اللسان: بدر). وانشعبا: سال وجرى بشدة (اللسان: ثعب).

(٢) الغرب: الرواية التي يحمل عليها الماء، والدلو العظيمة (اللسان: غرب). والعاديَّة: البئر القديمة (اللسان: عود).

وطويت: أي البئر المطوية بالحجارة (اللسان: طوي). والجدول الحرق: المشقوق (اللسان: حرق).

(٣) الميمون: المبارك (اللسان: يمن). والحذب: الغليظ من الأرض في ارتفاع (اللسان: حدب).

(٤) النسب المؤتشب: المختلط غير الصريح (أساس البلاغة: أشب).

(٦٧)

هِنْدُ بِنْتُ أَثَافَةَ:

[من الوافرا]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أَلَا يَا عَيْنُ، بَكِّي، لَا تَمَلِي | فَقَدْ بَكَرَ التَّعِيُّ بِمَنْ هَوَيْتُ |
| ٢ | وَقَدْ بَكَرَ التَّعِيُّ بِحَيْرِ شَخِصٍ | رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا مَا حَيَّيْتُ |
| ٣ | وَلَوْ عِشْتَنَا، وَتَحْنُ نَرَاكَ فِينَا | وَأَمْرُ اللَّهِ يُثْرَكَ، مَا بَكَيْتُ |
| ٤ | فَقَدْ بَكَرَ التَّعِيُّ بِذَلِكَ عَمْدًا | فَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَةً مَن نُبَيْتُ |
| ٥ | وَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَهُ، وَجَلَّتْ | وَكُلُّ الْجُهْدِ بَعْدَكَ قَدْ لَقَيْتُ |
| ٦ | إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ ذَاكَ نَشَكُو | فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا أُتَيْتُ |
| ٧ | أَقَاطِمُ، إِنَّهُ قَدْ هَدَّ رُكْبِي | وَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَةً مَن رُزَيْتُ |

* التخریج: القصيدة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٧، ومخطوطة إمتاع الأسباع (ورقة ١٨٢٧).

٦. في مخطوطة الإمتاع: «... ذاك أشكو».

(٦٨)

هِنْدُ بِنْتُ أَثَاثَةَ:

[من الوافرا]

- | | | |
|----|--|---|
| ١ | أَشَابَ دُرَّابَتِي، وَأَدَّلَ رُكْنِي | بُكَارُوكَ، قَاطِمَ، المَيْتَ الفَقِيدَا ^(١) |
| ٢ | فَأَعْظَيْتِ العِظَاءَ فَلَمْ تُكَدِّرِي | وَأَخْدَمْتَ الوَلَايَةَ وَالعَيْدَا ^(٢) |
| ٣ | وَكُنْتِ مَلَادَنَا فِي كُلِّ لَزْبِ | إِذَا هَبَّتِ شَامِيَّةٌ بَرُودَا ^(٣) |
| ٤ | وَإِنَّكَ خَيْرٌ مَن رَكِبَ المَطَايَا | وَأَكْرَمُهُمْ، إِذَا نُسِبُوا، جُدُودَا |
| ٥ | رَسُولُ اللَّهِ فَارَقْنَا، وَكُنَّا | نُرَجِّي أَنْ يَكُونَ لَنَا خُلُودَا |
| ٦ | أَقَاطِمُ، قَاضِرِي؛ فَلَقَدْ أَصَابَتْ | رَزِيئَتِكَ التَّهَائِمَ وَالتَّجُودَا |
| ٧ | وَأَهْلَ البَيْرِ وَالأَبْحَارِ ظُرًّا | فَلَمْ تُخْطِئِي مُصِيبَتَهُ وَجِيدَا |
| ٨ | وَكَانَ الحَيْرُ يُضْبِحُ فِي دُرَاهُ | سَعِيدِ الحَدِيدِ قَدْ وُلِدَ السُّعُودَا |
| ٩ | [قَمُوتِي إِنْ قَدَرْتِ بِأَنْ تَمُوتِي | فَقَدْتِ الطَّيِّبَ الرَّجُلَ المَجِيدَا] |
| ١٠ | [رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ النَّاسِ حَقًّا | فَلَسْتُ أَرَى لَهُ أَبَدًا نَدِيدَا] |

* الضخريج: جعلت الطبقات الكبير ٢٨٧/٢ أصلاً لهذه القصيدة؛ وهي في سبل الهدى والرشاد ٢٨٦/١٢، ٢٨٧؛ وفي نهاية الأرب ٤٠٦/١٨، ويمتد المدح ص ٣٦٢، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٢٧) الأبيات: ١-٨؛ وفي الذخائر والأعلاق للإشبيلي ص ٢٢٤ الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠.

١. في نهاية الأرب: ١... وأذاب ركني.
٢. في منح المدح: «... كل كرب».
٣. في الذخائر: «ألم يك خير».
٤. في الذخائر: «مصيبتك التهائم».
٥. في الذخائر: «وكان المجد».
٦. البيت زائد في الذخائر، وسبل الهدى. وفي السبل: «... إن قدرت أن تموتي».
٧. البيت زائد في الذخائر، وسبل الهدى.

- (١) الذؤابة: الشعر المظفر من الرأس (تاج العروس: ذاب)، والركن من الشيء: جانبه القوي، وما يتقوى به (اللسان: ركن).
- (٢) الولائد: الشرايب من الجوارى (اللسان: ولد).
- (٣) اللزب: الشدة والقحط (اللسان: لزب).

(٦٩)

عائكة بنت عبد المطلب:

* [من الطويل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | يَا عَيْنُ، جُودِي، مَا بَقِيَتْ، بِعَبْرَةٍ | سَحًا عَلَى خَيْرِ التَّيْرَةِ أَحْمَدِ |
| ٢ | يَا عَيْنُ، فَاحْتَفِلِي، وَسُجِّي، وَأَسْجُمِي | وَابْكِي عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مُحَمَّدٍ ^(١) |
| ٣ | أَيُّ، لَكَ الْوَيْلَاتُ، مِثْلُ مُحَمَّدِ | فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ، وَمَشْهَدِ |
| ٤ | فَابْكِي الْمُبَارَكَ وَالْمَوْفَّقَ ذَا الثَّقَى | حَايِي الْحَقِيقَةَ، ذَا الرَّشَادِ الْمُرْشِدِ |
| ٥ | مَنْ ذَا يَفُكُّ عَنِ الْمُغْلَلِ غَلَّهُ | بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي الصَّرِيحِ الْمُلْحَدِ |
| ٦ | أَمْ مَنْ لِكُلِّ مُدْفَعٍ ذِي حَاجَةٍ | وَمُسْلَسَلٍ يَشْكُو الْحَدِيدَ، مُقَيَّدِ |
| ٧ | أَمْ مَنْ لِيُوْحِي اللَّهَ يُتْرَكُ بَيْنَنَا | فِي كُلِّ مَنْسَى لَيْلَةٍ، أَوْ فِي عَدِ |
| ٨ | فَعَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا وَسَلَامُهُ | يَا ذَا الْفَوَاضِلِ، وَالنَّدَى، وَالسُّؤْدِ |
| ٩ | هَلَّا فَذَاكَ الْمَوْتُ كُلُّ مُلَعْنِ | شَكْسٍ خَلَاثِفُهُ، لَيْسِمِ الْمَحْتَدِ |

* التخريج: الفصيحة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٣-٢٨٤، وسبل الهدى والرشاد ١٢/٢٨٣-٢٨٤ وفي نهاية الأرب ١٨/٤٠٥-

٤٠٦ الآيات: ١-٨.

(١) سَحَ الْمَاءِ: صَبَّهُ صَبًّا مُتَابِعًا (اللسان: سحج).

(٧٠)

قَاطِمَةُ الرَّهْرَاءُ:

[من مجزوء الكامل].*

كُنْتُ السَّوَادَ لِتَاظِرِي فَعَمِي عَمِّي التَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

* التخریج: البيتان في مناقب آل أبي طالب ١/١٣١، وهي منسوبة في مخطوطة أنوار العقول (المكتبة البريطانية، ورقة ٢٠) لعليٍّ أو لفاطمة.

(٧١)

[من البسيط]

أُمُّ رَعْلَةَ:

١ يَا دَارَ فَاطِمَةَ الْمَغْمُورُ سَاحَتُهَا هَيَّجَتِ لِي حُزْنَكَ، حَيَّتِ مِنْ دَارِ

(٧٢)

عَايِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ:

[من البسيط]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | عَيْنِي، جُودًا طَوَالَ الدَّهْرِ، وَأَنْهَمِرًا | سَكْبًا وَسَحًا يَدْمَعِ غَيْرِ تَعْذِيرٍ ^(١) |
| ٢ | يَا عَيْنُ، فَاسْحَنْعِرِي بِالدَّمْعِ وَاحْتَفِيلِي | حَتَّى الْمَمَاتِ بِسَجَلِ غَيْرِ مَنْزُورٍ ^(٢) |
| ٣ | يَا عَيْنُ، فَأَنْهَمِلِي بِالدَّمْعِ وَاجْتَهِدِي | لِلْمُصْطَفَى، دُونَ خَلْقِ اللَّهِ، بِالثُّورِ |
| ٤ | بِمُسْتَهَلِّ مِنَ الشُّؤْبِوبِ ذِي سَيْلِ | فَقَدْ رُزِئْتُ نَيْبِ الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ ^(٣) |
| ٥ | وَكُنْتُ مِنْ حَذَرِ اللَّمُوتِ مُشْفِقَةً | وَلِلَّذِي حُطَّ فِي تِلْكَ الْمَقَادِيرِ |
| ٦ | مِنْ قَفْدِ أَزْهَرِ، صَافِيِ الْخَلْقِ، ذِي فَخْرِ | صَافٍ مِنَ الْعَيْبِ وَالْعَاهَاتِ وَالزُّورِ |
| ٧ | فَازْهَبْ حَمِيدًا، جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفِرَةً | يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ التَّفْخِخِ فِي الصُّورِ |

* التخريج: القصيدة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٢، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ٧٢٨١، ٨٢٨١)، وسبل الهدى والرشاد ٢١/٩٧٢.

٥. في سبل الهدى: « والذي خط... » تصحيف.

(١) التعذير: التقصير (اللسان: عنز).

(٢) المنزور: القليل (تاج العروس: نزر).

(٣) الخير: بعكس الحاء: الكرم (اللسان: خير).

(٧٣)

[من الكامل]

فاطمة الزهراء:

- ١ أمسى بخدي للدموع رسوم أسفا عليك، وفي الفؤاد كلوم
 ٢ والصبر يحسن في المواقف كلها إلا عليك فإنه مذموم
 ٣ لا عيب في حزني عليك لو أنه كان البكاء لمقلتي يدوم

* التخريج: المقطعة منسوبة لفاطمة عليها السلام في الشريعة للأجري ٣٧٨/٢، ونسب البيت الثاني إلى بعض الأنصار في الذخائر والأعلاق للإسبيلي ص ٢٢٣.

(٧٤)

عائكة بنت عبد المطلب:

[من الطويل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | أَعْيَيْتِي، جُودًا بِالذُّمْرِوعِ السَّوَاجِمِ | عَلَى الْمُضْطَفَى بِالثُّورِ مِنْ آلِ هَاشِمِ |
| ٢ | عَلَى الْمُضْطَفَى بِالْحَقِّيِّ وَالثُّورِ وَالْهَدَى | وَبِالرُّشْدِ بَعْدَ الْمُنْدَبَاتِ الْعَقَائِمِ |
| ٣ | وَسُحًّا عَلَيَّهِ، وَابِكِيًّا، مَا بَكَيْتُمَا | عَلَى الْمُرْتَضَى لِلْمُحْكَمَاتِ الْعَرَائِمِ |
| ٤ | عَلَى الْمُرْتَضَى لِلْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالثَّقَى | وَلِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ بَعْدَ الْمَطَالِمِ |
| ٥ | عَلَى الظَّاهِرِ الْمَيْمُونِ ذِي الْحِلْمِ وَالنَّدَى | وَذِي الْقَضْلِ، وَالذَّاعِي لِتَغْيِيرِ التَّرَاخِمِ |
| ٦ | أَعْيَيْتِي مَاذَا، بَعْدَ مَا قَدْ فُجِعْتُمَا | بِهِ، تَبْكِيَانِ الدَّهْرِ مِنْ وُلْدِ آدَمِ؟ |
| ٧ | فَجُودًا بِسَجْلِ، وَانْدَبَا كُلَّ شَارِقِ | رَبِيعِ الْيَتَامَى فِي السِّنِينَ الْبَوَازِمِ ^(١) |

* التخریج: القصيدة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٤، وسبل الهدى والرشاد ١٢/٢٨٤.

(١) البوازم: الشدائد (اللسان: بزم).

(٧٥)

[من الكامل]

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ:

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | اغْبِرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ، وَكُورَتْ | سَمَسُ النَّهَارِ، وَأَظْلَمَ الْعَضْرَانِ |
| ٢ | فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ حَزِينَةٌ | تَبْكِي عَلَيْهِ كَثِيرَةً الرَّجَفَانِ |
| ٣ | فَلْيَبْكِيهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَعَرْبُهَا | وَلْيَبْكِيهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ بِيَمَانِ |
| ٤ | وَلْيَبْكِيهِ الطَّوْدُ الْمُعْظَمُ جَوْهٌ | وَلْيَبْكِيهِ بَيْتُ مَعَ الْأَرْكَانِ |
| ٥ | نَفْسِي فِدَاؤُكَ، مَا لِرَأْسِكَ مَا مِثْلًا | وَوَسْدُوكَ وَسَادَةَ الْوَسْتَانِ |
| ٦ | يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ صِنْوَةٌ | صَلَّى عَلَيْكَ مُتْرَلِ الْفُرْقَانِ |

* التخریج: جعلت سلوة الكثیر لابن ناصر الدین ص ١٦٤-١٦٥ أصلاً لهذا المقطعة؛ وهي في الروض الأنف ٥٩٤/٧، ومخطوطة إمتاع الأسماح (ورقة ١٨٣٢)، ونهاية الأرب ٤٠٤-٤٠٣/١٨، والاكتفا ٦١/٢، والحامسة المغربية ٧٨٥/٢، والعمدة لابن رشيق ١٥٣/٢، وزهر الآداب للحصري ٧٠/١ (تفصیل وضبط الدكتور زكي مبارك، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤)؛ وفي مَنَحِ المَدَحِ ص ٣٥٨ الأبيات: ٤-١، ٤٦، وفي المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٢٩٣/٣ الأبيات: ١-٣.

٢. في منح المدح: «الأرض... كئيبة * أسفا...». وفي نهاية الأرب: «والأرض... كئيبة * أسفا...». وفي الاكتفا، والحامسة المغربية: «... كئيبة * أسفا...».

٣. في منح المدح، والاكتفا، والحامسة المغربية: «ولبكيه مضر...». وفي نهاية الأرب: «فلتبيكه... * ولبيكه...».

٤. في نهاية الأرب، ومنح المدح، والاكتفا، والحامسة المغربية: «والبیت ذو الأستار والأركان».

٥. في نهاية الأرب: «ما وسدوك...».

٦. في منح المدح، والحامسة المغربية: «... المبارك ضوؤه». وفي الاكتفا: «... ضنه» تصحيف.

(٧٦)

أزوى بنت عبد المطلب:

[من الوافر]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أَلَا يَا عَيْنُ، وَيَحْكُ، أَسْعِدِينِي | بِدَمْعِكَ، مَا بَقِيَتْ، وَطَاوَعِينِي |
| ٢ | أَلَا يَا عَيْنُ، وَيَحْكُ، وَأَسْتَهْلِي | عَلَى نُورِ الْبِلَادِ، وَأَسْعِدِينِي ^(١) |
| ٣ | فَإِنْ عَدَلْتُكَ عَاذِلَةٌ فَقُولِي: | غَلَامَ، وَفَيْمَ، وَيَحْكُ، تَعْذِلِينِي ^(٢) |
| ٤ | عَلَى نُورِ الْبِلَادِ، مَعًا، جَمِيعًا | رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدَ ١٤ فَاتْرُكِينِي |
| ٥ | فَالْأُتْقَصِيرِي بِالْعَدْلِ عَنِّي | قَلُوبِي مَا بَدَا لَكَ، أَوْ دَعِينِي؛ |
| ٦ | لَأْمُرِ هَدْنِي وَأَدَّلْ رُكْنِي | وَشَيْبَ بَعْدَ جِدَّتَيْهَا قُرُونِي ^(٣) |

* التخریج: المقطعة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٢، ونهاية الأرب ١٨/٤٠٥، وسبل الهدى والرشاد ١٢/٢٨٤، وهي مما أفحسه النيسبي في مطبوعته لإمتاع الأسماع ١٤/٥٩٦، ٥٩٧، وليست من الإمتاع في شيء!

(١) الهلّل: أول المطر. يقال: استهلّت السماء، وذلك في أول مطرها (الصحاح: همل).

(٢) العدل: اللوم (اللسان: عدل).

(٣) القرون: جمع قرن، وهو ذؤابة المرأة وضميرتها (اللسان: قرن).

(٧٧)

[من المتقارب]	عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ:
وَقَدْ كَانَ يَرْكَبُهَا زَيْنُهَا	١ أَمَسْتُ مَرَائِبَهُ أَوْحَشْتُ
تُرِدُّ عِبْرَتَهَا عَيْنُهَا	٢ وَأَمَسْتُ ثُبِّي عَلَى سَيْدِ
مِنَ الْحُزْنِ يَعْتَادُهَا دِينُهَا ^(١)	٣ وَأَمَسْتُ نِسَاؤَكَ مَا تَسْتَفِيئُ
لِ قَدْ عَظَلْتُ، وَكَبَا لَوْنُهَا ^(٢)	٤ وَأَمَسْتُ شَوَاجِبَ مِثْلِ الْيَصَا
وَفِي الصَّدْرِ مُكْتَنِعٌ حَيْنُهَا ^(٣)	٥ يَعْالِجْنَ حُزْنَا بَعِيدَ الدَّهَابِ
عَلَى مِثْلِهِ جَادَهَا سُؤْنُهَا	٦ يُضْرَبْنَ بِالْكَفِّ حُرَّ الْوُجُوهِ
عَلَى الْحَقِّ مُجْتَمِعٌ دِينُهَا	٧ هُوَ الْقَاضِلُ السَّيِّدُ الْمُضْطَفَى
وَقَدْ حَانَ مِنْ مِيتَةٍ حَيْنُهَا	٨ فَكَيْفَ حَيَاتِي بَعْدَ الرَّسُولِ

* التخریج: القصيدة في الطبقات الكبير ٢/٢٨٨، وفي منح المدح ص ٣٥٤ الأبيات: ١-٥، ٨.

١. في منح المدح: «فأمسّت...».

٤. في منح المدح: «...وقد...» تحريف.

(١) الدين: العادة (اللسان: ددن).

(٢) كبا الرُّنْد: إذا لم يخرج ناره (اللسان: كبا)، والمقصود تبدُّل الحال وتغيرها.

(٣) المكتنع: المنقبض المتشنج (اللسان: كتع)

(٧٨)

فاطمة الزهراء:

[من الكامل]

- ١ مَآذَا عَلَيَّ مَنْ سَمَّ تَرْبَةَ أَحْمَدِ أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الرَّمَانِ عَوَالِيَا
٢ صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَيَّ الْأَيَّامِ صِرْنَ لِيَالِيَا

* التخریج: البيتان في الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ص ٨١٩ (تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت)، ومخطوطة السيرة النبوية للكانزروني (ورقة ١٦٨)، وسلوة الكتيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي ص ١٩١، وتاريخ الخميس ٧٣/٢، والذرة الشمينة لابن النجار ص ٢٠٥ (تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد)، ونهاية الأرب ٤٠٣/١٨، ومخطوطة إمتاع الأسماع (ورقة ١٨٣٢)، واتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب للمناوي ص ١٠٣ (تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة)، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣٤/٢.

٢. في مخطوطة إمتاع الأسماع، وسير أعلام النبلاء: ١... عدن لياليا ١.

تَوْثِيقُ مَرَاتِي طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ

١

أُرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ:

لأروى مرثيتان، قطعنا بنسبة إحداهما إلى صفة، وهي قولها^(١):

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ رَجَاءَنَا وَكُنْتُ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكْ جَافِيَا

والثانية أخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبير» فقال: «وفيهما أنشدنا الواقدي: قالت

أروى بنت عبد المطلب ترثي رسول الله ﷺ:

أَلَا يَا عَيْنِي وَيَحْكُ أَسْعِدِي بِدَمْعِكَ مَا بَقِيَتْ، وَظَاوِعِي نِي

سته أبيات^(٢).

وقبل الخوض في توثيق هذه المرثية يلزمنا الجواب عن سؤال أساس للبحث: هل أسلمت

أروى بنت عبد المطلب؟ ومتى ماتت؟ فإنها إن لم تكن أسلمت، أو كانت ماتت قبل موت

النبي ﷺ؛ بطلت نسبة المرثية إليها.

(١) انظر ص ٣٠٣ من هذا الكتاب.

(٢) الطبقات الكبير ٤/٤٨٢.

قال ابن الأثير: «أروى بنت عبد المطلب بن هاشم... عمّة رسول الله ﷺ، ذكرها أبو جعفر في الصحابة... وخالفه غيره؛ فأما ابن إسحاق ومن وافقه فقالوا: لم يُسلم من عمّات النبي ﷺ غير صفية أم الزبير. وقال غير هؤلاء: أسلم من عمات النبي ﷺ صفية وأروى. وقال محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: لما أسلم ظليّب بن عمير دخل على أبيه أروى بنت عبد المطلب فقال لها: أسلمت وتبعك محمدًا، وذكر الحديث، وقال لها: ما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه فقد أسلم أخوك حمزة؟ قالت: أنظر ما تصنع أخواتي، ثم أكون مثلهن. قال: فقلت: إني أسألك بالله إلا أتيتيه، وسلّمت عليه، وصدّقته، وشهدت أن لا إله إلا الله. فقالت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله. ثم كانت بعد تعضد النبي ﷺ، وتعيّنه بلسانها، ومخضّ ابنتها على نصرته والقيام بأمره»^(١).

ثم قال ابن الأثير معقبًا: «ولم يصح من إسلام عماته إلا صفية»^(٢). «كأنه لا يرى صحّة حديث ظليّب.

وحديث ظليّب هذا من رواية الواقدي، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه. وموسى ضعيف الحديث^(٣)، ولعلّ ابن سعد رأى الحديث حُجّة حين قال: أسلمت أروى بنت عبد المطلب بمكة، وهاجرت إلى المدينة»^(٤).

بيد أنّ الذهبي ذهب إلى أنها لم تُسلم، واحتجّ بقوله: «لم يسمع لها ذكر بعد، ولا وجدنا لها رواية»^(٥)، والذهبي ناقدٌ نحريرٌ مُدقّق، ولقد قال - وقوله موافقٌ قول ابن إسحاق: «والصحيح أنه ما أسلم من عمّات النبي ﷺ سواها» يعني صفية^(٦).

(١) أسد الغابة ٦/٧.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: تهذيب الكمال، للمزي ١٤١/٢٩.

(٤) انظر: الطبقات الكبير ٤٢/١٠.

(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٧٢/٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٧٠/٢.

وإذا كان القول بإسلام أروى صعباً لما رأيت، فإنَّ القول في تأريخ وفاتها أصعب؛ لأنه ما من خير نعلمه يهدينا إلى ذلك.

وشعر أروى أصلاً مختلفٌ فيه على قِلَّتِه، فبينما يُثبِتُ مصعب بن الزبير لها قولها في ابنها ظليبي:

إِنَّ ظَلِيْبًا نَصَرَ ابْنَ خَالِهِ آسَاءُ فِي ذِي دَمِهِ وَمَالِهِ ^(١)

بينما يُثبِت ذلك تحوم الشكوك حول شعرها ولأخواتها في رثاء أبيهنَّ عبد المطلب، قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سعيد بن المسيب أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميّت؛ جمع بناته، وكنَّ سَكَّ نسوة... فقال لهن: ابكين عليّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت. قال ابن هشام: ولم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر، إلا أنه لَمَّا رواه عن محمد ابن سعيد بن المسيب؛ كتبناه... [وفيه:] وقالت أروى بنتُ عبد المطلب تبكي أباها:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا الْبُكَاءُ عَلَى سَمِجٍ سَجِيئُهُ الْحَيَاءُ ^(٢)

وإذا كان ابن هشام قد ارتاب في الخبر أو ضعفه وحسب، فإن أديباً دَرَبَ اللسان هو أبو حيان التوحيدِي المتوفى سنة أربع عشرة وأربعمئة؛ قال ساخراً: «قدم محمد بن إسحاق البصرة، فكان فتياًها يضعون له المرآي لبنات عبد المطلب، فيصلها هو بالسَّير والغزوات». قلت: لم يكن ابن إسحاق على هذه الصورة الشنيعة التي رى إليها التوحيدِي، وقد تقدّم القول مفصلاً في ابن إسحاق في مرآي اليمينيين. ولم يكن محمد بن سعيد رجلاً قليل الشأن ^(٣). وأنا لست أريد إلى تصحيح هذا الخبر وقبوله، ولكن أردت الإنباه هنا إلى مغبّة

(١) كتاب نسب قريش، لمصعب بن الزبير ص ٢٠.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ١٦٩/١-١٧٣، وانظر أيضاً: قطعة باقية من سيرة ابن إسحاق ص ٤٦ (تحقيق محمد حميد الله).

(٣) البصائر والذخائر، للتوحيدِي، أبي حيان علي بن محمد بن العباس ٢٢٤/٦ (تحقيق الدكتور واداد الفاضي، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ).

بعض القول، ولقد شكَّ ابنُ إسحاقَ نفسه في شيء من هذا الخبر، ونقل شكَّهُ ابنُ هشام في آخر القصائد فقال^(١): «قال ابنُ إسحاق: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه وقد أصمت: أن هكذا فابكيني»^(٢)، وكان ابن إسحاق يقول: إنما العهدة على محمد بن سعيد بن المسيب، وأنا راوٍ لا غير.

نعود فنقول: لعلَّ أروى قالت شيئاً من الشعر، ولكننا لا نعرف لها شعراً يصلح لقياس المرثية عليه، فأب بنا الحديث إلى انقطاع المرثية عن أروى مثلاً كما انقطعت عنها إسناداً. أكدَّ هذا الانقطاعَ شيءٌ جديدٌ، ذلك أنَّه عند تدبُّر المرثية تجدها أشبهت مراثي صفية بنت عبد المطلب؛ فالفاءات فاءات صفية:

(ق) إِنْ عَدَلْتِكِ عَاذِلَةٌ (ق) قَوْلِي
عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مَعًا جَمِيعًا
(ق) لَوْ بِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعَيْتِي
عَلَامٌ وَفِيمَ، وَيَحْكُ، تَغْذِلِينِي ؟
رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدُ ؟ (ق) أَتُرْكِينِي
(ق) لَوْ بِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعَيْتِي

فقد رأينا هنا التوكيد - توكيد صفية كما خبرنا - في لفظتي «معاً جميعاً»، زد على ذلك أن ابن سعيد وهم في نسبة المرثية الأخرى التي نسبها لأروى، وقطعت دراستها بنسبتها إلى صفية، وهي قولها:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتُ رَجَاءَنَا
وَكُنْتُ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا^(٣)
فلا بأس أن يكون وهم في هذه أيضاً.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ١٧٣/١.

(٢) انظر: ترجمته في: الثقات، لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي ٤٢١/٧ (تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط ١٣٩٥هـ).

(٣) انظر: الطبقات الكبير ٢٨٢/٤، وانظر ص ٣٠٣ من هذه الدراسة.

أمُّ أَيْمَنَ:

هذه الكنية تطلق على امرأتين من الصحابة، كلتاها من الحبشة، وكلتاها اسمها أمُّ أَيْمَنَ، إحداهما مولاةُ أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، كانت تخدمها مهاجرة إلى الحبشة، ثم قدمت بها مكة^(١)؛ والأخرى صاحبة المروثة مولاة النبي ﷺ وحاضنته، وهي أمُّ أسامة بن زيد، اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك، كانت لأمِّ الرسول ﷺ، وقيل: كانت لأخت خديجة فوهبتها للنبي. ويروى عنها أنها بعدما توفي النبي ﷺ بككت، فقيل لها، فقالت: إنما أبكي الوحى الذي انقطع عَنَّا من السماء. ماتت - رضي الله تعالى عنها - في خلافة عثمان، وقيل: بعد وفاة النبي ﷺ بخمسة أشهر^(٢).

قال ابن سعد: وقالت أمُّ أَيْمَنَ ترثي النبي ﷺ:

عَبِيٌّ جُودِي فَإِنَّ بَدْلَكَ لِلدَّمِ سَجَّ شِفَاءً فَأَكْثِرِي مِلْبُكَاءِ

سبعة أبيات^(٣). لم ندر عن أحدٍ رواها إلا ابن سعد، وكأنه رواها عن الواقدي؛ لأنه جعلها في درج مرثيٍّ آخر عنه.

لم تكن أمُّ أَيْمَنَ شاعرة، ولا نعرف من شعر عُزَيِّ إليها غير هذه القصيدة، بل إن ابن سعد نفسه روى من الأخبار ما قد ينفي هذه القصيدة عنها نفيًا.

فقد أخبر عن سفيان عن جعفر عن أبيه قال: كانت أمُّ أَيْمَنَ إذا دخلت على النبي ﷺ قالت: سلامٌ لأَعلِيكم [أي سلام الله عليكم]، فرخص لها النبي ﷺ أن تقول: السلام^(٤).

(١) انظر: الإصابة ٥٣١/٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٦٩/٨-١٧٢.

(٣) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٨.

(٤) انظر: الطبقات الكبير ١٠/٢١٤.

وعنه قال: أخبرنا محمد بن عمر، عن عائذ بن يحيى، عن أبي الحويرث أنَّ أُمَّ أَيْمَنَ قَالَتْ
يَوْمَ حُنَيْنٍ: سَبَّتَ اللَّهُ أَقْدَامَكُمْ^(١). فقال النبي ﷺ: « اسكتي يا أُمَّ أَيْمَنَ؛ فَإِنَّكَ عَسْرَاءُ
اللِّسَانِ »^(٢).

وهذه الأخبار إن صدقت كانت كافية لإبطال نسبة المراثية إلى أُمَّ أَيْمَنَ، ونحن نكاد نجزم
بذلك، يُسَعَفْنَا إِلَى جِزْمِنَا أَنَّ الْأَحْبَاشَ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالشَّعْرِ، وَكَانَتْ النَّاسُ تَقُولُ:
نُصِيبُ أَشْعَرَ الْحَبْشَةِ، يَسْتَشْهَدُونَ بِهِ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِ (أَفْعَل) الَّتِي لِلتَّفْضِيلِ بِمَعْنَى اسْمِ
الْفَاعِلِ إِذَا انْفَرَدَ بِالْوَصْفِ مِنْ غَيْرِ مِشَارِكٍ؛ فَقَوْلُهُمْ: « نُصِيبُ أَشْعَرَ الْحَبْشَةِ، أَيُّ شَاعِرِهِمْ؛
إِذَا لَا شَاعِرَ فِيهِمْ غَيْرُهُ »^(٣).

٣

أُمَّ رَعْلَةَ:

ذَكَرَهَا ابْنُ حَجْرٍ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ أَقْسَامِ كِتَابِهِ «الْإِصَابَةُ»^(٤)، وَذَكَرَهَا بَيْتًا وَاحِدًا فِي
رِثَاءِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ قَوْلُهَا:

يَا دَارَ قَاطِمَةَ المَعْمُورِ سَاحَتُهَا هَيَّجَتِ لِي حُزْنَآ، حَيَّتِ مِنْ دَارِ^(٥)

وَتَرَجَمَهَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي «أَسَدِ الْغَابَةِ» بِأَمِّ رَعْلَةَ فَقَالَ: «أُورِدَهَا أَبُو جَعْفَرِ المَسْتَعْفِرِيُّ، رَوَى

(١) سبت: المسبب الجامد الذي لا يتحرك (اللسان: سبت).

(٢) الطبقات الكبير ٢١٤/١٠.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تصنيف أحمد بن محمد بن علي الفيومي ٧٠٩/٢ (المكتبة العلمية، بيروت).

(٤) انظر بيان تقسيم ابن حجر لكتابه في ص ٢١٢ من هذه الدراسة.

(٥) انظر: الإصابة ٢٠٤/٨.

بإسنادٍ ضعيف عن الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس قال: وفدت إلى النبي ﷺ امرأةٌ يقال لها: أمُّ رَعْلَةَ القشيرية...^(١).

وسمَّها ابن حجر «رَعْلَةَ» وقال: لها حديثٌ أورده المستغفريُّ من طريق، وأبو موسى من طريق آخر، كلاهما من حديث ابن عباس أن امرأةً يقال لها: رَعْلَةَ القشيرية وفدت على النبي ﷺ، وكانت امرأةً ذات لسانٍ وفصاحة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله... قال: ثم غابت حياة رسول الله ﷺ، وأقبلت في أيام الرِّدَّة، فذكر لها قصةً في الحزن على النبي ﷺ وَتَطَوَّقَهَا بالحسن والحسين أزقةً المدينة تبكي عليه، وأنشد لها مرثيةً منها:

يَا دَارَ قَاطِمَةَ المَعْمُورِ سَاحَتِهَا هَيَّجَتِ لِي حُزْنَآ، حَيَّتِ مِن دَارِ

قال ابن حجر: قال أبو موسى بعد سياقه هذا الإسناد: لا يحتمل هذا، والحمل فيه على أبي القاسم جعفر بن محمد بن إبراهيم السرندي؛ فإنه غير مشهور ولا هو مذكورٌ في رجال أصبهان. ثم ساق من طريق عبد الله بن محمد البلوي، عن عمارة بن زيد، عن إبراهيم ابن سعيد، عن ابن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أبيه، عن ابن عباس... فذكر نحوه. وقال في آخر الحديث: فهاجت المدينة مأتماً، فلم يسبق دارٌ من دور الأنصار إلا وأهلها يبكون. قال أبو موسى: هذا الإسناد أليق بهذا الحديث، يعني لشهرة البلوي بالكذب، والله أعلم^(٢).

فهذا البيت من أبياتٍ كما قال ابن حجر؛ لا نعلم عددها.

وإذا كان الحديث ضعيفاً من طريق المستغفري كما قال ابن الأثير، أو ضعيفاً من طريق السرندي للتفرّد والجهالة، أو موضوعاً من طريق البلوي؛ فإن ذلك لا يعني أن الشعر الذي

(١) أسد الغابة ٣٢٠/٧.

(٢) انظر: الإصابة ٢٠٤/٨-٢٠٥.

فيه ضعيفٌ مثله. أجل لا نعرف روايةً أخرى لهذا الشعر غير هذه الرواية، ولكننا قد نقع له على رواية في مقبل الأيام حين يَمُنُّ اللهُ علينا بنشر تراث العربية الذي لَمَّا يزل بعد أسيرًا في خزائن مكتبات العالم، والذي لم يرَ سواده الأعظمُ الثورَ بعد.

٤

عاتكة بنتُ زيد بن عمرو بن نُفيل:

القرشيَّة، العدويَّة، كانت من المهاجرات، تزوجها نفرٌ من سادة الصحابة: عبدُ الله بن أبي بكر، وعمرو بن الخطاب، والزيبر بن العوام، وكانت شاعرة^(١)؛ ولها ثلاث مراثٍ مشهورات سوى مرثيتها في النبي ﷺ.

عن الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الضحَّاك الحزَّاميُّ، عن أبيه؛ وأحمد بن عبيد الله، عن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير، يزيد أحدهما على صاحبه، قال: تزوج عبد الله بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما - عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نُفيل، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة الطائف، فأصابه سهمٌ، فمات بعدُ بالمدينة، فقالت عاتكةُ تبيكه:

رُزِنْتُ بِحَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ	وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَا كَانَ قَصْرًا
قَالَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْبِي حَزِينَةً	عَلَيْكَ، وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرًا
قَلِيلٌ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى	أَكْرَّ وَأَحْتَى فِي الْهَيْجِجِ وَأَضْرًا
إِذَا شُرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاصَّهَا	إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَبْرُكَ الرُّمَحُ أَحْمَرًا ^(٢)

(١) ذكر صاحب كشف الظنون ديوانًا لعاتكة، كذا من غير نسبة (٧٩٩/١)؛ فلعلها هي.

(٢) انظر: ذم الهوى، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ص ٤٨٢ (صحته وضبطه أحمد عبد السلام عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢/١٣١٣هـ).

والأبيات من مختار أبي تمام في «الحماسة»^(١). ومن مختاره أيضًا قولها ترثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِعَيْنٍ شَفَّهَا طَوْلُ السُّهُدِ
جَسَدٌ لُقِفَ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ
فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلَى غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَنْشِي بِسَبْدِ^(٢)

وعن المدائني: أنبأنا أبو الحسن، عن جويرية بن أسماء، وعامر بن حفص أن عاتكة بنت زيد قالت لما قُتل عمر بن الخطاب :

فَجَعَنِي قَيْرُورٌ لَا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضِ ثَالٍ لِلْفُرَانِ، مُنِيبِ
رُؤُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى، غَلِيظٍ عَلَى الْعِدَى أُخِي ثَقَّةٌ فِي الثَّائِبَاتِ، نَجِيبِ
مَتَى مَا يُقْلَ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلُ فِعْلُهُ سَرِيحٌ إِلَى الْحَيْرَاتِ، غَيْرِ قَطُوبِ

وقالت:

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيبِ لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ
فَجَعَنِي الْمُنُونُ بِالْقَارِسِ الْعِقْدَا مَ يَوْمَ الْهَيْجِ وَالْكَذِيبِ
عِصَّةِ النَّاسِ وَالْمُعِينِ عَلَى الدَّهْرِ سِرٌّ، وَعَعِيثُ الْمُنْتَابِ وَالْمَخْرُوبِ
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبَأْسِ: مُوتُوا قَدْ سَقَتُهُ الْمُنُونُ كَأَسِّ شَعُوبِ^(٣)

وعن الزبير عن عمِّه قال: قتل الزبير وهو ابن سبع وستين، أو ست وستين سنة، فقالت عاتكة بنت زيد ترثيه:

(١) انظر: ديوان الحماسة ص ٣١٦.

(٢) انظر: ديوان الحماسة ص ٣١٨.

(٣) انظر: أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، لمحمد بن حبيب ١٧٥/٢ (ضمن نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١١هـ).

عَدْرَابِنَ جُرْمُوزِيْقَارِيْسَ بُهْمَةَ يَوْمَ اللَّيْقَاءِ وَكَانَ عَمِيرَ مُعَرِّدِ
يَا عَمْرُو لَوْ نَبِهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعَشَ اللِّسَانِ وَلَا التَّيْدِ
سَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسِلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُسْتَشْهِدِ
إِنَّ الرُّبَيْرَ لَذُو بَلَاءٍ صَادِقِ سَنَحُ سَجِيَّتِهِ كَرِيمِ الْمَشْهِدِ
كَمْ عَمْرَةَ قَدْ خَاصَّهَا لَمْ يَتْنِيهِ عَنْهَا طِرَادُكَ يَا ابْنَ قَفْحِ الْقَرْدِدِ^(١)

جُلُّ هذه المراثي من الشعر السائر المتداول، ولكن مرثيتها في النبي ﷺ لم ترد إلا من رواية ابن سعدي، وكأنه رواها عن شيخه الواقدي^(٢)، ولا بأس في ذلك، ولكن أين بقيّة الرواة عن هذه القصيدة وهي في الرسول ﷺ، لا في عبد الله بن أبي بكر، ولا في الزبير، ولا في عمر؛ أين هم عنها وهم قد رووا بالأسانيد مرثيتها في هؤلاء؟

ومع ذلك لا تختلف مرثيتها في النبي ﷺ طريقة عن مرثيتها لأزواجها؛ فعاتكة تصوّر في رثائها الكتابة والحزن لفقد الفقيه، ثم تعرّج إلى تعداد مآثره وحسناته، وقد تذكر أن لا صفاء في الحياة بعده، واليك المثال على ذلك:

افتتحت عاتكة بنت زيد رثاءها للنبي ﷺ بذكر ما حل بالأشياء والأحياء من الوجوم والصدمة والأسى، فقالت:

أَمَسَتْ مَرَائِكُهُ أَوْحَشَتْ وَقَدْ كَانَ يَرْكَبُهَا زَيْنُهَا
وَأَمَسَتْ تُبَيِّ عَلَى سَيْدِ تُرَدِّدُ عَمِيرَتَهَا عَيْنُهَا
وَأَمَسَتْ نِسَائُكَ مَا تَسْتَفِيئُ مِنَ الْحُزْنِ يَعْتَادُهَا دَيْنُهَا
وَأَمَسَتْ سَوَاجِبَ مِثْلِ التِّصَا لِ قَدْ عَظَلْتَ وَكَبَا لَوْنُهَا

ثم عرّجت إلى الشناء عليه:

(١) انظر: الأغاني ١٨/٨٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٨.

هُوَ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ الْمُصْطَفَى عَلَى الْحَقِّ مُجْتَمِعٌ دِينُهَا
وَزَهَّدتْ فِي الْحَيَاةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَتْ:

فَكَيْفَ حَيَاتِي بَعْدَ الرَّسُولِ وَقَدْ حَانَ مِنْ مِيْتَةٍ حِينُهَا
وَالطَّرِيقَةَ بَعَيْنَهَا تَرَاهَا فِي مَرِثَتِهَا لِعُمَرُ: «عَيْنُ جُودِي بَعْبْرَةٌ وَنَجِيبٌ...»، إِذْ تَسْتَهْلُهَا
بِالْحَزَنِ، ثُمَّ تُثَقِّتِي بِالثَنَاءِ، وَتَنَادِي بِأَنَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ دُونَهُ، وَلَوْ تَدَبَّرْنَا مَرَاثِيهَا الْآخِرَ
أَلْفِينَا عَاتِكَةَ بِنْتُ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - لَمَّا تَزَلْ تَرْتِي عَلَى طَرِيقَتِهَا.

٥

عاتكة بنت عبد المطلب:

إِذَا كُنَا قَدْ اسْتَضَعْنَا الْقَوْلَ فِي إِسْلَامِ أُرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَوَفَاتِهَا، فَإِنَّ الْقَوْلَ فِي
إِسْلَامِ عَاتِكَةَ أُخْتِهَا وَوَفَاتِهَا أَشَدُّ وَأَصْعَبُ.

وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ حَجْرٍ مَذَاهِبَ الْعُلَمَاءِ فِي إِسْلَامِهَا فَقَالَ: «عَاتِكَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ
هَاشِمٍ، عَمَّةُ النَّبِيِّ... قَالَ أَبُو عُمَرَ: اخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهَا، وَالْأَكْثَرُ يَأْتُونَ ذَلِكَ. وَفِي تَرْجُمَةِ أُرْوَى
ذَكَرَهَا الْعُقَيْلِيُّ فِي الصَّحَابَةِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَ عَاتِكَةَ. وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ
عَمَاتِهِ ﷺ إِلَّا صَفِيَّةَ. وَذَكَرَهَا ابْنُ فَتْحُونَ فِي «ذَيْلِ الْإِسْتِيعَابِ»، وَاسْتَدَلَّ عَلَى إِسْلَامِهَا بِشَعْرِ
لَهَا تَمْدَحُ فِيهِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَصَفُّهُ بِالتَّبَوُّةِ. وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «كِتَابِ الْأَخْوَةِ»: لَهَا شَعْرٌ تَذَكُرُ
فِيهِ تَصْدِيقَهَا، وَلَا رَوَايَةَ لَهَا. وَقَالَ ابْنُ مَنْدَهَ بَعْدَ ذِكْرِهَا فِي الصَّحَابَةِ: رَوَتْ عَنْهَا أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتُ
عُقْبَةَ [قِصَّةُ الْمَنَامِ الَّذِي رَأَتْ فِيهِ قَرِيْشًا صَرَعَى بِبَدْرٍ]... وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: أَسْلَمَتْ عَاتِكَةَ
بِمَكَّةَ، وَهَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ صَاحِبَةُ الرُّؤْيَا الْمَشْهُورَةِ فِي قِصَّةِ بَدْرٍ»^(١).

(١) الإصابة ١٤/٨، ومن حكي إسلامها أيضاً محمد المرتضى الزبيدي في: إيضاح المدارك في الإفصاح عن العواتك،
ورقة ٢ (مخطوطة بالمكتبة الأزهرية: تاريخ ٧٠٢٣١/٦١٠٥).

فهكذا يضطرب القول في إسلامها. وبعض من حكم لها بالإسلام احتج بما لا حجة واضحة فيه، كاستدلال ابن فتحون والدارقطني بشعر لها في مديح النبي ﷺ وذكرها النبوة؛ فكم من شعرٍ قد وُضع على تلك الأمة الخالية، ومنهم عاتكة على ما سيلي! أمّا قصة رؤيا بدر فلا شاهد فيها على إسلامها ألبتة، وإنما هي رؤيا رأتها في الجاهلية.

وأما قول ابن سعد بإسلامها، ونقل ابن حجر ذلك عنه؛ فإني قد رأيته قال ذلك في أول ترجمة عاتكة، ثم قال في آخرها: «كانت من عمات رسول الله ﷺ ممن لم تدرِك الإسلام»^(١)؛ فتم تناقض، ولعله لاختلاف نسخة ابن حجر، أو سهو منه، أو إقحام من شارح أو ناسخ.

هذا عن إسلامها، أمّا وفاتها، وهل ماتت قبل موت الرسول فلا تصح لها المراثي فيه، أم ماتت بعده؛ فإننا لا نملك جواباً عن ذلك، إذ سكت القوم جميعهم عن قولٍ في وفاة عاتكة بنت عبد المطلب؛ قال الذهبي: لم نسمع لها بذكرٍ في غير الرؤيا^(٢).

ولعاتكة أنشد ابن سعد من رواية الواقدي ثلاث قصائد في رثاء النبي ﷺ، تفرد بهن، لم يروهن أحدٌ غيره. أو لاهن أو لها:

يَا عَيْنُ جَوْدِي مَا بَقِيْتُ بِعَبْرَةٍ سَحًا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدِ

تسعة أبيات^(٣)، ليست تصح لعاتكة، ولا لأحد من جيل صدر الإسلام؛ فهي من زمن متأخر عن ذلك، وأظنُّ ظنًّا أن للرجل الذي سرق من شعر الكميث وأضافه إلى حسان يداً في ذلك^(٤)، وأنا ذاكرٌ شيئاً من شواهد ذلك :

(١) الطبقات الكبير ٤٥/١٠.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٢٧٢.

(٣) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٣.

(٤) عارض هذه القصيدة بما فعله الرجل بشعر سرقه من الكميث وأضافه إلى حسان في ص ٨٦ من هذه الدراسة.

بنَى الواضعُ قصيدتي حَسَّانَ على رويِّ الدال، وكذلك فعل هنا.

نظم الواضع قصيدة « بِطَيْبَةِ رَسْمٍ... » في البحر الطويل، وكذلك فعل هنا.

هناك شَرِكَةٌ في الألفاظ والمعاني بين ما وضع الواضعُ على حَسَّانَ وبين هذه القصيدة، منها

دعاؤه على نفسه هنالك:

فَقَلَّلْتُ بَعْدَ وَقَاتِهِ مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي صَبَّحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ

وقال هنا:

أَلَيْ لَكَ الْوَيْلَاتُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ نَائِيَةٍ تَنْوُبُ وَمَشْهَدِ

وكان الواضعُ ذا بضاعةٍ مُزجاةٍ في الأدب، فنحل حَسَّانَ قوله:

فَرِحْتُ نَصَارَى يَثْرِبٍ وَيَهُودَهَا لَمَّا تَوَارَى فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ

ونحل عاتكة قولاً كأنه رجَعُ الصدى منه:

مَنْ ذَا يَفُكُّ عَنِ الْمُغَلَّلِ غُلَّهُ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ !

وحمل على حَسَّان:

أَوْحَلَ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي عَدِ

ثم حمل على عاتكة نحوه:

أَمْ مَنْ لِيُوْحِي اللَّهَ يُبْزَكُّ بَيْنَنَا فِي كُلِّ مَنْسَى لَيْلَةٍ أَوْ فِي عَدِ !

وقال على حَسَّان في آخر القصيد:

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَكُنْتُمْهَا لَنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدِ

ورَجَع القولُ نفسه واضعاً إياه في آخر قصيدة عاتكة:

فَعَلَيْكَ رَحْمَةٌ رَبَّنَا وَسَلَامُهُ يَا ذَا الْقَوَاضِلِ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدِ !

وكان يعيدُ ألفاظًا بأحرفها، لا يجيد عنها؛ حُبسةً منه، وعجزًا عن تصريف القول، كهذه الألفاظ: خير البرية، ونور، ومشهد، والمبارك، وذا، وغدي، والمحتد...

ولن أسوق كلَّ الاتفاقات، ففيما مثلت غُنيةً، وإن أيَّ مقارنة قاطعةً بآلِجَادِ الناظم، وبطلانِ الشعر أن يكون لعاتكة.

ولعاتكة أيضًا أنشد ابنُ سعيدٍ من رواية الواقدي:

أَعْيَيْتِي جُودًا بِالذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ عَلَيَّ الْمُصْطَفَى بِالثُّورِ مِنْ آلِ هَاشِمِ

سبعة أبيات^(١)، ما قالتها؛ لأن التي تقول:

سَائِلُ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلِيَكْفِ مِنْ شَرِّ سَمَاعَةَ
قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا مِنْ مَجْمَعِ بَاقِي سَنَاعَةَ
فِيهِ السِّتُورُ وَالْقَنَا وَالْكَبِشُ مُلْتَمِعُ قِنَاعَةَ
بِعَاظِ يُعْثِي التَّاطِيرِ نَ، إِذَا هُمْ لَمْ حَوَا، شُعَاعَةَ^(٢)

وهي عاتكة؛ ما كان ينبغي لنا أن نظنَّ بها أنها تنحطُّ وتعيًا فلا تكاد تُبين إلا بالألفاظِ مرَدَّة خاوية من مثل:

أَعْيَيْتِي جُودًا بِالذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ عَلَيَّ الْمُصْطَفَى بِالثُّورِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
عَلَيَّ الْمُصْطَفَى بِالْحَقِّ وَالثُّورِ وَالهُدَى وَبِالرُّشْدِ بَعْدَ الْمُنْدَبَاتِ الْعِظَائِمِ
وَسَحًّا عَلَيْهِ وَإِبْكِيَا مَا بَكَيْتُمَا عَلَيَّ الْمُرْتَضَى لِلْمُحْكَمَاتِ الْعَرَائِمِ
عَلَيَّ الْمُرْتَضَى لِلْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّقَى وَلِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ بَعْدَ الْمَظَالِمِ !!

ويؤكد وضعها واختراعها أنَّ الواضع لعله يجلُّ بالقصيدة أن يملأ بها مصيبة وفاة رسول الله ﷺ وحدها، فزيّن بها حادثة الهجرة أيضًا، وعيّر شيئًا ما؛ فقد حكى ابنُ عساکر أن

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٤.

(٢) انظر: ديوان الحماسة، لأبي تمام ص ٢٠٩.

النبي ﷺ بعد ما سار من مكة مهاجرًا جرعت عليه بنو هاشم، فانبعثت عاتكة بنت عبد
المطلب تقول:

عَيْتِي جُودًا بِالذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ عَلَى الْمُرْتَضَى كَالْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
عَلَى الْمُرْتَضَى لِلبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالنُّقَى وَالذِّينِ وَالذُّنْيَا تَهِيمِ الْمَعَالِمِ^(١)
عَلَى الصَّادِقِ الْمَيْمُونِ ذِي الْحَلِيمِ وَالنُّعَى وَذِي الْفَضْلِ وَالذَّاعِيِ بِتَخْيِيرِ التَّرَاخُمِ

قال ابن عساكر في الموضع نفسه: « وأنشدت ثانيًا تقول حين هاجر من مكة: عَيْتِي جُودًا
بِالذُّمُوعِ السَّوَاجِمِ... » فذكر الأبيات الثلاثة بحذافيرها!^(٢)

أما قصيدتها الثالثة التي عزاها لها ابن سعد عن شيخه الواقدي، وهي:

عَيْتِي جُودًا طَوَالَ الدَّهْرِ وَأَنْهَمِرًا سَكْبًا وَسَحًا بِدَمْعِ غَيْرِ تَعْدِيرِ

سبعة أبيات^(٣)؛ فأمثل ما يقال فيها: إنها تشبهه بمرآتي صفيّة، من حيث الفاءات: « يَا
عَيْنُ فَاسْحَنْفِرِي »، « يَا عَيْنُ فَاثْنَمِلِي »، « فَقَدْ رَزَيْتُ »، « فَأَذْهَبَ حَمِيدًا »؛ ومن حيث ذُكُرُ
الْقَدَرِ:

وَكُنْتُ مِنْ حَذْرِ اللَّمُوتِ مُشْفِقَةً وَلِلذِي حُطَّ فِي تِلْكَ الْمَقَادِيرِ
ومن حيث انتهاؤها فيها بالدعاء للنبي ﷺ:

فَأَذْهَبَ حَمِيدًا جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ^(٤)

(١) البيت مكسور، ولو قيل: وللايين والدنيا... لاستقام، ولكنها آفات الوضع.

(٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر ٣/٣٥٩.

(٣) انظر: الطبقات الكبير ٢/٢٨٣.

(٤) انظر خصائص شعر صفيّة في ص ٣٦٠ من هذه الدراسة.

٦

فاطمة الزهراء:

بنْتُ رسول الله ﷺ، أُمُّ أبيها، كان يحُبُّها ويدنِّيها، وقال لها: «ألا ترَضَيْن أن تكوني سيِّدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين؟». ماتت بعد النبي ﷺ ببسير، قيل: بستة أشهر^(١).

وَضَع عليها وعلى زوجها وأهلها شيءٌ كثيرٌ لا يُحصى، ونُسبت إليها هي أشعارٌ هزيلة منكرةٌ، لا تليق ولا تحقُّ، من ذلك مثلاً ما روي في خبرٍ ضيف أتاهم، وأنها قالت لعليٍّ زوجها فيما قالت:

أَمْرُكَ سَمِعُ يَا ابْنَ عَمِّ وَطَاعَةٌ مَا بِي مِنْ لَوْمٍ وَلَا وَضَاعَةٌ...

أورده المناوي ثم قال: هذا حديثٌ كذبٌ موضوع. وقال: قال الحكيمُ الترمذي: هذا من الأحاديث التي تُنكرها القلوب، وهو حديثٌ مسروقٌ مفتعلٌ لا يروج إلا على أحمقٍ جاهلٍ غبيٍّ... ومن جزم بوضعه الذهبيُّ والعراقيُّ وابنُ حجرٍ وغيرهم... لا يحلُّ لهم نسبةُ ذلك إلى المصطفى ولا إلى فاطمة... وحاشا بلاغتهم من هذه الألفاظ الركيكة، والعبارات المنحظة الوضيعة^(٢).

إلا أنه قد يقال: إن فاطمة قد قالت ما هو قريبٌ من الشعر عند وفاة النبي ﷺ، فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «لَمَّا نُقِلَ النبيُّ ﷺ جعل يتعَشَّاه، فقالت فاطمة - عليها السلام: وَإِ كَرَبِ أَبْتَاهِ»، فقال لها: «ليس على أبيك كَرَبٌ بعد اليوم»، فلَمَّا ماتت قالت: يَا أَبْتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاةَ، يَا أَبْتَاهُ، مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَأْوَاهُ. يَا أَبْتَاهُ، إِلَى جَبْرِيلَ نَعَاةَ. فلما دُفِنَ قالت - عليها السلام: يَا أَنْسُ، أَطَابَتْ نَفْسُكُمْ أَنْ

(١) انظر: الاستيعاب ٣/١٨٩٣.

(٢) إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب، للمناوي، محمد عبد الرؤوف بن علي ص ١٠٧ (تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة).

تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التراب ١٤»^(١).

أجل، إنه ليس بشعير، ولكنه يذكرنا بما قيل عن طفولة الشعر العربي، وأنه يُظن ابتداءه بمثل هذه السجعات الرخيمة، وأنَّ للنساء في ذلك قصبَ السبق، وكن يفعلنه في مرآتي رجالهنَّ^(٢). ومنه قول «أمّ تَابُطْ شَرًّا تَرثِيه: وا ابْنَاهُ وا ابْنِ اللَّيْلِ، ليس بِرُمَيْلٍ، شَرُوبٍ لِلْقَيْلِ، يَضْرِبُ بِالذَّيْلِ، كَمُقَرَّبِ الْحَيْلِ؛ وا ابْنَاهُ لَيْسَ بِعُلْفُوفٍ، حُشِّي مِّنْ صُوفٍ، تَلْفُهُ هُوفٌ»^(٣).

هذا، وتُنسب إلى فاطمة بضْعُ مراثٍ نبويَّة، منها المرثية التي تقول:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الحُطْبُ

نسبها طائفة مَن صَنَّفَ في الغريب إلى فاطمة، كابن قتيبة^(٤)، وابن الأثير^(٥)، والصدِّيق^(٦)، ولعلَّ رائدهم إلى ذلك ابن قتيبة في «غريب الحديث».

وكان الحديث قد بُسُطَ في توثيق هذه المرثية، ثم انفضَّ على أنها من شعر صفية بنت عبد

(١) صحيح البخاري ٨٩٢/٢.

(٢) انظر:

THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, V. VI, MARTHIYA, Leiden, E.J. Brill, new edition, 1991

and: ENCYCLOPEDIA OF ARABIC LITERATURE, Edited by Julie Scott Meisami and Paul Starkey, V.2, p.p.663-664, New York, 1998.

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار ٤٢٢/٢، وقال الزبير: العلفوف: الجاني. وهوف: الريح. وفي هامشه: الرَّمَيْل: الضعيف. والقيل: شرب نصف النهار. والمقرب من الحيل التي تقرب من البيوت وتُكْرَم.

(٤) انظر: غريب الحديث، لابن قتيبة ٢٦٧/٢.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٧٧/٦.

(٦) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر الصدِّيق الكجراتي ١٧٣/٥ (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٣هـ). وقد توفي - رحمه الله - سنة ٩٨٦هـ، وهو عالم بالحديث ورجاله. كان يلقب بملك المحدثين. نسبته إلى فتن (من بلاد كجرات بالهند) ومولده ووفاته فيها (انظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي ١٧٢/٦، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢٠٠٢/١٥م).

المطلب حثماً^(١)، ولكنني أحبُّ أن أروي بعض الأخبار المتعلقة بهذه المراثية:

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»: «قال المرتضى: وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني علي بن هارون قال: أخبرني عميد الله بن أحمد بن أبي طاهر، عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كلام فاطمة عند منع أبي بكر إياها فذكر، وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع، وأنه من كلام أبي العيناء؛ لأن الكلام منسوق البلاغة. فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني به أبي عن جدي يبلغ به فاطمة - رضي الله عنها - على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يولد جدُّ أبي العيناء. وقد حدث الحسين بن علوان، عن عطية العوفي، أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام. ثم قال أبو الحسن زيد:.... وزاد في الأبيات بعد البيتين الأولين [قد كان بعدك أنباءً وهنبئة... البيتين]:

صَاقَتْ عَلِيَّ بِلَاذِي بَعْدَمَا رَحُبَتْ وَرَيْمٌ سَبْطَاكَ حَسْفًا فِيهِ لِي نَصَبُ
قَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادِقَنَا قَوْمٌ تَمَنَّوْا فَأَغْظَوْا كُلَّ مَا طَلَبُوا
تَجَهَّمْتَنَا رِجَالٌ وَاسْتَحَفَّ بِنَا مَدَّ غَيْبَتَ عَنَّا، وَكُلَّ الْإِرْثِ قَدْ غَضَبُوا^(٢)

وليس هذا مجال الخوض في حديث فدك^(٣)، وما أعقبت الشيعة فيه من الزيادة والتأويل، وحسبي من ذلك كلمة لابن قتيبة في صميم هذه المراثية، حيث قال: «... لَمَّةُ الرَّجُلِ مِنَ النِّسَاءِ: مِثْلُهُ فِي السَّنِّ، وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ عَلَى فَاطِمَةَ - رَحِمَهَا اللَّهُ: إِنَّهَا خَرَجَتْ

(١) انظر ص ٣٠١ من كتابنا هذا.

(٢) شرح نهج البلاغة، لعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني ٢٥٢/١٦-٢٥٣ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ١٤٠٧هـ).

(٣) انظر في ذلك: تاريخ المدينة النبوية، لعمر بن شبة ١٢٢/١-١٢٦ (علّق عليه وخرج أحاديثه علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٧هـ).

في لَمَّةٍ من نساائها تتوتَّطاً ذيوها حتى دخلت على أبي بكر فكلَّمته بذلك الكلام، وقد كنت كتبتُه وأنا أرى أنَّ له أصلاً، ثم سألت عنه رجال الحديث، فقال لي بعض نقله الأخبار: أنا أسنُّ من هذا الحديث، وأعرِف من عميله!»، ثم روى البيهقي [قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ...] ثم قال: «وهذا البيتان هما سبب وضع ذلك الكلام»^(١).

ثم عاد ابن الأثير في «منال الطالب» بعد أن كان نسب المراثية لفاطمة في «النهاية» فقال: «ثم انكفأت إلى قبر أبيها متمثلة بقول صفية بنت عبد المطلب، وقيل: أمامة»^(٢)، فلم يَغْرُها إليها وإن كان لم يجزم بصاحبيتها.

أمَّا المسعوديُّ فأصاب كبد الحقِّ حين قال: «... وما كان من فاطمة وكلامها متمثلة حين عدلت إلى قبر أبيها - عليه السلام - من قول صفية بنت عبد المطلب: قد كان بعدك أنباءٌ وهنبثة...»^(٣)، فنسبها إلى التمثيل، وأضاف الشعر إلى صفية.

وقال مصيِّف «أعيان الشيعة» منصفًا: «وأما الأبيات البائية التي أنشدتها بعد وفاة أبيها ﷺ فهي ليست لها؛ تمثَّلت بها تمثُّلاً»^(٤).

وقال في «أعيان الشيعة»: «... وقولها ترثيه ﷺ كما في «مناقب ابن شهر آشوب»^(٥)؛ وفي «السيرة النبوية»^(٦) لأحمد بن زيني دحلان أنها لحسان:

كُنْتُ السَّوَادَ لِثَاظِرِي فَعَمِي عَلِيَّ الثَّائِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ قَلِيْمْتُ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ^(٧)

(١) غريب الحديث، لابن قتيبة ٢/٢٦٧.

(٢) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، لأبي السعادات ابن الأثير الجزري ص ٥٠٧ (تحقيق الدكتور محمود الطناحي، القاهرة، ط ٢/١٤١٧هـ).

(٣) مروج الذهب ٢/٣١١.

(٤) أعيان الشيعة، لمحسن الأمين ١/١٦٦-١٦٧، وانظر أيضًا: ظلامات فاطمة الزهراء في السنة والآراء، لعبد الكريم العقيلي ص ٣٠٠-٣٠٣، دون دار نشر ط ١/١٩٩٦م).

(٥) مناقب آل أبي طالب ١/١٣٦.

(٦) أعيان الشيعة ١/٣٢٣.

وهذان من المنحول إتياءها، ما قالتها، كلا، ولا قالها حسّان، وإنما هما لإبراهيم بن العباس الصوليّ في رثاء ولده كما مرّ في مراثي علي^(١).

وفي كتاب «الشريعة» للأجريّ - وهو كتاب في أصول الدين - رواية شاذّة، قال: «بلغني أنه لما دُفن النبيّ ﷺ جاءت فاطمة - رضي الله عنها - فوفقت على قبره، فأذشأت تقول:

أَمْسَى بِحَدِي لِلدُّمُوعِ رُسُومٌ أَسْفًا عَلَيَّكَ، وَفِي الْعَوَادِ كُلُّومٌ
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيَّكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ^(٢)
لَا عَيْبَ فِي حُزْنِي عَلَيَّكَ لَوْ أَنَّهُ كَانَ الْبُكَاءُ لِمُقَلَّتِي يَدُومٌ^(٣)

فالأبيات للعتبيّ في وليه مات، فاض الخبر بذلك في العصر العباسي وانتشر^(٤). وهذا الشعر به من آثار الصنعة ما عساك لن تجده في أشعار الصدر الأول، ولا في أشعار نسائه بخصوصهنّ.

وينقلون أن فاطمة الزهراء - عليها السلام - رثت والدها ﷺ فقالت:

أَغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ

وإن خير ما أدركنا من رواية هذه المرثية روايتان:

(١) انظر توثيق مراثي علي ص ١٥٠ من هذه الدراسة.

(٢) هذا البيت منسوب في الذخائر والأعلاق لأبي الحسن الإشبيلي؛ إلى بعض الأنصار ص ٢٢٣.

(٣) الشريعة، للأجريّ، محمد بن الحسين ٣٧٨/٤ تحقيق محمد بن نبيه سيف النصر، مؤسسة قرطبة، ط ١٤١٧/١هـ.

(٤) العتبيّ هو محمد بن عبيد الله الأمويّ (ت ٢٤٨)، وكان معاصراً للمرد الذي نسب إليه هذه الأبيات (انظرها في: التعازي والمراثي ص ١٨٠ والوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي عبد العزيز الجرجاني ص ٢٩٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا)؛ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ٦٦/٢ (دار المسيرة، بيروت، ط ١٣٩٩/٢هـ).

أجودهما روايةً عند ابن ناصر الدين الدمشقي: «قال الزبير بن بكار: حدثني عمي مُصعب، عن محمد بن الضحَّاك قال: لما تُوفِّي النبي ﷺ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم؛ رجع فيمن رجع فاطمة إلى بيتها، فقعدت فيه، فلما كان بعد أيام قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، انقطع عَنَّا أخبارُ السماء، ثم أنشأت تقول:

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكَوَّرَتْ شَمْسُ الثَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ

سِتَّةَ أَيَّامٍ^(١).

فالزبير مؤرخ جليل، نَسَابَةٌ، وعمُّه مصعبٌ كذلك، أما محمد بن الضحَّاك فهو ابن عثمان الحزامي يروي عنه الزبير من غير واسطة^(٢)، وقد روى عنه هنا بواسطة عمه مصعبٍ زيادةً في التحرُّز والأمانة، وابنُ الضحَّاك هذا مدنيٌّ، متقدِّمٌ، من تلاميذ مالك، من بيت علم ومعرفة بأيام العرب وأشعارها وأخبارها^(٣).

والرواية الأخرى: قال الحَضْرِيُّ: «وحدَّث أبو بكر ابن دُرَيْد عن عبد الأول بن يزيد، قال: حدثني رجلٌ في مجلس يزيد بن هارون بالبصرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ دُفِن، ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم، ورجعت فاطمة إلى بيتها، فاجتمع إليها نساؤها، فقالت: اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ...»^(٤)، وهذه الرواية قائمةٌ على مجهول.

ولكنه لا بأس من قبول رواية محمد بن الضحَّاك؛ فلعلَّ فاطمة - رضي الله عنها - قالتها تمثُّلاً أيضاً؛ لأنه لم يصحَّ لنا حتى الآن من شعر فاطمة بنت رسول الله ﷺ شيء. وكانت فاطمة ربما تمثَّلت بشيءٍ من الشعر لترثي به أباهما كما كانت العرب تفعل، وقد مرَّ أنفاً تمثُّلها بشعر صفيَّة بنت عبد المطلب، ومما يُروى عنها تمثُّلها عند الوفاة بشعر سمَّيَّتِها

(١) انظر: سلوة الكئيب بوفاة الحبيب، لابن ناصر الدين ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢) انظر فهرس الأعلام في: جمهرة نسب قریش، للزبير بن بكار، فقد روى عن ابن الضحَّاك كثيراً.

(٣) انظر: تهذيب الكمال، للميزي ٢٧٥/١٣.

(٤) زهر الآداب ٧٠/١.

فاطمة بنت الأحجم الخزاعية :

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أُمِّي بِأَجْرَدِ صَاحِ
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتُ لِي أُمِّي السِّرَازَ وَكُنْتُ أَنْتَ جَنَاحِي
قَالِيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ، وَأَذْفَعُ ظَلَمِي بِالرَّاحِ
وَإِذَا دَعَتْ قَمْرِيَّةٌ شَجَّنَا لَهَا لَيْلًا عَلَى فَتَنِ دَعَوْتُ صَبَاحِي^(١)

وإخال هذه الأبيات كانت سبباً لبعض ما وُضع على فاطمة رضي الله عنها.

وزعم خَلْقٌ أن فاطمة بنت النبي ﷺ قالت في البكاء عليه لما رُمِسَ هذين البيتين:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدِ أَنْ لَا يَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ عَوَالِيَا
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذُنَ لَيْالِيَا

رواهما ابنُ الجوزي^(٢)، والنويري^(٣)، وابنُ ناصر الدين^(٤)، وغيرهم^(٥). لكن ترددت الرواية عند الكلاعي بين أن يكونا لفاطمة أو لعلي رضي الله عنهما^(٦).

ولم ينسبهما الأمدئي إليها، بل روى أنها تمثلت بهما، ثم شكَّ في ذلك أيضاً، يقول في «الموازنة»: « وتمثلت فاطمة بنتُ رسول الله ﷺ عند وفاته - عليه السلام - فيما روي ولا أعلم صحته... »^(٧).

(١) الاكتفا ٦١/٢-٦٢.

(٢) انظر: الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ص ٨١٩ (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) انظر: نهاية الأرب ٤٠٣/١٨.

(٤) انظر: سلوة الكتيب ص ١٩١.

(٥) كما في: إتحاف السائل، للسنائي ص ١٠٣، والذرة الثمينة، لمحب الدين النجار ص ٢٠٥ (تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة العقافة الدينية، بور سعيد)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفوس نفيس، للديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن ١٧٣/٢ (مؤسسة شعبان، بيروت).

(٦) انظر: الاكتفا ٦٢/٢.

(٧) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، للأمدئي، أبي القاسم الحسن بن بشر ١٠٥/١ (تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ١٩٦٥م).

وقال الذهبيُّ جازماً: «ومما يُنسب إلى فاطمة، ولا يصحُّ...»^(١)، وكان الذهبيُّ من صيارفة الأبخار، فأصاب وصحَّ بصره؛ إذ الشعر منحولٌ لفاطمة، وهو إنما هو لمحمد بن إبراهيم الباخريزي.

ففي «معجم الشعراء» للمرزباني: «أبو منصور الباخريزيُّ، اسمه محمد بن إبراهيم، من أهل خراسان، نزل بغداد، وكان يتشيع، وعمي في آخر عمره، وكان يهاجي مثقالاً الواسطي. والباخريزي هو القائل:

صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صَبَّتْ عَلَى الْإِيَّامِ عُذْنٌ لَيَالِيَا»^(٢)

والكلامُ مجروفه وبيته في «المحمدون من الشعراء» للقفطي^(٣)، فلعله أخذه من المرزباني، أو كلاهما أخذاً من كتاب واحد.

وكون الباخريزي هذا «كان يتشيع» سهَّل لبعض الشيعة أن يجدوا في ألفاظه ما يعينهم على تطويل الشعر وإبعاد آخره عن أوله. وكان الباخريزيُّ شاعراً ذا ديوان، ولكنَّ أمره لم يُشتهر في كتب التراجم والأدب حتى إنَّ ابنَ بلدته أبا الحسن الباخريزي صاحب «دمية القصر» قال كلمةً أحسبها تنفع هنا، قال: «كنت أحدث نفسي زمنَ الحداثة... بسَلِّك أنظُم فيه فضلاء باخريزي، وأدوِّن به أسماءهم... فحكى لي والدي - رحمه الله - عن لسان الحاكم عمر المطوعي أنه قال: قرأتُ في «معجم الشعراء» تأليف المرزباني شعرَ مُحدِّثٍ ملقَّب بالباخريزي؛ فكاد الحرص يردني في طلبه، لعلِّي أعرِّف باسمه ولقبه، وأقف على مقدار أدبه، وما زالت الأيام تُعذني فيه مواعيدَ عُروقٍ أخاه... حتى اتَّفَق أن ورثة الأمير أبي الفضل عُبيد الله بن أحمد البيكالي عرضوا خزانه كتبه على البيع، و«معجم الشعراء» في أثنائها، ورغباتُ الفضلاء صادقةٌ في اقتنائها، والقاضي البحائي من بينهم... [فابتاع الكتاب وحمله

(١) سير أعلام النبلاء ١٣٤/٢.

(٢) معجم الشعراء، للمرزباني ص ٤٠٣.

(٣) انظر: المحمدون من الشعراء، للقفطي، علي بن يوسف ١٠٩/١ (اعتنى بتصحيحه محمد عبد الستار خان إيم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحدر آباد الدكن، الهند ١٣٨٥هـ).

إلي]... ومازلت أقشيره ورقاً فورقاً... حتى انتهيت إليه... وفيه ذكْرُ أبي منصور رشيد بن منصور الباخري... وضرب الدهر ضرباته حتى بنى الشيخُ ناصح الدولة... خزانة كتبه في مسجد عقيل بنيسابور، فحضرتها، وأعدت نظري في فهرستها؛ فإذا فيها كتاب «المعجم» فنشرته، فإذا فيه ذكرُ الباخري إلا أنه خالف في اسمه ونسبه، وزعم في النسخة الأولى أنه أبو منصور رشيد بن منصور، وفي الثانية: أبو منصور محمد بن إبراهيم، وذكر أنه من أهل خراسان، ونسبه إلى الاستيطان ببغداد، والتدين بمذهب الشيعة... قلت: ولست أدري أكلا المذكورين واحداً أم لا؟ وقد عثرتُ بديوان شعر أبي منصور محمد بن إبراهيم الباخري في الحيوانة النظامية - عمرها الله - بنيسابور... والغالب على ديوانه المراثي، إماماً للعلوية، وإماماً لابنه إبراهيم...^(١).

فهذا رجلٌ قليلٌ ذكْرُه في الكتب، لم يعرفه باخريُّ «الدمية» مع أنه كان حريصاً على رجالات بلده باخرز فضلاً عن غيرهم؛ لم يعرفه إلا بعد لأي، ولم يعرف عنه إلا قليلاً؛ فما بالك بغيره.

وهو رجل صاحب ديوانٍ أكثره في مراثي العلوية ومراثي ولده؛ أفلا يصحُّ من هذه حاله أن يُسرق شعره منه ثم لا يلتفتُ لذلك أحدٌ؟ بلى، ويصلح كذلك لأن يضاف إليه ويبنى عليه ما ليس منه، ثم يُفترى جميع ذلك على فاطمة بنت الرسول ﷺ وهي منه براء، ولا وازع للواضع، ولا واعظ له فيما بين الباخريِّ وفاطمة من البون السَّاسع والذَّهر الطويل.

ذلك، وفي كتب المتأخرين من الشيعة رثاءً مصنوعاً مفتعلاً، مُدَّعى لفاطمة - عليها السلام؛ لا أصلٌ له، ولا أدري من أين جيء به، إليك بعضه على عواهنه:

إِنَّ حُزْنِي عَلَيْكَ حُزْنٌ جَدِيدٌ وَقُرَّادِي وَاللَّهِ صَبٌّ عَيْيِدٌ
كُلُّ يَوْمٍ يَزِيدُ فِيهِ شُجُونِي وَاِكْتِيَابِي عَلَيْكَ لَيْسَ يَبِيدُ

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخري، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب ١٢٠٥/٢-١٢٠٩ (تحقيق ودراسة الدكتور محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١٤هـ).

ومنه:

قَلَّ صَنْبِرِي وَيَانَ عَنِّي عَزَّائِي بَعْدَ فُقْدِي لِحَائِمِ الْأُنْبِيَاءِ
عَيْنُ يَا عَيْنُ اسْكُبِي الدَّمْعَ سَحًّا وَبِكَ لَا تَبْخَلِي بِقَيْضِ الدِّمَاءِ !
يَا إِلَهِي عَجِّلْ وَقَاتِي سَرِيعًا فَقَدْ تَنَعَّضْتَ الْحَيَاةَ يَا مَوْلَايَ [كذا]^(١)

لقد قال الأستاذ العقَّاد قولاً جامعاً استحسنتُ أن أختم به ما نحن فيه من المراثي النبويَّة المنسوبة إلى فاطمة - رضي الله عنها - قال: « وأما نسبة الشعر إلى الزَّهراء فالخطب فيه أهونُ من ذلك؛ فهو لا يُسلِّكها في الشاعرات إن ثبت، ولا يضيرها إن لم يثبت. ونحن إلى جانب الشك الكبير فيه أقربُ منا إلى جانب القبول. وليس بعيداً على غير الشاعر أو الشاعرة أن يدير في فمه أبياتاً يحكي بها حزته وبثه؛ فإن النظم هنا أقرب إلى لغة العاطفة وعادة النحيب؛ ولكن السيِّدة فاطمة كان لها من الاعتبار بآيات القرآن في مقام الموت غنى عن نظم الأبيات، أو التمثيل بها في مقام العبرة والرثاء»^(٢).

٧

هَنْدُ بِنْتُ أُثَاثَةَ:

أخت مسطح بن أثاثة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف. شهدتُ أخذًا مع الرِّسول ﷺ، روى لها ابن إسحاق قولها ترثي عُبيدة بن الحارث بن المطلب:

(١) انظر: بيت الأحران في ذكر أحوال سيرة نساء العالمين فاطمة الزهراء، لعباس القمي ص ١٧٨ - ١٧٩ (دار

التعارف، بيروت ١٤١٩هـ)، وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي ١٧٨-١٧٦/٤٣

(مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٣/١٤٠٣هـ).

(٢) فاطمة الزهراء والفاطميون، ضمن مجموع «إسلاميات»، لعباس محمود العقَّاد ص ٣٦ (دار المعارف،

ط ١٩٨٥/٢م).

لَقَدْ ضَمِينَ الصَّفْرَاءَ مَجْدًا وَسُودًا وَجَلْمًا أَصِيلًا وَأَقْرَّ اللَّسَبِ وَالْعَقْلِي

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند^(١).

وإذا كان ابن هشام لم يصحح هذا الشعر؛ فإنه قد نقل في موضع آخر نقيضة لها تردُّ بها على هند بنت عتبة التي قالت يوم أُحُد:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ
وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ دَاثٌ سُعْرٌ

فأجابتها هند بنتُ أُنثاة:

حَزِينَتِ فِي بَدْرٍ، وَبَعْدَ بَدْرٍ
يَا بَيْتَ وَقَاعِ عَظِيمِ الصُّفْرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقدعت فيها^(٢)؛ فهو يصحح أصل هذا الشعر لها؛ فهي على معرفة بالشعر.

ثم إنني بحثت عن تاريخ وفاة هذه الصحابية الجليلة، فلم أجد لوفاتها ذكرًا إلا ما رقمه الزركلي في «الأعلام» حيث يقول: «توفيت نحو ١٠هـ»^(٣)، ولم أدر من أين أتى بذلك، ولكنه رجل ذوباج في فن التراجم، ولو كان هذا التوقيت لوفاتها صوابًا إذن بطلت نسبة المرثيتين النبويتين المنسوبتين إليها ابتداءً^(٤).

إحدى هاتين المرثيتين انفرد بروايتها ابنُ سعد فقال: وقالت هند بنت أُنثاة:

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٤٢/٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٩١/٣-٩٣.

(٣) الأعلام، للزركلي ٩٦/٨.

(٤) نسب ابن سعد لها ثلاث مراثٍ، قطع الدريس بصحة إحداهن إلى صفية - رضي الله عنها - وهي قولها: «قد كان بعدك أنباء وهنثثة...» انظر ص ٣٠١ من هذه الدراسة.

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لَا تَمَلِي . فَقَدْ بَكَرَ النَّعِيُّ بِمَنْ هَوَيْتُ^(١)

والراجح عندي أنها من شعر صفية لاشتمالها على نبط صفية - رضي الله عنها - حين تستعمل حرف الفاء في أبياتها غير مرّة :

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لَا تَمَلِي (ف) فَقَدْ بَكَرَ النَّعِيُّ بِمَنْ هَوَيْتُ

(ف) فَقَدْ بَكَرَ النَّعِيُّ بِذَاكَ عَمْدًا (ف) فَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَةً مَن نُعِيْتُ

إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّةِ ذَلِكَ نَشْكُو (ف) إِنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا أُتَيْتُ

وقولها هذا يشبه قولها في المرثية الأخرى هنالك :

فَأِلَى اللَّهِ ذَلِكَ أَشْكُو وَحَسْبِي يَعْلَمُ اللَّهُ حَوْبِي وَنَجِي

وحين تؤكد في شعرها :

وَقَدْ بَكَرَ النَّعِيُّ بِحَيْرِ شَخِصٍ رَسُولِ اللَّهِ (حَقًّا) مَا حَيْثُ

وحين تؤمن بالقدر :

وَلَوْ عِشْنَا وَنَحْنُ نَرَاكَ فِينَا وَأَمْرُ اللَّهِ يُثْرِكُ مَا بَكَيْتُ

وكل ذلك من مذهب صفية في الرثاء.

زد على ذلك أن في القصيدة مالا يليق بهند بنت أوفاة، ولكنه يليق بصفية بنت عبد

المطلب كقولها :

أَلَا يَا عَيْنُ بَكِّي لَا تَمَلِي . فَقَدْ بَكَرَ النَّعِيُّ بِمَنْ هَوَيْتُ

فإنَّ الهوى : الحبُّ وإرادة النفس^(٢)، وهو صالحٌ في حقِّ عمته لا في حقِّ هند.

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٤٨٧.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة ٧/٢٠٦.

وقريبٌ منه قولها:

وَقَدْ عَظَمْتَ مُصِيبَتَهُ وَجَلَّتْ وَكُلَّ الْجُهْدِ بَعْدَكَ قَدْ لَقِيتُ

فإنه لا تقوله إلا مقربة.

وليس بعيدًا عن هذه المرثية المرثية الأخرى المنسوبة إلى هند بنت أناة:

أَشَابَ ذُؤَابَتِي وَأَذَلَّ رُكْبِي بُكَاءُوكِ، فَاطِمَ، المَيْتِ القَقِيدَا

وقد رواها ابنُ سعد، لعنه رواها عن الواقدي^(١). وزاد فيها أبو الحسن الإشبيلي، كأنما رواها عن كتابٍ غير كتاب ابن سعد، ولكني لا أعرف كنهه.

والقصيدة تمضي كأختها على سنن مرابي صفيّة^(٢)، لكأنها منها، فاءات

صفيّة نفسها:

وَأَخْدَمْتَ الْوَلَايِدَ وَالْعَيْدَا	(ف) أَعْظَيْتِ الْعِظَاءَ (ف) لَمْ تُكَدِّرْ
رَزَيْتُكَ التَّهَائِمَ وَالشُّجُودَا	أَقَاطِمُ (ف) صَابِرِي (ف) لَقَدْ أَصَابَتْ
(ف) لَمْ تُخْطِيْ مُصِيبَتُهُ وَحَيْدَا	وَأَهْلَ الْبَرِّ وَالْأَبْحَارِ ظُرًّا
فَقَدَّتِ الطَّيِّبَ الرَّجُلَ التَّجِيدَا	(ف) مُؤَيِّبِي إِنْ قَدَرْتِ بِأَنْ تَمُؤَيِّبِي
(ف) لَسْتُ أَرَى لَهُ أَبَدًا نَيْدَا	رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَ النَّاسِ حَقًّا

وعين توكيدات صفيّة:

فَلَمْ تُخْطِيْ مُصِيبَتُهُ وَحَيْدَا	وَأَهْلَ الْبَرِّ وَالْأَبْحَارِ (ظُرًّا)
فَلَسْتُ أَرَى لَهُ (أَبَدًا) نَيْدَا	رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَ النَّاسِ (حَقًّا)

(١) انظر: الطبقات الكبير ٢/٤٨٧.

(٢) انظر: خصائص مرابي صفيّة ص ٣١٠ من هذه الدراسة.

فإذا جُمع ذلك إلى ما ذكره الزَّركَلِيُّ من أمر وفاتها، وما سبق أن وضعنا أيدينا عليه من غلط ابن سعيد، أو غلط من روى عنه ابنُ سعد في عَزْوِ بعض القصائد إلى أصحابها من النساءِ خَاصَّةً^(١)؛ فإن المرثية تُوشك أن تكون لصفية رضي الله عنها.

٨

هِنْدُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

بِنْتُ عِمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّهَا اسْتَهَلَّتْ مَرِثَتَهَا فِي النَّبِيِّ ﷺ بِقَوْلِهَا:

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ وَأَبْتِدِيرِي كَمَا تَنْزَلُ مَاءَ الْعَيْثِ فَأَنْتَعَبَا

خمسة أبيات^(٢)، ليس فيها ولا في غيرها ما يُعين على أمر التوثيق الذي نحن فيه، فنحن لا نعلم عن حياة هند بنت الحارث شيئاً إلا أن تكون هي هند بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم؛ قال ابن عبد البر: «وُلِدَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ حَبَّانِ بْنِ وَاسِعٍ»^(٣).

وهذه أيضًا لا نعلم عن حياتها شيئاً ذا بال، ولا نعلم أشاعرة هي أولاً، ولا نعلم متى ماتت، وليس في المرثية نفسها صَوَى تهدينا إلى شيء، والرأي في مثل هذه الحال أن نقول: إنها مرثية من تلك المراتي التي ينبغي أن لا يُجزم فيها برأي.



(١) مثال ذلك نسبته إحدى قصائد صفية إلى أروى خطأ ص ٣٠٣ من هذا الكتاب.

(٢) انظر: الطبقات الكبير ٢/٤٨٦ - ٤٨٧.

(٣) الاستيعاب ٤/١٩٤، وفي جمهرة أنساب العرب: زوج حَبَّانِ بْنِ مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ٢٥٣ (تحقيق عبد السلام

الباب الثالث
الخصائص الفنية
في المراثي النبوية

(١) البناء

لعلَّ النقاد العرب حفلوا بالبيت الأول من بناء القصيدة ما لم يحفلوا بغيره من أجزاء بنائها^(١)؛ فهو أول ما يطرق الأسماع منها، وهو زَمَامُها الذي يسوقها إلى وجهتها، وهو الباب الذي يدلُّ على أرجائها.

ولم يكن الأولون يثبتون العناوين في رؤوس أشعارهم، وعسى المطلع في قصائدهم أن يقوم بمقام العنوان في القصيدة الحديثة^(٢)، ولا سيما إذا خلت من المقدمات كما هي الحال في المراثي النبوية.

وقد جعلوا من علامات حسن الابتداء أن لا يخالف المطلع مقياسًا من مقاييس اللغة، وألا يكون باردًا، وأن يكون دالًّا على ما بُنيت القصيدة عليه، فإذا كان نادرًا أسرًا مع ذلك بلغ براعة الاستهلال^(٣).

وحسبنا أن نقول: إنه لم يُؤثر في مطالع المراثي النبوية ما يُعاب، وإن عددًا منها كان حسن الابتداء، وربما جاوز بعضها فاستهلَّ استهلالًا ساحرًا أخاذًا.

(١) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن جنيَّة أبي بكر علي الحموي ١٩/١ (شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٩٨٧م).

(٢) انظر: النض الشعري وآليات القراءة، للدكتور فوزي سعد عيسى ص ١٦ (منشأة المعارف بالإسكندرية).

(٣) انظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، للدكتور يوسف حسين بختار ص ٢٠٤ (دار الأندلس، بيروت، ط٢/١٩٨٢م).

وكان شعراء المراثي يذهبون في أوائل قصائدهم مذاهب شتى، وللشعراء - كما يقول ابن رشيقي - « مذاهب في افتتاح القصائد »^(١)؛ فمن الصحابة من بَعَثَهُ الحزن، وطفئ على قلبه، فلم يجد مفتتحاً خيراً من ذكر نبأ البلاء الذي ألمَّ به، كقول عبد الله ابن سلمة:

إِنَّ فَقْدَ النَّبِيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ، فَذَتْهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
وقول عمرو بن العاص:

صَدَعَ الْقُلُوبَ مَقَالَةُ الْخُدَّانِي وَنَعَى النَّبِيِّ تَحِيصَةُ بَنِي أَبَانٍ
وقريبٌ من افتتاح عمرو هذا افتتاحُ ابنِ ذي أصبَحٍ لمراثيته.

ومنهم من أحاطت المصيبة به فلم يهناً بنوم، ولا أغمض جفناً، وبات أيسفاً، من هؤلاء عبد الله بن أنيس، وأبوسفيان بن الحارث القائل:

أَرَقْتُ قَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أُنْجِي الْمُصِيبَةَ فِيهِ طُولُ
ولكنَّ التي فضّلت هذا الاستهلال، فاستهلّت به غير مرثية من مراثيها؛ عمّة النبي صفيّة بنت عبد المطلب، من ذلك قولها:

أَبَ لَيْلِي عَلَيَّ بِالنَّسْهَادِ وَجَفَا الْجَنْبِ غَيْرَ وَظِي الْوَسَادِ

وكُلُّ هذه المطالع مدخلٌ يراد به التنبية إلى غرض القصيدة، والإسراع بالقارئ إليها من غير إبطاء بمقدّمة طولية، أو مراوغة بقزل أو نحوه، وهي كلها جملٌ خبريةٌ نلمس منها بُعْدَ هؤلاء الشعراء عن إلهاب العواطف بالأساليب الإنشائية؛ فهي ملتبهةٌ أصلاً، وقلةٌ حرصهم على توكيد أخبار حزنهم؛ لأنه ما من شاكّة؛ فالمصيبة قد عمّت وطمّت.

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيقي، أبي علي الحسن القيرواني الأزدي ٢٢٥/١ (حقّقه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحسيد، دار الجيل، بيروت).

وقد يمزجون ذلك بمذاهب عربية معتادة في الافتتاح، كالاتحاح بالنداء، نداء ابنة الفقيده؛ كقول سالم الغطفاني:

أَقَاطِمُ، بَعِيَّيْ وَلَا تَسْأَلِي لِصُبْحِكَ مَا ظَلَعَ الْكَوْكَبُ

أونداء العين لتذراف الذم، والإسعاد على الحزن، وهو مذهب نسوة بالسليقة، ولصفيّة فيه ترجيع وإعادة كقولها:

عَيْنُ جُودِي يَدْمَعَةٌ وَسُهُودِي وَأَنْدِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِي

أوفتتحون بالقسم توكيداً على حُرقة أفندتهم لفراق الحبيب، كقول حسان بن ثابت:

أَلَيْتُ جِلْفَةً بَرَّ غَيْرِ ذِي دَخَلِي مِثِّي أَلَيْتَ بَرَّ غَيْرِ إِفْتَادِ

وهذه كلها ضروب من الإنشاء تستحث على الألم والبكاء.

وقد يفتتحون بحرف التنبيه «ألا» كقول قيس في الرجز:

أَلَا لِي الْوَيْلُ عَلَى مُحَمَّدٍ

وهو افتتاح متوارث يُبتغى به حشد النفوس، والغنيمّة بعقولها؛ لتلقي ما سيأتي في الشعر

من النياحة والرتاء.

وقريب منه مذهب في المراثي يري إلى التشويق وتهيئة السامع بتأخير ذكر الوفاة عن

مستهل القصيدة، كقول مسروق بن ذي الحارث الهمداني:

قُلْتُ وَالذَّمْعُ كَالْجَمَانِ عَلَى النَّحْرِ سِرٌّ وَقَدْ لَاحَ فِي السَّمَا الْعَيْسُ

كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ تَعَاظَمَنِي الصَّبُّ سُرٌّ عَلَيْهِ سِوَى النَّبِيِّ دَقِيقُ

وقول ذي الكلاع:

قَدْ أَتَى جَمِيرٌ أَمْرٌ شَامِلٌ قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزِرٌ بِالْأَمَلِ
مَوْتُ مَنْ كَانَ بِقَاءَ رَحْمَةٍ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا هَذَا جَلَلٌ

وفي هذا النوع من الافتتاح حَمَلٌ للمخاطب على التمهُّل وإصغاء السمع، لأن نفسه تهفو إلى معرفة ما سيُذكر في عقب اليباجة المُخَبِّرة؛ فالصورة التي في مستهل مرثية مسروق صورةٌ مرَّغبة شائقة لا تُنال إلا بشيءٍ من التروِّي، حتى تتجمَّع في ذهن المتلقي تفاصيلها، حينها سيدركها، ويدرك قدرَ معاناة الشاعر مما يجده من فقد الرسول ﷺ، وسوف يتوق لاستماع بقية المرثية التي وقعت من نفسه موقعاً حسناً.

والخيرُ الهائل الذي أخبر به ذو الكلاع في أول أبياته، فأخَّر المنعوت، وهو موت النبي ﷺ، وبادر بالثُعوت، فقَدَّمها، وأفاض في تهويلها استلاباً لوجدان الملقى إليه الشعرُ، واستثارةً لكيانه؛ فلا يقرُّ قرأه حتى يعلم منتهى أمر الشاعر من قوله الجليل هذا.

سوى أن ما بدأ به عمرو بن الفُحَيْل الرُّبَيْدِيُّ رثاءه للنبي ﷺ وهو قوله:

أَسْعِدِينِي بِدَمْعِكَ الرَّقْرَاقِ لِفِرَاقِ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفِرَاقِ

لكن أجود مطالع المراثي وأبرعها؛ لسهولته ونُسرته وموسيقاه، وسرُّ جماله في التكرار فيه، فقد تَكَرَّرَتِ الراء والقاف بينهما حركات مَدِّ طويلة يرتاح عندها صوتُ المُنْشِدِ، وتأنس إليها ترانيمُه الخافتة، وقع ذلك في هذه الكلمات: «الرَّقْرَاقِ» و«فِرَاقِ» و«الفِرَاقِ»، وكانت حركات المَدِّ الطويلة هذه قد وقعت مرتين قبلاً في كلمة «أسعديني» فزادت من طراوة البيت؛ وكان للتصريح والقافية المكسورة المُطْلَقَةَ جُزْسٌ رقيق لِيُنَّ أسدل على البيت من الحنين والأسى ما أسدله.

لقد رأينا في هذا المطلع الدموع متحدِّرةً صافيةً صفاءً سريرةً صاحبها، حارةً حرارةً صدره الكليم، مُرَّةً كمرارة العلقم، وشعرنا بها كأنها تنساب من فؤاده كما تنساب من عينيه، نعم، لقد وثق لنا بيتُ الشاعر الرقيق بكل هذا، وقد قيل: «نظَّم اللسان في حقيقته نظمًا لما تجيش به الضمائر، وتغلي به القرائح. والنمط السويُّ من هذا النظم ما كان

نقيًا نقاء هذه الخواطر الدافقة في القلوب، متلاحقًا تلاحق الأفكار الملتهبة في الرؤوس، متجانسًا تجانس الأنباض المهتاجة في الصدور، سخيا سخيا خصبا سخاء وخصوبة هذه النفوس؛ لأن كلام كل منا صحيفة ليه^(١).

كما حفل النقاد بالمقاطع أيضا؛ « فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حُفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال »^(٢). وحرصوا على أن يكون البيث الأخير مختارًا رائعًا، وسبيل ذلك « أن يكون مُحكَّمًا لا تُمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحًا له وجب أن يكون آخره قُفلاً عليه »^(٣).

وأما قول ابن أبي الأصبغ: « وأما حُسن الخاتمة فقليل في أشعار المتقدمين »^(٤)؛ فلا أدري ما صحته. ولكن الصحابة - رضوان الله عليهم - افتنوا في مقاطع مرثيهم، فمنهم من ختم بالحكمة، كمسروق بن ذي الحارث، وكعمرو بن العاص في قوله:

وَاعْلَمُ بِأَنَّ لِكُلِّ سَاجٍ سَعِيَةً هَذَا - لَعَمْرُأَيْبِكَ - أَمْرٌ جَامِعٌ

وهو ختام موافق لرسالة قصيدته التي فحواها: إن لم تُؤدوا ما أوجب الرسول عليكم فقد جنتهم على أنفسكم؛ لأننا لن نُضيع حقَّ الرسول ﷺ حتى بعد مماته، وهذه صفوة قولنا ومُنتهاها.

ومن ختامهم الحسن قول ابن النعمان العتكي يشدُّ من أزر عمرو بن العاص عامل الرسول ﷺ عليهم، ويؤمُّه:

(١) دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، للدكتور محمد أبو موسى ص ٢٧٢ (مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ١٤٢٩هـ).

(٢) خزانة الأدب، لابن حجة ٤/٤٩٣.

(٣) العدة، لابن رشيق ١/٢٣٩.

(٤) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبغ، عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر المصري ص ٦١٨ (تقديم وتحقيق الدكتور حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي).

إِنْ يَسْتَقِيمُوا كُنْتُ أَوَّلَ رَاكِبٍ أَوْ يَرْجِعُوا فَلَيْكَ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ:
حَقُّ الْأَمِيرِ، وَذِمَّةُ يَمِينِيَّةُ وَمَهَابَةٌ، وَاتَّابَةٌ لَا تُرْفَعُ

وحُسْنُهُ راجعٌ إلى ما فيه من التعرُّز وحسن التقسيم. ومثل هذا الختام يعلق في الخواطر؛
لحميد معناه، وحلاوة جرسه، فقد تُنشدُه الألسنة في بعض الساعات وهي لا تدري.

ومن الختام الجيد قول عمرو بن سالم:

قَوْلَ اللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ ذَاكِرًا لِشَيْءٍ، وَمَا قَلْبْتُ كَفًّا وَأُضْبَعًا

فإن فيه من معنى الوفاء الملائم لمقام الرثاء وفقد الحبيب، والتعبير عن ذلك صراحةً
بالقسم الذي يذكر بقسم الأحبّة على بقاء العهد؛ وبالكناية عن طول الحزن وملازمته
للشاعر في أحواله كلها.

ومن بارع مقاطعهم الصّورةُ الحيّةُ التي ختم بها ابنُ ذي المشعار مراثيه، فقال:

فَمَنْ يَقْذِفِ الدُّرَّ مِنْ حُقْنَا عَلَى بَاطِلٍ أَوْ لِحَاجِ دَمْعٍ

صوّر بها شدّتهم وانصياعهم للحق وحده، وأنهم في ذلك ماضون لا يُقلُّ لهم حدّ. وهي
صورةٌ أعمل فيها الشاعر فكره فغدت غريبةً لا تغادرها الأسماع إلا بعد مُكث. وهي
رسالةٌ تختزل معنى القصيدة، وقد يجوز إنشادها مفردةً للدلالة عليها؛ فكان وقوعها في نهاية
القصيدة مُفليحًا جودةً وصوابًا.

ومن بارعها الصورةُ التي سبقت في آخر رثاء مُرّان مساق المثل:

لَا يَرُدُّ الْجَرِيحُ نَائِيَةَ الْجُرْجِجِ، وَلَا الْحَيُّ يَزْدَهِيهِ الْقَتِيلُ

أوردها إشارةً إلى أن قضاء الله لا مردّ له، ولم يرد أن يقول ذلك مباشرة، ولكنه عبّر
عنه بهذه الصورة المستقرة في الضمائر ليحمل الناس على التسليم لقضاء الله تعالى بوفاء
الرّسول. أو أنه أوردها بعدما تغنى ببأس قومه تخويلاً لهؤلاء المرتدين من عاقبة ما سينزل

بهم من التكاية إذا هم تهيؤوا لقتالهم وجمعوا له، إنهم حينئذ هالكون مهلكاً لا تقوم لهم قائمة بعده؛ إنهم قتل فكيف يستخفون بهم وهم الأحياء الأشداء.

ولعل الصورة أمكن من غيرها في نهاية الشعر؛ ذلك أن فيها حكاية ما ترحل بنا من عالمنا المحدود الضيق إلى عالم الخيال الواسع الرّحب؛ فنزداد متعة، ونطلع على جديد من السبل التي لم نعهدها من قبل في الوصول إلى معنى من المعاني.

ومن غريب ما حُتمت به المراثي بيتُ أبي الهيثم بن التّيهان:

وَأَمْسَى مُسَيِّلُمٌ فِي الْيَمَامَةِ غَالِبًا عَلَى النَّاسِ طُرًّا بِالْقَنَا وَالْمُهَنْدِ

فهو نهاية مفتوحة، مُشْرَعَةٌ عَلَى مَخْتَلِفِ الدَّلالات؛ ففيه الحسرة لما نزل بالمؤمنين من خذلان بعد وفاة النبي ﷺ، وفيه الدهشة من نصر مسيلمة، وفي البيت التحريض على الجهاد بإيراد ما يغيب، وفيه الإخبار بصغار الناس بعد الرسول، وفي الرمز بـ(اليمامة) الخوف على (المدينة)، فالمدينة بيضة الإسلام وحرمة الحرام، وإضمار «المدينة» ههنا من قبيل المسكوت عنه في الشعر، وهو مقصود الشاعر، فالشاعر قد يصرح بالشيء ليستدعي نقيضه^(١)، أو هو قد «يقول شيئاً وهو يعني شيئاً آخر»^(٢) وهذا الختام قد يصدق فيه قول ابن رشيق: «ومن العرب من يختم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة، وفيها رغبة مشتهية... رغبة في أخذ العفو، وإسقاط الكلفة؛ ألا ترى إلى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عند شدة المطر:»^(٣)

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ عَرَقٌ عُذِيَّةٌ بِأَرْجَائِهَا الْقُصُوصَى أَنَابِيْشُ عُضَلِ^(٤)

(١) انظر المقدمة التي كتبها الدكتور أحمد درويش لترجمته لكتاب: اللغة العليا (النظرية الشعرية)، لجون كوين ص ٥ (المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٥ م).

(٢) نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، لديفيد بوشندر ص ١٧ (وترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠٠٥ م)

(٣) العدة، لابن رشيق ٢٤٠/١ - ٢٤١.

وكان ابن رشيقي يريد ليقول أيضًا: إن النفس مشدودةٌ لهذه النهاية لتعلقها بشائق الصورة، وللذي تفتحه من واسع أبواب المعاني وراءها.

غير أنَّ الختامَ الذي أَلَحَّ عليه الصحابةُ ورجَّعوه في مراثيمهم للنبي ﷺ الختامُ بالدعاء له، والصلاة عليه، كأبي سفيان حين قطع رثاءه له بقوله:

صَلَاةُ اللَّهِ مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ عَلَيهِ، لَا تَحُولُ، وَلَا تَزُولُ

وبه قطعت صفة مراثي لها كثيرًا، منها هذا البيت:

رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيهِ وَجَزَاءُ الْمَلِيكُ حُسْنَ الْقَوَابِ

قال ابن رشيقي: «وقد كره الخذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء؛ لأنه من عمل أهل الضعف؛ إلا للملوك»^(١)، والرَّسُولُ ﷺ في نفوس هؤلاء الشعراء أعزُّ وأرفعُ من كل الملوك، ولن يؤديه حقَّه - في نظرهم - إلا الله الغنيُّ البرُّ الكريم، وليس لهم من عزاء في وفاة رسوله إلا فضل الله وجوده ورحمته، وما من رجاء لهم في هذا الموقف سواه؛ فكان قطع الرثاء بالدعاء غايةً ابتغى الصحابة بقاءها في أسماع الناس وعلى ألسنتهم.

وأحسب أن المراثية النبوية خلصت فيما بين ذلك لموضوع واحد هو رثاء النبي ﷺ، ولم تخرج عن هذا الغرض. أمَّا ما ظاهره خلاف ذلك كقول عمرو بن العاص:

لَيْسَ الْخَلِيفَةُ تَارِكًا لِزَكَاتِكُمْ مَا دَامَ سَلْعٌ فِي الْبَسِيطِ وَقَارِعٌ

ينقل فيه عزم الخليفة على اقتفاء سنة النبي ﷺ لا يلويه عن عزمه شيء؛ وقول مسروق مؤكداً ولاءه للخليفة، موجهاً الحديث له:

إِنَّ ذَا الْأَمْرِ فِيكُمْ فَخُذُوهُ

ثُمَّ قُودُوا إِلَى التَّجَاةِ وَسُوقُوا

وقول مُرَّانَ واعدًا إياه بالنصرة والوفاء:

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ: عَضُدُكَ فِي الْحَزِّ بِ عَلَى النَّاسِ حَاشِدٌ وَتَبَعِيلُ

وقول عدي بن حاتم متهدداً جحافل المرتدين من قزارة ودبيان:

وَإِنَّا وَإِنْ جَاشَتْ قَزَارَةٌ كُلُّهَا وَذُبْيَانٌ فِي مَوْجِ مِنَ الْبَحْرِ مُزِيدٍ
وَأَجْرِي لَهُمْ فِيهَا ذُيُولٌ غُرُورِيهِ ظَلَيْحَةٌ مَاوَى كُلِّ غَاوٍ وَمَلْجِدٍ
نُعَادِرُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تُقِيمَهُمْ بِضَمِّ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحِ الْمُهْتَدِ
وَحَتَّى يُقِيرُوا بِالنَّبُوءِ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ حَقٌّ، وَالكِتَابِ لِأَحْمَدِ

وقول ابن النعمان العتكي مؤمناً عمرو بن العاص وقد تورعت الردة الناس من حوله:

فَأَقِمْ فَإِنَّكَ لَا تَخَافُ، وَجَارِنَا يَا عَمْرُو، ذَلِكَ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ

وما جاء من إشفاقهم على حتى الدين من جريرة الردة، كقول عبد الله بن سلمة الهمداني:

فَاخْذَرُوا الْيَوْمَ رِدَّةً تَصْدَعُ الشَّعْرَ سَبَّ مِنَ الْعِلْمِ عِظْمَهَا الْإِنْكَارُ

وقول عبد الحارث بن أنس:

أَحَاذِرُ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ جَوْلَةَ مُجَدَّعَةً يَبْيِضُ مِنْ هَوْلِهَا الشَّعْرَ

وما كان من غضبتهم لشماتة الشامتين بموت الرسول ﷺ، كقول أبي الهيثم مالك بن

التيهان:

فَإِنْ تَكُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ شِمَاتَةٌ فَلَا يَأْمَنُوا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي عِدِ

وقول شداد بن مالك في بلاغته إلى أبي بكر:

أَبْلِعَ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ: إِنَّ الْبَغَايَا رُزْمَنَ كُلِّ مَرَامٍ
أَظْهَرَنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتَةٌ وَخَصَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعُلَامِ
فَاقْطَعْ - فُديت - أَكْفَهُنَّ بِصَارِمِ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي مُثُونِ عَتَمَامِ

وقول امرئ القيس بن عابس في بلاغِهِ الآخر:

يَا زَاكِيَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغُنْ عَنِّي أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةَ أَتْمَدٍ:
لَا تَتْرُكَنَّ عَوَاهِرًا سُودَ النَّدَى يَزْعُمَنَّ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يُفْقَدِ
اشْفِ الْغَلِيلَ بِقَطْعِيهِنَّ فَإِنَّهَا كَالْجُنْبِ بَيْنَ جَوَانِحِي لَمْ تَبْرُدِ

أقول: هذه الأبيات هي من قبيل رثاء النبي ﷺ أيضًا؛ لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يرون شرف الرسول فيهم من شرف الدين، وأن نيل الدين بأذى بعد وفاة النبي ﷺ إيذاء للنبي نفسه، ورأوا في الطاعة لخليفته، والإقرار له ونصره، ونصر رسل رسول الله ﷺ وعمّاله، وحرب المرتدة والإتحان فيهم، وإبعاد الشامتين والإغلاظ لهم، وتهدّدهم باستئصال شأفتهم^(١)، رأوا في ذلك كلفة وفاء للنبي ﷺ، وقيامًا بحقه، وامتنالاً لما يحب؛ ورأوا في مزجه بالقصائد رثاءً حقًا صريحًا قد لا يعدله التباكي والنياحة فيها؛ فصاروا لا يفثرون عن ذكر ذلك والتعويل عليه.

وهذه الأبيات إنما قالها نَقَرٌ ممن تأخّر إسلامهم فلم يفوزوا من رسول الله ﷺ بما فاز به أصحابهم، وهؤلاء كعدي بن حاتم؛ فكان الجهاد لإعلاء كلمة الله، والولاء لخليفة رسول الله عزاءهم وقد علموا محبة الرسول لذلك، فما فثنوا ينشطون إليه، أسفين أن لم يلحقوا كما لحق إخوانهم؛ وانظر إلى قول عبد الله بن سلمة وهو يثني ويأسى لما قد فاته وفات قومه من الشرف والخير والمكانة:

إِنَّ فَقْدَ النَّبِيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ فَمَ، فَدَنَّهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
وَقَدْتُهُ النَّفْسُ، لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ تِ فِرَارُ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ
مَا أُصِيبَتْ بِهِ الْعِدَاةُ قُرَيْشُ لَأَ، وَلَا أُفْرِدَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ؛
دُونَ مَنْ وَجَّهَ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّهِ هِ وَقَدْ هَيَّئْتُ بِهِ الْكُفَّارُ

(١) انظر قولاً في علاقة الرثاء بالقتال والثأر في كتاب: الرثاء، للدكتور شوقي ضيف ص ٨.

ذلك، أمّا القصيدة نفسها فلم يُحَدِّد القدماء اسمها بعدد ثابت من الأبيات، ولا فكروا في ذلك، وكان الشعراء العرب يميلون إلى القصائد القصار في الأغلب لأسباب هي من طبيعة الشعر الغنائي^(١) الذي يقصد إلى مَسَّ الشَّغاف، والضرب على وتر الأحاسيس؛ « قيل لابن الزَّبَعري: إنك تقصّر أشعارك. فقال: لأن القصار أُولجَّ في المسامع، وأجول في المحافل »^(٢).

ثم إنَّ نَقْدَةَ العرب أرادوا تمييز الشعر من حيث طولُه، فاصطلحوا على أن الشعر إذا زاد على سبعة أبياتٍ أو كانها فهو قصيدة، وما دون ذلك مقطّعة^(٣). وقيل: عشرة^(٤). وهذا اصطلاحٌ لا مُشاحَّة فيه، ولا هو بلازم؛ فقد يزيد الشعر على سبعة وعلى عشرة ولا تستكمل القصيدة أركانها، وقد ينقص عن ذلك وهو قصيدة تامَّة الأركان والصفات في احتوائه للتجربة، وإعراجه عن طوايا النفس إعرابًا غير منقوص^(٥).

ولكنَّ الأمر مستقرٌّ على أن القصائد الحِياد هي القصائد المصوِّرة للمشاعر من غير تعثُّرٍ أو اقتصارٍ محلٍّ، وهذه القصائد يغلب أن تكون طويلةً شيئًا ما. وبهذا المعنى يفهم ما ذهب إليه بعض النقاد من اشتراط أن لا تكون القصيدة بالغة القصر لا يُستطاع بها نقل التجربة، ويفهم اشتراطهم أيضًا أن لا تكون بالغة الطول فتتنفصم وُحْدَتُهَا^(٦).

وبذلك يصدق نعتُ (القصيدة) على جُلِّ المراثي النبوية في أشعار الصحابة.

(١) انظر: بناء القصيدة، للدكتور يوسف بكار ص ٢٤٣.

(٢) العمدة ١/١٨٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/١٨٨.

(٤) انظر: المصدر السابق ١/١٨٩.

(٥) من أمثلة ذلك بعض سونيتات شكسبير التي لا تزيد على أربعة عشر سطرًا شعريًا، وهي مستكملة التجربة الشعرية مع أن السطر قريبٌ حجته من الشطر في الوزن الخليلي، أي أنها في نحو سبعة أبياتٍ عريية (انظر نصًا مترجمًا لإحداها ونقدًا له في كتاب: الصورة والبناء الشعري، للدكتور محمد حسن عبد الله ص ١٩٩، دار المعارف ١٩٨١م).

(٦) انظر: النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٣٨١ (دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٦م).

وبناءً عليه فإن عدد قصائد المراثي النبوية يبلغ أكثر من ضعف عدد مقطعاتها. وبيان ذلك أنه إذا كانت المراثي النبوية من غير مُكرَّر النسبة ستًا وسبعين مرثيةً ما بين صحيحة وضعيفة؛ فإن ما صحَّ من قصائدها هو ضعف ما صح من مقطعاتها، ومن الطريف أن الزائف من القصائد يفوق عدد الزائف من المقطعات أيضًا. واليك إحصاء يصرِّح بذلك:

المقطعات	القصائد	
١٦	٣٠	الصحيح:
١٣	١٧	الضعيف:

فالقصائد التي زادت على عشرة أبياتٍ أو بلغتها وهي صحيحةٌ عددٌ غير هين، وهي أكثر عددًا وأبياتًا من مثيلاتها الزائفة. وهذا جدولٌ يصف أطوال المراثي وأعدادها:

المراثي الزائفة	المراثي الصحيحة	
٨	١٤	ما كان عشرةً فأكثر:
١٧	٣٠	ما دون عشرة إلى سبعة:
٩	١٦	ما دون السبعة:
١٣	١٦	

فالمراثي النبوية إذن قصائدٌ أكثر منها مقطعات، وقصائدها مع ذلك قصارٌ لم يزد معظمها على تسعة أبياتٍ، أما ما زاد عليها فإنه لم يكد يجاوز نيفًا وعشرين بيتًا، هي هذه:

القصائد الصحيحة عشرة أبيات فأكثر

عدد أبياتها	أصحابها
٢٤	سالم الغطفاني
١٩	أبو سفيان بن الحارث
١٨	مسروق بن ذي الحارث
١٧	مُرّان بن عُمير
١٦	عبد الله بن أنيس
١٤	سواد بن قارب
١٤	عبد الحارث بن أنس
١٣	أبو الهيثم بن التيهان
١٢	عبد الله بن سلمة
١١	يزيد بن ذي المشعار
١١	عمرو بن سالم
١٠	عدي بن حاتم
١٠	صفية بنت عبد المطلب
١٠	صفية بنت عبد المطلب

وما دام الأمر كذلك فإنه يُظنّ بالقصائد عمومًا - وإن كانت قصيرة - ما لا يُظنّ بالمقطّعات من إبراز لمظاهر الحزن، وإطالة للقول في حقّ الفقيه المرنّ.

فالقصاصد القصار تجمع بين فضيلة المقطعات من حيث وحدة الغرض، وفضيلة القصائد من حيث الرّحابة والائساع للمعاني الكائنة في كيان الشعراء.

ومن الإصابة القول: إن الصحابة لم يطوّلوا المراثي - إضافة إلى ما في طبيعة شعرهم العربي من الإيجاز والإشارة - لم يفعلوا ذلك بسبب من الذّهل الذي أصاب عقولهم يوم الوفاة، فلم يقدر القويّ منهم إلا على أبيات معدودات.

وكان إنشاد بعض المراثي كمراتي نفر من اليمنيين في سياق الخطابة^(١) سبباً آخر من أسباب قصرها؛ لأن المراثية لم تكن غاية في نفسها في تلك المواقف، ولكنها جاءت تبعاً للخطبة، مقدمة لها أو تذيلاً.

ولم تظّل مراثي كثير من الصحابة لأنهم لم يكونوا من الشعراء أصحاب صنعة الشعر، ولكنهم كانوا قومًا من العرب لا يقهرون عن قول شيء من القصيد.

كما كان للنساء نصيبٌ من إنشاء أشعار هذه المراثي، وشعر النساء في الرثاء يغلب عليه القصر منذ عصر الجاهلية.

وكانت بعض المراثي ضاعت منها أبياتٌ فقَلَّتْ^(٢)، وأكبر أسباب ضياعها ضياع كتبها التي كانت تروىها كاملة، وصارت رواية مختاراتٍ منها فيما سَلِمَ من كتبٍ دليلاً على بقيتها، ومثل هذا رأيناه في كتاب الإصابة خير رؤية حين يستشهد ابن حجرٍ للشاعر ببيتٍ أو بيتين ويقول: إنهما من قصيدة^(٣).

وأكثر هذه الكتب الضائعة الكتبُ المؤرّخة لليمن، ككتاب الإكليل الضائع أكثره، وفيه من أخبار اليمن وأشعارها وأناسيها الجمُّ الغفير؛ وكتبُ الرّدة التي هي مظنة إيراد هذه المراثي،

(١) انظر: منح المدح ص ١٥٧ - ١٦٦.

(٢) انظر هذه الدراسة ص ١٨٩.

(٣) كما فعل في مرثية عبد الله بن سلمة مثلاً.

وقد نقل قطعاً من بعض هذه الكتب الكلاعيّ وابن حجر والمقرئزيّ، ووجدنا في هذه الثنّف القليلة من نادر المراثي ما لم نجده في غيرها من كتب الأدب والتاريخ والتسير، فما الظنّ لو وقعت أيدينا على هذه الكتب تامّةً على صورتها الأولى^(١) ؟

وقد يرجع أمر القلّة هذا « إلى طبيعة الرثاء نفسه؛ فالشاعر فيه يجد نفسه محصوراً في نطاق محدود من ناحية المعاني، وقلّما يقبل هذا الموضوع موضوعاً آخر يشاركه في القصيدة الواحدة. بخلاف غيره، كالمديح، حيث يتعدّد في قصيدته الموضوعات. من هنا كانت الوحدة الموضوعية ظاهرةً لافتةً فيما وصلنا من رثاء^(٢) ».

(١) من كتب الرّدة المفقودة: كتاب الرّدة لوثيمة بن موسى، وكتاب الرّدة لأبي الحسن عليّ بن محمد القرشيّ (انظر: كشف الظنون ص ١٤٢٠) وكتاب الرّدة لإسحاق بن بشر (انظر: الفهرست ص ١٠٥)، وكتاب الرّدة لإسماعيل بن عيسى العطار (انظر: الفهرست ص ١٢٢)، وكتاب الرّدة لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشفيعي، وكتاب الرّدة لابن المدينيّ عليّ بن عبد الله، وكتاب الرّدة لأبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي (انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي ٢/٢٩٩، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقابا ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ)، وكتاب الرّدة والفتوح لسيف بن عمر الأسيدي (انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبي بكر محمد بن خير بن عمر الأموي ص ٢٠٤، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ)، ولم يسلم من كتب الرّدة إلا الكتاب المنسوب للواقدي.

(٢) شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في صدر الإسلام، للدكتور محمد أبوالمجد علي (دار الدعوة، الإسكندرية، ط١/١٩٩٤م).

(٢) اللُّغَةُ

دارت في مرثي الصحابة للنبي ﷺ مجموعاتٌ من الألفاظ، منها مجموعةُ أَلْفَاظِ الدَّمْعِ والبكاء، وقد وقعت في مثل هذه الجملة: « وأَسْعَدَنِي البكاء (أبو سفيان)، وماء عيوننا جَارٍ (العنكي)، وبَكَتْ عليه الأرض، وبَكَتْه آفاق السماء (عبد الحارث)، لا أَبْكِي على هَلِكِ هالك، ولكنني بِأَكِّ عَلَيْكَ (عبد الله بن أنيس)، بَكَتِ الأرض والسماء عليه، وبَكَاه خَلِيلُهُ جَبْرِيلُ، وَأَجْرَتْ دَمْعَ عَيْنِ فَللْجُفُونِ هَمُولٍ (مُرَّان)، فَبَكَتْ عليه أرضنا وسماؤنا (سواد)، أَفَاطَمَ بَكَتِي، هو المرءُ يُبْكِي وَحُقَّ البكاء، فَيَا عَيْنَ وَيْحَكَ لَا تَسْأَمِي، وما يالَ دَمْعِكَ لَا يُسْكَبُ، فَإِنَّ تَبْكِيهِ تَبْكُ خَيْرَ الأَنَامِ، وَإِنَّ تَبْكِيهِ تَبْكُ... إلخ، وتَبْكِي الرَّسُولَ... شُهُودَ المَدِينَةِ... إلخ (سالم)، بَكَتِ الأرض والسماء على النور (عامر بن الظَّفِيلِ)، يَا عَيْنَ فَا بَكِي بِدَمْعِ ذَرِي (كعب)، أَسْعَدَنِي بِدَمْعِكَ الرِّقَاقِ (عمرو بن الفُحَيْلِ)، فَيَا عَيْنَ جُودِي بِالدَّمْعِ السَّوَاغِمِ (صَفِيَّةُ)، أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعِ سَجْمِ (صَفِيَّةُ)، أَعْيَنِي فَاسْحَنْفِرَا وَاسْكَبَا (صَفِيَّةُ)، عَيْنَ جُودِي بِدَمْعَةِ تَسْكَابِ (صَفِيَّةُ)، عَيْنَ جُودِي بِدَمْعِ مَنْكَ مَنحَدِرِ (صَفِيَّةُ)...».

والتفسير لكثرة هذه الألفاظ أنها مرآة انعكست عليها مشاعر التفجع الشديد، والألم الشائع، وهي على كثرتها ملائمةٌ لكبير مقام الفقيد ﷺ حين لم يجد الصحابة من حيلة إلا البكاء والدمع، والبكاء حيلة إنسانية فطرية عامة، لا يكاد يفارق بشرًا صادقًا في حزنه.

ومنها مجموعة نُعُوتِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: « وجوادًا كنا نَبَدُّ به النَّاسَ (مَسْرُوقٌ)، دَلِيلٌ، لا يَخُونُ ولا يَحْمِلُ (أَبُو سَفِيَّانٍ)، رَحْمَةٌ (مُرَّانٌ)، هَادِي النَّاسِ، شَارِعَ الحَلِّ لِهَمِّ والحَرَامِ (الزَّبْرَقَانُ)، خَيْرُ الأَنَامِ، كَثِيرُ الفَوَاضِلِ، لا يَجْدِبُ، سَهْلُ الجَنَابِ، مُحَضِّ الضَّرَائِبِ، لا يُؤَشِّبُ، نُورُ البِلَادِ، ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ، لا يَحْسِبُ، سَرِيعُ سِوَابِلِهِ، مُحَضِّبٌ، وَارِي الزَّنَادِ، صَدُوقُ المَقَالَةِ، لا يَكْذِبُ (سَالِمٌ)، خَيْرٌ مِنْ حَمَلَتِ نَاقَةٌ، أَتَقَى البَرِيَّةَ، سَيِّدٌ، مَاجِدٌ، جَحْفَلٌ، سَرَّاجٌ فِي الدَّجَى، بِشِيرٍ مَنذِرٌ، نُورٌ (كَعَبٌ)، غَيْثٌ يَجِيءُ لِلبَلَدِ المَخْلُ، شَمْسٌ تَضِيءُ لِلإِشْرَاقِ، دَلِيلٌ يَدْعُو العِبَادَ إِلَى اللَّهِ، بِحَرِيصٍ عَذْبِ المِذَاقِ، ضِيَاءُ البِلَادِ، القَمَرُ الزَّاهِرُ وَاقِي تَمَامِهِ لا تَأْسَاقُ (عَمْرُوبِ بنِ الفُحَيْلِ)، النُّورُ (عَامِرٌ)، رَسولُ الرَحْمَةِ، الهَادِي، نُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ، مَبَارَكُ الأَمْرِ، ذُو حَزْمٍ وإِرْشَادٍ، مَصْدِيقٌ لِلنَّبِيِّينَ، أَبْذَلُ النَّاسِ لِلْمَعْرُوفِ، خَيْرُ البَرِيَّةِ (حَسَّانٌ)، بَدْرٌ، نُورٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ، أَبٌ سَهْلٌ خَلِيقَتُهُ، مُحَضِّ الضَّرْبِيَّةِ والأَعْرَاقِ والنَّسَبِ، رِجَاؤُنَا، بَرٌّ، رَحِيمٌ، أَعْظَمُ النَّاسِ فِي البَرِيَّةِ، سَيِّدُ النَّاسِ، نُورٌ سَاطِعٌ، صَفْوَةُ اللَّهِ، المَرْتَضَى لِلهَدْيِ والتَّقَى، الطَّاهِرُ، المُرْسَلُ، المَجْتَبَى، المِصْطَفَى بِالنُّورِ، كَرِيمٌ الحَيِّمِ، أَرُوعٌ، مَضْرُوحِيٌّ، طَوِيلُ البِاعِ، مَنْتَجِبٌ، نَدِيبٌ، ثِمَالُ المَعْدَمِينَ، مَاوِي كُلِّ مَضْطَهَدٍ، مَوْفِقٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ، المِصْطَفَى، فَاتِحٌ، خَاتَمٌ، رَحِيمٌ، رُؤُوفٌ، صَادِقُ القَيْلِ، طَيِّبُ الأَثْوَابِ، مَشْفُوقٌ، نَاصِحٌ، رَحْمَةٌ مِنْ إِهْنَاءِ رَحْمَةٍ، خَيْرٌ رَشِيدٌ، طَيِّبُ العُودِ والضَّرْبِيَّةِ وَالسَّيِّمِ، مُحَضِّ الأَنْسَابِ، وَارِي الزَّنَادِ، أَبْلَجٌ، صَادِقُ السَّجِيَّةِ، عَفَّ، صَادِقُ الوَعْدِ، مَنْتَهَى الرُّوَادِ، بَرٌّ، نُهْبَةٌ المَرْتَادِ (صَفِيَّةٌ)، الفَاضِلُ، السَّيِّدُ، المِصْطَفَى، (عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدٍ)... ».

هذه الإفاضة في نعوت النبي ﷺ وصفاته اشتبكت فيها نعوته الدينية بنعوته البشرية؛ ففعل الذين أكثروا من النعوت البشرية أكثروا منها إماماً لبعدهم عن رسول الله ﷺ فلم يمسسهم من روح الدين ما مس إخوانهم، وإماماً لأن بعضهم كان لما يزل بعد أسيراً لصبيغ الشعر القديمة، ولا سيما في مقام الثناء والمديح كسالم الغطفاني، أو كانوا ممن قرب منه جداً فعرف من صفات الجبلة فيه مثلما عرف من آثار الوحي فيه؛ فاستوت النعوت لديه، وهؤلاء

(١) هذا سري نعته ﷺ بالنبي والرسول؛ فإنه منطقي كثير، ولا معنى لخصره.

كعمته صفية رضي الله عنها. ولكن بقية النعوت خلا ذلك نعوتٌ تُمْتُ إلى الإسلام بصلة.

وسائر ألفاظ المراثي النبوية إنما مثلها كمثل هذه الألفاظ التي مرّت ألفاظٌ قريبةٌ سهلة، قصيرة المبنى، مألوفة، واضحة بنفسها أو بمجملتها.

وإن الألفاظ كهذه الألفاظ: الفواق، البكار، يزدهي^(١)، قُبَّ (البطون)، اليهي^(٢)، التمام^(٣)، العتر، يُحْتِن^(٤)، القيل^(٥)، ترداد، جناب، مُسِع^(٦)، تستك، أزمة، محجة^(٧)، الشنان، قبيعة، قدّقد^(٨)، المتلدد^(٩)، العقوة^(١٠)، ألية، إفناد، الجادي، الصادي، المُسوح^(١١)، العلام^(١٢)، تَبْدُ، مَدَّق، تُفروق^(١٣)، هنبشة^(١٤)، قصره^(١٥)، كبا، مُكْتَنِع، الحين^(١٦)...؛ إن تكن غريبة هي أو بعضها في عصرنا، فإنها ليست بغريبة ولا معيبة في عصر المخضرمين؛ لأن غرابة الألفاظ

(١) مرثية مُرّان.

(٢) مرثية عمرو بن العاص العينية.

(٣) مرثية الزيرقان.

(٤) مرثية عبد الحارث بن أنس.

(٥) مرثية عبد الله بن مالك الأرحبي.

(٦) مرثية سواد.

(٧) مرثية عبد الله بن أنيس.

(٨) مرثية أبي الهيثم.

(٩) مرثية عددي بن حاتم.

(١٠) مرثية سالم الغطفاني.

(١١) مرثية حسان (إفناد).

(١٢) مرثية شدّاد.

(١٣) مرثية مسروق.

(١٤) مرثية صفية (الخطب).

(١٥) مرثية صفية (جانفيا).

(١٦) مرثية عاتكة بنت زيد.

ودلالاتها تختلف باختلاف العصور والبيئات والأزمنة.

فثمة ألفاظ قد يغيب عنا معناها لأننا لم نألفها في بيئتنا المدنية كالإكار جمع بكر، وهو القبي من الإبل، أو لم نألفها في بيئتنا الدينية كالمسوح، وهي لباس الراهبات. وألفاظ قد لا نعرف معناها لابتعادنا عن الثقة في استعمال أسماء الأشياء وأوصافها، كالعقوة وهي باحة المنزل، والقدقد المكان المرتفع الذي فيه غلظ وصلابة، والعلام الحنّاء، والفواق المدة بين الحلبتين. وألفاظ عزيت عنا لندرة الاستعمال أو انقطاعه منذ زمن مديد، كمكتنج وهو المتشج المنقبض، وقصرة: أي دون الناس. وألفاظ خاصة ببلد من العرب دون بلد، كالقيل: الملك بلغة اليمن.

إن غرابة الألفاظ في عصر من العصور ينبغي أن توكل إلى أبناء ذلك العصر من العلماء والنقاد، ليقولوا هم فيها. وليس بمدخل أن يقال: إن القدماء كانوا يعرفون اللغة كلها؛ فهذا غير صحيح؛ فإن العلماء من القدماء كانوا يستغربون بعض الألفاظ، كبعض ألفاظ المهذليين^(١)، وألفاظ للبيد بن ربيعة مثلاً^(٢)، ويختلفون في معانيها.

ومما يرصد في هذه المراثي ذبوع أسماء الأعلام، فمن الصحابة من انقض عليه النبا فكاد يلجم لسانه ويقطع بيانه، فلما أراد الشروع في الشعر ثقلت قريحته ولم يجد من مدخل سوى شخص الناعي المائل أمامه؛ فتعلق باسمه، وانصرف إلى لفظه، إثمًا معاتبًا وميكنًا كابن ذي أصبح في قوله:

صَدَعَ الْقَلْبَ أَهْوَدُ إِذْ نَعَى لِي مُحَمَّدًا
لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ رَأَيْتُ أَحَا الْأَزْدِ أَهْوَدًا

وإثما مكثفياً يجعل اسمه باباً لمرثيته كما فعل عمرو بن العاص في ابتداء كلمته:

(١) انظر: شعر المهذليين، للدكتور أحمد كمال زكي ص ٣٠٨-٣٢١.

(٢) انظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٢٣.

صَدَعَ الْقُلُوبَ مَقَالَةَ الْحَدَّانِي وَتَعَى النَّبِيَّ حَمِيصَةَ بِنُ أَبَانَ

والحدائي هو خميسة بن أبان نفسه، ولكنه اعتلال القرحة لاعتلال القلب. أو كما فعل امرؤ القيس بن عابس في ابتداءه بذكر « جهيل »:

سَمِتَ الْبَغَايَا يَوْمَ أَعْلَنَ جَهْبَلُ بِنَعِي أَحْمَدِ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي

ومنهم من فتح مرثاته بخطاب الشواكل من آل بيت النبي ﷺ، كسالم في قوله:

أَفَاطِمُ بَيْتِي وَلَا تَسْأَمِي لَصُبْحِكَ مَا ظَلَعَ الْكُوكَبُ

ومنهم من جعل هذا الخطاب حشو قصيدته كأبي سفيان بن الحارث في قوله:

أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فِدَاكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهَوَ السَّبِيلُ

وصفيّة في قولها:

أَفَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدِّ أُمِّسَى يَبْثِرُ ثَاوِيَا

وعمر بن سالم في قوله:

فَيَا حَفْصُ إِنَّ الْأَمْرَ جَلَّ عَنِ الْبُكَاءِ غَدَاةَ نَعَى النَّاعِي النَّبِيِّ فَأَسْمَعَا

عساه يريد إذ رحّم حفصة بنت عمر أم المؤمنين.

ومنهم من أدخل اسمه في سبيل رثاء النبي ﷺ تصغيراً من شأن نفسه، وتحقيراً منها وقد

مات رسول الله، كعمر بن العاص في هذه الأُمْنِيَّات:

يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ وَجْهَ مُحَمَّدٍ قَبْلَ الْوَفَاةِ وَبُلَّتِ الْكُفَّانِ

أَوْ لَيْتَ عَمْرًا مَاتَ قَبْلَ مُصَابِهِ وَتَوَى مَدَى فِي الْقَرِّ وَالْأُكْفَانِ

أو كأمنيّة سوادٍ أن يفديه لو كان أحد يفديه:

هَذَا وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفِيْدِيهِ فِدَاةَ سَوَادٍ

أي فما سوادٌ في رأي سوادٍ إلا شيئاً هيناً في جنب رسول الله ﷺ.

من المعاجم [فحسب]»^(١).

فذكر فاطمة مثلاً يذهب بنا إلى مشهد الحزن الشديد؛ ويذيقنا من المرارة التي تجرّعتها السيّدة الفضلى ذلك اليوم، أو ليست هي القائلة لأنس بعد دفن أبيها ﷺ: «يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحنّوا على رسول الله ﷺ التراب؟» فبكى أنس لقولها شفقةً وتحنّاناً^(٢)؛ ويذهب بنا إلى أولئك النسوة الملتئمات حول بنت الرّسول الكلّي وهنّ يعزّينها ويبكين بكاءً ين: بكاءً لفقد الرّسول، وبكاءً لبكاء فاطمة، وهي - على ذلك - تنظر إليهنّ صابرةً محتسبةً صامتة، فإذا أتاه أبو سفيان ابن عمّ الرّسول، وأنتها صفيّة عمته يسليانها ويعزّيانها؛ رَقًا لحالها.

وإنّ ذكر أسماء القبائل ليحُظّ في أذهاننا صورة واضحةً للجحافل من الفريقين: الفريق الذي ثبت بعد وفاة الرّسول وتأهّب للدفاع لدينه، والفريق الذي تخاذل بعدها وانتكس^(٣).

ومما يسترعي الانتباه في معرض الحديث عن المفردات ورود لفظ «الغداة» عند أربعة من شعراء المراثي، فقد ورد في مراثي: عمرو بن سالم، وعبد الله بن سلمة، وعبد الله بن أنيس، وسواد بن قارب. وتوثيقت علمهم نبأ الوفاة أغلّب الأمر بالغداة علامةً على فجأتهم، وصدمتهم من أول النهار، وكأنهم كانوا لم يُفيعقوا من نومهم بعد، وهذا ممّا يضاعف من الصدمة. وعلامةً أيضًا على سرعة انتشار الخبر، وطيران النّعاة به. وعلامةً على الوقع الغائر الذي أحدثته تلك اللحظة الأليمة في نفوسهم، فلم ينسوها، وسجّلوها في مراثيهم.

(١) تشریح النص، للدكتور عبد الله الغدّامي ص ١٤ (دار الطليعة، بيروت، ط ١/١٩٧٨م).

(٢) انظر: صحيح البخاري ٨٩٢/٢.

(٣) يقول الدكتور شوقي ضيف: «إن الألفاظ التي ترمز إلى معانٍ حقيقية هي الأخرى... رمزية؛ لأنها تعبر عن معاني عاطفية غير محدودة الدلالة... وقد جعلها ذلك سيّالة، أو بعبارة أدق: جعلها مُشعّة، أو قل: جعلها موعزة؛ فإن معناها لا ينحصر، وإجاءاتها لا تنقطع، وما أشبهها في ذلك بالكلمات التاريخية، فنحن حين نقول: ثورة يوليو سنة ١٩٥٤ تفيد علينا سيّوياً من معاني حركتنا الوطنية وأحداثها... وقد نفكر في حركات وطنية أخرى...» (في النقد الأدبي ص ١١١-١١٢، دار المعارف بمصر، ط ٣).

أمّا عن الأساليب اللغوية والتراكيب التي حملت في طياتها مهمّة التعبير عن لغة المراثي ودلالاتها؛ فقد دارت في المراثي النبويّة ألوانٌ شتى من الأساليب والصيغ.

منها أسلوب (الشرط)، وهو كثير في المراثي. والأصل في عمل الشرط التوصيل والربط بين طرفي الجملة^(١). وقد جاء الشرط على الأصل في نحو قول أبي سفيان بن الحارث:

أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَمَذَاكِ عُذْرٌ

ولكنه يبجىء في مواضع أخرى مفيداً معاني زائدة على عمل الربط، كالدلالة على العزاء في الأمثلة الكثيرة التي مرّت بنا قريباً، وكان من أحسن الصحابة بياناً في العزاء بالله - سبحانه وتعالى - عبدُ الله بنُ مالك الأرحبي في كلمته يرثي النبي ﷺ، إذ بدأ فيها مقسماً على الشرط فقال:

لَعَمْرِي لَنْ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لَمَّا مَاتَ يَا ابْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدٍ

ثم ثنى فجعل الغاية من حياة النبي ﷺ الدين، فمتى ماتم الدين تَمَّت للنبي حياته وكتب عليه الموت، فلماذا نجزع وهذا قدره، قدره أداء الأمانة:

وَمَا كَانَ إِلَّا مُرْسَلًا بِرِسَالَةٍ لِيُبَلِّغَ سَخَهَا ، وَالْحَادِثَاتُ بِمَرْصَدٍ

وقد جاء القصر في هذا البيت قاطعاً مُبيناً عن هذا المعنى الذي يفسر موقف كثير من شعراء المراثي في تصيرهم وسلوانهم. ثم إن الرسول إذا هو بلّغ رسالته كان الموت أكرم له من الحياة، فما عند الله خير له وأبقى، ومن اختاره الله ودعاه إلى لقائه فلا أسمى عليه، ولا خوف عليه، وهذا معنى لطيف صبه الشاعر في جملة شرط أخرى، فقال:

وَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ قَاضِيًا وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِيهِ إِلَّا خَادٌ مُلْجِدٍ
دَعَاؤُهُ إِلَيْهِ رِيءُهُ فَأَجَابَهُ فَيَا خَيْرَ عُورِي، وَيَا خَيْرَ مُنْجِدٍ

(١) انظر: من نحو المباتي إلى نحو المعاني: بحث في الجملة وأركانها، للدكتور محمد طاهر الحمصي ص ٣٥٥ (دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١/١٤٢٤هـ).

من المعاجم [فحسب]»^(١).

فذكر فاطمة مثلاً يذهب بنا إلى مشهد الحزن الشديد؛ ويذيقنا من المرارة التي تجرعتها السيدة الفضلى ذلك اليوم، أوليست هي القائلة لأنس بعد دفن أبيها ﷺ: «يا أنس، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟» فبكى أنس لقولها شفقةً وتحناناً^(٢)؛ ويذهب بنا إلى أولئك النسوة الملتفتات حول بنت الرسول الشكلي وهن يعزينها ويبكين بكاءين: بكاءً لفقد الرسول، وبكاءً لبكاء فاطمة، وهي - على ذلك - تنظر إليهن صابرةً محتسبةً صامته، فإذا أتاها أبو سفيان ابن عم الرسول، وأنتها صفيّة عمته يسليانها ويعزيانها؛ رقًا لحالها.

وإن ذكر أسماء القبائل ليحفظ في أذهاننا صورة واضحة للجحافل من الفريقين: الفريق الذي ثبت بعد وفاة الرسول وتأهب للدفاع لدينه، والفريق الذي تحاذل بعدها وانكسر^(٣).

ومما يسترعي الانتباه في معرض الحديث عن المفردات ورود لفظ «الغداة» عند أربعة من شعراء المراثي، فقد ورد في مراثي: عمرو بن سالم، وعبد الله بن سلمة، وعبد الله بن أنيس، وسواد بن قارب. وتوثيقت علمهم نبأ الوفاة أغلب الأمر بالغداة علامة على فجأتهم، وصدمتهم من أول النهار؛ وكأنهم كانوا لم يفيقوا من نومهم بعد، وهذا ممّا يضاعف من الصدمة. وعلامة أيضًا على سرعة انتشار الخبر، وطيران الشعة به. وعلامة على الوقع الغائر الذي أحدثته تلك اللحظة الأليمة في نفوسهم، فلم ينسوها، وسجلوها في مراثيهم.

(١) تشريح النص، للدكتور عبد الله الغدّامي ص ١٢ (دار الطليعة، بيروت، ط ١٩٧٨م).

(٢) انظر: صحيح البخاري ٨٩٢/٢.

(٣) يقول الدكتور شوقي ضيف: «إن الألفاظ التي ترمز إلى معانٍ حقيقية هي الأخرى... رمزية؛ لأنها تعبر عن معاني عاطفية غير محدودة الدلالة... وقد جعلها ذلك سيّالة، أو بعبارة أدق: جعلها مُشعّة، أو قل: جعلها مُوعزة؛ فإن معناها لا ينحصر، وإيجازاتها لا تنقطع، وما أشبهها في ذلك بالكلمات التاريخية، فنحن حين نقول: ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ تيد علينا سيولٌ من معاني حركتنا الوطنية وأحداثها... وقد نفكر في حركات وطنية أخرى...» (في النقد الأدبي ص ١١١-١١٢، دار المعارف بمصر، ط ٣).

أما عن الأساليب اللغوية والتراكيب التي حملت في طياتها مهمة التعبير عن لغة المراثي ودلالاتها؛ فقد دارت في المراثي النبوية ألوانٌ شتى من الأساليب والصيغ.

منها أسلوب (الشرط)، وهو كثير في المراثي. والأصل في عمل الشرط التوصل والربط بين طرفي الجملة^(١). وقد جاء الشرط على الأصل في نحو قول أبي سفيان بن الحارث:

أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتَ فَمَذَاكِ عُذْرٌ

ولكنه يجيء في مواضع أخرى مفيداً معاني زائدة على عمل الربط، كالدلالة على العزاء في الأمثلة الكثيرة التي مرّت بنا قريباً، وكان من أحسن الصحابة بياناً في العزاء بالله - سبحانه وتعالى - عبدُ الله بنُ مالك الأرحبي في كلمته يرثي النبي ﷺ، إذ بدأ فيها مقسماً على الشرط فقال:

لَعَمْرِي لَئِنْ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لَمَا مَاتَ يَا ابْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدٍ

ثم تفتى فجعل الغاية من حياة النبي ﷺ الدين، فمتى ماتم الدين تمنت للنبي حياته وكتب عليه الموت، فلماذا نجزع وهذا قدره، قدره أداء الأمانة:

وَمَا كَانَ إِلَّا مُرْسَلًا بِرِسَالَةٍ لِيُبَيِّدَ نَفْسَهَا ، وَالْحَادِثَاتُ بِمَرْصِدٍ

وقد جاء القصر في هذا البيت قاطعاً مبيناً عن هذا المعنى الذي يفسر موقف كثير من شعراء المراثي في تصيرهم وسلوانهم. ثم إن الرسول إذا هو بلغ رسالته كان الموت أكرم له من الحياة، فما عند الله خير له وأبقى، ومن اختاره الله ودعاه إلى لقائه فلا أسى عليه، ولا خوف عليه، وهذا معنى لطيف صبه الشاعر في جملة شرط أخرى، فقال:

وَلَمَّا قَضَى مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ قَاضِيًا وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِيهِ إِحْتَادٌ مُلْجِدٍ
دَعَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ فَأَجَابَهُ قِيَا حَيْرٌ غُورِي، وَيَا حَيْرٌ مُنْجِدٍ

(١) انظر: من نحو المياني إلى نحو المعاني: بحث في الجملة وأركانها، للدكتور محمد طاهر الحمصي ص ٣٥٥ (دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١/١٤٢٤هـ).

وقد يُحتمل الشعراء الشرط وعدًا ووعدًا، فمن الوعد قول مُرّان:

إِنْ تَكُنْ جَوْلَةٌ فَتَنْحُنْ لَكَ الْيَوْمَ مَ مَلَأْدُ إِلَى ذُرَاهُ تَوُؤُلُ

ومن الوعيد قول أبي الهيثم:

فَإِنْ يَكُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ سَمَاتَةٌ فَلَا يَأْتُمُوا مَا يُخْبِتُ اللَّهُ فِي عَدِ

ومن الوعد والوعيد معًا هذا البيت الذي أثقنه يزيد بن ذي المشعار لكونه يجري

مجرى المثل:

فَمَنْ يَشْدِفِ الثَّرَّ مِنْ حُقْنَا عَلَى بَاطِلٍ أَوْ لِحِجَاجِ دَمَغِ

ومنهم من اتخذ الشرط سبيلاً ليفيدَي رسول الله ﷺ، وقد مرت الشواهد على ذلك في

الحديث عن الفداء، ومن أبلغه قول سوادٍ حين فداءه مرتين: بضمير الجماعة مرة، وبالبدار

بنفسه المفردة مرةً أخرى:

لَوْ قِيلَ: تَفْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ۙ بِيَذْتَ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ

وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِيَذَلَهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ

هَذَا، وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ فِدَاءَ سَوَادٍ

وربما اتكؤوا على الشرط ليعبروا عن فداحة المصيبة، كقول عمرو بن العاص وقد وجم

غير مصدقٍ صوت خميسة الناعي:

لَمَّا نَعَاهُ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةُ بَيْسِ اللَّيْسَانِ وَقَاصَّتِ الْعَيْتَانَ

وقول عبد الله بن سلمة وقد ضاقت الدنيا به فنزع إلى الزهد والتنجي عن الخلق،

منكرًا أن يطيب لهم العيش هانئين في الديار وقد مات رسول الله ﷺ:

فَلَيْتُنْ جَنَّتِ الْمَسُونُ عَلَيْهِ مَا لَنَا فِي الدِّيَارِ بَعْدُ قَرَارُ

ومثل هذا التعبير عن المصيبة في جملة الشرط تراه في مرثي عمرو بن سالم، والعتكي،
وعبد الحارث بن أنس.

لقد استحسنت الصحابة أسلوب الشرط لِمَا وجدوا فيه من تَجْبُوحَةٍ نَفَسُوا فِيهَا عن
كربتهم؛ فجملة الشرط الأولى حَمَلُوهَا أَسَاهُمْ، وجملة الشرط الثانية حَمَلُوهَا مَوْقِفَهُمْ من
هذا الأسي.

ثم إنَّ في جملة الشرط الأولى إثارة لفضول المستمع أن يعرف ماذا هم فاعلون إزاء موت
صاحبهم، أقلقون هم أم راسخون، أصابرون أم جزعون، أمؤمنون أم دبَّ إلى قلوبهم الشك؛
حتى إذا جاء جزاء الشرط قرَّ في يقين المنتظر جوابهم قاطعاً كلَّ سوء قد يظنه به. وقد كان ما
أرادوا من التبليغ عن إيمانهم؛ إذ لم نجد في رثاء الصحابة تهالكا مُتَصَنِّعًا، ولا غُلُوءًا مَشِينًا،
ولكن وجدنا صدقًا وإيمانًا وسكينة.

وفي قصيدة سالم الغطفاني خمسُ جملٍ من الشرط. وهو يسلك به مسالك ندب الميت
إغراءً لعينه كيلا تفتَّر عن الدمع، فليس أحدٌ بعد الرَّسُولِ ﷺ حَقِيقًا بالبكاء عليه، وها هو
يناجي عينه الكليمة مبيكًا ثم مغرِّبًا فيقول:

فِيَا عَيْنَ وَيَحْكُ لَآ تَنسَئِي	وَمَا بَالُ دَمْعِكَ لَا يُسْكَبُ
وَمَنْ ذَا لِكَ الْوَيْلُ بَعْدَ الرَّسُولِ	يُبَكِّي مِنَ النَّاسِ، أَوْ يُنْدَبُ
فَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ خَيْرَ الْأَنْامِ	كَثِيرِ الْفَوَاضِلِ، لَا يُجْدِبُ
وَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ سَهْلَ الْجَنَّا	بِ، مَخْضَ الضَّرَائِبِ، لَا يُؤْتَسَبُ
وَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ نُورَ الْبِلَا	دِ، صَخَمَ الدَّسِيعَةِ، لَا يُحْسِبُ
وَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ خَيْرَ الْأَنْامِ	سَرِيعًا سَوَابِلُهُ، مُخْصِبُ
وَإِنْ تَبِكِهِ تَبِكِ وَارِي الزَّنَادِ	صَدُوقَ الْمَقَالَةِ، لَا يَكْذِبُ

لقد أراد الشاعر أن يحتال بحيلة فنية تكون سبباً للإفاضة في نعوت النَّبِيِّ ﷺ، والغناء

عليه، فوجد في الشرط بُغيتَه، فهو يظهر لنا بظهور من تتمتع عينه عليه فلا تطاوعه كلما دعاها إلى البكاء؛ وهو يحاول مع كل بيت، أو مع كل جملة شرط استدراجها إليه.

ومن تلك الأساليب التي دارت في الرثاء (التكرار)، ومن مثاله تكرار جملة الشرط « إن تبكه تبك » خمس مرات في أبيات سالم المازرة توة، ثم زاد على ذلك فكرر فعل البكاء عشر مرات تكراراً ملاً القصيدة بالنشيج والوعويل، فكل شيء يبكي، وكل باكي يقود إلى باكي غيره، وكأن قد غدا بكاء الكائنات شيئاً لا يحيص للكائنات عنه:

وَتَبَّكِي الرَّسُولِ، وَحَقَّتْ لَهُ	شُهُودُ الْمَدِينَةِ، وَالْعَيْبُ
وَتَبَّكِي لَهُ الصُّمُّ صُمُّ الْجِبَالِ	وَتَشْرُقُ الْمَدِينَةَ، وَالْمَغْرِبُ
وَتَبَّكِيهِ شَعْنَاءُ مَضْرُورَةٌ	إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُحْجَبُ
وَتَبَّكِيهِ شَيْخٌ أَبُو وُلْدَةٍ	تُطِيفُ بِعَقْوَتِهِ، أَشْيَبُ
وَتَبَّكِيهِ أَهْلُ التُّهَى وَالْحِجَا	مِنَ النَّاسِ، وَالطَّارِقُ الْأَخْيَبُ
وَتَبَّكِيهِ ضَيْفُ جَفَاءِ الصَّدِيقِ	وَذُو النَّسَبِ الدَّاخِلِ، الْأَقْرَبُ
وَتَبَّكِيهِ شَعْنُ خِمَاصِ الْبُطُونِ	أَضْرَّ بِهِمْ زَمَنٌ أَنْكَبُ
وَتَبَّكِيكَ رُكْبٌ إِذَا أَرْمَلُوا	قَلَمَ يُلْقَ مَا طَلَبَ الطَّلَبُ
وَتَبَّكِي الْأَبَاطِحُ مِنْ فَقْدِهِ	وَتَبَّكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ
وَتَبَّكِي وَعَيْرَةٌ مِنْ فَقْدِهِ	بِحُزْنٍ، وَتُسْعِدُهَا الْمَيْتَبُ
فَعَيْنِي مَالِكٌ لَا تَذْمَعِينَ	وَحَقٌّ لِدَمْعِكَ يُسْتَشْكَبُ

كأنَّ الشاعر يقول: أجل، فعيني ما لك لا تبكين، ولم يبقَ لم يبكي إلا أنت ١٤

وهذا النمط من خلط التكرار بالتعداد يوحى بأن الخلق لم يتملكهم في تلك الساعة إلا شعور واحد، هو شعور الحزن والأسى، وكأن الشاعر بخلطه الحاذق هذا يريد لقلبه مع كل بيت جد أن لا ينسى، ولعينه أن لا تكفكف دموعها.

وَيَرِدُ تَكَرُّرَ التَّمَنِّيِّ فِي مَرثِيَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَلِسَانِ حَالِهِ: « يَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ كُلَّ شَيْءٍ
ثُمَّ لَمْ أَشْهَدْ مَوْتَهُ »:

يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ وَجْهَ مُحَمَّدٍ قَبْلَ الْوَفَاةِ وَبُلَّتِ الْكُفَّانِ
أَوْلَيْتَ عَمْرًا مَا قَبْلَ مُصَابِهِ وَتَوَى مَدَى فِي الْقُرَى وَالْأَكْفَانِ
أَوْ لَيْتَنِي لَمْ أَبْقِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ذَهَبَ الْقَضَاءُ بِمُنْيَةِ الْإِنْسَانِ
وَيُشْعِرُ تَكَرُّرَ مَسْرُوقٍ بِاللَّوَامِ وَالتَّجَدُّدِ:

فَعَلَّانِي بَعْدَ الْهُمُومِ هُمُومٌ وَيَقْلِبِي بَعْدَ الْحَرِيقِ حَرِيقٌ
إِذْ هُمُومُهُ لَا تَنْقُضِي، وَنَارُ قَلْبِهِ لَا تَنْطَفِئُ.

ويدل تَكَرُّرُ « الدَّهْرِ » عِنْدَ عَمْرٍو بْنِ سَالِمٍ عَلَى زِيَادَةِ طَوْلِ حُزْنِ نَفْسِهِ:

فَيَا لَكَ نَفْسًا لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا عَلَى الدَّهْرِ طَوْلُ الدَّهْرِ إِلَّا تَصَدُّعًا
وَيَتَلَذُّ مُرَّانَ بِتَكَرُّرِ اسْمِ « الرَّسُولِ » تَلَذُّ الْمَحَبِّ الَّذِي غَابَ عَنْهُ حَبِيبُهُ:

إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ طَوِيلٌ ذَلِكَ مِنِّي عَلَى الرَّسُولِ قَلِيلٌ

وَيَسْتَعْظِمُ الْبَقَاءَ بَعْدَ الرَّسُولِ وَلَوْ قَلِيلًا مُدَّةَ فَوَاقٍ، فَالْقَلِيلُ فِي حَالِ فَقْدِ الرَّسُولِ طَوِيلٌ
جَلِيلٌ:

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِقَيْكَ فَوَاقًا بَعْدَهُ، وَالْفُوقَاتُ مِنِّي طَوِيلٌ

وَيَأْتِي التَّكَرُّرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ قَصِيدَةِ مُرَّانَ مُعْلِمًا بِقُوَّةِ شَكِيمَةِ الْإِمَامِ، وَشِدَّةِ إِمْسَاكِهِ
بِالْأَمْرِ:

لَيْسَ لِلنَّاسِ يَا إِمَامَ مِنَ الْأَمْرِ رِقْتَيْلٌ، وَأَيْنَ عَنكَ الْفَتَيْلُ ۱٩

وَيُرْكَنُ الْعَتَكِيُّ إِلَى اسْمِ الْأَمِيرِ « عَمْرٍو »، فَيَكْرَهُ لِلتَّنْبِيهِ، وَالْفُضْلُ، وَالتَّوَكِيدُ:

يَا عَمْرُو، إِنَّ كَانَ التَّيِّبِيُّ مُحَمَّدٌ أَوْدَى بِهِ الأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
فَلَقَدْ أَصَبْنَا بِالتَّيِّبِيِّ، وَأَنْفَتْنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى البَتِّيَّةِ، أَجْدَعُ
يَا عَمْرُو، إِنَّ حَيَاتَهُ كُوفَاتِهِ فِينَا، أَتُبْصِرُ مَا تَقُولُ وَتَسْمَعُ ؟
فَأَقِمْ فَإِنَّكَ لَا تَخَافُ، وَجَارُنَا يَا عَمْرُو، ذَلِكَ هُوَ الأَعْرُ الأَمْنَعُ

ففي الأولى يُخبره بأساهم لفقد الرسول، وفي الثانية يهدئ روعه من جهة صبرهم، وأدائهم ما عليهم من الحقوق كما لو كان الرسول حيًا، وفي الثالثة يجدد له الولاء والحوار، وكان تكرار « يا عمرو » في هذه المواضع دليل ثقة وتمكّن من العتكي فيما يقول، وكأنّ الشاعر يؤكد بهذا التكرار صدقه في قوله مُذَكِّرًا عَمْرًا به كلما تباعد الكلام واختلفت معانيه. وكان هذه الألفاظ المكررة الفاصلة في الكلام أعلام ترفرف على مفاصل الجمل^(١).

ويعرّي عبد الله بن سلمة نفسه بأن الموت حتم، ويعجب ممن يفكر في الهرب منه، ويضيق بالتكرار عليهم فيقول:

وَقَدَّتْهُ الثُّمُوسُ، لَيْسَ مِنَ المَوْتِ فِرَارٌ، وَأَيُّنَ أَيُّنَ الفِرَارُ ؟ !

ثم يُكرّر عبد الله النفي طمسًا لظن أن يكون المهاجرون والأنصارُ أصيبوا بالرسول ﷺ دون مَنْ سواهم من إخوانهم المسلمين، وهو معنى في الدروة من الحنان والرقة، زاده حرف النفي القاطع « لا » إخلاصًا والعيانًا:

مَا أَصِيبَتْ بِهِ العَدَاةُ قُرُنُشُ لَا ! وَلَا أَفْرِدَتْ بِهِ الأَنْصَارُ؛
دُونَ مَنْ وَجَّهَ الصَّلَاةَ إِلَى اللّٰهِ هِ وَوَقَدْ هَيْبَتْ بِهِ الكُفَّارُ

(١) انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن حسن جنبكة الميداني ٧٢/١ (دار القلم، دمشق،

على أن التكرار سجيّة في رثاء العربي؛ ولعلمهم حرّضهم على ذلك نساؤهم اللاتي كنّ
يُنخَن على الموتى، فيرجعن صيغاً بعينها وكلماتٍ بعينها، ويعدّدن المآثر والصفات، ثم آل ذلك
إلى مراثيهم بعد ذلك^(١).

وممّا يدلُّ على تشبُّت الصحابة واضطراب نفوسهم جنوحهم إلى أسلوبٍ آخر من
الأساليب، هو (الالتفات) والالتفات إجمالاً: انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار،
وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك^(٢).

« وهذا النوع خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة...
وُسِّمَ أيضًا: شجاعة العربية؛ وإنما سُمِّيَ بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام؛ وذلك
أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورّد ما لا يتورّده سواه، وكذلك

(١) انظر مثلاً إلى قول أوس بن حُجر:

أبا وليجة من يُوصى بأرملية	أم من لأشعث ذي طمرين طنلال
أم من يكون خطيب القوم إن حقلوا	لدى ملوك أولي كيدٍ وأقوال
أم من لقوم أضعوا بعض أمرهم	بين القُسوط وبين الذين دلّال
أم من لأهل أربي في مُسكّمة	في أمرهم خالطوا حقًا يبطل
أم من لعادية تُزدي مُلنّمة	كأنها عارض من هضّب أوعالي

(ديوانه ص ١٠٣-١٠٤، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ط ١٣٩٩هـ). ومن شعر النساء انظر -
مثلاً - قول هذه الأم تبكي طفلها القتيلين، وهي زوج عبّيد الله بن العباس بن عبد المطلب:

يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّي اللّذين هما	كالوردتين تشكّلي عنهما الصّدْف
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّي اللّذين هما	قلبي وطرفي، قلبي اليوم محتظف
يا مَنْ أَحَسَّ بُنْيَّي اللّذين هما	مُخُّ العظام، فمخي اليوم مزدهف

(الكامل في اللغة والأدب، للسبّرد، محمد بن يزيد ٢٢/٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة،
ط ١٤١٧هـ).

(٢) انظر: البديع، لعبد الله بن المعتز ص ٥٨ (اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشكوفسكي،
دار المسيرة، بيروت، ط ١٤٠٢هـ).

هذا الالتفات في الكلام»^(١).

من ذلك أن صفة كانت أقبلت بالخطاب على رسول الله كأنما ذهلت عن موته، ثم رجعت إلى نفسها وقد أدركت موته، فأنحرفت بالقول إلى الإخبار عنه بضمير الغائب، ولكنها ما لبثت أن عادت في عجز البيت الثاني إلى ديدن الخطاب كرة أخرى، وذلك قولها:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
وَكَانَ بِنَا بَرًّا رَجِيمًا نَبِيْنَا لِيَبْكُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا

وفي كلمة أخرى لها يضطرب لُبُّها بين بُعده وقربه، فتضطرب ضمايرها تبعًا له، وتتنازع بين غيابه وخطابه، فهي تقول: إنها شابت وما شابت ليداتها؟

لِفَقْدِ الْمُضْطَفَى بِالثُّورِ حَقًّا رَسُولِ اللَّهِ، مَا لَكَ مِنْ ضَرِيبِ
كَرِيمِ الْحَيْمِ، أَرْوَعٍ، مَضْرَجِي طَوِيلِ الْبَاعِ، مُنْتَجَبِ، نَدِيبِ
يَمَالِ الْمُعْدِمِينَ وَكُلِّ جَارٍ وَمَأْوَى كُلِّ مُضْطَهَدِ غَرِيبِ
فَإِمَّا تُمِيسُ فِي جَدَثٍ مُقِيمًا فَقَدِمَا عَشْتِ دَا كَرِيمِ وَطِيبِ

ومن ذلك قولها في أخرى:

فَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أُتِي وَحَالِي وَعَتِي، وَتَفْسِي قَضْرَةٌ، وَعِيَالِيَا
صَبْرَتْ وَتَلَفَّتِ الرِّسَالَةَ صَادِقًا وَمَتَّ صَلِيبَ الْعُودِ، أَبْلَجِ، صَافِيَا

ويندب الزبيرقان^(٢) رسول الله ﷺ مخاطبًا إياه:

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلی

٣/٢ (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥م).

(٢) انظر: مراتي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ١٠٦-١٠٧.

يَا مُبْلِعَ الْأَخْبَارِ عَنْ رَبِّهِ فِينَا، وَبَا مُحْيِي لَيْلِ الْجَمَامِ
وَهَادِي النَّاسِ إِلَى رُشْدِهِمْ وَشَارِعَ الْحِلِّ لَهُمْ وَالْحَرَامِ
أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَنَا بَعْدَمَا كُنَّا عَلَى مَهْوَاةِ جُرْفِ قِيَامِ.

ثم يخبر عنه:

فَاسْتَأْتَرَ اللَّهُ بِهِ إِذْ وَفَى أَيَّامَهُ عِنْدَ حُضُورِ الْجَمَامِ
فجعل ضمير المخاطبة للذي عمّله الرسول في الحياة، وضمير الغائب للإخبار عن موته، مُلَمَّعًا إلى أن علمه بحياة الرسول وآثاره أكبر من علمه بما يكون له بعد موته، وإن كان يوقن بتشريف الله إيَّاه إذ عبَّر بكلمة « استأثر »، والإيثار حَدْبٌ عَلَى النَفِيسِ الْغَالِي.

وأشار أيضًا بانتقاله من ضمير الخطاب بعد تفصيل إلى الإخبار؛ إلى ما عرفوه من فضل الرسول ﷺ وجميله عليهم في الحياة ثم إنه مات على ذلك، وكأن الزبرقان يوجز لنا قصة الدعوة النبيلة.

وينوح أبو سفيان على الرسول ﷺ نَوْحًا طَوِيلًا، وَمِنْ نَوْحِهِ قَوْلُهُ:

نَيْيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ
فَلَمْ نَرْ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَلَيْسَ لَهُ مِنَ السَّوْتِ عَدِيلُ

ثم انتزع نفسه من شكواها، والتفت بالخطاب إلى من كانت المصيبة عليه أوقع، وهي فاطمة، حيث يقول لها مسلبيًا:

أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتِ فَذَاكَ عُذْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهُوَ السَّبِيلُ

إن الالتفات « فنٌ بدیعٌ من فنون القول، يُشْبِهُهُ تحريك آلات التصوير السينمائي، بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يُرَادُ عَرَضُ صُورِهَا، ومفاجأة المُشَاهِدِ بِلَقَطَاتٍ مِنْهَا متباعدات، ولكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يُرَادُ عَرَضُ طَائِفَةٍ

من مشاهدته تدل على ما يُقصد بالإعلام به^(١).

وربما هامت أنفوس الصحابة إلى الالتفات تعظيمًا للنبي وتبجيلًا، فما إن يرد اسمه حتى تلهج ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه، انظر كيف أحر سوادُ بن قارب الإسنادَ في جملته لكي يصلي على النبي ﷺ:

أَبَقَى لَنَا فَقَدْ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ - مَا يُعْتَادُ
ويؤخر عمرو بن العاص الفاعل ليصلي عليه:

إِنْ كَانَ أَوْذَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَاجِعٌ
ولمثل هذا تأخر المسندُ عند عبد الحارث بن أنس:

لَعَنَرِي لَيْنٌ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ - أَوْذَى بِهِ الْقَدْرُ
وهذا الأدب من الصحابة عند ذكر اسم النبي ﷺ كان داعيًا من دواعي أسلوب آخر هو (الاعتراض). وكان الاعتراض أسلوبًا شائعًا في المراتي النبوية.

ومن دواعيه الأخر الاعتراض من أجل الاحتراز، كقول عبد الحارث:
وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْفِدَاءُ، وَهَذِهِ وَإِنْ بُدِلَتْ - لَا يُسْتَرَدُّ بِهَا بَشَرٌ
والاعتراض من أجل الإعجاب والحث، كقول شداد بن مالك بن صنّع محرضًا الخليفة
أبا بكر كي يعزّز البغايا الشامتات:

فَأَقْطَعْ - فُدَيْتَ - أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرِّقِ أَوْمَضَ فِي مُثُونِ عَمَامٍ
والاعتراض من أجل تبيان العزم مهما بلغت المشقة، كقول عددي:

(١) البلاغة العربية، للسيداني ١/٤٨٠.

وَإِنَّا - وَإِنْ جَاشَتْ فَرَارُهُ كُلُّهَا
وَأَجْرَى لَهُمْ فِيهَا ذُيُولُ غُرُورِهِ
وَذُبْيَانُ فِي مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ مُزْبِدٍ
ظَلْيَحَةُ مَأْوَى كُلِّ غَاوٍ وَمُلْحِدٍ -
نُعَادِرُهُمْ بِالْحَيْلِ حَتَّى نُقِيمَهُمْ
بِضَمِّ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحِ الْمُهَنْدِ

وهو اعتراض مُظنَّب في التهويل مما بيَّته الأعادي، حتى إذا انتهت جملة الاعتراض أتى الخبرُ راسخًا، حاسمًا كلَّ شك.

وقد يعترضون حرصًا على استقامة الجملة لإيقاع الشعر، وهو لولون من التقديم والتأخير، وذلك لأن قول سواد مثلًا:

إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَعْتَ بِنَا - أَوْتَادُ
إِنْ نَحْنُ رَبَّنَا عَلَى صُورَتِهِ الْعَادِيَّةِ فقلنا: فأنتم أوتادُ للأرض إن رجفت بنا؛ جفَّ ماؤه،
وذهبت طلاوته. ومن قبيله قول العتكي:

فَلَقَدْ أَصْبَنَّا بِالنَّبِيِّ، وَأَنْفَنَّا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى الْبَنِيَّةِ - أَجْدَعُ
وقريبٌ من ذلك الالتفاتِ ضربٌ من البيان آخرُ أسموه (بالتجريد). ومعناه «إخلاص
الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك»^(١). وقد وقع في المراثي في إخبار الشعراء عن أنفسهم
كأنهم يخبرون عن غيرهم، كقول سواد بن قارب:

هَذَا وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ قَدَاهُ سَوَادُ
ولم يقل: فديته، احتراसा من أن يكون في الكلام بضمير المتكلم شبهةً إكبارٍ أو تفضُّلٍ
منه، فجرَّد من نفسه شخصًا آخر ليُحقِّر من شأن نفسه، وليظهر من طرفٍ خفيٍّ أن نفسه
ليست ملكًا له.

وكقول عمرو بن العاص:

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/٤٠٥.

من مشاهده تدل على ما يُقصد الإعلام به ^(١).

وربما هامت أنفوس الصحابة إلى الالتفات تعظيمًا للنبي وتبجيلًا، فما إن يرد اسمه حتى تلهج ألسنتهم بالدعاء له والثناء عليه، انظر كيف أحر سوادُ بن قارب الإسنادَ في جملته لكي يصلي على النبي ﷺ:

أَبَقَى لَنَا فَقَدْ النَّبِيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ - مَا يُعْتَادُ

ويؤخر عمرو بن العاص الفاعل ليصلي عليه:

إِنْ كَانَ أَوْذَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ ذَهْرٌ فَاجِعُ

ومثل هذا تأخر المسند عند عبد الحارث بن أنس:

لَعَنَرِي لَسْتُنْ كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ - أَوْذَى بِهِ الْقَدْرُ

وهذا الأدب من الصحابة عند ذكر اسم النبي ﷺ كان داعيًا من دواعي أسلوب آخر هو (الاعتراض). وكان الاعتراض أسلوبًا شائعًا في المراتي النبوية.

ومن دواعيه الأخر الاعتراض من أجل الاحتراز، كقول عبد الحارث:

وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْفِدَاءُ، وَهَذِهِ وَإِنْ بَدَلْتِ - لَا يُسْتَرَدُّ بِهَا بَشْرُ

والاعتراض من أجل الإعجاب والحث، كقول شداد بن مالك بن صنميج محريصًا الخليفة

أبا بكر كي يعزّر البغايا الشامتات:

فَاقْطَعْ - فُديت - أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي مُثُونِ عَمَامٍ

والاعتراض من أجل تبيان العزم مهما بلغت المشقة، كقول عدي:

(١) البلاغة العربية، للميداني ١/٤٨٠.

وَأَنَا - وَإِنْ جَاشَتْ فَرَارُهُ كُلُّهَا
وَأَجْرَى لَهُمْ فِيهَا ذُبُولُ غُرُورِهِ
وَذُبْيَانُ فِي مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ مُزْبِدٍ
ظَلَيْحَةُ مَأْوَى كُلِّ غَارٍ وَمُلْحَدٍ -
بِصَمِّ الْعَوَالِي وَالصَّفِيحِ الْمُهَنْدِ
نُعَادِرُهُمْ بِالْحَيْلِ حَتَّى نَقِيمَهُمْ

وهو اعتراض مُظنَّب في التهويل مما بيَّته الأعداء، حتى إذا انتهت جملة الاعتراض أتى الخبر راسخاً، حاسماً كلَّ شك.

وقد يعترضون حرصاً على استقامة الجملة لإيقاع الشعر، وهو لولن من التقديم والتأخير، وذلك لأن قول سواد مثلاً:

إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَعَتْ بِنَا - أَوْتَادُ
إِنْ نَحْنُ رَتَّبْنَاهُ عَلَى صُورَتِهِ الْعَادِيَّةِ فَقَلْنَا: فَأَنْتُمْ أَوْتَادُ لِلْأَرْضِ إِنْ رَجَعَتْ بِنَا؛ جَفَّ مَاؤُهُ،
وَذَهَبَتْ طَلَاوَتُهُ. وَمِنْ قَبِيلِهِ قَوْلُ الْعَتَكِيِّ:

فَلَقَدْ أَصْبَتْنَا بِالنَّيِّبِ، وَأَنْفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى الْبَيْتَةِ - أَجْدَعُ
وقريبٌ من ذلك الالتفاتِ ضربٌ من البيان آخرُ أَسْمَوْهُ (بالتجريد). ومعناه «إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك»^(١). وقد وقع في المراثي في إخبار الشعراء عن أنفسهم كأنهم يخبرون عن غيرهم، كقول سواد بن قارب:

هَذَا وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفِيدُهُ فِدَاءُ سَوَادُ
ولم يقل: فديته، احتراساً من أن يكون في الكلام بضمير المتكلم شبهةً إكباراً أو تفضُّلاً منه، فجرد من نفسه شخصاً آخر ليُحقِّر من شأن نفسه، وليظهر من طرفٍ خفيٍّ أن نفسه ليست ملكاً له.

وكقول عمرو بن العاص:

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/٤٠٥.

إنكارياً، ويراد به النفي، مع الإنكار على الميثب كيف أثبت ما هو ظاهر النفي، وكان الواجب عليه أن ينفي^(١).

وكقول مُرَّان متأسفاً على جميل خلق النبي ﷺ:

يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصِيبَ بِهَا النَّاسُ تَوَلَّتْ، وَحَانَ مِنْهَا الرَّجِيلُ

أي أتعجب منها كيف شملت الناس فأنجتهم من العذاب، ثم أتعجب كيف سيصر الناس على رحيلها عنهم، وهو يتعجب أيضاً من هذه الرحمة المحمدية التي لم يشهد الخلق في سابق عهدهم مثلها. وفي مثل هذا قال الزمخشري: « ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله^(٢)، وكذلك كانت رحمة النبي ﷺ بهؤلاء الناس.

وكذلك يتعجب عبد الله بن مالك الأرحبي من إكرام الله لنبيه وهو يقبضه إليه:

دَعَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ فَأَجَابَهُ فَيَا خَيْرَ غُورِي وَيَا خَيْرَ مُنْجِدٍ!

فالنبي ﷺ خير الخلق المستحقين للإكرام والإنعام، والله الإله الحق خير إليه يُنعم ويتفضل على عباده في رؤيتهم.

وكانوا يتعجبون تعجباً يزيد من مرارة الحزن، ويُنبئنا بإفداحة ما خلفه الموت،

فيشكو عمرو بن سالم من نفسه التي تتأني إلا على الوجع، ويعجب من حالها:

فَيَا لَكَ نَفْسًا لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا عَلَى الدَّهْرِ طَوْلُ الدَّهْرِ إِلَّا تَصَدَّعًا!

ويعجب سواداً من نفسه كيف يتفق لها أن يكون لها فؤادٌ وقد فارقه حبيبهُ:

(١) البلاغة العربية، للسيداني ٢٧١/١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ٥٢٣/٤ (تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

حُرْزًا - لَعْمَرُكَ - فِي الْفُرَادِ مُحَامِرًا أَوْ هَلْ لِمَنْ فَقَدَ النَّبِيَّ فُرَادًا ١٢

وتستعجب عاتكة بنت زيد من حالها إن هي عاشت بعده:

فَكَيْفَ حَيَاتِي بَعْدَ الرَّسُولِ وَقَدْ حَانَ مِنْ مِيْتَةٍ جِيئَهَا ١٣

وكانوا يُظنون أقوامهم الذين لم يتزحزحوا عن الإسلام، بل ثبتوا عليه ودافعوا المرتدين؛ وجعلوا من التعجب سبيلاً إلى ذلك، فيقول ابن ذي المشاعر مفتخرًا بأصله الذي فيه رضع الوفاء والتَّجْدَة:

صِيغْنَا عَلَى ذَا وَآبَاؤَنَا فَأَكْرِمُ بِصِبْغِنَا فِي الصَّبْغِ ١

وفي صيغة (أفعل به) دعوة المستمع إلى مشاركة المتعجب في تعجبه، كأن المتعجب منه بلغ من الشهرة ما جرَّ الشاعِر على دعاء الناس إلى التَّعْجِب معه.

وَيَعْجِب مُرَّانٌ مِنْ صِفَةِ الْهَمْدَانِيِّينَ فِي الْحَرْبِ، وَكَيْفَ يَكُونُونَ جَلَالًا وَبَأْسًا وَجَمَالًا:

أَيُّ قَوْمٍ هُمْ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ وَصَارُوا كَأَنَّهُمْ إِكْلِيلُ
ثُمَّ نَادَاوُا بِأَنَّهُمْ قَهْرُوا النَّاسَ سَ كَمَا يَقْهَرُ الْبِكَّارُ الْفُحُولُ ١

وهما تعجبان وإن كان ظاهرهما منافاة الرثاء؛ إلا أنهما محمودان في هذا الموقف، موقف أداء حق الرسول كأن لم يمت.

لقد غدا التعجب أرضاً مهاداً لشعراء الصحابة ساعة اضطربت مشاعرهم فلم يجدوا من الكلام ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً، أو ينقلها نقلاً كُفئاً لما انتثنت عواطفهم عليه. ومن أجل ذلك قال الرَّمَّانِي: «المطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يُعرف سببه. وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن...»^(١).

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ٣١٧/٢ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية لعيسى الباني الحلبي وشركائه).

ومن مُعاد أسلوبهم في المراتي (الطباق) أو التطبيق كما سَمَّاه الشيخُ عبدُ القاهر^(١).
وقد أدرجه البلاغيون في أنواع المحسن المعنوي، فظنَّ من علم البديع، وهو إلى المعاني
أقرب وبه أصدق؛ لما فيه من اختزالِ المواقف بالجمع بين النقيضين، والعبارة الوجيهة عن
غايات النفس المورَّعة بين بلاء اليوم وذكرىات الأمس.

ولعل العنصر الجمالي في الطباق ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان،
باعتبار أن المتقابلات أقربُ تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات^(٢).

وكان غالب المطابقة التي أوردها شعراء المراتي المطابقة بين حياة الرسول ﷺ وموته؛
إظهاراً لحقائق الأمور، وتنبئها على المفارقة المرة بين الحالين الشتيتين.

فلقد كانت حياة الرسول رحمة لهم، لَمَّا مات زالت عنهم، والرحمة إذا زالت حلَّ محلُّها
بؤسٌ وشقاءٌ وبأسٌ، وهذا يظهر في قول ذي الكلاع واصفاً الزرارية التي عليها قومُه لوفاة
الرسول، ثم مطابقتها بين موته وبقائه:

قَدْ أَتَى حَيْثَرَ أَمْرٍ شَامِلٌ قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزِرٌ بِالْأَمَلِ
مَوْتُ مَنْ كَانَ بَقَاءَ رَحْمَةٍ كُلُّ شَيْءٍ مَا حَلَا هَذَا جَلَلٌ

ولم لا يَلْقَهُم هذا الشعور وهم قد رأوا بين حياتهم بؤنا: حياتهم وهو حي، وحياتهم وهو
ميت. ألم يكن يحجرهم عن النار، ويدود عنهم الموبقات، وهو الذي أنقذهم وقد أوشكوا
على الهلاك، وأخذ بأيديهم وقد أنهكتهم ويلاث الضلالة، وشتان ما بين مضلٍ وهادٍ، يقول
أبوسفيان يذكر ما أثره:

وَيَهْدِينَا فَلَا نَحْشَى ضَلَالاً وَعَلَيْنَا وَالرَّسُولَ لَنَا دَلِيلٌ

(١) انظر: أسرار البلاغة، للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ص ٢٠ (قرأه وعلّق عليه محمود محمد
شاكِر، دار المدني، القاهرة، ط ١٤١٢ هـ).

(٢) انظر: البلاغة العربية، للميداني ٣٧٨/٢.

لذلك هو عند أبي سفيان خير الأحياء، وخير الموتي؛ إذ لا نظير له:

فَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ حَيًّا وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَوْتَى عَدِيلٌ

وهم مهما حزنوا عليه - كما يقول مسروق - فإن حزنهم غير بالغ قدر المصيبة بوفاته؛
فهي أمر عظيم، يقول:

كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ تَعَاظَمَنِي الصَّبُّ سُرُّ عَلَيْهِ بَعْدَ النَّبِيِّ دَقِيقٌ

لقد أدركوا أنهم لو تركوا أنفسهم لهواها اشتطت بهم، وأسأوا أمراء، فأبوا إلى ربهم،
وجعلوا عزاءهم في موت النبي ﷺ الله الحي الباقي، فكان الله - تعالى - خير عزاء ثبتهم
وربط على قلوبهم. انظر إلى قول ذي الكلاع يتقوى بربه مطابقاً بين النبي الذي مات، والله
الحي الذي لا يموت:

إِنْ يَكُنْ مَاتَ فَهَذَا رَبُّنَا لَمْ يَمُتْ، وَاللَّهُ حَيٌّ لَمْ يَزَلْ

والرسول إذا مات فإن الدين عندهم لا يموت بموته، فهو محمي بحماية الله له، وهذا معنى
مرّ كثيراً، فقد قال عبد الله بن أنيس مطابقاً بين موت الرسول وحياة الدين:

فَإِنْ مَاتَ فَالْإِسْلَامُ حَيٌّ، وَرَبُّنَا لِيَذَا الدِّينِ مِمَّا كَادَهُ الْيَوْمَ مَا نِعُ

وهذا هو المحك الذي عنده تظهر معادن الناس، الدين، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً
قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن أطاع دين النبي ﷺ حققت له
الطاعة، ومن عصاه فما له إلا الإباء، وقد جمع عبد الحارث بن أنس هذا المعنى في هذه
المقابلة:

وَتَحْنُ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ تَرَى الَّذِي نَهَانَا حَرَامًا مِنْهُ، وَالْأَمْرُ مَا أَمَرَ
نُطِيعُ قُرْبَانًا مَا أَطَاعُوا فَإِنْ عَصَوْا أَبَيْتْنَا، وَلَمْ نَشِرِ السَّلَامَةَ بِالْعَرَرِ

ودين الله منصورٌ أبداً، وإن عجل عليه العاجلون أو ظنوا به الظنون، كذلك آمن
الصحابة، وردوا على المنافقين والكفار واليهود الشامتين، بأن ما أصابهم في هنيهة اليوم؛

الله كاشفه غدا، قال أبو الهيثم:

فَإِنْ تَكُ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ سَمَاتَةٌ فَلَا يَأْمَنُوا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي عَهْدِ

وبذلك وجد الصحابة في الطباقي خير معين على الإعراب عن تقلب أمرهم بين اليأس والرجاء، والخوف والأمل، والوعد والوعيد.

ولا يخلو تدبر الصحابة بالجمع بين النقيضين في الساعة الحرجة من عقل وحكمة متعاهم من الانسياق خلف عواطفهم الجارفة، ولم يقفوا عند ذلك، بل ربما عززوا المراثي بشيء من (حكمة خالصة) لعلمهم بغالبون بها ألهم، وبطفثون ببردها لوعة صدورهم، فمنها قول أبي الهيثم يهدد فؤاده وبصيرته:

أَلَا قَدْ أَرَى أَنَّ الْمَتَى لَمْ تُخَلِّدِ لِأَنَّ الْمَنَائِمَا لِلنُّفُوسِ بِمَرَصِدِ

وهنا تعمّد الشاعر المجانسة بين المتى والمنايا ليشير إلى أن المنية ليست ببعيد عن الأمنية، وأن الإنسان يعيش في قلق دائم على مصيره، ويسعى في الحياة حتى في أسعد لحظاتها متوجّساً من هذا الموت الذي يهدم لذاته، ويستلب الأعبة منه.

ومن الحكمة قول عبد الله بن سلمة يُدّكر نفسه أن الموت حق، وأنه لا فرار منه:

وَقَدْتُهُ النَّفُوسُ، لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ تِ فِرَارٌ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ ؟

ليس من الموت فرار: الحقيقة الإنسانية الكبرى التي أقرت لها البشرية جميعاً مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأديانهم، وخضعوا لويلاتها خضوع المستسلم العاجز أو خضوع الحنجع، والعقلاء على أنها ما دامت لا مناص منها، فالتسليم أولى.

ومنها قول الزبيرقان بن بدر يذكر فعل الموت بالأولين والآخرين، وكيف يغتال بهجتهم:

وَأَيُّ قَوْمٍ أَدْرَكُوا غِبْطَةً دَامَتْ لَهُمْ مِنْ آلِ حَامٍ وَسَامِ

يريد أن يقول: لا أحد، فليست مصيبة الموت بدعًا فينا وحدنا، ولكنها المصيبة التي ينتهي إليها الخلق جميعًا.

والشاعر لا يسعى بمثل هذه المعاني إلى القعود من الناس مقعد الحكيم، ولكنه إنما يريد أن يربط موقفه الخاص بموقف أعم وأشمل... وكأنه يضع تجربته الخاصة أمام معيارٍ عامٍ لدى المتلقي؛ ليدرك المفارقة فيها أو الموافقة... وهذا - لا ريب - انفراجٌ بالقول، وانفساحٌ بخصوصياته إلى أظرف إنسانية أوسع^(١).

وفي المراثي (حذف)، والحذف من بلاغة العرب، وقد كانوا يفضلون الإيجاز ويقدمونه^(٢)، والحذف نوع إيجاز، وهو أحقُّ بالشعر وأهلُّ له؛ لأن فيه غموضًا محمودًا يستوقف القارئ، ويستحثُّ ذكاه^(٣) لملء الفراغ المعنوي الذي تركه المحذوف. ومن حذف أصحاب المراثي قول سواد:

هَذَا، وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا
لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ فَدَاهُ سَوَادٌ

أي: لو كان يفديه أحدٌ، فحذف الفاعل لقريظة لفظية هي ذكر اسم سوادٍ بعده، وسوادٌ أحدٌ من الناس. وقد حذف الشاعر هنا إبهامًا لشأن المحذوف كي يعبر عن السعة والكثرة؛ فكلُّ أحدٍ من الناس عظيم شأنه أو وضع يتميُّ لو كان يفدي رسول الله ﷺ.

ومنه قول العتكي:

يَا عَمْرُو، إِنَّ حَيَاتَهُ كَوَقَاتِهِ
فَيْنَا، أَتُبْصِرُ مَا نَقُولُ وَتَسْمَعُ ؟

أي: أتبصر ما نفعل، وتسمع ما نقول ؟ وقد يحمله قومٌ على ما يُسئى

(١) دراسات في الشعر الجاهلي، لأستاذنا الدكتور فوزي محمد أمين ص ٤٤٢ (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢م).

(٢) انظر: الإعجاز والإيجاز، للشعالي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ص ١٠ (دار الفنون، بيروت، ط ٣/١٤٠٥هـ).

(٣) انظر: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، للدكتور صلاح الدين عبد التواب ص ١٤٩ (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط ١/١٩٩٥م).

ب (تراسل الحواس)^(١)، ولا بأس به؛ فالشعر يحتمله، والمعنى: أنه بلغ قولنا الذي تسمعه بأذنك من الصدق مبلغًا كأنه تمثّل أمامك فأبصرته بعينيك.

ومنه قول عمرو بن سالم:

قَلِمَ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَعْظَمَ حَادِثًا وَلَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَوْجِعًا
وَلَمْ أَرْ مِنْ يَوْمٍ أَعَمَّ مُصِيبَةً وَلَا لَيْلَةَ كَانَتْ أَمْرًا وَأَفْظَعًا

أي: من ذلك اليوم، يوم الوفاة، وقد حذفه لذيوعه وإساع العلم به، وحذفه تهويلًا لأمره، وللذي جرى فيه، وكأنه بهذا الحذف يفتح أمامنا أبوابًا من المعاني التي يجوز لنا تصوّرها، والتي مثل الشاعر لبعضها، كعظم الحوادث، وكثرة المواجه، وعموم البلوى... وهلمّ جرا.

وقول أبي سفيان:

أَفَاطِمُ إِنْ جَزَعْتِ قَدَاكَ عُذْرٌ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهُوَ السَّبِيلُ

أي: السبيل المأمور المرجو منك. وهو حذف للنعت تفخيماً له وثناءً عليه، وكان هذا السبيل المحمود قد عُرف فضله في الأذهان، قرأى الشاعر أن لا حاجة إلى ذكر نعوته سواء عند السامع أو المعزّي.

وقوله:

وَقَوْلِي فِي أَبِيكَ، وَلَا تَمَلِي وَهَلْ يَجْزِي بِفِعْلِ أَبِيكَ قِيلُ ١٩

أي: قولي فيه ما شئت. وقد ترك الشاعر مقول القول لصعوبة استيفائه عليه؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يثنى على الرسول بما هو أهله؟ لقد كان الشاعر بليغًا حين تخفّف من

(١) تراسل الحواس هو خلْع وظيفية حاسّة على حاسة أخرى (انظر: الصورة الفنية معيارًا نقديًا، للدكتور عبد الإله الصائغ ص ٤١٥، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١٩٨٧م)، وقد يسمى تبادل الحواس، وهو قديم مأثور في شعر العرب (انظر: تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، للدكتور عبد الرحمن محمد الوصيفي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠٠٨م).

مؤونة هذا الجمل الثقيل، وترك لكل أحد أن يقول في الرسول ما يحب. عند هذا الحذف تتفتق المعاني، ويتروى القارئ قليلاً ليُطيف بخياله ما يذكُرُه من فضائل الرسول ﷺ وصالح أعماله، فتواتيه هزةٌ يُحدثها حبه له، وحزنه على موته.

وكان الشاعر بليغاً مرّةً أخرى حين أكد كثرة ما يستحقُّه الرسول من الثناء بـ (النهي) بعد ما أبانه بالحذف؛ أعني نهى القائلين عن اللال من تمجيد الرسول ﷺ؛ فإن حقه كبير لا ينبغي أن يُمل من ذكره وترداده.

ولمثل ذلك كان الجرجاني محقاً في نعتة الحذف بأنه «بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذِّكر أفضح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين»^(١).

ولو تكلف الشاعر ذكر مدائح النبي ﷺ لشقَّ على نفسه، وأنزل بالكلام عن درجته السامقة؛ ذلك أن «من علامات الحذف البليغ الذي يرفع قيمة الكلام، أنه إذا أُظهِر المحذوف زال ما في الكلام من بهجة وطلاوة وجمالٍ فتى وإبداع»^(٢).

ذلك، وفي المراثي أبيات عليها (طبائع التثر)، جرَّ إلى شيء كثير منها إنشادها في مقام الخطابة، وإن قارئاً لمرثية عدي بن حاتم يلقى فيها أبياتاً كأنها التثر؛ لبناتها المنطقي الذي لا تقديم فيه ولا تأخير، ولسهولة، وطول جملتها، كثلاثة هذه الأبيات:

أَلَا إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَصْبَحَ أَهْلُهُ	عَلَى وَثَلِ حَدِّ السَّيْفِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَلَا ذَاكَ مِنْ ذُلٍّ وَلَا مِنْ خِافَةٍ	عَلَى التَّيْنِ وَالدُّنْيَا لِإِنْحَارِ مَوْعِدِ
وَلَكِنْ أَصْبَحْنَا بِالنَّبِيِّ، فَلَيْلُنَا	طَوِيلٌ كَلَيْلِ الْأَزْمِدِ الْمُتَلَدِّدِ

فإنك لو لم تفصل بين الشطرين، وقرأتها كلها كأنها قطعة واحدة؛ ساغ لك عدّها في

(١) دلائل الإعجاز ص ١٤٦ (قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م).

(٢) البلاغة العربية، للميداني ١/٣٣٠.

النثر من غير ما غضاضة. وهذه الأبيات ألقاها عدني وهو يخطب في قومه، فخرجت واضحة عادية سلسة، موافقة لمقام الخطيب.

والخطابة سبيلها الإقناع والصراحة، وها هو يقول في المرثية وهو يخطب بضمير الجمع في قومه المتحليين حوله:

وَقَدْ سَرَّرَنِي مِنْكُمْ مَعَاشَرَ طَيِّبٍ جِمَايَةَ هَذَا الدِّينِ مِنْ كُلِّ مُعْتَدِي
وَيَبُغُّكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَنُفُوسَكُمْ رَجَاءَ الَّذِي يُجْزِي بِهِ اللَّهُ فِي عَدِ
وَإِعْظَاؤَكُمْ مَا كَانَ مِنْ صَدَقَاتِكُمْ بِغَيْرِ جِهَادٍ مِنْ لِسَانٍ وَلَا يَدِ

وقوله هذا كأنه النثر إلا أنه قفاه وضمّنه قصيدته.

على أنه استحبّ فريق للشعر أن يخرج « خروج النثر سهولة وانتظاماً »^(١)؛ لأنه أسير على التلقيني، وأقرب إلى ما اعتاده الناس في كلامهم. وهذا النمط من الشعر لعله أكثر ملاءمة لطبقة العامة منهم دون الخاصة.

ومن آثار الخطابة في المراثي التوجُّه بالخطاب إلى الأمراء، وهذا ينحرف بالشعر من الإيحاء إلى التقرير كقول مسروق بن ذي الحارث:

أَيُّهَا الْقَائِمُ الْمُعْصِبُ بِالْأَمْرِ رِ لَأَنْتَ الْمُصَدِّقُ الصِّدِّيقُ
إِنَّ ذَا الْأَمْرِ فِيكُمْ فَخُذُوهُ ثُمَّ قُودُوا إِلَى التَّجَاةِ وَسُوقُوا

ومن مناجاة القلوب إلى البرهان للعقول، كقول ذي الكلاع مستشهداً في صدقهم بمعاذ ابن جبل:

قَدْ أَجَبْنَا وَقُلْنَا قَوْلَهُ وَرَأَى ذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ
قَالَ: قُولُوا، وَإِذَا مَا قُلْتُمْ فَأَعْمَلُوا فَالَّذِينَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
فَأَطَعْنَا، وَهَذَا دِينُنَا ظَاهِرُ الصِّحَّةِ مَا فِيهِ دَعْلٌ

(١) عيار الشعر، لابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي ص ٨٩ (تحقيق وتعليق الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ط ٣).

ومن آثارها الانصراف عن حديث الرثاء إلى تجديد العهد والمفخرة بالأقوام، كانصراف العتكي من بكاء الرسول ﷺ إلى طمأنة عمرو، وإسداء النصح له؛ انصرافاً غير مجرى القصيدة:

يَا عَمْرُو، إِنَّ حَيَاتَهُ كَوَفَاتِهِ فِيمَا، أَتُبَصِّرُ مَا نَقُولُ وَتَسْمَعُ
فَأَقِمْ فَاثِقَكَ لَا تَخَافُ، وَجَارَتَنَا يَا عَمْرُو، ذَاكَ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
إِنَّ الْعُرَيْبَ لَهَا وَشِيكًا نَفْرَةً فَاَنْظُرْ وَأَنْتَ تَعُولُهُ مَا يَفْعَلُ

ومن نثرية في بعض مواطن المراثي المحاوره يقال وقُلْتُ، كمحاوره الغائب المفترض في قول عبد الحارث بن أنس:

وَلَوْ قِيلَ: تَفْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ؟ لَقُلْنَا: نَعَمْ، بِالتَّقْطِيسِ وَالتَّسْمِيعِ وَالتَّبَصُّرِ

وهذا أسلوب من الحوار يرمي إلى تطهير ما قد يعلق بأنفس الآخرين من شكوك، وانظر إلى الإفاضة في الفداء بعد الإجابة بنعم إذ لم يقتصر عليها، بل فصل تفصيل الواثق القوي بأنهم سيفدونه بأغلى ما يملكون، وهو نوع من الإطناب البليغ اصطلاحاً على تسميته (الإطناب بالزيادة) بذكر الخاص بعد العام استهانةً ببذل أخص النفاثس، وأحبها إلى القلب، والتي تكون الحياةً بغيرها منغصةً لا لذة فيها، ثم ترقى درجةً في توكيد الفداء فجعل بذل هذه الجوارح مع غلاوتها قليلاً إذا ما قورن بفضل الفقيد، وبذلك تمحي عوائل شكي في صدقهم إن هي علققت بنفسين من النفوس.

أما سوادٌ فلم يجب عن سؤال الفداء المفترض بنعم؛ لأنه رأى في الإجابة عنه بنعم تراخياً وخمولاً، ولكنه أوجز فبادر إلى ضروب من الفداء، فقال:

لَوْ قِيلَ: تَفْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُذِلَتْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَّفُوسُ بِبَذْلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا وَهَذَا لَا يَرُدُّ نَبِيَّنَا لَوْ كَانَ يَفْدِيهِ قَدَاهُ سَوَادُ

فيمثل هذه الحماسة ينطرح الصحابة في مهاوي الردى، ويتسارعون إلى إنفاق أرواحهم لورد ذلك إليهم نبيهم؟ أجل، قد يقال: لِمَ قالوا ذلك وقد علموا أنه لا يرد إليهم نبيهم؟ فيجيب: قالوه ترويحاً عن حُرقة قلوبهم، ذلك أنَّ تجاذب أطراف الحديث بالحوار يهون من لواعج الصدر، ويفرّج عن كرباته. وأتى لنا معرفة هذه الأحاسيس النبيلة لو لم يكونوا اتخذوا هذه المسالك المختلفة من التعبير.

ومن حوار الصحابة ما يمكن أن نسميه: (حديث النفس)، وهو حديثٌ فيه مَسَحَات بما يُطلق عليه في النقد الحديث (أسلوب تيار الوعي)^(١)، وقد جاء قريباً من هذا الحديث في قول مسروقٍ يحاور نفسه:

قُلْتُ - وَالنَّفْسُ لِلْبَلَاءِ عَزُوفٌ: أَيْنَ يَهْوِي بِكَفِّهِ الْمَخْتُوفُ؟

ثم تجيب نفسه نفسه بأن الحزن لا مفرّ منه، ولا من انقباضة الصدر:

لَا إِلَى أَيْنَ - إِنْ سَأَلْتِ - سِوَى الْخَنَقِ، وَإِنِّي بِمُخْتَفِهِ مَخْتُوفٌ

ثم يأتي صوت منه كأنه صوتٌ ثالث، أو كأنه الصوتُ الأول الذي سأل؛ فيعود بالحديث من الشُّرود إلى العقل وهو يقول:

لَا يَرُدُّ النَّبِيَّ ذَاكَ عَلَى النَّاسِ، وَفِي طُولِ حُزْنِنَا تَخْفِيفٌ

وعبدُ الله بن سلمة حين فدّى رسولَ الله ﷺ حدّثته نفسه، فسقّها، وقال لها: ليس من الموت فرار، وإن كان فخّيري إن كنت ناصحةً - أيتها النفس -: أَيْنَ الْفِرَارُ:

إِنَّ فَقْدَ النَّبِيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ مَ فَدْتَهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
وَقَدْتَهُ النَّفْسُ، لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ تِ فِرَارٌ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟

(١) انظر: النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال ص ٥١٨.

(٣)

مَعَانٍ إِسْلَامِيَّةٍ

لم تتبّع المراثي النبويّة سنن المراثي الجاهلية حدّو القُدّة بالقذّة، بل إننا لنجد فيها آثاراً ظاهرة من آثار الإسلام في مصدريه الكبيرين: الكتاب والسنة.

من ذلك اقتباس الصحابة من كلمات الله - سبحانه وتعالى - في القرآن العظيم، كقول أبي الهيثم بن القتيبان:

ثَلَاثَةٌ أَصْطَفَى مِنْ النَّاسِ كُلُّهُمْ يَرُوحُ عَلَيْنَا بِالسَّنَانِ وَيَغْتَدِي

فإن الخاطر يذهب بنا عند استماعه إلى قول الله - تعالى - : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]. أقول الخاطر؛ لأنه قد يفهم على مجرد الموافقة، ولكن قوله:

وَأَوْعَدَ كَذَابُ الْيَمَامَةِ جُهْدَهُ فَأَجْلَبَ عَوْدًا بِاللِّسَانِ وَيَأْيِدِ

أدعى إلى الذهاب بنا إلى قول الله تعالى : ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَبْلِكِ وَرَجْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، فقد قسّم البيت تقسيم الآية؛ فأورد فيه الإجلاب بقريب من وروده في الآية، ثم أورد اللسان واليد في مقابل الخيل والرجل.

وأبو الهيثم في عجز هذا البيت:

فَإِنْ تَكَ هَذَا الْيَوْمَ مِنْهُمْ سَمَاتَةٌ فَلَا يَأْمَنُوا مَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي عَدٍ
يقتضي قول المولى جلّ وعلا: ﴿لَا تُدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]؛
لأنه أتى على معنى الآية، وأتى على بعض ألفاظها.

ويتلو شاعر كعبيد الحارث بن أنس قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]،
فيستجيب له وينقله إلى مرثيته في قوله:

بِتَجْرَانٍ نُعْطِي مَنْ سَعَى صَدَقَاتِنَا مُوقَّرَةً، مَا فِي الْخُدُودِ لَهَا صَعْرٌ
وهو نقل - على يسره - يشقّ عن إيمان من الشاعر جعله معجباً بآيات الله،
منصرفاً إليها يستحضر منها المعاني والألفاظ، ولم يُلْهِه بُعْده هنالك في اليمن عن
حفظها والاستشهاد بها.

وهذا النقل له صورة أخرى عند عبد الله بن أنيس، فهو لما قرأ قول الله - سبحانه وتعالى:
﴿وَنَشَرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]؛
قال وهو يبكي النبي ﷺ:

وَلَكِنِّي بَاكِ عَلَيْكَ، وَمُتَّبِعٌ مُصِيبَتُهُ: إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ
فامتثل لأمر الله. وهذا أمرٌ جديدٌ لم يكن لسراي الجاهلية مثله من قبل، وهو أثرٌ
صريحٌ ومعنىٌ جليلٌ تركه القرآن في نفوس الصحابة، أعني الصبر على المصائب شديدها
وهيئها

ويأتي تشبيه الرسول في القرآن بالثور في قول الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] ^(١) فَيُتَّبِعُ في خيال صفة عمته، فتقول له وهي ترثوه:

(١) قال الطبري في تفسير الآية: والنور محمد ﷺ «أنار الله به الحق، وأظهر به الإسلام، وحق به الشرك» (جامع
البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، حقق بإشراف الدكتور عبد الحميد عبد المنعم
مذكور، دار السلام، مصر، ط ١٤٢٨هـ).

قَدْ كُنْتَ بَدْرًا وَتُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ عَلَيكَ تَنْزُلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ
فكأنها تعددت ترتيب بيتها كترتيب الآية من وصف النبي بالنور، ثم ذكر الكتب
المنزلة من الله، وكل ذلك في الآية.

وتتلو قول الله - تعالى - يصف نبيه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ [المائدة: ١٦]؛ فتؤثره للبكاء به على النبي ﷺ في قولها:
عَلَى الْمُرْتَضَى لِلْهُدَى وَالثَّقَى وَلِلرُّشْدِ وَالنُّورِ بَعْدَ الظُّلْمِ
وكأنها فهمت من باء السبب في قول الله ﴿بِهِ﴾ اختيارًا ورضى من الله لنبيه هداية
الناس فذكرت «المرتضى للهدى»، ثم ذكرت الظلمات والنور مثلما ذكرتهما الآية.
أما بيتها هذا:

فَاتِحٌ، خَاتِمٌ، رَجِيمٌ، رُؤُوفٌ صَادِقُ الْقَيْلِ، طَيِّبُ الْأَنْوَابِ
فهو مستخلص من بضع آيات منها قول الله - تعالى -: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله
- سبحانه وتعالى -: ﴿وَيَبَّاكَ فَطَهَّنْ﴾ [المدثر: ٤].
وأما بيتها:

رَحْمَةٌ كَانَ لِلرَّبِّيَّةِ ظَرًّا فَهَدَى مَنْ أَطَاعَهُ لِلسَّدَادِ
فمجموع من غير آية كقوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨]، وقوله
- تعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وتنتشر في المراثي المعاني الإسلامية الجديدة، كالقول بتفضيل النبي محمد ﷺ على سائر
البشر إيمانًا بقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»^(١).

(١) كمرثية حسان بن ثابت (أليت حلفة بر)، البيت الأول؛ ومرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت الرابع عشر؛
ومرثية كعب بن مالك (يا عين فابكي)، البيت الثالث. والحديث في صحيح مسلم ٥٩/٧ (دار الجليل، بيروت).

ومن هذه المعاني: الغيرة على عرضه، والتأدي من شماتة الشامتين بموته، والسعي إلى الخليفة ليقبض منهم^(١).

ومنها القول بأن الإيمان قول وعمل^(٢)، وهذا المعنى تظاهرت فيه الآيات والأحاديث، فقد قرن الله الإيمان بالعمل في آيات كثيرة من كتابه العزيز كقوله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ؛ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، وفي الحديث: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٣).

ومنها استعمال مصطلحات من صميم الدين كالنبوة^(٤)، والرّسالة^(٥)، والقضاء^(٦)، والقدر^(٧)، والحلال، والحرام^(٨)، والحياء^(٩)، والشواب^(١٠)، والوحي^(١١)، والكتاب^(١٢)،

(١) مرثيتا امرئ القيس بن عابيس؛ وشداد بن مالك بن ضَمْعَج.

(٢) مرثية ذي الكلاع، البيت الخامس.

(٣) صحيح مسلم ٤٦/١.

(٤) مرثية عدّي بن حاتم، البيت السابع.

(٥) مرثية عبد الله بن مالك الأرحبي، البيت الثاني.

(٦) مرثية عمرو بن العاص (صدع القلوب)، البيت الخامس.

(٧) مرثية عبد الحارث بن أنس، البيت الأول؛ ومرثية صفية بنت عبد المطلب: (لهف نفسي)، البيت الثالث؛

(و) عين جودي وسهود، البيت الثالث؛ (ألا يا رسول الله)، البيت التاسع. وانظر: شعر صفية بنت عبد المطلب، للدكتور محمد أبو المجد ص ٩١.

(٨) مرثية الزبيرقان بن بدر، البيت الرابع؛ ومرثية عبد الحارث بن أنس بن الديان، البيت التاسع.

(٩) مرثية عمرو بن سالم الخزاعي، البيت السادس.

(١٠) مرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت السادس عشر.

(١١) مرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت الثامن؛ ومرثية صفية (قد كان بعدك أنباء)، البيت الرابع.

(١٢) مرثيتا صفية: (قد كان بعدك أنباء)، البيت الثالث؛ و(عين جودي بدمعة تسكاب)، البيت الثالث؛ ومرثية

عدّي بن حاتم، البيت السابع.

والغيب^(١)، والبعث^(٢)، والصلاة^(٣)، والجهاد^(٤)، والزكاة^(٥)، والصدقة^(٦)، وكلُّها أسماءٌ لأصول ثابتة ذات فروع متشعبة الدلالة في الدين الإسلامي.

ولوتبتبنا ذلك في المراثي النبوية وجدناه كثيرًا، ولكنَّ الصحابة لم يقفوا عند حدِّ استعارة الألفاظ والمعاني الجزئية وحسب^(٧)، بل كان لهم حظٌّ كبيرٌ في هذه المراثي من تمثُّل مقاصد الدين وغايات الشريعة، مثال ذلك قول عمرو بن سالم وهو يسلي حفصة يوم الوفاة، ويذكرها بالله وبوعد الله، ويحذرها تحذير المؤمن البصير بدين الله:

تَعَزَّيْ بِصَبْرٍ، وَأَذْكَرِي اللَّهَ، وَأَعْلَمِي بِأَنْ سَوِّفَ يَجْزِي كُلَّ سَاجِدٍ بِمَا سَعَى
وَلَا تَسْرَزِّي نَحْضَ الْحَيَاءِ فَتُنْجَعِي بِدِينِكَ وَالْذُّنْيَا فَتَرَزَّيْهَا مَعَا

فإنَّ الحثَّ على الصبر، والتقوي بذكر الله؛ خُلِقَ إسلامي رفيع أثنى الله عليه في كتابه في سورة العصر، وإنَّ حُسن الظنِّ بعدل الله ورحمته في الآخرة لعباده الصالحين خلاصة جامعة مما جاء به الإسلام، وإنَّ محبة الحياء خصوصًا وقت الشدة، وقت يُنسي الحزن الإنسان نفسه؛ عمَلٌ من لبِّ الدين وصميمه. وكلُّ أولئك ليست ألفاظًا متقاصرة، وإنما هو منهاج حياة تامٌّ أشربه قلب رجل مؤمن ثم أذاعه لسأته. وكل أولئك لا عهد لثناء الجاهلية به، نعم قد يقصد الشاعر الجاهلي إلى شيء من هذه المعاني، ولكنه لا يستطيعها كلُّها جملة واحدة، ولا يستطيع مثيلها؛ لأنها أشياء من وحي السماء لا قدرة لبشرٍ من تلقاء أنفسهم عليها.

(١) مرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت الثالث عشر.

(٢) مرثية عمرو بن العاص (يا قرئ)، البيت الأول.

(٣) مرثية عبد الله بن سلمة الهمداني، البيت الرابع.

(٤) مرثية سواد بن قارب، البيت الثامن، ومرثية عددي بن حاتم، البيت السابع.

(٥) مرثية عمرو بن العاص (يا قرئ)، البيت الرابع.

(٦) مرثية عددي بن حاتم، البيت العاشر.

(٧) انظر أيضًا: الإسلام والشعر، للدكتور سامي مكي العاني ص ١٧٤ وما بعدها (سلسلة عالم المعرفة، الكويت،

ونحو من ذلك دماثة أبي سفيان بن الحارث وهو يعزّي فاطمة - رضي الله عنها، وليته وهو يحضّها على الصبر بقول جميل طيب يشي بمعرفته كلا الأمرين: مقام فاطمة، وحرمة الجزع؛ وكلاهما من شريعة الإسلام:

أَقَاطِمُ إِنْ جَزَعْتِ فَمَذَاكِ عُدْرُ وَإِنْ لَمْ تَجْزِعِي فَهَوَ السَّبِيلُ
فَعُوذِي بِالْعَزَاءِ قَلَانٌ فِيهِ ثَوَابَ اللَّهِ، وَالْفَضْلُ الْجَزِيلُ
وَقَوْلِي فِي أَبِيكَ وَلَا تَمَلِّي وَهَلْ يَجْزِي بِفِعْلِي أَبِيكَ قَيْلٌ ١٩

ولقد بدا استلهاهم الصحابة للدين جلياً في ثلاث ظواهر تكرّرت في المراثي النبوية غير مرّة؛ هي: العزاء، والفداء، والدعاء للنبي.

أما العزاء فقد كان المعنى الفدّ من معاني الإسلام المتفرّدة به مراثي الصحابة للنبي دون ما سواها من المراثي؛ من حيث الصفة والكثرة اللتان بسببهما صار أكبر ظواهرها.

والذي امتاز به هذا العزاء وحُصّ به أنهم كانوا يُعزّون أنفسهم بالله - عزّ وجل، وبدينه ما دام باقياً، ويرون أن النبي ﷺ إن هو إلا رسول بهذا الدين وليس هو الدين، فلا تلازم بين موته وموت الدين، فإن مات النبي فإنّ الدين حيّ، وربّ الدين حيّ، والعزاء في ذلك.

وهذا أثر صمود وعزّة من آثار الإسلام الجليلة استلهمه الصحابة من قول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]؛ فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه خالطاً حزنه بثبات المؤمن الواثق من إيمانه:

إِنْ كَانَ أَوْدَى بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِ - دَهْرٌ فَاجِعٌ
فَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَدِينُنَا دِينُ النَّبِيِّ، وَلِلرَّجَالِ مَصَارِعُ

يقول: عزأونا في ربنا، وأننا لما نزل على ما يحب نبينا من الإيمان والصبر، أمّا النبي ﷺ فإن يكن قد مات فذلك كتاب الله على الخلق.

وقال مرّةً أخرى مؤكّداً المعنى:

أَوْ كَانَ قَدْ مَاتَ النَّبِيُّ قَدِيدُنَا دِينُ النَّبِيِّ، وَمَا هَدَاهُ هَدَانِي
إِذَ الدِّينُ هُوَ الْمَقْصُودُ، فَمَا دَامَ دِينُ اللَّهِ مَعَانِي فَصَبَّرْنَا اللَّهُ عَلَى مَا سِوَاهُ.

وقال ذو الكلاع متسلّياً بتوحيده لربه:

إِنْ يَكُنْ مَاتَ فَهَذَا رَبُّنَا لَمْ يَمُتْ، وَاللَّهُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ.
لأن الرّسول في اعتقاده بشرٌ يموت كما يموت الناس، والعزاء في الله الحيّ الذي لا يموت.
وتعزّي صحابةً آخرون بمثل ذلك، كيزيد بن ذي المشعار، وعبد الحارث بن أنس،
وكعبد الله بن أنيس في قوله:

فَإِنْ مَاتَ قَالِ الْإِسْلَامُ حَيٌّ، وَرَبُّنَا إِذَا الدِّينِ مِمَّا كَادَهُ الْيَوْمَ مَا يُعْ

فليس النبيّ هو الذي يحيي الدين، بل الله يحميه، وما على الرّسول إلاّ البلاغ.

ومثل هذه الأبيات تدل على رباطة جأثين من الصحابة ساعة الحزن؛ لأنهم عرفوا
حكمة الله من بَعَثَ رسوله، وهم إن كانوا حزنوا لفراق الرّسول ﷺ وأمّتهم الحزن؛ فإنّ
حزّنهم لم يكن ليُنْسِيَهُم رَبُّهُم العليّ فيكفروا به، حتى لقد قال قائلهم^(١) وقد بصر
بالحقائق واستوت عنده المقادير: ما يكرهه من موت الرّسول، وما يجبه من حياته؛
قال:

إِنَّ النَّبِيَّ وَقَائِدَهُ كَحَيَاتِهِ: الْحَقُّ حَقٌّ، وَالْجِهَادُ جِهَادٌ

إنها إذن قوّة المؤمن الحزين استمدّها من وحي دينه، وأشربها نفسه فصبرت لوفاة الرّسول
ﷺ، وحزنت، ولكنه حزنٌ على مراد الدّين لا يُورِدُ المهالك.

ومن آثار الإسلام في معاني الرّثاء أثرٌ آخرٌ غير صريح، ولكنه يُستشفُّ استشفافاً، هو

(١) هو سواد بن قارب في مرثيته.

التضحية بالغالي والنفيس لفداء الرسول ﷺ، وهو الظاهرة الثانية من الثلاث، وهذا المعنى يدل على جليل قدر الرسول عند أصحابه؛ وإذا كان الدين أساس الأمر وموئلته فهل الرسول إلا صاحب الدين الذي جاء به؟ فتوقيره - على ذلك -، وحبّه، وبذل المهج من أجله؛ آية تمكّن لهذا الدين من قلوبهم، وحقًا كان القدماء ربما يُقدّون موتاهم كقول عُديّة ابن سُلَيْمِ بن ربيعة :

أَصَابَتْهُمْ حَمِيدِينَ الْمَنَايَا فِدَى عَسِي لِمُضَبِّحِهِمْ وَخَالِي^(١)

وقول الآخر:

أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ قَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِتَفْسِي وَمَالِيَا^(٢)

بيد أنّ الفداء الذي في المراثي النبوية لم يُسبق الصحابة إلى مثله كثرةً والحاحًا، فهذا عبد الحارث بن أنس يُفديه بنفسه وسمعه وبصره، وإنها في نظره لشيء قليل:

وَلَوْ قِيلَ تَفْدُونَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ؟ لَقُلْنَا: نَعَمْ، بِالتَّفْسِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ
وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْفِدَاءُ، وَهَذِهِ وَإِنْ بُذِلَتْ لَا يُسْتَرَدُّ بِهَا بَشَرٌ

وهذا عبدُ الله بن أنيس يودُّ لو كان يُجدي قتل نفسه في إرجاع الرسول؛ إذن لقتلها فداءً للروح الطاهرة:

فَلَوْرَدَ نَفْسًا قَتَلَ نَفْسٍ قَتَلَتْهَا وَلَكِنَّهُ لَا يَدْفَعُ السَّمُوتَ دَافِعُ

وهذه صفة تفديه بنفسها وبمن تحب:

فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَبِي وَخَالَتِي وَعَسِي، وَنَفْسِي قَصْرَةً، وَعِيَالِيَا

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، للرزوقي ١/١٠٠٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٩٠٧.

ومثل هذا الفداء مرقومٌ في مرثية عبد الله بن سلمة، وفي مرثية سواد بن قارب. وهو معنى ديني في أصله؛ فيه الدلالة على استهانة الصحابة بكل كبير في سبيل حياة رسول الإسلام ﷺ.

وإنه لَلحُبُّ السَّامُّ أن تَكْرَهَ الحَيَاةَ بَعْدَ فِرَاقِ الحَبِيبِ، وتودُّ لو عاش هو وممَّتْ أنت، ولا تفسير لهذا الحَبِّ الذي قد يبدو لنا مفرطًا إلا أنهم امتثلوا أوامر الله فأحبوا الرّسول - صلوات الله عليه - أكثر من حَبِّهم أنفسهم، وأطاعوا رسوله في قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين»^(١).

ولا يظنّ ظانٌّ أن هذا الحب ينمو بين ليلة وضحاها، فإن الإنسان ضنينٌ بنفسه، ولا يحملُه على بذلها إلا إيمانٌ هو أحبُّ إليه منها، وهذا الإيمان - كهذا الحَبِّ - لا يبرُغ فجأة، وإنما هو شيءٌ كريمٌ لا يُنال إلا بعلاجٍ وممارسةٍ وذأب.

وعلى ذلك لا عجب أن كان هذا المعنى شائعًا في مراثي الصحابة؛ فهم أشد الناس إيمانًا.

من أجل ذلك نختلف مع مَنْ قال: «وأكثر ما رُئي به رسول الله ﷺ على هذا النمط الذي يكون أثر الدين فيه غير واضح... وكل ذلك الشعر لا يخرج عن أسلوب الرثاء الجاهلي في الحسرة وذكر الفجيرة والجزع الشديد»^(٢)؛ نختلف معه لأن الرثاء النبوي خرج - من غير شكٍ - عن نمط رثاء الجاهلية في كثير من جوانبه، وبدت فيه آياتٌ من شعائر الدين الجديد، وليس من الإنصاف التجوُّز في الأحكام ثم طردها مطلقًا على فنِّه بأكمله، أو طائفته برُمته من الشعراء، «وإنَّ من الغبن للشعر العربي... أن نرى حركته حركةً عمياء تكتنرُ الصور القديمة دون أن ترى غيرها، أو تعيش في الذكرى فتتغنى عن سواها، تجترُّ القديم

(١) صحيح مسلم، تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ٤٩/١ (دار الجليل، بيروت).

(٢) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، للدكتور يحيى الجبوري ص ٣٠٥ (منشورات مكتبة النهضة ببغداد،

دون أن تستوعب الجديد»^(١)، وكأنَّ هؤلاء الشعراء لم يَغْتَوُوا بِالْأَمْسِ مِنَ الدِّينِ الْجَدِيدِ، أَوْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعِيشُوا يَوْمًا فِي زَمَنِ إِسْلَامِيٍّ الطَّائِعِ وَالطَّبِيعَةِ.

أَمَّا نَالِثَةُ الظَّوَاهِرِ الثَّلَاثِ فَهِيَ الدَّعَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَمِنَ الْحَقِّ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ تُصَلِّي وَتُسَلِّمُ عَلَى مَوْتَاهَا، كَقَوْلِ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنِ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا^(٢)
وقول مُويلك بن المزوم يرثي امرأته:

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَقْفُودَةٍ إِذْ لَا يَلَايُمُكَ الْمَكَانُ الْبَلْقَعُ^(٣)

سوى أن الصحابة أكثروا من ذلك في مرثيتهم، وشدّدوا عليه؛ رقةً وحناناً من أنفسهم لفراق النبي، واتباعاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فقالت صفية - رضي الله عنها - تحيته:

عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ نَحِيَّةً وَأَدْخَلْتَ جَنَاتٍ مِنَ الْعَدَنِ رَاضِيًا
وقالت تدعوله بالرحمة والخير مسليمة عليه:

رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَجَزَاءُ الْمَلِيكَ حُسْنَ الثَّوَابِ

وقال امرؤ القيس بن عابس كأنه يرضُّ به، ويُكْفِرُهُ عَلَى الْقَبْرِ، وَقَدْ أَوْرَدَ ذِكْرَهُ مِنْكَرًا، فَأَيُّ قَبْرِ هَذَا الَّذِي سَيَسَعُ جَلَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَيْبَتَهُ وَجَمَالَه:

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ مِنْ مُسْتَوْدِعٍ أَمْسَى يَبْتَثِرُ ثَاوِيًا فِي مَلْحَدِ

وصلى عليه أبو سفيان بن الحارث صلاةً ديمةً لم يبع لها تحوُّلاً ولا نهاية:

(١) حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور ص ١٥٠.

(٢) انظر: شرح الحماسة، للمرزوقي ٧٩٠/١.

(٣) انظر: المصدر السابق ٩٠٣/١.

صَلَاةُ اللَّهِ مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ عَلَيْهِ، لَا تَحُولُ، وَلَا تَزُولُ
 وصلاة عبد الله بن سلمة عليه صلاة تمتدُّ أمد الدهر:

فَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا هَبَّتِ الرَّيْبُ حُحٌّ وَمَدَّتْ جُنْحُ الدُّجَى أَنْوَارُ
 لقد كانوا كيفين بسلامته في الدنيا يتدافعون من حوله للذود عنه، وهم الآن لا يقدر
 على شيء إلا أن يسألوا له الله من فضله.

وإنه بملكانا أن نقول ههنا: إن من فتق عادة الصلاة على النبي في الشعر، وجعلها معنى
 ركيبتا في مديحه أو رثائه هم الصحابة، لا المتأخرون كما قد يتبادر إلى ذهن^(١).

وإن هذا الدعاء وهذه الصلاة على النبي على هذه الصورة أثر آخر من جديد آثار الإسلام في
 مراثي الصحابة والمخضرمين، وهو أثر إن يبدو لفظياً، إلا أنه لا يخلو من تعلقي بالدار الآخرة،
 وما يرجوه هؤلاء المسلمون للنبي بعد وفاته عند ربه، وكان اعتقاد الناس في الجاهلية على
 النقيض من ذلك، وكان أحدهم إذا رثى قال غير متعلق بأي سبب من أسباب الرجاء:

وَمَا السَّرُّ إِلَّا هَامَةٌ أَوْ بَلِيَّةٌ يُصَفِّقُهَا دَاعٍ لَهُ عَيْرٌ عَافِلٍ^(٢)

فذلك كان نظرهم القاصر إلى الموت بعد الحياة؛ موتاً شقيماً، ورثاءً يائساً بائساً لا أثر
 للحياة فيه، ولا معنى للإنسان في إبانه.

(١) الذي قصر الصلاة على النبي ﷺ على المديح النبوي المتأخر الدكتور صلاح عيد في: المدائح النبوية في الشعر
 العربي من عصر النبوة حتى البوصيري ص ٢١٥ (مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١/٢٠٠٨هـ).

(٢) هذا البيت لحداد بن زهير، وكانوا يعتقدون أن المرء إما أن يموت سريعاً فيصير هامة، والعرب تزعم أن عظام
 الموتي تصير هامة فظير، وإما أن يتأخر أجله فيتعذب بالهرم، فيكون كالبلية التي تعذب حتى تموت هزلاً
 وضراً. والبلية: الناقة تُعقل عند صاحبها فلا تعلق حتى تموت. (انظر البيت والتفسير في: كتاب المعاني الكبير
 في أبيات المعاني، لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٤/١٢١٠، مجلس دائرة المعارف العثمانية
 بميدان أباد الزكّين، الهند، ط ١/١٣٦٨هـ).

«الحق أن الشعر الجاهلي ما عدا أبياتاً قليلة جداً لا يصور إلا فلسفةً دنيويةً محضاً، خاليةً من اليقين الديني الذي يفعل فعله العظيم في مداواة جروح الإنسان، وشفاء نفسه، وتصبيره على كرب الحياة، وتقلبها على رهبة الموت ولذعه. ومهما تقرأ في كتب التاريخ عن وجود بعض العقائد الدينية من سماوية وغير سماوية؛ فإن الشعر الجاهلي نفسه يثبت أن هذه العقائد كانت ضعيفة التأثير في كثرتهم البالغة، ولم يكن في دياناتهم الوثنية السائدة ما يغني الإنسان في ذعره من الموت؛ لأن سلطة آلهتهم وأربابهم كانت مقصورة على الحياة لا تتعداها لا إلى الخلق ولا إلى المعاد»^(١).

ألا يُعدُّ رثاء الصحابة بعد ذلك انقراضاً لهذه العقائد القديمة في إيمانهم بربهم - عز وجل، وعزائهم به، وبذلهم أرواحهم رخيصةً رجاء ما سيجزيهم الله به في الآخرة، وسؤالهم الله - عز وجل - أن يرحم نبيهم، ويعلي قدره، ويسكنه جنته؛ أفلا يُعد كل ذلك منزعاً إسلامياً صحيحاً، جعل الصحابة المؤمنين بوعد الله وبلقاء الله يخلطون في رثائهم للنبي ﷺ حزنًا بأمل، ويخلعون رجاءً على خوف، ويستبدلون بيأس الفناء المُرّي بيقين الخلود الشريف؟

بلى؛ إذ ليس مطلوباً أن ينقلب خطاب الشعر إسلامياً خالصاً لتحكم بافتراقه عن شعر الجاهلية، ولكنه يكفي في مثل هذا أن يهذب الشعر حواشيه من أدرائه الجاهلية، كالأعتقاد بالفناء وما يتولد منه من سُخْطٍ وهَلَعٍ، وكالتسليم لليأس المفضي إلى الكتابة المَطلَّقة، وكالطعن في الأنساب والتملُّق والفحش في غير الرثاء. وبعد ذلك فالشعر فنٌّ إنسانيٌّ بالدرجة الأولى لا موعظةٌ أو دعوةٌ إلى الدين.

إنَّ « من مظاهر الظلم العلمي الذي ذاق منه الأدب العربيُّ ألواناً في عصر صدر الإسلام؛

(١) الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه، للدكتور محمد النويهي ٤٢٦/١ (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة).

رؤية التأثير الإسلامي ضعيفًا لا يكاد يتعدى السطح، أو يعدو القشور»^(١).

ونعم قد ينحو الشعراء المخضرمون في غير الرثاء نواحي جاهلية لا تظهر فيها رؤية إسلامية كاملة^(٢)، ولكن الصحابة في رثائهم للنبي خلصوا الشعر من عيوبه المنافية للإسلام أولًا، ثم غدّوه بأشياء من وحي الإسلام لم يكن للعرب عهدٌ بها من قبل. ولا بأس عليهم أن صاغوا عملهم هذا في قوالب أو صور ورثوها من الجاهلية؛ فإن اللغة إرث متداول، وإن «هذه التشبيهات الصغيرة، أو الصور الحسية المفردة... ليست هي الأصل في الأمر»^(٣)، بل الشعر بطبيعته امتدادٌ لما قبله، وهو «لا ينشأ في فراغ، ولا يظهر في فراغ»^(٤)، والقصيدة كالإنسان من الناس؛ لها نسبها المتشعب من القصائد الآباء والأجداد والإخوة.

(١) رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور ص ٣١ (الدوحة ١٩٨١م).

(٢) انظر: في شعر صدر الإسلام والمصر الأموي، للدكتور فوزي محمد أمين، ص ٨٩-١٠٨ (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢ م). والأدب في عصر النبوة والراشدين، للدكتور صلاح الدين الهادي ص ٢٦٣-٢٨٣ (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١٤٠٧/٣هـ).

(٣) رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام ص ٩٥.

(٤) أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، للدكتور صبري حافظ ص ٤٩ (دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١٩٩٦م).

(٤) الصُّورَة

دَأَبُ الصَّحَابَةِ فِي الْمَرَاثِي النَّبَوِيَّةِ عَلَى رَسْمِ صُورٍ كَبِيرَةٍ بَعَيْنَهَا، ذَاتِ خُطُوطٍ بَارِزَةٍ ظَاهِرَةٍ،
ظَلَّلَتْ لَوْحَةَ الْمَرَاثِي مِنْ وَرَائِهَا بِظِلَالٍ مِنْ عَوَاطِفٍ شَتَّى كَانَتْ تَعْتَلِجُ فِي صُدُورِ أَوْلَادِكَ الْمَلَأَ
مِنْ النَّاسِ بَعْدَ وِفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

أكبر هذه الصور (صورة وقع المصيبة) التي نزلت عليهم كما تنزل الصاعقة بالناس لا
يحسب الناس لها حساباً.

فمنهم من شغل ببلوى نفسه فصور ما اعتراه من الهم والبؤس بصورٍ مختلفةٍ. من
هؤلاء صفة عمّة النبي ﷺ التي أحسّت كأن المكاوي أوقدت في فؤادها يوم مات محمدٌ،
فأحرقته:

كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لِذِكْرِ مُحَمَّدٍ وَمَا خِفْتُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ الْمَكَاوِيَا

وفي مرثية أخرى تصوّر سوء حالها، وما أصابها من السهر والبلوى والتلبال، حتى إنها
شاب رأسها وهي بعد فتية، فتقول:

أَرِقْتُ فَيْتٌ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ لَوْجِدُ فِي الْجَوَانِيحِ ذِي دَيْبِ
فَنَسِيْبِي، وَمَا شَابَتْ لِذَاتِي قَامَسَى الرَّأْسُ مِنِّي كَالْعَسِيْبِ

وتضعق الخبر يزيد بن ذي المشعار، فيصمّه، ويمسك لسانه:

فَسَمِعِي - لَعْنُكَ - مِنْ بَعْدِهِ ثَقِيلٌ، وَفِي بَعْضِ نُظْمِي لَتَغ

وجعلت المصيبة مسروقا يستهين بكل مصيبة - وإن عظمت - بعد مصيبتة الكبرى
بالرسول، فيمضي قائلاً وقد غرق في دموعه:

قُلْتُ وَالذَّمْعُ كَالْجَمَانِ عَلَى النَّخِ رِ وَقَدْ لَأَخَ فِي السَّمَا الْعَيْوُقُ:

كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ تَعَاظَمَنِي الصَّبُّ رُ عَلَيْهِ بَعْدَ النَّبِيِّ دَقِيقُ

والعَيْوُقُ: كوكب يطلع مع الثريا، يضرب به المثل في البعد، كما أن به كانوا يعرفون
القبلة؛ وكان الشاعر يرمز بهذا الرمز إلى قُرب كل شيء وانقلاب أحواله؛ ألم يكونوا
يقولون: أبعد من العَيْوُقِ؟^(١) فهذا هو العيوق البعيد يلوح أمام ناظري الشاعر، كموت
الرسول الذي كان مستبعداً فما هو ذا قد صار شيئاً حقيقةً، ووقع ما لم يكن في الحسبان،
وعلى ذلك تجري سُنَّةُ الأقدار.

وفي العيوق أيضاً رمز إلى رفعة النبي ﷺ وعلو قدره.

وتستدعي هداية العيوق إلى القبلة آثار الرسول فيهم، فهو الذي علمهم الصلاة، ودلهم
على الله، وهداهم إلى الدين؛ فإذا كتب عليه الموت وهو من هو عند ربه وعند الناس؛ فإن
كل مصيبة بعده وإن جلت تدق.

ثم يصور الشاعر حاله البئيسة وقد أطبقت عليه جوانحه، واضطربت نفسه وعافت كل
شيء:

قُلْتُ وَالنَّفْسُ لِلْبَلَاءِ عَزُوفُ: أَيْنَ يَهْوِي بِكَفِّهِ الْمَخْنُوقُ ؟

لَا إِلَى أَيْنَ - إِنْ سَأَلْتِ - سِوَى الْ خَنْقِ، وَإِنِّي بِمُخْتَفِهِ مَخْنُوقُ

(١) انظر: جهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري ٢٣٨/١ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، دار
الفكر، ط ٢/١٩٨٨م).

أما عامر بن الظَّفيل الصحابي فيرى أن الدهر قد شدَّ قوسه عليه بوفاة الرَّسول ﷺ، ورماه
بسهم أصاب حَبَّةَ قلبه:

وَتَرَّ الدَّهْرُ قَوْسَهُ فَرَمَى القَلْبَ سَبَّ فَلَمْ يُحِطْ بِهِ، فَصِرْنَا هَمَّاجَا

وقد يُقرأ البيت قراءةً أخرى: فالرَّسول من الأُمَّة كالقلب من الجسد، إذا أصيب تهاوى؛
أو أن الرَّسول كالقلب من الجيش، إذا أصيب انهزموا.

وعلى نحوٍ من هذا المنهاج مضى جمعٌ من شعراء المرائي بصوِّرون ما نال العشائر من
الضعف والاستخذاء، فيحكي مُرَّان بهذه الصورة عن همدان قومه:

جَدَعْتَ قَوْمِي الأَنْوَفَ، وَأَجْرَتْ دَمَعَ عَيْنِي، فَلِئَلْجُفُونِ هُمُولِ

ويحكي العتكي ما أحاط بالناس من الهوان والمسكنة:

فَلَقَدْ أَصَبْنَا بِالنَّبِيِّ، وَأَنْفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى البَيْتِيَّةِ، أَجْدَعُ
وَقُلُوبُنَا قَرْحِي، وَمَاءَ عُيُونِنَا جَارِ، وَأَعْنَاقُ البَرِيَّةِ خُضَعُ

فقد لحقت آثارُ الحزن كلَّ شيءٍ منهم حتى الأجزاء الصغيرة، فأنفهم مجدِّع كناية عن
الحزن الشديد، وقلوبهم كَلَمَى، وعيونهم دامعةٌ لا يغيض ماؤها، تلك صورتهم هم، أما بقية
الخلق فقد اكتفى بالإشارة إلى مبلغ حزنهم بخضوع أعناقهم، من غير أن يفصل كما فصل
في حال قومه؛ لأن خضوع الأعناق صورةٌ موحيةٌ تخفي خلفها مشاعرٌ مختلفة، ظاهرها
السكينة والإطراق والصمت، وباطنها التسليم والأسى واليأس.

ورأى أبو سفيان النَّاسَ إثرَ المصيبةِ عُنْيًا يَجْهَطُونَ فِي الأَرْضِ، فقال:

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوهُ عُنِي أَصَرَ يَلْبَسُ حَارِزِيهِمْ غَلِيلُ
وَحَقُّ لَيْلِكَ مَرْزِيَّةٌ عَلَيْنَا وَحَقُّ لَهَا تَطِيرُ لَهَا العُقُولُ
وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَّاهَا تَكَادُ بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ

وهي رؤية أخرى لقوم آخرين من الناس، لعلهم من كانوا بالمدينة، وهؤلاء لم يكونوا كإخوانهم في الأقطار الأخرى مبهوتين مُفْعَدِين، ولكنهم لما صعقهم النبأ انتفضوا كما ينتفض الأعمى إن ضلَّ وعزب عنه الهادي، فراح يخط في الأرض هائمًا على وجهه، مرتاعًا لا يلوي على شيء؛ وهو حيران لا يعقل أطائش عقله هو أم إن الأرض هي التي مادت به ؟ وقد حكى خميصه بن أبان لليمنيين حال إخوانهم بالمدينة فقال: «تركنا الناس بالمدينة يغفلون غليانَ القدر»^(١).

وتصوّر صفيّة حال الناس بعد الرسول بالبيت الذي انقضَّ وانهدم:

فَقَدْ هَدَدْنَا فَقَدُ الرَّسُولِ فَأَعْرَبِي بِحُزْنٍ طَوِيلٍ آخَرَ الدَّهْرِ دَائِمِ

ولم يكونوا وحدهم المهوددين، ولكنَّ الأرض هُدَّت - كما قال سالم - أيضًا:

فَقَدْ هُدَّتْ الْأَرْضُ لَمَّا تَوَى وَأَيُّ التَّيْبَةِ لَا يُنْكَبُ ١٩

ونحن نفهم من تلك الصور أن الصحابة رأوا الحزنَ استشرى فجاوز الناس إلى الكائنات، وكأنما جزعَت هي الأخرى لفقد النبي ﷺ، أو كأن الصحابة غامت الدنيا في وجوههم فأبصروا وجة الحياة أغبرَ مُرَبِّدًا قاتمًا، أبصره على ذلك عبد الحارث بن أنس، فقل:

لَقَدْ كَسَفَتْ شَمْسُ النَّهَارِ لِفَقْدِهِ وَبَكَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَأَنْكَسَفَ الْقَمَرُ

وَبَكَتُهُ آفَاقُ السَّمَاءِ وَمَا لَهَا وَلِلْأَرْضِ شَجْوٌ غَيْرُ ذَلِكَ وَلَا عِزٌّ

وأحسَّ عبد الله بن سلمة من السماء حين شَخَّص إليها بصره مثلما أحسَّه من الأرض:

مَنْ بَكَتُهُ السَّمَاءُ تُسْعِدُهَا الْأَرْضُ ضُ، وَبَكَتْ بَعْدَ الْفِقَارِ الْبِحَارُ

وَسَرَافِيلُ قَدْ بَكَاهُ، وَجَبْرِيدُ لُ، وَمِيكَالُ، وَالْمَلَأُ الْأَطْهَارُ

قِيلَ: مَاتَ النَّبِيُّ فَأَنْصَدَعَ الْقَلْبُ بُ، وَشَابَتْ مِنْ هَوْلِهَا الْأَشْعَارُ

لقد هال الجميع الموت، موت النبي محمد ﷺ، ورؤّعهم، وأدى قلوبهم، فانقلب الكون بأناسه وسماواته وأرضه وملائكته إلى بكاء خالص، وألم مستمر.

وكان من أحسن أخلاقهم في هذه المراثي أدبهم وهم (يصوّرون موت النفس الشريفة، وصعودها إلى بارئها)، وهي صورة كبيرة أخرى، وفيها اتفقوا ما استطاعوا ذكر كلمة «الموت» بعينها، فلم يصرحوا بلفظها، وإنما لجؤوا إلى فنون أخرى من القول لتصوير تلك الفاجعة، كأنهم عرّ عليهم أن يكون الرسول ﷺ يموت موتاً كما يموت الواحد من الناس.

فذهبت صفة إلى أنه مات مختاراً؛ فقد «ولّى» عنهم بنفسه، ولم يُكْرَه على الموت:

ثُمَّ وَلى عَنَّا قَعيدًا حَميدًا فَجَزَاهُ الجِنَانُ رَبُّ العِبَادِ

ويقولها قال عمرو بن سالم:

جَزَى مِنكَ رَبُّ النَّاسِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا هَدَانَا ثُمَّ وَلى مُودَعَا

وبه قال ابن ذي المشعار:

فَإِنْ يَكُ وَلى قَدَا دِينُهُ وَإِنْ تَابِعُ بَعْدَ هَذَا نَبِيغُ

ويزيد مُرَّان من رفق الصورة ولطفها وهو يوغل في التصوير فيصف الرسول ﷺ بأنه رحمة، ثم يجوز بهذه الرحمة في التصوير فيجعلها هي التي «تولّت» منزلها إياها هي أيضًا عن الموت، وكأنه ينأى بالرسول ﷺ عن لفظ الموت أبعد ما يكون النأي، وينزّهه عن ذكرها أشد ما يكون التنزيه، فيقول:

يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصِيبَ بِهَا الشَّا سِ تَوَلَّتْ وَحَانَ مِنْهَا الرَّحِيلُ

ويخلص عمرو بن العاص في صورته إلى أن الرسول ﷺ كان أمانة مستردةً يحرص على

رجوعها صاحبها، وصاحبها وربها هو الله العزيز الذي إذا قضى أمراً كان:

كَانَ النَّبِيُّ أَمَانَةً مَضْمُونَةً فِينَا إِلَى أَجَلٍ وَحَدِّ أَوَانٍ
فَارْتَدَّهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ رَدَّهَا هَذَا - لَعَنَرُ أَبِيكَ - فِي الْفُرْقَانِ

والأمانة من وجه آخر يحوطها الأمين برعايته، ويشملها بما يستطيع من الحفظ والدفاع والصيانة حتى يبلغ بها صاحبها، وكذلك كان الرسول ﷺ في الصحابة؛ يخافون عليه، ويؤذبهون أن يمسه أحد بسوء.

والإنسان ميال بالطبع إلى الاستحواذ لنفسه على مثل هذه الأمانات، بيد أنه تردُّه الأخلاق والدين والشيم عن نواذعه، وبذا يفترق الناس، فكأن عمراً يقول: إن الرضى بقضاء الله هو الشيمة المحمودة في هذا الموطن، حيث يعود كلُّ صاحب حقٍّ إلى حقه فيأخذه.

أورأى الرسول ﷺ - في صورة الزبيرقان بن بدر - شيء أحبَّه الله فحباه واجتباها، و« استأثر به »:

فَأَسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ إِذْ رَقَى أَيَّامُهُ عِنْدَ حُضُورِ الْحِمَامِ

أورأى الله - عزَّ وجل - أراد أن يكافئه على صالح عمله « فدعاه » إليه دعوة المنيب الشاكر، المجزل في العطاء، والله شاكر عليم، فما أجدر المرتحل ا وهو الرسول، وما أكرم المرتحل إليه ا وهو الإله. تلك صورة عبد الله بن مالك الأرحبي في مرثيته:

دَعَاهُ إِلَيْهِ رَبُّهُ فَأَجَابَهُ فَيَا خَيْرَ غَوْرِي، وَيَا خَيْرَ مُنْجِدِ ا

غير أنَّ لفظة « الموت » إن هي وردت، فإنَّ عبد الله بن سلمة يبني فعل الرواية للمفعول:

قَبِيلٌ: مَاتَ النَّبِيُّ، فَانْصَدَعَ الْقَلْبُ سُبُّ، وَشَابَتْ مِنْ هَوْلِهَا الْأَشْعَارُ

كانه يقول: هم يقولون: « مات »، وأنا بريء من ذلك، ولكن الذي حدث أنّ المنون ابتدرت آمالنا « فجنت » عليه، وفي لفظ الجناية هنا باب من التأويل، فكأنه يقول: إن المنون فعلت فعلاً تَبَغُّضَهُ (ولقد كنا نحب له أن لا يموت):

فَلَسْتُ نَجَنَّتِ الْمُنُونُ عَلَيْهِ مَالَنَا فِي الدِّيَارِ بَعْدُ قَرَارُ
وَتَسْمُو صَفِيَّةَ عَمَّتُهُ بقدر ابن أخيها فتروي أن الموت « أتاه » متأديباً، ولم يرُغِّه، لا ولم يفجأه:

كَيْدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ لَمَّا أَتَاهُ قَدَرٌ حُطَّ فِي كِتَابٍ حَجِيدٍ
ثم إن الرسول ﷺ إذا كان مات وقضى الله أمره، فإنه (حيٌّ في موته) كالرجل « المقيم » في بيته، مثلته بذلك صفة في قولها:

فَأَمَّا تُنَيْسُ فِي جَدَّتِ مُقَيَّبَا فَقَدِمَا عِشْتِ دَا كَرَمٍ وَطَيْبِ
أو كالرجل « الغاوي » في تمثيل امرئ القيس بن عابس:
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْهِ مِنْ مُسْتَوْدِعٍ أَمْسَى بِبَيْتِ رَبِّ ثَاوِيَا فِي مَلْحَدِ
ولم يقولوا جميعاً: إنه مات؛ لما عظم في نفوسهم من أمر موته، ولما عظمت به منزلته في نفوسهم.

ومن الصور الكبيرة التي امتدت خطوطها على رقعة واسعة من لوحة المراتي كذلك؛ (صورة النبي الكريم محمد ﷺ في الحياة).

فقد جعلوه « نوراً »، وعسى ذلك أن يكون اقتفاء لقول الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]؛ ممّن صوره بذلك عامر بن الطفيل الأزدي، فقال:

بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى النُّورِ رِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا
وَصُورَتُهُ صَفِيَّةٌ بَدْرًا وَنُورًا:

قَدْ كُنْتُ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ عَلَيْكَ تَنْزِيلٌ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبِ
وهو عند الزبيرقان بدرُ الظلام ومحبي ليل التمام، فقد آلى أن لن يأسى على أحد:
بَعْدَ الَّذِي كَانَ لَنَا هَادِيًا مِنْ حَيْرَةٍ كَانَتْ، وَبَدَرَ الظَّلَامِ
يَا مُبْلِغَ الْأَخْبَارِ عَنْ رَبِّهِ فِينَا، وَيَا مُحْيِيَ لَيْلِ التِّمَامِ
ونور البدر هنا هو الذي أنقذهم عنده من السقوط في الهاوية:

أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَنَا بَعْدَمَا كُنَّا عَلَى مَهْوَاةِ جُرْفِ قِيَامِ
وهو عند حسان النور الذي يُستضاء به:

مَنْ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا حَزْمٍ وَإِرْشَادِ

وصورة النور من صور القرآن المكررة فيه، وهي تجيء فيه للثناء على الذين أو على الرسول، وكيف أنهما أخرجا الناس من الظلمات وأضاءوا لهم الطريق.

وتأسى الصحابة بالقرآن أيضًا في قوله تعالى: ﴿قِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ فجعلوا منه ﷺ رحمة للناس، قال مُرَّان:

يَا لَهَا رَحْمَةٌ أُصِيبَ بِهَا النَّاسُ سِ تَوَلَّيْتُ، وَحَانَ مِنْهَا الرَّجِيلُ
وقالت صفيّة:

رَحْمَةٌ كَانَ لِلْبَرِيَّةِ طَرًّا فَهَدَى مَنْ أَطَاعَهُ لِلسَّدَادِ
وصوروه بالإغداق والإمراع والخصب؛ فمثله حسان بالنهر العذب:

حَيْرُ الْبَرِيَّةِ، إِنِّي كُنْتُ فِي تَهَرٍ جَارٍ، فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرِدِ الصَّادِي
وتلاحقت صوراً صغيرة عند عمرو بن الفحيل الزبيدي أثمرت صورةً واحدةً متراكبة
فحواها: « كان رسول الله ﷺ الخَيْرَ كُلَّهُ »:

كَانَ غَيْثًا يَجِيءُ لِلْبَلَدِ الْمَحْدِ لِي، وَشَمْسًا تُضِيءُ لِلْإِشْرَاقِ
وَدَلِيلًا يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ هِ وَتَجْرًا يَصُفُّ عَدَبَ الْمَذَاقِ
وَضِيَاءَ السَّلَاحِ، وَالْقَمَرَ الرَّأ هِرَ وَاقِي تَمَامَهُ لِإِسْأَقِ

إنه بمثل هذه الصور تتبدى للناظر عواطف هؤلاء الشعراء الموتورين؛ إذ العاطفة هي
مشير الخيال الأكبر، والخيال أساس الصور الفنية وباعثها الكبير^(١). إنها عاطفة المحبة
للسور ﷺ، والفجعية على موته، والحزن الشديد لفراقه.

ولعاطفة الصحابة هذه مزايا: إحداها نبلها وسموها؛ فهي لم يحركها طمع في دنيا، ولا
رغبة في ولاية، ما حرّكها إلا حبُّ الرسول، والشفقة على أنفسهم من الحياة بعده.

وهي صادقة؛ إذ لم تر تناقضاً بينها وبين موقف الفقد، ولكن لمسنا لحمة بين ما يسري
في وجدان الشاعر وسُبل تصويره، مثال ذلك ما سلف من تصويرهم لوفاة الرسول ﷺ
تصويراً ينم عن الصدق في التعظيم والإجلال، صدقٍ غير مسيِّ ولا مُفْرِط.

وقد ساعد على اشتعال تلك العواطف، وتوهجها إلى نهاية القصيدة في أغلب الأمر؛
قصر الشعر، ومولّد معظمه في مَعَمَّة الخبير القاسي.

ذلك، وقد رسم الصحابة صورهم بكل لون من ألوان التصوير المعروفة، ولا سيّما ألوان
التصوير البياني.

ولعل أشهر هذه الألوان وأيسرها على الشعراء في أصله التّشبيه؛ لما فيه من مجرّد

(١) انظر: أصول النقد الأدبي، لأحمد الشايب ص ٤٤٣ (مكتبة النهضة المصرية، ط ١٠/١٩٩٤م).

التوفيق بين أمرين اشتركا في معنى^(١)، فهو سرعة في الفن كما يعبر بعض الباحثين^(٢). ومع ذلك لم يكن التشبيه الوسيلة البيانية الكبرى في المراثي إذا ما قورن بغيره من الوسائل؛ فقد شبّه الصحابة نحو سبع وعشرين مرة، ولكن ما سوى التشبيه من عناصر الصورة البيانية الأخرى كان نحوًا من سبع وستين: خمسين وثلاثين استعارة بنوعيهما، وتسع وعشرين كناية، وأربعة مجازات. ومعنى ذلك أن الصحابة لم يكتفوا بالمشابهة الظاهرة بين ركني التشبيه، بل قصدوا إلى التغلغل في أعماق الصورة فصيّروها لسانًا يُسمعون به الناس نبض قلوبهم.

ومن تشبيه الصحابة العادي التشبيه المرسل، وهو الذي ظهر فيه الحرف، كقول عدتي ابن حاتم:

وَلَعِنُّ أَسْبِنَا بِالنَّبِيِّ، قَلِيلُنَا طَوِيلُ كَلِيلِ الْأَزْمَدِ الْمُتَلَدِّ

فالغرض من هذا التشبيه إيضاح صورة الشعور الذي أحسه الشاعر في جوانحه، بما يعاينه من قلق ورهبة وقلّة حيلة؛ فهم حيارى في هذا الظلام الدّامس بعد غياب نور النبوة عنهم، كما يحار الأرمد المتخبط في الليل، أو الأرمد المتخبط في ليل عماء.

وقد يضمون إلى حرف التشبيه حرف التوكيد «أَنَّ»، كقول أبي سفيان في صورة قريب من هذه الصورة، ولكنه زادها قوة بالتوكيد، دلالة على صدقه التام في حكاية ما أصاب الناس يومئذ:

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوهُ عُمِّي أَضْرَّ بِلَبِّ حَازِمِهِمْ عَلِيلُ

(١) انظر: التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ص ٢٣٨ (بشرح الرقوقي) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) انظر: شعر الهذليين في الجاهلية والإسلام، للدكتور أحمد كمال زكي ص ٣٧٣.

وكأنى بالتوكيد يأتي هنا ليشدّد على علاقة المشابهة بين حال الناس عشيّة فقدوا النبي ﷺ وبين العميان التائهين؛ لئلا يترك فرصةً لمنكر قد يستبعد من حال الناس أن تبلغ هذه الدرجة من الضياع والمسكنة والخوف.

وكثيراً ما حذفوا حرف التشبيه إمعاناً في نسبة المشبّه به إلى المشبّه، وهذا هو التشبيه البليغ، وقد يطلق عليه المؤكّد، وهو جديرٌ به. مثاله قول عمرو بن العاص:

كَانَ النَّبِيُّ أَمَانَةً مَضْمُونَةً فِينَا إِلَى أَجَلٍ وَحَدٍ أَوْانٍ
فَارْتَدَّتْهَا مَنْ كَانَ يَمْلِكُ رَدَّهَا هَذَا - لَعَمْرُ أَبِيكَ - فِي الْفُرْقَانِ

وقد أفلح عمرو في التقريب بين طرفي التشبيه، حتى لقد يُظن بهذا التشبيه الاستعارة؛ لما فيه من التناسي بالإيغال في الحديث عن خصائص المشبّه به، والتفصيل فيها من حيث إنّ الأمانة «مضمونة»، وإنها «ارتدّها من كان يملك رَدَّها»، ولكن منع من جعله استعارة ذكّر الطرف المشبّه^(١). وسماه عبد القاهر التشبيه المركّب، وهو الذي يكون مركّباً من أمور مجتمعة لو أدخلت بواحد منها لم يحصل الشبّه^(٢). ولقد يجوز أن نعت هذا التشبيه بالتشبيه البليغ المرشّح قياساً على ضابط الاستعارة المرشّحة «التي قرّنت بما يلائم المستعار منه»^(٣).

وأعمق من هذا ما أسّموه التّشبيه التمثيلي، وهو ما كان فيه كلّ من المشبّه والمشبّه به صورةً خاصّة^(٤)، كقول أبي الهيثم:

وَمَا نَحْنُ إِذْ لَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ أَمْرَنَا بِخَيْرِ قُرْنَيْشٍ كُلِّهَا بَعْدَ أَحْمَدِ
بِأَمْتَعٍ مِنْ شَاءِ بِقَفْرِ مَطِيرَةٍ بِقَيْعَةِ قَاعٍ، أَوْ ضَبَابٍ بَقْدَقِدِ

(١) انظر الكلام على (مراتب التشبيه) في: بغية الإيضاح، للصعدي ٧٠/٣.

(٢) انظر: أسرار البلاغة ص ١٦٩.

(٣) بغية الإيضاح ١٢١/٣٣.

(٤) انظر: البلاغة فنونها وأفانها، للدكتور فضل حسن عباس ٦٥/٢٢ (دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان، ٧/١٤١٢هـ).

فإنه شبه نفسه وقومه إن لم يجتمعوا على الخليفة القرشيّ بشاءٍ تُركت في مَهْمَةٍ أمطرتها السماء، فأظلمت وزَعَبَت وأوحلت، أو تُركت في جبلٍ أظبق الضباب عليه فلا يبصرون، والجامع: الهوان والأذى والضعف والهلع. وهذه صورة لا يمكن الاقتصار في تناولها على جزء من المشبّه به أو جزء من المشبّه دون جزء، بل إن سبيل هذا النوع من التشبيه - كما يقول عبد القاهر - « سبيل الشيثين يُمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورةً غيرُ ما كان لهما في حال الإفراط؛ لا سبيل الشيثين يُجمع بينهما وتحفظ صورتُهما »^(١).

وشبّهوا وقع أمر الوفاة عليهم بسيفٍ يترصدهم^(٢)؛ أو بسيفٍ حاسم بثّ ظهورهم؛ فقتلهم وبدّد آمالهم^(٣)؛ وشبّهوا ألتهم من شماتة السّامتين بموت رسول الله ﷺ، بالجمر المتقد في الجوانح^(٤)؛ وقبّحوا جولة المرتدين عليهم فشبّهوا بالرجل المجذع الذي تنفر منه الطبايع^(٥)؛ واستهانوا بدعاء الداعي إلى الردّة، وتنقّصوا من حيلِهِ فشبّهوا بعواء الكلب أو ولغِهِ^(٦).

وشبّهوا شيوخ الصحابة حين المحنة بالأوتاد للأرض إن رجفت بالناس^(٧)، وتلك كانت نظرتهم إلى أولي التّهي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين رضي الله عنهم، ورضي عنهم رسولُهُ. كانوا يرون فيهم الرسوخ على الحق، ويرونهم أولي الحل والعقد، فلما أظلمت عليهم الأرض فجأة بوفاة الهادي اعتصموا برأيهم، واستمسكوا بهداهم؛ فهم أخبر الناس بالطريق، وأدراهم بمسالكه اللطيفة.

على أن تشبيهات الصحابة أتت جزئيةً وقصيرة، شأنها شأن مجمل تشبيهات العرب في

(١) أسرار البلاغة ص ١٠١.

(٢) مرثية عددي بن حاتم، البيت الأول.

(٣) مرثية ذي الكلاع، البيت الأول.

(٤) مرثية امرئ القيس بن عابس، البيت الخامس.

(٥) مرثية مسروق، البيت العاشر.

(٦) مرثية ابن ذي المشعار، البيت الثامن.

(٧) مرثية سواد، البيت الثالث عشر.

المراتب قبلهم؛ بل إن التشبيهية نفسه للمرتبة القريبة من مراتب التصوير؛ وذلك لانشغال الشاعر فيه بالجمع بين الشيتين: المشبه والمشبه به، ثم الفصل بينهما فضلاً يدرك بأقل درجات النظر، دون أن يعيش بشعوره وكيانه في أعماق صورته إلا بقدر إجادته في التقريب بين ركني التشبيه، وهو حتى إن فعل ذلك يبقى ثم حاجز - وإن دق - بين عاطفته وصوره. هذا الحاجز هو الذي نزل بالتشبيه وقصر به.

كما اتخذوا من الاستعارة بنوعيتها لونها آخر صوروا به ما أضمرته صدورهم من الأحاسيس. والاستعارة باب من المجاز، ولكن علاقته المشابهة، والاستعارة «جوهر الأسلوب الأدبي، وركيزته الأولى»^(١)، وهي من أمثل الوسائل لسير أغوار الشاعر، والكشف عن خبايا نفسه، ولقد رآها ريتشاردز «من أسمى المظاهر البلاغية التي تستطيع أن ترقى إلى مستوى التصوير اللغوي، وإلى مستوى إيصال المعنى بكيفية تتكاثف فيها سياقات وتجارب متعددة»^(٢).

فهي تنفخ في الكلام روحاً جديداً بحذف أحد طرفي التشبيه؛ ذلك أن «المستعير يعمد إلى نقل اللفظ عن أصله في اللغة إلى غيره، ويجوز به مكانه الأصلي»^(٣)، ثم يدعي بعد ذلك نسبة المنقول إليه إلى المنقول، وأنصافه به^(٤).

ومن جليل الاستعارة في المراتب قول حسان بن ثابت:

خَيْرُ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ كُنْتُ فِي نَهْرٍ جَارٍ، فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

فإنه شبه فيه النبي ﷺ بنهر مغدق غزير ماءؤه، كان ينهل منه ويروى، فلما مات النبي ﷺ انقطع النهر فظمى، وانكمش الخير عنه. وإضفاء صفة النهر على النبي ﷺ دون ذكر اسمه

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ٢/٢٣١.

(٢) انظر: البلاغة والاستعارة من خلال كتاب «فلسفة الاستعارة» لريتشاردز، مقالة للدكتورة سعاد أبقار ص ١٧١ (مجلة عالم الفكر، العدد ٣، المجلد ٣٧ يناير ومارس ٢٠٠٩، الكويت).

(٣) أسرار البلاغة ص ٢٤٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه ص ٢٤١.

سبب لبعث المعنى الجديد في نفس القارئ، وحث له على التدبر فيه وفي معانيه ومراميه التي من أبلغها إحياء الموات، ونشر البهجة في القلوب الآيسة. وهو يفصح عما يكثه الشاعر للنبي من المعرفة بفضله، والحسرة على فقدانه، والشوق الشديد إلى أيامه.

وقول صفيّة - رضي الله عنها :

فَقَدْ رَزَيْتُ أَبَا سَهْلًا حَلِيقَتُهُ تَحَضُّ الصَّرَائِبِ وَالْأَعْرَاقِ وَالنَّسَبِ

استعارت فيه للنبي ﷺ صفة الأب فألحقتها به مع أنه ابن أخيه، والمعاني التي تحملها كلمة « الأب » كثيرة جداً، منها الحنان، والدود عن الولد، والإشفاق عليه، وبذل المجهود لتعليمه وتأديبه والقيام بأمره، والسرور به إذا صلح، والتباهي بذلك، والخوف عليه إن ضلّ، والتصيحة له على ذلك... وحسبك بهذه المعاني وبما قد يرد إليك من غيرها شرفاً لهذه الاستعارة، والصورة إنما تحسن إذا أنت كلما قلبتها وقعت على وجه جديد لها، وهذه الاستعارة حقيقٌ بوصف عبد القاهر لها بأنها « أمدٌ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حُسناً وإحساناً، وأوسع سعةً وأبعد غوراً... نعم، وأسحرُ سحراً، وأملأُ بكل ما يملأ صدرًا، ويُمتِع عقلاً، ويؤنس نفساً... وأهدى إلى أن تُهدي إليك أبداً عذاري قد تُخَيِّر لها الجمال، وعني بها الكمال... وهي أجملُ من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها، وتستوفي جملة جمالها »^(١).

ومن الاستعارة أيضاً قول سالم الغطفاني يحكي تمكّن الحزن من قلبه:

جَوَى حَلَّ بَيْنَ الْحَسَا وَالشَّعَافِ فَحَيِّمَ فِيهِ فَمَا يَذْهَبُ

فإن تشبيه مُكث الجوى بقلبه، بالرجل الذي نصب خبائه، ورمى بجمرانه على أرض ليستوطنها؛ لمعني عن طويل من الكلام، عميق في الدلالة على تغلغل هذا الحزن واستحواذه على قلبه.

وما أجمل تقبيح مسروق صورة الردة حين استعار لها صورة غوي عارية مخلوق رأسها،

(١) أسرار البلاغة ص ٤٤.

قبيحة تشمئز منها القلوب؛ دُعُوا إِلَى زَفَاقِهَا:

إِنَّهَا رِدَّةٌ تُزْفُّ إِلَيْكُمْ قَدْ تَعَرَّتْ، وَرَأْسُهَا مَخْلُوقٌ ۱

إنهم لا ريب مبغضوها، وصار فوجوهم عنها مما قد تجرُّ عليهم من الويلات والوضاعة والدَّس.

كما استعاروا لدين الله - سبحانه وتعالى - الحبل^(١)، وهي صورة قرآنية؛ وللمصيبة أخطأ^(٢)؛ وللجهل أخطأ^(٣)؛ ولجموع المرتدين موج البحر المزيدي^(٤)؛ ولعلو قدر أقوامهم هامة الحيوان وعُزَّتْ^(٥)؛ ولحالهم بعد الرسول ﷺ ومصائبهم به البيت المهدود^(٦)؛ ولشدة الأمر بعد الوفاة عصَفَ الرعود^(٧)؛ ولخفة عقولهم أو أن المصيبة طير الطيور^(٨).

واستعملوا ضرباً آخر من الاستعارة يسميه النقاد المعاصرون (التشخيص)، وهو ضرب من التعبير يُعدُّ من أقوى أركان الصورة الشعرية وأعمدتها^(٩)، وقد أشار إليه عبد القاهر فقال: فإنك ترى بالاستعارة «الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مُبينَةٌ... إن شئت أرثك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لظفَّت الأوصاف الجسمانية حتى تعود زوحانية لا تنالها إلا الظنون»^(١٠).

(١) مرثية مُرَّان، البيت الحادي عشر.

(٢) مرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت الأول.

(٣) مرثية أبي الهيثم، البيت السابع.

(٤) مرثية عددي بن حاتم، البيت الرابع.

(٥) مرثية عبد الحارث بن أنس، البيت السابع.

(٦) مرثية صفية (أكفكف من دمعي)، البيت الرابع؛ ومرثيتها الأخرى (يا عين جودي بدمع منك منحدر)، البيت الثاني.

(٧) مرثية سواد ب قارب، البيت الثاني عشر.

(٨) مرثية أبي سفيان بن الحارث، البيت السادس.

(٩) انظر فصل التشخيص من كتاب: قضايا في النقد والشعر، للدكتور يوسف حسين بكار ص ٣٤ (دار الأندلس، بيروت، ط ١/١٤٠٤هـ).

(١٠) أسرار البلاغة ص ٤٣.

فمن ذلك ما خلعه الراثون للنبي ﷺ من حُلَّةٍ كثيبة على الخلائق المُحدقة بهم، ولا سيَّما صفة البكاء التي هي في الأصل صفةً من صفات الإنسان، كقول عبد الحارث:

لَقَدْ كَسَفَتْ شَمْسُ النَّهَارِ لِفَقْدِهِ وَبَكَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ وَأُنْكَسَفَ الْقَمَرُ
وَبَكَتْهُ آفَاقُ السَّمَاءِ وَمَالَهَا وَلِلْأَرْضِ شَجْوٌ غَيْرُ ذَلِكَ وَلَا عِبْرُ

وقول عبد الله بن سلمة:

مَنْ بَكَتْهُ السَّمَاءُ تُسْعِدُهَا الْأَرْضُ ضُ، وَأَيْضًا بَعْدَ الْيَقَارِ الْبِحَارُ
وَسَرَايِلُ قَدْ بَكَتْ، وَجَبْرِيدُ لُ، وَمِيكَالُ، وَالْمَلَأَ الْأَطْهَارُ

وقول سالم مكرزاً موكِّداً:

وَبَيْكِي لَهُ الضُّمُّ صُمُّ الْجِبَالِ وَشَرِقُ الْمَدِينَةِ وَالْمَغْرِبُ
وَتَبْكِي الْأَبَاطِحُ مِنْ فَقْدِهِ وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ
وَتَبْكِي وَغَيْرُهُ مِنْ فَقْدِهِ بِحُزْنٍ، وَتُسْعِدُهَا الْبَيْتُ

وفي هذا النوع من الصور فائدتان: الوقوف على مدى حزن الشاعر وكيف ينفلت منه فينطبع على ما تبصره عيناه، والإشارة إلى سعة هذا الحزن واستشرائه؛ «ذلك أن الطبيعة يمكن أن تتحول بين يدي الشاعر إلى وعاء يُفرغ فيه عواطفه، بحيث يصبح أساه أو حزنه جزءاً من طبيعةٍ آسيية، أو مرآةً تنعكس عليها آلامه شاء أو لم يشأ»^(١).

ولو تركنا هذه الصور الجزئية القصيرة لقيتُنا في دروب المراثي صوراً أخرى كثيفةً متشعبةً، أو مترابطةً كالبنيان، لا تكون إلا جملةً واحدةً؛ تقصر بالانفصال أو التقسيم عن مبتغى الشاعر وما يمليه عليه ضميره.

(١) شعر الرثاء في العصر الجاهلي: دراسة فنية، للدكتور مصطفى عبد الشافي الشورى ص ٢٩١ (الدار الجامعية، بيروت

وخير مثالي لها قول سواد بن قارب يصور رعد حياتهم مع الرسول ﷺ، وشقاءهم بعد

فقدته:

كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُنْرِعًا جَفَّ الْجَنَابُ فَأَجْدَبَ الرُّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجَدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ، وَكَانَ عِيَانُهُ حُلْمًا تَضَمَّنَ سُكْرَتَيْهِ رُقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الظَّرِيفُ، وَحُزْنُهُ يَاقِي - لَعَنَرَكْ - فِي الثُّفُوسِ يِلَادُ

إنها لوحة كبيرة فيها صورٌ متشبيتٌ بعضها ببعض، تؤول إحداها إلى صاحبيتها فتستوي عليها كأنها البناء يرتفع رويدًا رويدًا، أو الطفل ينمو حتى يشتد على صورته فتبين قسامته، وتتميز ملامحه.

فقد صور الشاعر الرسول ﷺ في حياته بالأرض الطيبة الخصيبة، الدانية التي يتقاطر إليها الناس والأنعام، فلما أن مات كان موته ﷺ إيذانًا بجفاف هذه الأرض، وإقفارها كأن لم تغن بالأمس؛ فانصرف الناس عنها آيسين مجذبين، ثم إن الكون على جموده رقن لحال الناس البائسة هذه، فبكت أرضه وسماؤه رثاءً وأسفاً على الناس وأرضهم التي كانت مريعةً آنفاً. وألم الناس أنفسهم ألماً تصدعت به أكبادهم، ورؤعهم أن قصرت مدة متاعهم بهذا الخير العميم الذي كان فيهم وقلاً، وكان بقاءه كالخلم فيهم، والحلم في هذا المعنى حياة بين رقتين: رقدة قبل الرسول مظلمة من الضلال والجهل، ورقدة بعده رمداءً قلقيةً للفراق وما سيكون من خطب، أو هو - كما يقول فرويد - حياة في موت، ونبض في سكون^(١). فكانما انتاب الأمر طرافةً خاطفةً، وخلود؛ فالطرافة الخاطفة المقتضبة كانت رؤية النبي ﷺ كالحلم، والخلود الباقي هو الحزن الذي لا انقضاء له. وقد أمم الشاعر إلى الطباق فأتى به في هذا الموضع إيضاحاً للمفارقة المرة بين الحياة والموت.

ويدخل في الصور الكثيفة الصورة المجعّة أجزاؤها من صور أصغر، كقول العتكي يحكي

(١) انظر: تفسير الأحلام، لسيجموند فرويد ص ٢٩١ وما بعدها (ترجمة الدكتور مصطفى زيور، دار المعارف).

صورة ما برّح بقومه يوم الوفاة:

فَلَقَدْ أُصِيبْنَا بِالنَّيِّ، وَأَنْفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ إِلَى الْبَيْتَةِ، أَجْدَعُ
وَقُلُوبُنَا قَرَحَى، وَمَاءُ عُيُونِنَا جَارٍ، وَأَعْنَاقُ الْبَرِيَّةِ خُضَعُ

فهي صورة لا تُنال إلا جميعاً؛ لأننا لن نحس إحساس الشاعر حقاً إن نحن وقفنا عند جزء واحد أو جزأين من أجزاء هذه الصورة الواسعة. فتقرّحُ القلوب وحده مثلاً لا يُغني في نقل عاطفة الشاعر وتمثيل تجربته كما أحب لها أن تكون، بل هذه الصورة كلّ كامل أراد به الشاعر التعبير عن حال قومه الكاسفة الحزينة، وهو منهم، وهو أعلم الناس بهم؛ وعن حال الخلق من سواهم، كما ترقّبهم عينه الدامعة من بعيد.

وإذا استثنينا صورة سوادٍ التي حاول أن يطيلها ويربط بين شعبها؛ فإن هذا النوع من الصور وإن تعددت أجزاؤه وتكاثرت؛ فإنها لا تتشابه ولا تمتزج، بل تسير متوازية في خطوط واضحة من غير اختلاطٍ يغيّر ألوان الصورة المعتادة، أو يهَبُ شكلاً جديداً لهيكلها وعناصرها. إنها صورٌ فطريّةٌ بريئةٌ براءة الحياة العربيّة الأولى من ترف المدنية، وتعقّد أطراف حضارتها المنثقة.

وحتى صورة سوادٍ لم تغد أن تكون صورتين أيضاً: صورة الجناب المرع، وصورة الحلم؛ فهما - وإن امتدتا - صورتان لا صورةً واحدةً متألّفة، صورتان تركت أخراهما أو لاهما، فاستقلّت كلّ واحدة منهما بنفسها على رابط هيش بينهما. ولكنها - على كلّ حالٍ - أدخلت في الصناعة من صورة العتكي التي مثلت بها بعدها.

تلك الاستعارة في مراثيهم، أما المجاز فهو قليل فيها، والمجاز ضربٌ من التصوير «علاقته غير المشابهة»^(١)، ولعلّ السبب في قلته أنه أدخل في جانب العقل، والصحابة كانوا أبعد شيء عن النظر والصنعة يومئذ. من هذا المجاز قول صفيّة:

أَقَاطِمُ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدِّهِ أَمْسَى يَبْتَرِبَ قَاوِيَا

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ١٤٩/٢.

فقولها: « على جدث » مجاز علاقته الحالية، إذ قصدت صاحبَ الحدث الذي حلَّ فيه، وهو النبي ﷺ. وفي هذه الصورة حَدْبٌ على الرسول ﷺ، وزيادةٌ في التكريم له؛ لأنَّ أحدًا إذا توجه بالرعاية إلى ما يتعلَّق بك ويَمَسُّك؛ فُهَمَّ من حاله رعايته لك بالضرورة.

ومن المجاز قولُ عبد الله بن أنيس:

نَفَى الشَّوْمَ مَالًا تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ وَخَطَبُ جَلِيلٌ لِلْبَلِيَّةِ جَامِعُ

فإن قوله: « مالا تبتغيه الأصابع » مجاز علاقته الكليَّة؛ لأنه أراد « مالا يبتغيه المرءُ »، وما ذكر الأصابع إلا لأنها من أخصِّ جوارح الإنسان، وأقدرها على معالجة الأشياء، وكأنه يشير إلى أنَّ الذي نزل بهم من البلاء والرزية لا يد لهم فيه ولا حيلة. ثم إن هذا المجاز يأخذ بك إلى تخيل صورة الأصابع متحرِّكة ثم عاجزة عن الحركة، فيقع في نفسك تصديقٌ بصورة العجز التي رام الشاعر دفعك إلى نوالها.

ومن المجاز قول أبي سفيان بن الحارث:

وَدَاكَ أَحَقُّ مَا سَأَلْتَ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ، أَوْ كَرُبْتَ تَسِيلُ

أراد دماءهم، وعبر عنها بالنفوس؛ لأنَّ الدماء إذا نضِب الجسم منها أقفر من رُوحه. وهذا المجاز من صور البذل الرقيقة، إذ الشاعر كأنه يقول: إنَّ الناس لا يجزئ عنهم إسالةُ الدماء في حق النبي ﷺ حتى يُتبعوها بإسالة النفوس؛ ردًّا لجميل رسول الله ذي المنَّة عليهم.

كما كانت الكناية صورة ذات شأن في المراثي النبوية، دارت عليها رحي الشعراء، ورجعت أصواتهم.

والكناية « لفظٌ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ »^(١)، وهي لذلك « غاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قربحته »^(٢).

(١) بغية الإيضاح ١٥٠/٢.

(٢) الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، لخالد محمد الزواوي ص ١٤٩ (الشركة المصرية العالمية للنشر - لوخمان، ط ١٩٩٢/١م).

وبهذا الحدّ تقف الكناية وسطاً بين الصور المجازية والصور الحقيقية، ممتازة عن النوعين باكتنائها في طيّات صورتها سمةً بلاغيةً خطيرةً هي الإقناع؛ ذلك أن صاحب الكناية « لا يأتيك بالدعوى إلا ومعها دليلها»^(١)؛ « وكل عاقل يعلم - إذا رجع إلى نفسه - أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها؛ أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً عُفلاً؛ وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشكُّ فيه ولا يُظنُّ بالمخير التجوُّز والغلط»^(٢).

فقول عبد الله بن سلمة:

قِيلَ: مَاتَ النَّبِيُّ فَأَنْصَدَعَ الْقَلْبُ ب، وَشَابَتْ مِنْ هَوْلِهَا الْأَشْعَارُ

فيه كنايةتان، أريد بهما تصوير الهلع من هول المفاجأة، وقد يجوز فيهما أن تحقّقاً وخاصة الثانية منهما، فدلّتنا إذن مع الصورة التي ارتسمت في الذهن على الشعور الصادق صدقاً لم يكتبه الشاعر فيه بإدراك التجربة، بل زاد على ذلك الوقوع في حومتها.

وكناية جدع الأنف في قول مُرَّان بن عُمير:

جَدَعَتْ قَوِيَّ الْأَنْوَفِ وَأَجْرَتْ دَمَعَ عَيْنِي، فَلِلْجُفُونِ هُمُولُ

تجمع بين الصورة والشعور بالحسرة والمذلة.

وقول ابن ذي المشعار:

فَسَمِعِي - لَعْمُرُكَ - مِنْ بَعْدِهِ وَفِي بَعْضِ نُظْمِي لَسَعُ

صورة تحكي الصدمة والذهول والكربة. وهي فوق ذلك تلخص شعوراً شاملاً يعتري الشاعر لا يقف عند ثقل السمع وبعي اللسان فحسب، بل إن هذين رمزان لا غير لمشاعر أخرى من حزن وألم وحسرة، وتلك مزية أخرى من مزايا الكناية: أنها تترك الباب واسعاً لتخيّل

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ٢/٢٦٦.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤٣١.

ما وراء الصورة المعلنة، وإشراك القارئ في بناء الصورة، فمن قال: إن ثقل السمع لا يستتبعه شغل القلب وشروذ البصر وضيق الصدر؟ ومن ينكر أن حُبسة اللسان ليست إلا عن صدمة العقل وشدة الألم الذي يكبر عن الكلام، أو الذي لا يستطيع الكلام التعبير عنه؟!

وكناية طيب الثوب في قول صفيّة:

فَاتِحُ، حَاتِمُ، رَجِيمُ، زُؤُوفُ صَادِقُ الْقَيْلِ، طَيِّبُ الْأَنْوَابِ

صورة ذهنية للعفة، أو للطهارة، أو للتجمل بكل ما تحمله هذه الكلمات من معاني أو إشارات، وصورة حقيقية في الوقت ذاته.

ومن هذا الضرب أيضًا كنايةاتهم عن خسارتهم بفقد الرسول ﷺ؛ بالحواد المسبوق بعد أن كان يبدد الناس فيغلبهم ويسبقهم^(١)؛ وعن فجأتهم من موته يبئس اللسان^(٢)؛ وبالثفروق عن القلة^(٣)؛ وبالقتيل^(٤) والفواق^(٥) عنها؛ وبتقليب الكف والأصابع عن الحياة^(٦)؛ وبضيق الخلق عن الكربة^(٧)؛ وببياض الشعر^(٨) وشيبه^(٩) عن الهول والروعة؛ وبصغر الحدود عن الكبر^(١٠)؛ وباستكالك المسامع عن المفاجأة والخوف^(١١)؛ وبالجدع عن الألم والتحسر والصغار

(١) مرثية مسروق، البيت الرابع.

(٢) مرثية عمرو بن العاص (صدع القلوب)، البيت الثاني.

(٣) مرثية مسروق، البيت السابع عشر.

(٤) مرثية مهران، البيت الثامن.

(٥) مرثية مهران، البيت الثالث.

(٦) مرثية عمرو بن سالم، البيت الحادي عشر.

(٧) مرثية عبد الله بن سلمة، البيت الثامن.

(٨) مرثية عبد الحارث بن أنس، البيت العاشر.

(٩) مرثية عبد الله بن سلمة، البيت التاسع.

(١٠) مرثية عبد الحارث بن أنس، البيت الثامن.

(١١) مرثية عبد الله بن أنيس، البيت الثاني.

والأسف^(١)؛ ودسهوة الجناب، وضحَم النَّسِيعَة، والزَّناد الواري عن جُود الرِّسُول ﷺ وانبساطه وكَرَمِه^(٢).

فكذلك إذن تختلف الكناية عن غيرها من الصور بقوّتها على الجمع بين المجاز والحقيقة. وقد أبعد من ظنّ أن « التفرقة بين التّشبيه والاستعارة والكناية وما إليها تفرقة شكليةً بحتة؛ فكلّها في نهاية الأمر [- في رأيه -] صور يُبدعها الخيال... »^(٣)؛ أبعد ونأى بنفسه عن كثير من فواتح اللغة وتجلياتها.

فإذا غادرنا الكناية بمكانها الوسط هذا، وغادرنا هذه الألوان البيانية استقبلنا لوّناً جديداً من ألوان الصور في المراثي النبوية، هو الصور الحقيقية أو الذهنية، وهذه ناشئة عمّا يسميه بعض النقاد (الخيال البصري)^(٤).

فالمذاهب الأدبية الحديثة لا تلتزم في الصورة « ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية؛ فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب »^(٥)، بل لقد ذهب بعض الباحثين إلى « أن كل ملفوظ - مهما تكن صيغته - قابل لاكتساب مدى استعاري »^(٦)، وهذا النوع من الصورة « ترفده دائماً قدرة على الملاحظة والتركيب، أي جمع العديد من الملاحظات الجزئية في الحياة، ثم تركيبها في صورة فنية متكاملة »^(٧)، والناظر إلى قول عديّ يصف الخيل الغازية في سبيل الله:

(١) مرثية مُرّان، البيت السابع؛ ومرثية العتكي، البيت الثاني؛ ومرثية أبي الهيثم، البيت الثاني؛ ومرثية صفية (لطف نفسي وبث)، البيت الرابع؛ ومرثيتها الأخرى (أرقت فبث) البيت الثاني.

(٢) مرثية سالم، الأبيات: العاشر والحادي عشر والثالث عشر.

(٣) دراسات في الشعر والمسرح، للدكتور مصطفى بدوي ص ٢٤ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٩م).

(٤) انظر: الشعر الجاهلي، للدكتور محمد التويهي ١/١٠٧.

(٥) النقد الأدبي الحديث، للدكتور غنيمي هلال ص ٤٣٢. وانظر أيضاً: شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، للدكتور أحمد كمال زكي ص ٢٧٣.

(٦) النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، للدكتور محمد الناصر العجيمي ص ٦٥٧ (كلية الآداب، سوسة ط ١٩٩٨م).

(٧) الأدب وفنونه، للدكتور محمد مندور ص ٩٠ (مطبوعات معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٦١م).

إِنْ تَمْنَعُوهَا تَأْتِيكُمْ مَبْنُوتَةٌ قُبَّ الْبُطُونِ مِنَ الْفِجَاجِ طَوَالِغُ
يَعْلُونَ مِنْ عَلِيَا هَوَازِنَ يَهَيِّهَا فِيهَا النِّيَّةُ وَالسِّمَامُ النَّاقِعُ

يجد فيه صورة هذه الخيل الضوامر قد تمثلت له وهي تحمل الجنود منبثة من كل فج، مصعدة في الجبل الوعر، كي تقسو على جحافل المرتدين. وقد غني الشاعر فيها بصفات بعينها، فضمور البطن دليل مصابرة ومرايس وشدة، والفجاج دليل اقتحام وفتح واحاطة بالعدو، واختياره للنهي دون غيره - وهو الوعر من الجبل - إشارة إلى تحلل المشاق، والعلو على القوم مهما جمحوا أو صعّبوا.

ولكن الصورة الحقيقية التي لم تُمتح من كيان كثير من الشعراء هي صورة يوم الوفاة، فكل وقف بنفسه ذلك اليوم على ما أتر فيه أو هيح أحزانه. وكل تخير له من ذلك اليوم صورة عبر بها عن آلامه.

فحسان بأسو لما آلت إليه حال بيوتات النبي ﷺ وما نزل بأمهات المؤمنين من الجهد، فيلتقط هذه الصورة الشعرية بعينها بعيني خبير؛ لأنه وجد عليها سربالاً من الحزن ليس على غيرها:

أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَلْنَ الْبُيُوتَ قَمَا يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَمَا سِئْرَ بَأْوَتَادِ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ أَيَقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّعَمَّةِ الْبَادِي

لقد أخذتنا صورة حسان هذه، فرأينا الأشياء هنالك موحشة قد تراخت وقبع الوجوم على وجهها. وإن المدخل الكئيب بلفظة المساء في مطلع الصورة يضفي عليها هالة من الرهبة والتوجس، ثم تمضي في الصورة فتراها مكفهرة وهي تحكي عن بيوت النبي الخالية من نسائها اللاتي ما كُنَّ يبرحنها، وعن أبوابها المُشرعة بعد ما كانت مصونة مغلقة، والأستار المرفوعة وكانت قبل مسدلة تحجب الناظرين، لقد تحولت الحال بأمهات المؤمنين فصرن - لشديد حزنهن وبالغ مصابهن - زاهدات في مُتَع الدنيا، ذاهلات. وأمسين وهن يلبسن

الغياب الخشنة وهذا البؤس البادي عليهن؛ كأمثال الرواهب اللائي رأهنَّ حَسَنًا في الشَّام أيام كان يغدو إلى الغساسنة. هذه الأوصاف المنتقاة بعناية مدعومةً بالجزء المجازي الأخير؛ أتمت صورةً بعينها سعى الشاعر إلى بيئها عنهم، هي صورة الزهد وفقدان الأمل.

ولقد ريعت عمته هي الأخرى لهذا المنظر الكئيب بعينه فأثرته على غيره، فقالت:

إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَرِيحٌ فَأَشَابَ الْقَدَالَ أَيَّ مَشِيْبٍ
حِينَ زَيْنَا نُبُوَّتَهُ مُوحِشَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ بَعْدَ عَيْشِ حَيْنِي
فَعَرَانِي لِذَاكَ حُزْنٌ طَوِيلٌ خَالَطَ الْقَلْبَ فَهُوَ كَالْمَرْغُوبِ

ولكن صفيّة راعها أن لم تجد ابن أخيها محمدًا حيث كانت تجده وهي تزوره، لقد أوحش البيت من بعده، وقد كان هو يملؤه بصوته وشخصه وأنسه ورحمته وحنانه، وهو الآن خلو من ذلك كله، وقد خاب ظنها هي والنسوة حين غالطن أنفسهن فغدون إلى البيت لعلهن يجدنه، ولعل الخبر - على انتشاره - غير صحيح، ولكنهن حين رأين البيوت كذلك صعقن.

وتدخل عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بيت الرسول ﷺ فتنقل لنا بغريزتها الشاعرة صورةً فريدةً أبصرتها، لعلها لا يطلع عليها إلا النساء، فتقول:

أَمَسْتُ مَرَائِكُهُ أَوْحَشَتْ وَقَدْ كَانَ يَرْكَبُهَا زَيْنُهَا
وَأَمَسْتُ ثَبَكِّي عَلَى سَيْدٍ تُرَدِّدُ عَبْرَتَهَا عَيْنُهَا
وَأَمَسْتُ نِسَاؤَكَ مَا تَسْتَفِيئُ مِنَ الْحُزْنِ يَعْتَادُهَا دَيْنُهَا
وَأَمَسْتُ شَوَاحِبَ مِثْلِ النَّصَا لِ قَدْ عَظَلْتَ، وَكَبَا لَوْنُهَا
يُعَالِجَنَّ حُزْنًا بَعِيدَ الدَّهَابِ وَفِي الصَّدْرِ مُكْتَنِعٌ حَيْنُهَا
يُضْرِبَنَّ بِالْكَفِّ حُرَّ الْوُجُوهِ عَلَى مِثْلِهِ جَادَهَا سُؤْنُهَا

والذي في هذه الصورة من الإجابة أنَّ عاتكة لقطت من بيت النبوة لقطتين، لقطه دواب النبي ﷺ التي كان يركب، وقد دخل عليها المساء فزاد وحشتها وحشةً، وقد رأتها

عاتكة تبكي كما يبكي الناس حزناً على الرسول، وهذا لا يُستغرب لأن الدوابَّ تألم وتبكي، لأنَّ الحزن لم يكن خاصاً في الناس وحدهم يومئذ. ولقطةً أخرى لقطتها لنساء النبي، فهنَّ من شدة الحزن متعباتٌ منهكاتٌ، ديدنهنَّ تذكُر النبي ﷺ والبكاء عليه، حتى عُذِنَ كالنصال الشاحبة دِقَّةً وضعفًا وهُزالاً. فالأصل في هذه الصورة هو وصف أجزاء بعينها من المكان، أمَدَّتْه الشاعرة بالتشبيه بهذه النصال المحيلة لتزيد من بؤس الصورة الذي قصدت إليه في الأصل. وكان من جمال هذه الصورة إصرار الشاعرة على تكرر فعل (المساء) إصرارًا وظنَّ الأسي في قلوب السامعين.

إن الصورة الفنية قد تبعث في أنفسنا الرضى لما فيها من صدق؛ إذ ترى فيها محاكاة واضحة ناصعة للوجود، حين تَلْقُفُ الصُورَةَ لحظةً كان يمكن أن تزول ويطوبها النسيان^(١). وهكذا كانت الصور الحقيقية قادرةً على جلاء صدق مشاعر هؤلاء الشعراء الصحابة خيرَ جلاء، ولقد أحزنتنا تلك الصور كما أحزنتهم، وأثارت فينا الشجون. إنَّ أصدق الشعر بحقٍ أصدقُه^(٢) لا أكذُبه كما أشيع، وإنَّ الشاعر المُجيد هو الذي يفلح في تصوير التجربة كما تمثَّلت له أو عايشها.

وربَّما شاعرٍ أفلح بحسن اختياره في إثارة صورة كاملة بلفظة واحدة؛ فقد تكون بعض الكلمات صوراً في ذاتها، مُشعَّةً بدلالاتها وأصواتها^(٣)، فكلمة « هنبئة » في قول صفيَّة:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبِئَةٌ لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنِّي الحُظْبُ

تروحي بصورة كاملة فيها التناوش والاختلاف والتناجي، وهي تُفضي بنا إلى الصورة الموسيقية للكلمة لا محالة، ففي الهاء والشاء والتاء رخاوةٌ ووسوسةٌ وصوتٌ خفيض، وفي النونين الساكتين: النون الأولى ونون التنوين صوتٌ أعلى قليلاً بيِّنٌ نَعْمُه، وفي الباء المفتوحة

(١) انظر: قصة الحضارة، لول ديورانت/١٥٤ (ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة).

(٢) انظر: النقد الأدبي الحديث، للدكتور غنيمي هلال ص ٢١٩-٢٢١.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٤٣٢.

جلجلة تكاد تُسكت الأصوات الخافتة حولها^(١)، وكأنها صورةٌ لأولئك المرجفين في المدينة، الشامتين بالمؤمنين أصحاب الأصوات الخاشعة المستكينة، ثم إن في تلاحق حركتي الباء والشاء سرعةً، لا بل طينشٌ أعقب سكوناً وجدناه في النون قبلهما. ولا غرابة في كل ذلك؛ فالموسيقى والصورة عينان في رأس واحد، لا تُلفى القصيدة جميلةً إلا بهما، أو فلنقل: رأسٌ في جسدٍ واحدٍ، هو الشعر، لا يكون الشعر حياً إلا به.

وكلمة « نُهْبَةٌ » في قولها:

عَاشَ مَا عَاشَ فِي الْبَرِّيَّةِ بَرًّا وَلَقَدْ كَانَ نُهْبَةً الْمُرْتَادِ

توحي بصورة من البذل والحلم والتصدي لأمر الناس.

وكلمة « يُعَالِجَن » في قول عاتكة بنت زيد:

يُعَالِجَن حُزْنًا بَعِيدَ الدَّهَابِ وَفِي الصَّدْرِ مُكْتَنِعٌ حَيْنَهَا

ترسم صورةً من المعاناة والصبر والدأب؛ فقد زاد مبنى الكلمة في المعنى وصَوَّرَ الصورة؛ إذ يوحي بناءً الكلمة الرباعيُّ تسبقه ياء المضارعة تتلوه نونُ النسوة؛ بالتلاحق والدأب في المعالجة، والصبر على ويلات آلام الحزن مهما طال وتعدَّ عَوْرَهُ، ولقد زاد الصوت الممدود في وسط الكلمة في معناها طولاً وانتظاراً.

وفي كلمة « مكتنع » من البيت نفسه - ومعناه المنقبض المتشنج المنضم - صورةٌ لهذا الحين - وهو الفراق المؤلم - وقد تشبث بهنَّ بكل سبيل، وران عليهنَّ.

وكأنَّ الشاعرة بصورتها تقول: إنَّ هؤلاء النساء الكريمات يغالطن أنفسهنَّ إذا يحاولن مداراةً الحزن وعلاجه، فقد تمكَّن الحزن من قلوبهنَّ حقاً حتى ليصعبَ الفِكَالُ منه.

(١) وصف علماء الأصوات الهاء والشاء بالهمس والرخاوة، ووصفوا الباء بالجهر والشدة، ووصفوا النون بالتوسط بين ذلك (انظر: الصوتيات العربية، للدكتور منصور بن حامد الغامدي ص ٨٩-٩١، مكتبة التوبة، الرياض، ط ١٤٢١هـ).

لقد كانت الألفاظ في العهود القديمة صورًا فطريّةً، وكانت توحى بما لم تعد توحيه ألفاظ الشعر في الأزمنة المتأخرة؛ حيث فقد الإنسان « وبخاصّة في العصور الحديثة قوّة هذه الإشاعات الفطريّة للألفاظ اللغويّة عن طريق التجريد »^(١)، تجريد الألفاظ من الصورة.

لكأنّ الصحابة ارتاحوا بفطرتهم إلى الصور الحقيقية؛ لانشغالهم بهذه المصيبة الكبرى عن تحبير القول وتنقيحه، والإيغال في دروب المجازات.

بل لقد يئّموا في صورهم المجازيّة وجوههم شطر (الإنسان) ليكون مصدرًا لكثير من تلك الصور، فأعقب ذلك شعورٌ بقرب هذه الصور المجازيّة من الحقيقة أيضًا؛ ذلك أن الإنسان هو أدنى شيء من أخيه الإنسان، وإن التوجّه نحو هذا المصدر بالذات يجعل من الصورة شيئًا معتادًا قريبًا من ديدن الحياة.

فعلوا ذلك في تصويرهم لوفاة النبي ﷺ لما ابتغوا توقيره وتعظيمه، فجعلوا (الإنسان) في حالات شرفه وعيظه ومهابته مصدرهم لهذه الصور، مثلما سبق القول في تحيّلهم ليتحاشوا ذكر موت النبي ﷺ^(٢). وجعلوا من صفات الإنسان مصدر صورتهم أيضًا حين أرادوا تصوير النبي ﷺ في حياته، فشبهته صفيّة (بالأب الإنسان الرحيم) في قولها:

فَقَدْ رُزِئْتُ أَبَا سَهْلًا خَلِيقَتُهُ مَحْضُ الصَّرَائِبِ وَالْأَعْرَاقِ وَالنَّسَبِ

وشبه أبو سفيان قبر الرسول (بالإنسان السيد):

فَقَبْرُ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولِ

ذلك أن سيادة القبر مكتسبة من سيادة مَنْ فيه، وقد دعا الشاعر إلى الصورة في صدر البيت لفظة « سيّد » في حشو عجزه، وكذلك هي لغة الشعر تفتح لصاحبها أبواب المعاني، أو تُؤدّي به إليها؛ ليؤول بعضها إلى بعض.

(١) النقد الأدبي الحديث، للدكتور غنيمي هلال ص ٣٤٢-٣٤٥.

(٢) انظر ص ٤٠٢ من هذه الدراسة.

وأنخذوا من (الإنسان في أوقات بؤسه وضرته) مصدرًا يصورون به ألمهم وأوجاعهم، وينشرون بصورته لوعتهم وشكواهم. ولعل سبب هذا الاختيار أن الإنسان أنفع مصدر في مجال الرثاء؛ لأن الشاعر الرائي يجد فيه بغيته للتعبير وهو ضائق حزين أقرب مما يجد في سواه من مصادر الصورة التي يحتاج فيها إلى نوع تدبير وتوليف لما يصلح لبناء صورته، وهذا ما لا صبر للشعراء عليه في هذا المقام، من ذلك قول أبي سفيان يُشبهه تلجج الناس وحيرتهم (بأناس عُميان) فَعَدَّ هَادِيهِمْ عَنْهُمْ:

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوهُ عُمِيٌّ أَضَرَ يَلِيَّ حَازِمِيهِمْ عَلِيلُ
وقول صفيّة تُشبهه نفسها وقد ذهلت (بالإنسان المسلوب ولده أو عقله أو ماله)، فيسهر الليل لا ينام، ولا ينام له فؤاد:

لَهْفَ نَفْسِي، وَبَيْتٌ كَالْمَسْلُوبِ أَرْقُبُ اللَّيْلَ فِعْلَةَ الْمَحْرُوبِ
وَتَشْبَهُ قَلْبِهَا وَقَدْ خَالَطَهُ الْحُزْنَ (بالإنسان المرعوب):

فَعَرَانِي إِذْ نَاكَ حُزْنٌ طَوِيلٌ خَالَطَ الْقَلْبَ فَهَوَ كَالْمَرْعُوبِ
وَأَيْضًا (بالإنسان المعمود):

وَأَنْدِي الْمُضْطَفَى بِحُزْنٍ شَدِيدٍ خَالَطَ الْقَلْبَ فَهَوَ كَالْمَعْمُودِ
والمعمود هو الذي لا يستطيع الجلوس من مرضه حتى يُعمد من جوانبه بالوسائد^(١).

ومثل سالم الجوى الذي هجم على قلبه (بالضيف الثقيل أو الإنسان المستبد) الذي استولى على أرض غيره وما يريد ارتحالاً:

جَوِيَّ حَلَّ بَيْنَ الْحَشَا وَالشَّعَافِ فَخَيَّمَ فِيهِ فَمَا يَذْهَبُ

(١) تهذيب اللغة (عمد).

وهو مصدرٌ بدويٌّ جلبه صاحبه من الصحراء التي يقطن فيها.

وشبهه حسَّانُ شقائه بالفراق (بالإنسان الصَّدي) الذي يخشى هلاكًا:

حَيْرُ التَّيْرِيَّةِ، إِي كُنْتُ فِي نَهْرٍ جَارٍ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

وجعل مسروق مصدر تحذيره لقومه (امرأة خبيثة مرادة) فاختارها لصورته:

إِنَّمَا رِدَّةٌ تُرْفُ إِلَيْكُمْ قَدْ تَعَرَّتْ وَرَأْسَهَا مَخْلُوقٌ

حتى إنهم استعاروا للجوامد أيضًا صفات من صفات الإنسان، كالبكاء في قول عبد الله

ابن سلمة:

بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى الثُّورِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا

وكانسع في خطابهم للعيون حين صيروا منها أشخاصًا يتصدى لهم، وهو كثير في المراتب،

منه قول سالم:

فَيَا عَيْنُ وَيَحْكُ لَأَنْسَأِي وَمَا بَالُ دَمْعِكَ لَا يُسْكَبُ

وقول صفيّة:

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعَةٍ وَسُهُودٍ وَأَنْدِي حَيْرٌ هَالِكٌ مَفْقُودٌ

وما بقي من مصادر الصورة سوى ذلك فهو من المصادر التي تعودنا عليها عند سواد

الشعراء، كاتخاذهم الطبيعة مصدرًا للصورة، كالغيث والشمس والبحر والضياء والقمر في

مرثية عمرو بن الفحيل الزبيدي يُشَبِّه بهن الرسول ﷺ، والنهر الجاري في قول حسَّان

الفائت، والبرق الخاطف الذي يقطع جسم الغمامة في قول شداد بن مالك بن صَمْعَج:

فَأَقْطَعُ - فُديت - أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي مُثُونِ غَمَامٍ

وأرض اليمن أرض مطر وجبال يقترب سكانها من السماء، فيرون البروق وهي تحرق

بطون السحاب بومضها الفتاك، الذي من سرعته يكاد يخطف الأبصار.

والعسيب في قول صفيّة:

فَشَيْبِي وَمَا شَابَتْ لِذَايِي فَأَمْسَى الرَّأْسُ مِنِّي كَالْعَسِيْبِ
وهي صورة مدنيّة، وكان النخيل قُوت أهل المدينة ومنه يتعيّشون.

وكاتخاذهم الحيوان مصدرًا، كالشاء الضالة الفَرَعَة في قول أبي الهيثم:

وَمَا تَحْنُ إِنْ لَمْ يَجْتَمِعِ اللَّهُ أَمْرَنَا بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا بَعْدَ أَحْمَدِ
بِأَمْنَعِ مِنْ شَاءِ بِقَفْرِ مَطِيرَةٍ بِقِيَعَةِ قَاعٍ، أَوْ صَبَابِ بِقَدَقِدِ
والفريس ذات العُرّة في قول عبد الحارث:

وَتَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ هَامَةٌ مَدْحِجٌ بَنُو الْحَارِثِ الْحَيْرِ الَّذِينَ هُمُ الْعُرُزُ
أوتكون مادة صورتهم ذيل الحيوان كقول عدي بن حاتم:

وَأَجْرِي لَهُمْ فِيهَا ذُيُولُ غُرُورِهِ ظَلِيحَةٌ مَاوَى كُلِّ غَارٍ وَمُلْجِدِ

وذيل الحيوان أحقر شيء منه، وأهونه على صاحبه، ولا نفع من ورائه إلا إخفاء السوءات وهشّ الدبّان، وكان الشاعر يقول لهم: ليس وراء غرورك الكاذب إلا القبح، ولا حول لكم إلا على الضعفاء أمثالكم؛ فأفيقوا لنا، ولا تغتروا بنشوة عابرة سيستبين عمّا قليل وهيهنا وخذاعها.

وكالطير في قول أبي سفيان بن الحارث:

وَحَقُّ لِيْلِكَ مَرْزِيَةٌ عَلَيْنَا وَحَقُّ لَهَا تَطِيرُ لَهَا الْعُقُولُ

وكاتخاذهم بعض ما يستعملون، إمّا في معاشهم وشؤونهم كالحبل في استعارة مُرّان:

إِنَّ هَمْدَانَ يُنْسِكُونَ هُدَى اللَّـهِ وَمُرّانُ بِالْوَقَاءِ كَفَيْلُ

والوتيد في قول سواد:

إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَعَتْ بِنَا - أَوْتَادُ

والقربة المشقوقة في قول مسروق:

إِنَّ فِي كَيْدَةِ الْمُلُوكِ سَغَابًا وَأُنَاسًا سِقَاؤُهُمْ مَشْفُوقٌ

أو بعض ما يتنعمون به كالجمان في قول مسروق أيضًا:

قُلْتُ وَالذَّمْعُ كَالْجِمَانِ عَلَى النَّخْرِ رَوْقَدْ لَآخٍ فِي السَّمَا الْعَيُوقُ

والجمان من ترف الحضارة التي كان يسقط عليها بصر مسروق في اليمن.

وأمَّا مما يستعملون في حربهم، كالقوس المشدودة وهي ينطلق منها السهم المُردي في

صورة عامر بن الطفيل الأزدي:

وَتَرَّ الدَّهْرُ قَوْسَهُ فَرَمَى الْقَلْبَ سَبَّ قَلَمٍ يُخْطِئُهُ، فَصِرْنَا هَمَاجًا

والتيصال القديمة المعطلة وقد خفقت بريقها في بيت عاتكة بنت زيد تُشبه أمهات

المؤمنين:

وَأُمَسَّتْ سَوَاجِبَ مِثْلِ التِّصَا لِي قَدْ عَظَلْتُ وَكَبَا لَوْئُهَا

وكل هذه المصادر من المصادر المحيطة بهم، ونذكر أن يأتوا بمصدر من سوى ذلك، ومثال

هذا النادر قول حسان يشبه أمهات المؤمنين بالرواهب المتصوفات:

مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسَنَّ الْمُسُوحَ وَقَدْ أَيْقَنَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّعَمَّةِ الْبَادِي

والرواهب كن ينتشرن على تخوم الجزيرة من قبل الشام، وكان حسان رحلة إلى تلك

المواطن قبيل إسلامه.

وضور المراثي النبوية حسية، بصرية غالبًا كالأمثلة السابقة، وقد تجيء سمعية، كقول

سوادٍ مستعيرًا صوت الرعد الشديد:

أَنِّي أَحَاذِرُ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ أَمْرًا لِعَاصِفٍ رِيحِهِ إِزْعَادُ

أو سمعية بصرية، كقول ابن ذي المشعار:

أَدَاعَتْ بِهِ رُؤْسَ أَرْمَاجِنَا وَكَانَ كَكَلْبٍ عَوَى أَوْ وَلَغٍ

لكن ما هو أقل من ذلك أن يكون مصدر الصورة عقلياً كتشبيه سواد حياة النبي ﷺ بالحلم، وقد سبق الحديث عن هذه الصورة، وكتشبيه عمرو بن العاص حياة النبي ﷺ بالأمانة المضمونة، وقد سبق الحديث عنها أيضاً.

وقد تجيء الصورة تقابلية قائمة على استحضار حالين متناقضين^(١) كقول مسروق يقابل بين عزتهم في حياة النبي ﷺ وضعفهم بعده:

وَجَوَادًا كُنَّا تَبَدُّ بِهِ النَّاسَ، فَهَذَا جَوَادُنَا مَسْبُوقٌ
وقول صفيّة تقارن بين حياته وموته:

فَإِذَا تُنْسَ فِي جَدِّهِ مُقِيمًا فَعِدْمًا عِشْتَ ذَا كَرَمٍ وَطَيْبٍ
وقول الزبيرقان مقابلاً بين فضل الهداية وسوء الضلالة:

أَنْتَ الَّذِي اسْتَنْقَذْتَنَا بَعْدَمَا كُنَّا عَلَى مَهْوَاةِ جُرْفٍ قِيَامٌ

وفائدة هذا النوع من الصور بَعَثُ الشَّجَنِ سَرِيعًا فِي ضَمِيرٍ مَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ الشَّعْرُ، ووضعه مرة واحدة في حومة الحادثة المفجعة، عن طريق استدعاء الصور القديمة المُفْرِخَة، ونصيها أمام الصور المؤلمة المضادة لها؛ لتحدث درجة الفجاءة المرة التي يسعى الشاعر إليها. وقد عرض البحث لشيء من هذا في الحديث عن اللغة^(٢).

لقد استوحى شعراء المرائي صورهم من كل ما استطاعوا النفاذ إليه ببصرهم أو بصيرتهم، ولم يخالفوا في معظم الأمر ما صدر عنه سلفهم الجاهليون من مصادر الصورة.

(١) انظر: مرائي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ١١٥-١١٦.

(٢) انظر ص ٤١١ من هذه الدراسة.

(٥)

الموسيقى

ليست الموسيقى أقل شأناً من غيرها من عناصر الشعر، فهي - كالصورة - « ظاهرة طبيعية لتصوير العاطفة »^(١)، والوزن - في زعم ابن رشيق - « أعظم أركان حد الشعر، وأولها به خصوصية »^(٢). وإن أنثر القافية مثلاً - وهي جزء صغير من أجزاء الموسيقى - « لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي، وإنما نجد وثيق الصلة بالنظم الصرفية والتحويلة والأسلوبية، وحتى بمعجم الشعر وكلماته »^(٣).

وليست الموسيقى وزناً وقافية فقط، ولكنها إيقاعٌ وجرسُ ألفاظ أيضاً، والشعر في استعانتة بهذه الموسيقى الكلامية إنما يستعين بأقوى الطرق الإيحائية؛ لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح، والتعبير عما يعجز التعبير عنه^(٤).

وليس الوزن بالوعاء الذي يُسكب فيه ماء الشعر وكفى، بل هو عنصرٌ فاعلٌ من عناصر هذا الماء. والحق أنه لا وعاء في الشعر ولا ماء؛ لأن الشعر بكل يُسر هو هذه الكأس كما تراها مترعةً بمائها.

(١) أصول النقد الأدبي، للشايب ص ٢٢٩.

(٢) العمدة، لابن رشيق ١٣٤/١.

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي، للدكتور صلاح فضل ص ٨١-٨٢ (دار الشروق، القاهرة، ط ٢).

(٤) انظر: النقد الأدبي الحديث لغنيمي هلال ص ٣٦٠، ويقول جون كوين: « الوزن... ليس عنصراً مستقلاً عن القصيدة يضاف على محتواها من الخارج، لكنه جزء لا ينفصل من سياق المعنى » انظر: بناء لغة الشعر ص ٤٥ (ترجمة الدكتور أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة).

ولو شبَّهنا القصائد بالثِّبَات، فإن الصور والموسيقى الأغصانُ، والعواطفُ الجذورُ، تدلُّك
الأغصان على الجذور.

هذا التواصل بين الموسيقى والعاطفة لا يُفضي بالضرورة إلى عقْدٍ بين وزن القصيدة
وغرضها كما ذهب إليه بعض أهل الأدب^(١).

وكان إمامُ هذا المذهب أرسطو يوم أن استحسِن للملاحم اليونانيَّة الوزن البطوئيَّ لا غير،
فقال: « والتجربة تدلُّنا على أن الوزن البطوئيُّ هو أنسب الأوزان للملاحم. ولو أن امرءاً
استخدم في المحاكاة القصصية وزناً آخر أو عِدَّة أوزان لبدت نافرة؛ لأن الوزن البطوئيُّ هو
الأرزنُّ والأوسع، ولهذا يتلاءم مع الكلمات الغريبات والمجازات كلَّ التلاؤم... أمَّا الوزن
الإيامبيُّ [الهجائيُّ]، والوزنُّ الرباعيُّ الجاري (الترويكيُّ)؛ فمليثان بالحركة: فأحدهما أنسب
للرقص، والآخر أنسب للفعل^(٢) ».

واحتذى حدوَّ أرسطو قومٌ فاستحسنوا للمديح أوزاناً، وللهجاء أوزاناً، وللغزل أوزاناً،
وللرثاء أوزاناً، وربما خلطوا بين أوزان كلِّ^(٣).

« والحقُّ أن القدماء من العرب لم يتَّخذوا لكل موضوع... وزناً خاصاً، أو مجزاً خاصاً
من مجور الشعر القديمة، فكانوا يمدحون ويُفاخرون ويتغزَّلون في كل مجور الشعر، وتكاد
تتَّفق المعلِّقات في موضوعها، وقد نُظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل.
ومراثيهم في المفضَّليات جاءت من الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف...^(٤) ».

ولماذا نبعد وهذه المراثي النبويَّة قد نُظمت الصحيح منها من الكامل والخفيف والرمل
والوافر والطويل والمتقارب والسريع والبسيط والرجز ومجزوء الخفيف.

(١) انظر مقدمة تعريب إيادة هوميروس، لسليمان اليستاني ص ٧٧، ٩١ (المجلس الأعلى للثقافة عن طبعة دار
الهلل ١٩٠٤م).

(٢) فن الشعر، لأرسطو طاليس ص ٦٨ (ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م).

(٣) انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب ٩٣/١ (الكويت ط ١٤٠٩هـ).

(٤) النقد الأدبي الحديث، للدكتور غنيمي هلال ص ٤٤١-٤٤٢.

بيد أن المراثي النبوية خالفت ما كاد يكون شائعاً عند العرب من غلبة النظم في محور من الشعر دون غيرها. ولنضرب «المفضليات» مثلاً على ذلك، فإن عدد أبياتها سبعة وتسعون وستمئة وألفا بيت (٢٦٩٧)، جاء الطويل أولاً بواحد وتسعين وثمانمئة بيت (٨٩١)، ثم الكامل بثلاثة وثلاثين وخمسمئة بيت (٥٣٣)، ثم الوافر بستة وسبعين وثلاثمئة (٣٧٦)، ثم البسيط باثنين وستين وثلاثمئة (٣٦٢)، ثم الرمل بواحد وعشرين ومئتي بيت (٢٢١)، ثم المتقارب بثلاثة وسبعين ومئة (١٧٣)، ثم الخفيف بخمسة وعشرين بيتاً...^(١)

وقد صنع الدكتور إبراهيم أنيس إحصاءً كان نتاجه أن الطويل «قد نظم منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولا سيما في الأغراض الجديدة»^(٢).

ولنستبين مدى المخالفة يكفي أن نعلم أن الخفيف الذي حلّ في «المفضليات» في المرتبة السابعة؛ جاء في المراثي أولاً بعشر مراتٍ سوى ثنتين زائفتين: واحدة لصفية وأخرى لأم أيمن. وكاد الطويل يغلبه على عادته لولا تلك القصائد الضعيفة التي نظمت عليه، فقد صحّ مما نظم على الطويل ثماني مراتٍ، وضعفت عليه ستُّ مراتٍ ضعفاً جازماً: واحدة لعمر بن الخطاب، وأخرى لصفية، واثنتان لحسان، وأخريان لعلي، هذا سوى مرثيتين لعاتكة لا تصحان لها، ولكن تردّد القول في نسبتها إلى صفية.

ولولم نسلك بالمراثي سبيل التوثيق لحكمتنا للطويل بالغلبة وسارت الأمور على عاداتها. ومثل ذلك في الكامل، فقد صحّ مما نُظِم عليه من المراثي ستُّ، وضعفت عليه تسعُ ضعفاً لا شبهة فيه: ثلاثٌ لفاطمة، واثنتان لحسان، وواحدة لكلٍ من: أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعلي، وكعب بن مالك.

وقد نُظِمَت المراثي على صور البحور تامةً إلا في مرثية ابن ذي أصبح التي هي من مجزوء

(١) انظر: الجملة في الشعر العربي، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ص ٢٩ (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١/١٤١٠هـ).

(٢) موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٨٧ (دار الفكرة للطباعة والنشر، القاهرة).

الخفيف، وفي هذا علامة على حرص الصحابة على تحميل الأوزان من الشعر أقصى ما تُطبق. على أن البحور جميعاً قادرة على احتواء تجربة الشاعر إذا أحسن التأتي إليها. والأمر راجع في هذه المسألة لا إلى البحور نفسها، بل إلى قدرة الشاعر وتمكُّنه من القول، وراجع إلى خفقات قلبه وتأجج عاطفته التي تملي عليه من الأوزان ما يكون صادقاً في التعبير عنها. وهذا الزبيران قد نظم مرثيته على السريع، ولم نشعر بخلل في القصيدة من قِبَل الوزن، فكلُّ بحر «قالبٌ عامٌ يستطيع الشاعر أن يضيف عليه الصبغة التي يريد، بما يصف فيه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص»^(١).

ولعناية العرب بالبيت الأوَّل من الشعر زادوا فيه صوتاً موسيقياً خاصاً به هو التصريع، ولما كان في التصريع دلالة على قصد تجريد الشعر لم يأبه الصحابة في جُلِّ المراثي له؛ للنازلة الشديدة التي نزلت بهم، فأتى قليلاً في مراثيهم.

ولعلَّ مجيء بعض المراثي ضمن الخطبة يوم أن وقف الشعراء في أُنديتهم ينعون النبي ﷺ، ويثبتون أقوامهم على الدين؛ كان سبباً من أسباب إهمال التصريع^(٢).

والذين صرَّعوا فهم إمَّا شعراء من أهل صنعة الشعر يخبرون ما أتته ومخارجه، وهؤلاء كعمرو بن سالم، وعبد الله بن أنيس، وكعب بن مالك، وأبي سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وصفية بنت عبد المطلب.

وإمَّا تأخرت مراثيهم زمنًا عن وفاة الرسول ﷺ فجاوزوا صدمة الموت الأولى إلى شيء من الهدأة والتروِّي، وهذا تراه في بعض مراثي صفية التي لا يُعقل أن تكون أنشدت مراثيها كلَّها إثر وفاة النبي ﷺ، بل لعلَّ بعضها كان متأخرًا عن ذلك شيئًا ما، ولعله هذا الذي دخله التصريع.

(١) النقد الأدبي الحديث، للدكتور غنيمي هلال ص ٤٤٢.

(٢) ممَّا أنشد في مجال الخطبة: مرثية مُرَّان، ومرثية عددي بن حاتم، ومرثية عبد الله بن سلمة، ومرثية مسروق وغيرها.

ومن مطالع صفيّة الموشاة بالتصريع قولها:

أَعْيَنِي جُودًا بِدَمْعِ سَجَمٍ يَبَادِرُ عَزْبًا بِمَا مُنْهَدِمٌ
وقافيته كما ترى مقيدة. وقد تطلقها مع التصريع، وهو الأكثر، كقولها:

أَرِفْتُ قَبْتُ لَيْلِي كَالسَّلِيْبِ لِيُوجِدَ فِي الْجَوَائِحِ ذِي دَيْبِ

وفي مثل هذا العمل الموسيقي موافقة لعادة النياحة التي تركز إليها النساء الموترات، حيث تتعلّق الشاعرة من البيت بهذين الصوتين المُعادنين في منتهى شطريه، تشكو عندهما بثها، وتبثّ فيهما أنيتها.

وما لم ترينه صفيّة بالتصريع فهو إمّا من قصيدة سقط رأسها ظنًا، وهو قولها:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الْحَطْبُ

وإمّا من قصيدة شاكل شطرها الأول شطرها الثاني في التّعم فكان قريبًا من التصريع، وهو قولها:

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا

فإن الألف الأولى أدنت البيت من التصريع حين أوهمت بناء القصيدة على روي الألف لا على الياء المطلقة، فلمّا قرأ القارئ البيت الثاني:

وَكَانَ بِنَا بَرًّا رَجِيًّا نَبِيْنَا لِيُنْكَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا

نبيّ ما كان من أمر إغفال التصريع في البيت الأول. وكلّ ذلك دليل حريص من الشاعرة على استلاب الأسماع منذ البيت الأول في مراثيها بهذه الأسجاع المرددة المُدرّة للدمع.

وكان الصحابة يصنعون مثل ذلك في مطالعهم، فتراهم وهم يتلون الروي من قصائد هم يتلونه مطلقًا من غير تقييد إلا في بضع قصائد معدودات، كأنهم وهم يمدّون بهذه الأحرف أصواتهم ينقّسون عن حُرقة مكبوتة يتحرّجون من الإعلان بها، ويتأثّمون من الإفصاح

بالألفاظ عن معانيها.

ومتى استمع مستمعٌ إلى هذا المقطع من قصيدة عمرو بن سالم وقد بناه على رويّ العين - وفي صوت العين مرارةٌ -، ثم أتبعه بصوت مدّ طويل مفتوح أدعى إلى التأوّه المسموع؛ متى استمع إلى هذا المقطع المتهدّج لم يصعب عليه تخيُّل عمرو بن سالم وهويبيكي فرّقاً من فراق محمد ﷺ، وحسرةٌ على موته:

إِذَا ذَكَرْتَ نَفْسِي فِرَاقَ مُحَمَّدٍ تَهَيَّجَ حُزْنِي وَالْفُؤَادُ تَقَطَّعَا
فَيَا لِكَ نَفْسَا لَا يَزَالُ يَزِيدُهَا عَلَى الدَّهْرِ طَوْلُ الدَّهْرِ إِلَّا تَصَدَّعَا
جَزَى مِنْكَ رَبُّ النَّاسِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا أَتَانَا ثُمَّ وَلَّى مُودَّعَا
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ ذَاكِرًا لِسَيِّءٍ، وَمَا قَلْبْتُ كَفًّا وَإِضْبَعَا

ومما هو طريفٌ ووقوعٌ حرف الغين رويّاً لإحدى المراثي، وهي مرثية يزيد بن ذي المشعار، وحرف الغين من أندر الحروف التي تُبنى عليها القصائد العربية^(١)، وفي نظم الشاعر عليه جسارةٌ جعلت المستمع يصغي متوجِّساً خيفةً أن يعثر الشاعر فيسقط في الاجتلاب، أو تخونه جرأته فيغلبه القصيدُ ويحجزه عن التمادي في إتمام القصيدة، ولكنَّ قدرة الشاعر على الشعر أسالت القصيدة له، فغدت بين يديه هيئةً مناسبة، وكان الشاعر موفقاً وهو يتخيَّر لقايفته الألفاظ القصيرة السهلة التي لا تتلکأ عليها الألسنة، بل تمرُّ عليها مرّاً سريعاً، فإذا بلغت في الغاية حرف الروي لم تُنكر غرابته لِمَا رأت من ليونة إخوته. وسبب سهولة هذه الألفاظ راجعٌ إلى كونها ثلاثيةً لا أكثر؛ وهي على الترتيب: «بَلَعٌ، وَتَعٌ، قَرَعٌ، مَلَعٌ، لَفَعٌ، دَبَعٌ، تَبَعٌ، وَلَعٌ، دَمَعٌ، صَبَعٌ، صَبَعٌ».

وللرويّ ميزةٌ أخرى امتازت بها المراثي النبوية، فقد كان حرف الدال أكبر حرفٍ دارت عليه المراثي من أجل اسم النبي «محمد» أو «أحمد»، إمّا ليذكروه صراحةً، وذلك في مراثي

(١) انظر: موسيقى الشعر، لإبراهيم أنيس ص ٢٤٤.

سيّ، كقول عبد الله بن مالك الأرحبي:

لَعَنِرِي لَيْثُنَ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لَمَامَاتِ يَا ابْنَ الْقَيْلِ رَبُّ مُحَمَّدٍ

وقول أبي الهيثم:

لَقَدْ جُدِعَتْ آدَانُنَا وَأُنُوفُنَا غَدَاةً فُجِعْنَا بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وقول قيس بن رنجز:

أَلَا لِي الْوَيْلُ عَلَى مُحَمَّدٍ

وإنّما لأن طيف الاسم رفر في جنات أرواحهم، فأغراهم بهذه الدال من طرف خفي، وذلك في خمس مراتٍ آخر.

وفي مثل هذا يقول بعض النقاد: إن الشعر يلجأ إلى بعض الكلمات التي قد تكون داخل الجملة فيبرؤها، ويلفت الانتباه إليها، وتصبح هذه الكلمات معالم صوتية في القصيدة لا يمكن إغفالها عند محاولة التفسير^(١).

وإنّمة جرّس موسيقي يمكن ترصّده داخل بيت المراثي، كتكرّر صوت السين الهامس في بيتي حسان^(٢):

أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلَنَ الْبُيُوتَ قَمَا يَضْرِبَنَّ فَوْقَ قَفَا سَيْثِرٍ بِأَوْتَادِ
مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ أَيْقَنَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ التَّعَمَّةِ الْبَادِي

تكرّره تکرّراً صوّراً خشوع الشاعر ومسكنته التي شكا منها في أبيات المرثية، والسين على ما فيها من صفيّر ضعيف، وصفيّرها خافت يريد ليجهر بالأنين ويرفع الصوت بالشكوى، ولكنه لا يلبث حتى ينقلب همساً يبوح بالشكوى خيراً مما يبوح بها الجهر في هذا الوطن.

(١) انظر: الجملة في الشعر العربي، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ص ٤٥.

(٢) انظر: مراثي النبي ﷺ، للدكتور محمد أبو المجد ص ١١١.

« إن الموسيقى الكاملة للشعر لا تصدر عن مجرد الصوت بقيمته الصوتية المجردة، بل تنشأ عن براعة الشاعر المجيد في التوحيد بين خصائص اللفظ الصوتية، وبين ظلال معانيه ونبرات عاطفته »^(١).

ومثل هذا الهمس تجده في شطر صفيّة الثاني من قولها:

أَقَاطِمُ صَلَّى اللهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدِّهِ أُمْسَى يَبْتَرِبَ فَأَوِيَا

فبعد ما ظننا جهارة في أصواتها حين بدأت بصاد « صَلَّى » مطمئنة إلى مغفرة الله؛ لم تلبث حتى خفت صوتها لما جاء ذكر الموت كأنها حنت على رسول الله ﷺ؛ فتتابعت الشاء والسين بين أصوات مديضا عفت من إخبار البيت، وصورت بوضوح عاطفة صفيّة المشفقة الحزينة.

فالموسيقى تصوير بالأنغام لا بالكلمات؛ عما يحسه الإنسان.

وخير فعلة للأصوات في الشعر أنها تترفع عن أداء المعنى وحده إلى أن تكون هي نفسها جزءاً من المعنى؛ فأصوات المدي التي تكررت في مرثية مران مثلاً نحو عشر مرّات ومثمة مرّة في سبعة عشر بيتاً؛ لم تكن أصواتاً في كلمات فحسب، بل إن القصيدة صارت بها كالنحيب المتواصل الذي تحس فيه بدموع الشاعر، وتسمع تهديج صوته؛ أو صارت كاللحن الرّخيم المستكين الذي ينكأ الجرح ويستعيد الذكريات. لقد جعلت هذه الأصوات الممدودة الآسية القصيدة أقرب إلى أن تكون جملاً موسيقية هادئة منها إلى جملة لغوية، أعني أنك تسمع أصواتها أبلغ مما تسمع معانيها.

وفي المراثي شيء من جنائس، وفي الجناس نوع تكرر يحدث وقعا موسيقيا تلفت الانتباه إلى الكلمات المجانسة دون غيرها من كلمات البيت، فقول حسن مجانسا بين كلمتي « بَرَّ » بفتح الموحدة، و« بَرَّ » بكسرها جناسا محرّفا^(٢):

(١) الشعر الجاهلي، للدكتور محمد التويهي ٦٩/١.

(٢) وهو الذي اتفقت فيه الحروف واختلفت الحركات (انظر: فن الجناس، لعل الجندي ص ٨٧، دار الفكر العربي

آلِيْتُ جِلْفَةً بَرَّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ مِثِّي أَلِيَّةً بَرَّ غَيْرِ إِفْتَادٍ
 أراد به الشاعرُ توكيدَ أن البرَّ حقٌّ واجبٌ أو جبّ شيءٌ للرسول ﷺ، وأنبها إلى ذلك
 بالجناس؛ فقد كان لقعقة الباء ورنين الرّاء من «بَرَّ» الأولى، ثم تجارب «بَرَّ» الثانية معها
 بقعقتها ورنين رائها؛ كان لهما دقّة كدقّة التنبية بالقرع، أحدثتها الأصوات المكرّرة على
 وقع موسيقي واحد.

وكذلك قول مسروق مثنياً على أبي بكر:

أَيُّهَا الْقَائِمُ الْمُعَصَّبُ بِالْأَمْرِ، لَأَنْتَ الْمُصَدِّقُ الصِّدِّيقُ
 جانس بين «المصدق» و«الصديق» توكيداً، وهو جناس اشتقاق فيه الإيحاء بالطاعة
 التامة. وكأني بهذا الجناس يوحي أن صفات الشاعر كلّها تؤول إلى الصدق. ثم إن في تكرار
 هذه الأصوات المرتبة على جذر الكلمة الذي اشتقت منه - سوى تثبيت المعنى في النفس -
 نسقٌ موسيقي ليس يخفى.

ومنه قول صفيّة:

فَأَمَّا تُمِيسُ فِي جَدَثٍ مُقِيمًا فَعِذْمًا عِشَتْ ذَا كَرَمٍ وَطِيبِ
 وَكُنْتَ مُوَفَّقًا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَفِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثِ الْخُطُوبِ
 جانست فيه بين كلمتي «جَدَثٍ» و«حَدَثٍ» ما يسمّى بجناس التصحيف، وهو ما تماثل
 ركناه خطأ واختلفا لفظاً^(١)، ومنهم من يسميه جناس الخطّ لشبهه بتحريف النسخ في
 صورة الكلمة، وخلطهم بين الحروف. ولعلّ الشاعرة لم يقصد عقلها إليه، بل انسقت وراء
 عاطفتها، فكثرت بالأصوات والحركات ما تكرر في نفسها من الخواطر المشتبكة بين دلائل
 الكلمتين وما تستدعيهما من المعاني. وكانت صفيّة - رضي الله عنها - مهمومة مع حزنها

(١) انظر: تحرير التعبير ص ١٠٥.

على وفاة الرسول ﷺ بما سيكون بعده من الخطوب، وإنَّ في حكايتها عن توفيق الرسول ﷺ في الماضي تعريضاً بما تخافه الشاعرة من يومها وغدها.

«أحلى تجنيس سمعه وأعلاه، وأحقَّه بالحسن وأولاه؛ ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه»^(١). وما يعطي التجنيس فضيلةً «أمر لم يتمَّ إلا بُصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسنٌ، ولما وجد فيه معيبٌ مستهجن. ولذلك ذمَّ الاستكثارُ منه والولوعُ به»^(٢).

والصحابة كانوا أبعد ما يكون عن هذا التكلف اللفظي؛ لموقفهم الشديد، ولفطرتهم الشعرية الصافية. على أن الجناس نفسه كان قليلاً في هذه المراثي، ولا غرابة في قِلته لذلك العصر، فهو «أقلُّ الحُلى وروداً في القرآن الكريم»^(٣)، والقرآن إنما نزل بلغة هؤلاء.

وفي تكرار الألفاظ عموماً^(٤) إيقاعٌ يدور على الانتظام والمعاودة، وفيه بيان استيلاء الأصوات المكررة وما تدلُّ عليه على مكانٍ أكبر من وجدان الشاعر صرفه إلى التعبير عنها بتكرارها^(٥)؛ ليميل شأنها في بيته كما تمثَّلت هي في نفسه أتراً ومقداراً؛ فقول مسروق:

فَعَلَانِي بَعْدَ الْهُمُومِ هُمُومٌ وَبِقَلْبِي بَعْدَ الْحَرِيقِ حَرِيقٌ

صورةً ماثلةً لما يضطرم به قلب الشاعر، إذ أوحى تكراره هاتين الكلمتين مع ما فيهما من حرفي المدِّ الواو والياء؛ بتمكُّن الهموم من قلبه وتوسُّعها، وامتداد الحريق بصدرة وإضراره، أوحى بذلك مصحوباً بأثر الشجن الموسيقي الناشئ من تتابع الأصوات والتَّبرات.

(١) أسرار البلاغة ص ١١.

(٢) أسرار البلاغة ص ٨.

(٣) فن الجناس ص ١٨.

(٤) انظر ما مرَّ من أمثلة التكرار في الحديث عن اللغة.

(٥) تقول نازك الملائكة: «فالتكرار يسلب الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة» قضايا الشعر المعاصر ص ٢٤٣ (مكتبة النهضة، القاهرة، ط ١٩٦٧م).

وهذا النمط من التكرار يسييه بعض البلاغيين: المجاورة، «وهي أن ترد لفظتان متماثلتان في البيت، تقع كل واحدة منهما بجانب الأخرى أو قريباً منها، من غير أن تكون لغواً لا يُحتاج إليه»^(١).

ومن أنواع الإيقاع القائمة على التوازن الموسيقي والتماثل الصوتي حسن التقسيم، وهو نوع محكوم بالسجع، أو ما يطلق عليه القافية الداخلية^(٢) في فواصل أجزاء البيت الواحد، كالبيت الثاني من قول العتكي:

إِنْ يَسْتَقِيمُوا كُنْتُ أَوَّلَ رَاكِبٍ أَوْ يَزْجَعُوا فَلَكَ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ:
حَقُّ الْأَمِيرِ، وَذِمَّةُ يَمَنِيَّةُ وَمَهَابَةٌ، وَإِتَاوَةٌ لَا تُرْفَعُ

ففي الكلمات الأربع التي توالى في قوله: « وَذِمَّةُ، يَمَنِيَّةُ، وَمَهَابَةٌ، وَإِتَاوَةٌ » توافق في النهايات بالتاء المربوطة المختومة بالنون العروضية، وتوافق في التفعيلة، فكلها على وزن (متفاعلن) إن ألحقنا بالكلمة الأولى حرف الراء من التي قبلها، وعلى ذلك فقد جعل الشاعر أربع تفعيلات من ستة الكامل الذي عليه القصيدة؛ جعل كل تفعيلة كلمة، فجمع بين الصورة العروضية لبحر البيت والصورة اللفظية لكلماته جمعاً حاذقاً، غادر إيقاعاً صافياً متسلسل الحركات والسكنات، وألفاظاً قوية واضحة المعالم والمعاني.

ومن الموسيقى الداخلية في المراثي «الرّصف»، وفيه تتتابع مجموعة من الصفات أو الأخبار يغلب عليها السجع واتفاق الوزن الصرقي في نسق واحد، دونما عطف بينها بأي من حروف العطف. وهي سمة قديمة لازمت الشعر منذ العصر الجاهلي، واستغلت في صدر الإسلام استفغلاً واسعاً بان من ورائه رغبة شعراء تلك الفترة في إثراء الموسيقى الداخلية للشعر،

(١) كتاب الصنائع، لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله ص ٣٢٩ (تصحیح محمد أمين الخانجي، مكتبة صبيح، القاهرة).

(٢) انظر: موسيقى الشعر العربي: دراسة فنية وعروضية، للدكتور حسني عبد الجليل يوسف ص ١٧١ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ م)

ومنح الإيقاع نوعاً من السرعة والتدفق يتناسبان وطبيعة العصر. ومنه على سبيل التمثيل... قول صفيّة:

فَاتِحُ، خَاتِمُ، رَجِيمُ، رُؤُوفُ صَادِقُ الْقَيْلِ، طَيِّبُ الْأَثْوَابِ
مُسْفُوقُ، نَاصِحُ، شَفِيقُ عَلَيْنَا رَحْمَةٌ مِّنْ إِلَهِنَا الْوَهَّابِ «^(١)

ومنها الإرصاد أو التسميم، وهو «توقُّع القافية والنطق بها قبل الوصول إليها، يتمهيد الشاعر لها عن طريق الترادف أو التضاد، أو الجمع والإفراد ونحوها، وهو سمة خطابية تتفق وازدهار الخطابة... والقاءهم لبعض هذا الشعر... في المحافل»^(٢).

والوجه الموسيقي في الإرصاد هو المساعدة على التفعي بالشعر، فإذا أُنشد سواد كلمي «الحق» و«الجهاد» الأوليين من قوله:

إِنَّ النَّبِيَّ وَقَاتُهُ كَحَيَاتِيهِ: الْحَقُّ حَقٌّ، وَالْجِهَادُ جِهَادٌ

وجد المستمع لسانه يردّد كلمي «حق» و«جهاد» الثانيةين قبل أن ينطق الشاعر بهما.

وإذا عَلِمَ المستمع من الشاعر الهمداني في قوله:

فَعَلَانِي بَعْدَ الْهُمُومِ هُمُومٌ وَيَقْلِنِي بَعْدَ الْحَرِيقِ حَرِيقٌ

إذا عَلِمَ منه إتباع الهموم بالهموم؛ توقُّع منه إتباع الحريق بالحريق مثل ذلك.

وإذا استمع لأول بيت ذي الكلاع:

قَالَ: قُولُوا، وَإِذَا مَا قُلْتُمْ فَاعْمَلُوا، فَالْتَيْنِ قَوْلٌ وَعَمَلٌ

توتحي آخره، وردّ عجزه على صدره؛ إذ القول في الإسلام قرين للعمل.

(١) مراثي النبي ﷺ الدكتور محمد أبو المنجد ص ١٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤.

فهذا الوجه من الموسيقى وَجْهٌ إِنْشَادِيٌّ فِي أَصْلِهِ، مَقْصُودٌ بِهِ هَوَى الْجُمْهُورِ الْمُصِيخِ إِلَى الشَّاعِرِ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَيَّامُ الَّتِي تَلَتْ وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ حَشْدٍ لِأَلْبَابِ النَّاسِ وَأَفْنَدْتَهُمْ. ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَقَّ مَا وَقَّعَهُ الشُّعْرَاءُ الصَّحَابَةُ مِنَ الْحَنِ، وَأَشْجَاهُ؛ لِحُنِّ صَغِيرٍ لَا تَحْطُّهُ أُذُنٌ مِنْ يَصْنَعِي إِلَى نَشِيدِ الْمَرَاتِي، هُوَ التَّدْوِيرُ، فِيهِ كَسْرُ الشَّاعِرِ رَتَابَةَ الْوَقْفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ الشُّطْرَيْنِ، وَشَدٌّ مِنْ أَسْرِ الْبَيْتِ الْمُنْقَادِ لِلنَّعْمِ.

وَقَدْ كَانَ فِي التَّدْوِيرِ إِيْمَاءٌ مُوسِيقِيَّةٌ رَفِيعَةٌ فِي مَرثِيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَةَ الْهَمْدَانِي، حِينَ ضَاقَتْ نَفْسُهُ بِمَهْجَتِهِ فَكَادَتْ تَلْفِظُهَا، فَضَاقَ الشُّطْرُ عَنْ أَنْ يَمْسَكَ بِالصَّدْرِ الَّذِي انْفَلَتْ مِنْهُ إِلَى الْعَجْزِ، فَخَرَجَ الْبَيْتُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ:

إِنَّ قَدْ النَّيِّ صَرَعَنَا الْيَوْمَ مَ، قَدْتُهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
وَقَدْتُهُ الثُّفُوسُ لَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ تِ فِرَارُ، وَأَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ

حتى إنَّ البيت الذي بعدهما:

مَا أُصِيبَتْ بِهِ الْعَدَاةَ قُرَيْشُ لَاءَ، وَلَا أُفْرِدَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ

إِنَّهُ وَإِنْ اسْتَقَلَّ شَطْرَاهُ عِيَانًا، فَإِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقِلَّا إِنْشَادًا؛ لِأَنَّ فِي كَلِمَةِ «لَا» فِي مَسْتَهَلِّ الشُّطْرِ الثَّانِي تَوْكِيدَ مَعْنَى النَّفْيِ فِي الصَّدْرِ، فَكَانَ مِنْ بَرَاةِ الْإِنْشَادِ أَنْ يَوْقِفَ عَلَيْهَا لَا عَلَى «قُرَيْشٍ»؛ فَهِيَ أَوْفَقُ فِي نَقْلِ شَدِيدِ إِنْكَارِ الشَّاعِرِ. إِنَّ «حُسْنَ اخْتِيَارِ مَوْضِعِ السَّكْتَةِ يَسَاعِدُ كَثِيرًا فِي نَقْلِ مَا شَحَنَهَا بِهِ الْمُبْدِعُ مِنْ أَحْسَابِ»^(١)؛ ذَلِكَ أَنَّ «مُوسِيقِي الشُّعْرِ لَا تَنْفَلُكَ عَنْ مَعْنَاهُ»^(٢).

ثم إنَّ الشَّاعِرَ أَظْهَرَ فَرْعَهُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ «مَاتَ النَّيِّ» فَقَالَ:

(١) البنية الإيقاعية في شعر شوقي، لمحمود عسران محمد إسماعيل ص ٦٧ (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٠٠٥م).

(٢) النقد الأدبي الحديث للدكتور غنيمي هلال ص ٤٤١.

يَا لَهَا كَلِمَةٌ يَضِيئُ بِهَا الْحُلُوبُ قِيٌّ أَتَانَا يَتَقَلِّهَا السُّقَارُ
فَأَوْقَفَهَا فِي حَلْقِ الْبَيْتِ مَعْرِضًا بِالْعُصَّةِ الَّتِي خَلَفْتَهَا كَلِمَةُ «مَاتَ النَّبِيُّ» فِي حَلْقِهِ.

وتوكيدًا لهذه الطريقة من وضع ألفاظ بعينها في موضع السكت من البيت تشديدًا عليها، وحثًا على التدبر فيها؛ وَصَّعَ الشَّاعِرُ لَفْظَةَ «الْقَلْبِ» فِي قَلْبِ بَيْتِهِ التَّالِي:

قِيلَ: مَاتَ النَّبِيُّ؛ فَانْصَدَعَ الْقَلْبُ سُبُّ، وَشَابَتْ مِنْ هَوْلِهَا الْأَشْعَارُ

وما كان هذا من الشاعر خبط عشواء، ولكنه يتخذ من التدوير مرآة لما يجيش في صدره.

أما عمرو بن الفُحَيْلِ الرُّبَيْدِيُّ، فبعدما تمالك نفسه فاستهلَّ استهلالاً مصرعًا ذا شطرين:

أَسْعِدِينِي بِدَمْعِكَ الرَّقْرَاقِ لِيَفْرَاقِ النَّبِيَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ

طغى حزنه عليه، وأفرط في التبحر بما يفيض في وجدانه إفراطًا أساغه له التدوير الذي ألان البيت وسهله، وجعله رَحْبًا مغربًا بالاقدام والتمادي:

قُلْتُ وَاللَّيْلُ مُطِيقٌ بِعُرَاةٍ: إِنَّ حُزْنِي عَلَى الرَّسُولِ لَبَاقٍ

لَيْتَنِي مِثُّ يَوْمٍ مَاتَ وَلَمْ أَلْ سَقَى مِنَ الرُّزْءِ مَا أَنَا لِأَقِي

كَانَ غَيْثًا يَجِيءُ لِلْبَلَدِ الْمَخْ لِي، وَشَمْسًا تُضِيءُ لِلْإِشْرَاقِ

وَدَلِيلًا يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ هُوَ، وَبَحْرًا يَضُبُّ عَذَبَ الْمَذَاقِ

وَضِيَاءَ الْبِلَادِ، وَالْقَمَرَ الرَّأ هِرَ وَاقِي تَمَامَهُ لِاتِّسَاقِ

وهذا ما نجده في أبيات عامر بن الطفيل الخاشعات:

بَكَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ عَلَى النَّو رِ الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجَا

مَنْ هُدِينَا بِهِ إِلَى سُبُلِ الْحَقِّ سَقَى وَكُنَّا لَا نَعْرِفُ الْبِيْنَهَاجَا

وَتَرَّ الدَّهْرُ قَوْسَهُ قَرَمَى الْقَلْدَ سَبَّ فَلَمْ يُخْطِهِ قَصْرُنَا هَمَاجَا

إن هذه الألفاظ التي جرفها التدوير لألفاظ تحل محل اللب من البيت، فـ « الثور » كلمة يدور عليها البيت الأول وهو الرسول ﷺ الذي بددت بعثته الظلمات، و « الحنق » كلمة يدور عليها البيت الثاني وهو الدين الذي أمسك الناس أن يضلوا، و « القلب » كلمة يدور عليها البيت الثالث، وهو إمام الرسول ﷺ، وقد مات، وإمام قلب الشاعر نفسه، وقلب المرء منبع حياته.

ومن المرصود أن هذه المراثي المدورة، ومعها قصيدة مُرَّان وهي مدورة أيضًا، موقعة كلها على البحر الخفيف، كأن الشعراء لَمَّا وجدوا في الخفيف نوع قصر احتالوا له حيلة التدوير هذه، فجعلوا البيت كأنه شطرٌ واحدٌ ليُفرغوا فيه زفراتهم وآلامهم.

وقد تنبَّه ابن رشيقي إلى مثل ذلك، فقال: « أكثر ما يقع ذلك [أي التدوير] في عروض الخفيف، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة، إلا أنه في غير الخفيف مستنقل عند المطبوعين، وقد يستخفون في الأعاريض القصار... »^(١).

تلك إذن ذائقة العرب في موسيقى الخفيف، ورثها عنهم شعراء المراثي، وورثوها. وكان من ضيق الأبيات أن تسع زفرات النفوس شيء عدوه في عيوب القافية هو التضمين، وهو « تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده »^(٢). وهو إن يكن عيبًا في الاصطلاح فليس بعيب في الفن، بل إنه شأنه شأن التدوير مزينة تدل على فرط العاطفة، وتؤدي إلى لحمة القصيدة^(٣).

ومن أمثلة التضمين قول يزيد بن ذي المشعار:

(١) العدة ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل للأستاذ محمود مصطفى، شرحه وضبطه نعيم زرزور ص ١٨٨ (دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) انظر ما كتب جون كوين عن التضمين في: بناء لغة الشعر ص ٨٠، وثناء المترجم الدكتور أحمد درويش على هذه الظاهرة في هوامش الصفحات ٨٠-٨٧.

أَلَا كُلُّ أَمْرٍ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ بَالِغًا مَا بَلَغَ؛
خَفِيفٌ عَلَيَّ لَمَّا انْظَلَمَتْ مَعَاشِرُ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْوَتْعِ
لَهْلُكَ النَّبِيِّ، وَمَا أَسْبَلَتْ إِلَيْهِ الْمَنِيَّةُ حَتَّى قَرَعُ؛
مِنْ أَمْرِ الْإِلَهِ إِلَى خَلْقِهِ وَكَانَ إِذَا أُمَّ رَأْسًا مَلَعُ

فأربعة الأبيات هذه جملة واحدة في الحقيقة، لم يثن الشاعر عن إتمامها نظام البيت وأنه ينبغي تمام المعنى بتمامه عند العروضيين، وقد فعل لأنه لم يجد في البيت الواحد متسعاً يخفف فيه من لواجه، فأكمل في البيت الذي يليه علّه يظفر بهذه السعة. وفي هذا ما فيه من تماسك الشعر واتصاله وتدقيقه.

ومن الذين ضمنوا أيضاً عددي بن حاتم، وابن النعمان العتكي، وعبد الله بن مالك الأرحبي، وعبد الله بن سلمة الهمداني، وعبد الحارث بن أنس بن الديان.

وشبيهة بالتضمنين في قوة العاطفة وغلبتها الإقواء، وهو تحريك الروي بحركة مخالفة للروي الذي قبله^(١). وهو معدود في عيوب القافية أيضاً. وليس على إطلاقه؛ فإن في الإقواء دلالة ما، لأن صفة إذا كانت روت مرثيتها بالباء المضمومة في قولها:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَاءٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الْحَطْبُ

ثم سهت لما شغلها الألم والجهد عن التفكير في مدار القصيدة فكسرت الروي:

إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضَ وَابِلَهَا فَاخْتَلَّ لِقَوْمِكَ، فَاشْهَدُهُمْ وَلَا تَغِيبْ

ثم إنها استفاقت فرجعت إلى الضم في بيتين:

قَدْ كُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ عَلَيْكَ تَنْزِيلٌ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُثْبُ

وَكَانَ جَبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يَحْضُرُنَا فَقَابَ عَنَّا، وَكُلُّ الْحَنْرِ مُحْتَجِبُ

(١) انظر: العيون الغابرة على خبايا الرامزة، للدساميني، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ص ٢٤٥ (تحقيق

ولكنها غفلت أخرى لما عاودتها التوبة، نوبة التعب والألم، فكسرت الروي كرةً أخرى وهي تقول:

فَقَدْ رُزْتُ أَبَا سَهْلًا خَلِيقَتُهُ تَحَضُّ الصَّرِيْبَةَ وَالْأَغْرَاقِ وَالنَّسَبِ

إذا كانت فعلت ذلك، أليس في فعلها صورةً لما يجوس في جوانحها من اللهفة، وما يعترى قلبها من مشقة الكُل؟ أئنگر بعد ذلك إقواؤها، ويُحسب منقصةً في حقها؟

إن إقواءة كإقواء صفية لمن عمل سيطرة العاطفة وهيمنة الحزن، وهما - كالغشاوة - جديران بإعشاء العقل عما تقتضيه مقاليد الشعر.



الْخَاتِمَةُ

أرادت هذه الدراسة توثيق المراثي النبوية في أشعار الصحابة بجمعها، وتصحيح نسبة أشعارها إلى أصحابها، ثم إظهار الخصائص الفنية للصحيح منها، فخرجت بنتائج تفصيلية مذكورة في سياقاتها، ونتائج عامة يمكن تلخيصها كما يلي:

• في جمع الشعر:

• بلغ عدد شعراء المراثي النبوية في الدراسات السابقة ثمانية وعشرين شاعرًا، زادت فيه هذه الدراسة اثني عشر شاعرًا ليصبح مجموع الشعراء أربعين.

• بلغ مجموع الأبيات في الدراسات السابقة نحو تسعمئة وأربعين بيتًا، فيها الصحيح وضعيف النسبة، زادت عليه هذه الدراسة بأكثر من مئتي بيتٍ جُلُّها من الصحيح، وذلك ما يرفع قيمتها، وهذه الزوائد إمَّا مراثٍ جديدة وهي سبع عشرة مرثية؛ وأمَّا أبياتٌ زائدة، وهذا بيان كلِّ:

أولاً: (المراثي الجديدة):

عدد أبياتها	صاحب المراثية
١٨	١ لبيدة بن ربيعة
١٧	٢ مسروق بن ذي الحارث الهمداني
١٤	٣ عبد الحارث بن أسد بن الديان
١١	٤ ابن ذي المشعار الهمداني
١١	٥ أبو الهيثم بن التَّيْهَان
١٠	٦ عدِيُّ بن حاتم
٨	٧ عمرو بن العاص « يا قُرْ »
٧	٨ عمرو بن العاص « أتاني ورحلي »
٧	٩ علي بن أبي طالب
٦	١٠ ابن ذي الكلاع
٥	١١ قيس بن عُنَيم المازني
٤	١٢ ابن أبي عَزَّة
٣	١٣ شَدَّاد بن مالك بن صَنْعَج
٣	١٤ فاطمة بنت النبي ﷺ « ما فاض دمعي »
٣	١٥ فاطمة بنت النبي ﷺ « أمسى بخدي »
٢	١٦ علي بن أبي طالب
١	١٧ أم رَعْلَة

ثانيًا: (المراثي المزيّدة):

الأبيات المزيّدة	صاحب المراثية	
١٥	مُرّان بن عمير	١
١١	سالم الغطفانيّ	٢
٩	عبد الله بن سلمة الهمدانيّ	٣
٧	عمرو بن العاص	٤
٦	عمرو بن سالم الخزاعيّ	٥
٥	سواد بن قارب	٦
٥	ابن النعمان العتكيّ	٧
٤	عبد الله بن مالك الأرحبيّ	٨
٤	امرؤ القيس بن عابس الكنديّ	٩
٤	عمرو بن الفُحيل الزبيديّ	١٠
٣	أبو سفيان بن الحارث	١١
٢	حسّان بن ثابت « نَبِّ المساكين »	١٢
١	أبو بكر الصديّق « يا عين فابكي »	١٣
١	ابن ذي أصبح	١٤
١	عامر بن الطّفيل	١٥

في بابي توثيق مرآتي الصحابة:

- صَغُفُ كُلِّ المَرَاتِي النَبَوِيَّةِ المَنسُوبَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، وَهِيَ أَرْبَعُ مَرَاتٍ.
- صِحَّةٌ مَرثِيَّةٌ وَاحِدَةٌ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ مِنْ جَمَلَةِ تِسْعِ مَرَاتٍ تُنَسَبُ إِلَيْهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: «آلِيَتِ حَلْفَةُ بَرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ...»، دُونَ بَقِيَّةِ مَرَاتِيهِ.
- صِحَّةٌ مَرثِيَّتَيْنِ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ ثَلَاثٍ.
- صَغُفُ كُلِّ مَا نَسَبَ إِلَى عَلِيٍّ، وَهِيَ أَرْبَعٌ.
- صِحَّةٌ مَرثِيَّتَيْنِ لِعَمْرُو بْنِ العَاصِ مِنْ ثَلَاثٍ.
- صَغُفُ المَرثِيَّتَيْنِ المَنسُوبَتَيْنِ لِعَمْرِ بْنِ الحَطَّابِ.
- صِحَّةٌ كُلِّ مَرَاتِي الِيمَنِيِّينَ: عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ، وَسُودِ بْنِ قَارِبٍ، وَابْنِ ذِي أَصْبَحٍ، وَامْرِئُ القَيْسِ بْنِ عَابِسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الأَرْحَبِيِّ، وَعَبْدُ الحَارِثِ بْنِ أَنَسِ بْنِ الدِّيَّانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلْمَةَ الهَمْدَانِيِّ، وَابْنِ ذِي المَشْعَارِ، وَمَسْرُوقُ بْنُ ذِي الحَارِثِ الهَمْدَانِيِّ، وَعَمْرُو بْنُ الفُحَيْلِ الزَّبِيدِيِّ، وَذِي الكَلَّاعِ، وَمُرَّانُ بْنُ عَمِيرٍ، وَشَدَّادُ بْنُ مَالِكِ بْنِ صَمْعَجٍ.
- صِحَّةٌ مَرَاتِي: سَالِمِ الغَطَفَانِيِّ، وَأَبِي الهَيْثَمِ مَالِكِ بْنِ التَّيْهَانِ، وَقَيْسِ بْنِ عُثَيْمِ المَازَنِيِّ، وَعَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ، وَعَمْرُو بْنُ سَالِمِ الحَنْزَلِيِّ، وَأَبِي سَفْيَانَ بْنِ الحَارِثِ، وَالزَّبْرَقَانَ بْنِ بَدْرِ.
- صَغُفُ مَرَاتِي: أَبِي ذُوَيْبِ الهُدَلِيِّ، وَابْنِ أَبِي عَزَّةَ، وَلَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ.

في باب توثيق مرآئي الصحايات:

* صححة عشر من مرآئي صفية بنت عبد المطلب، وتضعيف واحدة، وتردد القول في اثنتين.

* صححة مرثية عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل.

* ضعف مرثية أم أيمن.

* ضعف المرآئي المنسوبة إلى فاطمة بنت النبي ﷺ، وهي خمس.

* ضعف مرثيتين لعاتكة بنت عبد المطلب، وتردد القول في نسبة الثالثة إلى صفية أختها.

* ترجيح نسبة مرثية أروى بنت عبد المطلب إلى صفية أختها.

* ترجيح نسبة مرثيتي هند بنت أئمة إلى صفية بنت عبد المطلب.

* التوقف في نسبة مرثية أم رعدة، ومرثية هند بنت الحارث بن عبد المطلب.

في باب الخصائص الفنية:

في البناء:

• ذهب الصحابة بمطالع مراثيهم مذاهب مختلفة، لم يقعوا فيها فيما يعيبه النقاد في المطالع، بل ربما بلغ بعضهم ما يُسمى ببراعة الاستهلال.

• كما ذهبوا بالمقاطع مذاهب متنوعة أيضًا، وكان أكثر ما يختصمون به الدعاء للنبي ﷺ.

• أُقيم بناء المراثية النبوية على غرض واحد هو رثاء النبي ﷺ، دون انحراف إلى غيره من الأغراض، خلافاً لما قد يبدو أحياناً من خروج عليه.

• المراثي النبوية الصحيحة قصائد أكثر منها مقطعات، ومع ذلك فهي قصائد تميل إلى القصر.

• لم يطول الصحابة مراثيهم لأسباب منها ما يتعلّق بطبيعة الشعر العربي، ومنها ما يتعلّق بسبب إنشاد بعض المراثي النبوية نفسها، ومنها ما يتعلّق بالصحابة أنفسهم من حيث أن كثيراً منهم لم يكونوا من الشعراء الذين يقصدون القصائد، ومنها ما يتعلّق بضياح كثير من مصادر هذه المراثي، ومنها ما يتعلّق بالرثاء نفسه ففيه قد تنحصر المعاني ولا تتشعب.

في اللغة:

• دارت في المراثي مجاميع من الألفاظ، أبرزها: ألفاظ الدموع والبكاء التي لاءمت موقف الفقد. وألفاظ نعوت النبي ﷺ التي جاءت على قسمين: نعوت دينية متوقّعة، ونعوت بشرية نعتت بها من بعد عنه جداً فلم يمسه من الدين ما مس إخوانه، أو قرّب منه جداً فعرف من نعوته البشرية مثلما عرف من نعوته الدينية. ومن هذه المجاميع أيضاً مجموعة ألفاظ أسماء الأعلام التي سيقّت لإفادة معاني

متفرقة.

• ألفاظ المرائي جزلة واضحة لا يكاد الغريب يوجد فيها.

• أمّا الأساليب اللغوية والتراكيب، فكان أبرز الأنماط السائدة منها في المرائي النبويّة: الشرط، والتكرار، والالتفات، والاعتراض، والتجريد، والقسم، والتعجب، والمطابقة، والحذف، وكان فيها أشياء من آثار النثر كانطلاق الأسلوب، والمحاورة. وقد جاء كل من ذلك مفيداً ضرورياً مختلفاً من المعاني والدلالات.

في المعاني الإسلامية:

• اختلفت المرائي النبويّة عن المرائي الجاهليّة، فظهرت فيها آثاراً واضحة من ألفاظ القرآن ومعانيه وتراكيبه، ومن ألفاظ السنّة ومعانيها، وظهرت فيها مصطلحات مما أثمره الدين الإسلامي الجديد.

• ولقد نفت المرائي النبويّة عن نفسها - علاوة على ذلك - عوائد الجاهليّة ومذاهبها الوثنيّة، ثم أفاضت على أبياتها في العموم من روح الإسلام ومقاصده.

• وأثر الإسلام يبدو جلياً في ثلاث من الظواهر الشائعة في المرائي، وهي: عزاء الصحابة في وفاة النبي ﷺ بالله سبحانه وتعالى، وبقاء دينه. وفداؤهم النبي ﷺ بكل ما يملكون، وتشقيقهم القول في ذلك. ثم دعاؤهم له ﷺ بالمغفرة والرحمة وأن يسكنه الله الجنة. ويمكن القول: إن الذين فتقوا الصلاة على النبي ﷺ في الشعر النبوي، مدائحهم ومرائيه؛ هم الصحابة رضوان الله عليهم.

في الصورة:

• أكبر الصور التي نحتها الصحابة في المرائي ثلاث صور: صورة وقع المصيبة عليهم، وصورة موت الرسول ﷺ وكيف فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، وصورة النبي محمد ﷺ

في الحياة.

* وقد استعملوا في إخراج صورهم وسائل التصوير البيانية: التشبيهية بأنواعه، والاستعارة بنوعيتها، وشيئاً من المجاز المرسل، والكناية؛ واستعملوا من وسائله الأخرى الألفاظ المُشعَّعة، والصورَ الحقيقية.

- * كانت صور الصحابة في غالبها جزئية، قصيرة، متوازية غير معقدة ولا متشابكة.
- * وكان الإنسان أكبر مصادر صورهم، تبعه في ذلك المصادر المعتادة الأخرى: الطبيعة، والحيوان، والأشياء المستعملة، وهي مصادر من بيئتهم. ونُدّر أن يخرجوا عن ذلك.
- * وكان الأصل في صورهم أنها حسية، بصرية غالباً، وقد تجيء سمعية، وقلما أتت عقلية، وفي بعض صورهم قصد لإثارة التناقض بالتضاد والمقابلة.

في الموسيقى:

- * لم تلتزم المرثي النبوية وزناً بعينه، ولا أوزاناً بعينها؛ بل نُظمت في تسعة من بحور الشعر.
- * كان للتحفيف الغلبة في أشعار المرثي، خلافاً لما هو شائع من غلبة الطويل على الشعر قبل ذلك.

* الأصل في بحور المرثي أنها أتت تامة.

- * الأصل في المرثي ترك التصريح بسبب من النازلة الشديدة التي ألمت بالصحابة، أو بسبب إنشادها في سياق الخطابة، أو بسبب تأخر زمن إنشائها.
- * والأصل في رويها الإطلاق لا التقييد.

* والغلبة في حروف رويها لحرف الدال لأسباب نفسية تعود إلى انتهاء اسم النبي محمد ﷺ به.

* وقد سُمع في المراثي النبويّة جرسٌ في داخل الأبيات، كتكرار الأصوات والكلمات، والجناس، والرصف، والإرصاد. وقد أحدث هذا الجرسُ توافقًا بين الإيقاع والمعاني التي أراد الشاعر إرسالها.

* وكان للتدوير عملٌ موسيقيٌّ باهرٌ في المراثي النبويّة؛ إذ صارت الكلمة التي وقع التدويرُ فيها النواة التي يقوم البيتُ عليها.

* كما تمكّن الصحابة من استغلال بعض ما عدَّ عيبًا عروضيًا كالتضمين والإقواء؛ استغلالاً فنيًا بليغًا شدَّ من لُحمة القصيدة، أو وثّى بقرط العاطفة وتمكّن الحزن.

وإن كان في آخر هذا الكتاب من وصايا واقتراحات فإني أجملها فيما يلي:

* توكيد ضرورة توثيق الشعر العربي القديم ولا سيّما في عصر صدر الإسلام، وإقامة دراسته على ذلك.

* المنهج الأسلم لدراسة أصول شعرنا القديم؛ هو منهج الاستقراء القائم على بذل المجهود في التتبُّع والسُّبر والمقارنة.

* أصل الأحكام في أيّ فنٍ راجعٌ إلى المختصّين في ذلك الفنّ، وإلى كتب ذلك الفنّ؛ فينبغي أن لا يُقتصر في تراجم الرجال على كلام المحدّثين وأحكامهم إذا تعلق الأمر برواية الأدب، بل يُنظر أيضًا في أقوال المؤرّخين والأدباء.

* نحن في حاجةٍ إلى تأليف منهجٍ يستقصي مقاييس العرب وقواعدهم في نقد أصول الشعر؛ فيستخرجها، ويصنّفها، ويُنظّمها، ويوفّق بين المختلف منها، ثم يفيد من دراسات المحدّثين من المستشرقين، ويقارن بين منهجهم ومنهج العرب.

• يعتمد كثيرٌ من الباحثين في الأدب على مصادر بعينها لا تكاد تختلف، ويهملون كتبًا لها خطرُها في الدراسة الأدبية، ككتب الأنساب التي لا يُستغنى عنها في رواية الشعر وتصحيحه، وهي جديرةٌ أن يعتنى بها مثلما يُعتنى بكتب الأدب.

• أحيًا البحث في المراثي النبوية ذكر شعراء مغمورين أو منسيين، يمكن أن يكون ما وُردَ في كتابنا هذا بداية لجمع أشعارهم ودراستها. من هؤلاء الشعراء عمرو بن العاص، الذي لو جمع شعره على ما ينبغي كان ديوانًا تامًا. ومنهم شعراء لهم الأبيات المنثورة كأبي سفيان بن الحارث، وعمرو بن سالم الحُزاعي، وسَمِيعُ ذِي الكَلَّاع، وعدي بن حاتم الطائي، وابن النعمان العتكي، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل.

• كثيرٌ من الأشعار والأخبار والعلم لم يرَ النور بعد، فهو لا يزال مخطوطًا في خزائن الكتب، وعلى الباحثين واجبُ إخراجِه، والتنقيبُ عنه، والرجوعُ إليه. والأفعالوا تبقُّ - أعمالهم منقوصةٌ قَلِقة.



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة:

١. الاستدراك على أبي عمر ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب»، للحافظ الطَّلِيطِي، إبراهيم بن يحيى (مخطوطة بدار الكتب المصرية: تيمورية ٨٩ تاريخ).
٢. إمتاع الأسماع فيما للرسول من الأبناء والأموال والحفّة والمَنَاع، للمقرئ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المصري (دار الكتب المصرية: ٦٣ تاريخ، وهي من مصورات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة).
٣. أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، المنسوب لعلي بن أبي طالب (مصورة بمكتبة الإسكندرية عن المكتبة البريطانية 2 / OR 6578).
٤. أنوار العقول من أشعار وصي الرسول، المنسوب لعلي بن أبي طالب (ضمن مجموع المعراج الرازي، جامعة طهران، المكتبة المركزية ١٠٣٥، مصورة بمكتبة الإسكندرية، ومعهد المخطوطات العربية برقم ٤١).
٥. السيرة النبوية، للكاروني، ظهر الدين علي بن محمد بن محمد (معهد المخطوطات العربية ف ٥٩ كتاب ٣٥٨، مصورة بمكتبة الإسكندرية ضمن مجموعة المعهد برقم ٢٣٢).
٦. قطعة من كتاب السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق بن يسار (مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٣٢٤ عن الأصل المحفوظ بمخزنة جامعة القرويين بفاس برقم ٨٠/٢٢٠).
٧. كتاب الزهرة في الأدب، للأصفهاني، محمد بن داود بن علي (مصورة بمكتبة الإسكندرية من محفوظات: **Biblioteca Reale Torino Orientau 68**).
٨. كتاب سيرة النبي المصطفى وآثار من بعده من الخلفاء، للحافظ علاء الدين بن قَلِيطِ مُفَلْطَاطِي (المكتبة الأزهرية: ج ٩٣٢١، ع ٩٣٥٤٨ تاريخ).
٩. إيضاح المدارك في الإفصاح عن العواتك، للسيد محمد مرتضى الزبيدي (المكتبة الأزهرية: تاريخ ٧٠٢٣١/٦٤٠٥).

ثانياً: المصادر المطبوعة^(١):

١. إنحاف السائل بما لفاطمة من المناقب، للمُنَاوِي، محمد عبد الرؤوف بن علي (تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة).
٢. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م).
٣. أحكام القرآن، لابن العربي، أبي بكر محمد بن عبد الله (تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي).
٤. الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري، أحمد بن داود ص ١٩٩ (تحقيق عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ط ١/١٩٦٠م).
٥. الأخبار الموقفيات، للزبير بن بكار (تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، ط ٢/١٤١٦ هـ).
٦. أساس البلاغة، للزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣/١٩٨٥م).
٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة).
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت).
٩. أسرار البلاغة، للنجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط ١/١٤١٢ هـ).
١٠. أسماء المقتولين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، لمحمد بن حبيب (ضمن نواذر المخطوطات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١١ هـ).
١١. الاشتقاق، لابن دُرَيْد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١١ هـ).
١٢. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١٢ هـ).

(١) أهملت ذكر كلمة (دون تاريخ فيما لم يروله تاريخ طباعة).

١٣. الأضنام، لابن الكلبّي، أبي المنذر هشام بن محمد بن محمد بن السائب (تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية ١٩٩٥م).

١٤. الإعجاز والإيجاز، للشعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (دار الغصون، بيروت، ط ١٤٠٥هـ).

١٥. الأغانى، لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد (دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ).

١٦. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد فنديك (دار صادر، بيروت ١٨٩٦م)

١٧. الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، للكلاعي، أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم (تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٠هـ).

١٨. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للهَمداني، الحسن بن أحمد (تحقيق محمد بن علي الأكوخ، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ).

١٩. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، للهَمداني، الحسن بن أحمد (الجزء العاشر بتحقيق محب الدين الخطيب، دار اليمنية، ط ١٤٠٧هـ).

٢٠. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماکولا، علي ابن هبة الله بن علي (اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ١٩٩٣م).

٢١. إكمال الإعلام بثلاثي الكلام، لابن مالك، محمد بن عبد الله الطائي (تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، منشورات جامعة أمّ القرى ١٤٠٤هـ).

٢٢. الإمام الشواعر، لأبي الفرج الأصفهاني، علي بن الحسن بن محمد (تحقيق الدكتور جليل العظيمة، دار النضال، ط ١٤٠٤هـ).

٢٣. إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، للمقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٠هـ)، (الجزء الأول فقط تحقيق محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤١م).

٢٤. الإمامة المختصر في شرح غريب السير، للهُشَني، أبي ذر مُصعب بن أبي بكر محمد بن مسعود (تحقيق ودراسة الدكتور عبد الكريم خليفة، دار البشير).

٢٥. الإنابة في معرفة المختلف فيهم من الصحابة، للحافظ علاء الدين بن قليظ مُغلطاي (اعتنى به قسم التحقيق بدار الحرمين: السيد عزت موسى وآخران، مكتبة الرشد، الرياض).

٢٦. أنساب الأشراف، للبلادُوري، أحمد بن يحيى (تحقيق محمد حميد لله، دار المعارف ١٩٨٧م).
٢٧. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل بن محمد أمين البغدادي (عُني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقابا ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ).
٢٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١٤٠٣/٣هـ).
٢٩. البحر المحيط في أصول الفقه، للزرکشي، محمد بن بهادر بن عبد الله (حرره الدكتور عبد الستار أبو غدة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط ١٤١٣/٢هـ).
٣٠. البداية والنهاية، لابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (مكتبة المعارف، بيروت ط ١٤١١/٢هـ).
٣١. البديع، لعبد الله بن المعتز (اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط ١٤٠٢/٣هـ).
٣٢. البرهان في علوم القرآن، للزرکشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركائه).
٣٣. البصائر التصيرية في علم المنطق، للساوي، زين الدين عمر بن سهلان (تقديم وضبط الدكتور رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١٩٩٣/١م).
٣٤. البصائر والذخائر، للتوحيدتي، أبي حيان علي بن محمد بن العباس (تحقيق الدكتور وداد القاضي، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ).
٣٥. بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي، أحمد بن يحيى (دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م).
٣٦. بلاغات النساء، لأحمد بن طيفور (صححه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة والدة عباس الأول ١٣٢٦هـ).
٣٧. بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الزاهن والهاجس، لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية).
٣٨. البيان والتبيين، للجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت).
٣٩. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي (مطبعة الحكومة بالكويت).

٤٠. تاريخ أبي زُرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو (وضع حواشيه خليل منصور، بيروت، ط١/١٤١٧هـ).
٤١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٤٢٤هـ).
٤٢. تاريخ الأمم والملوك، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٦).
٤٣. تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، ط٢/١٣٩٧هـ).
٤٤. تاريخ الحميس في أحوال أنفوس نفيس، للذيّار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (مؤسسة شعبان، بيروت).
٤٥. التاريخ الكبير، للبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدکن، ١٣٦٠هـ).
٤٦. تاريخ المدينة المنورة - أخبار المدينة النبوية، لعمر بن شبة النميري البصري (علّق عليه وخرّج أحاديثه علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ).
٤٧. تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطانها العلماء من غير أهلها وواديها، للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٤٢٢هـ).
٤٨. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها على واديها وأهلها، لابن عساكر، علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي (تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط١/١٤١٩هـ).
٤٩. تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصبغ، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصري (تقديم وتحقيق الدكتور حفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي).
٥٠. تخرّيج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، للخزاعي، علي بن محمد بن سعود (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢/١٤١٩هـ).
٥١. تذكرة الحفاظ، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (تصحيح عبد الرحمن بن يحيى

- المعلمي، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، عن طبعة الهند).
٥٢. تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، لسبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي البغدادي (مكتبة نينوى الحديثة، طهران).
٥٣. التذكرة الفخرية، للإربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (تحقيق الدكتور نوري حمودي القيس والدكتور حاتم الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٤هـ).
٥٤. التعازي والمرثي، للمبرّد، محمد بن يزيد (تحقيق إبراهيم الجمل، دار نهضة مصر).
٥٥. التلخيص في علوم البلاغة، للمقزوبي، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب - بشرح البرقوقي - (دار الكتاب العربي، بيروت).
٥٦. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد (تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة).
٥٧. تهذيب التهذيب، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة).
٥٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للميزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/١٣١٣هـ).
٥٩. تهذيب اللغة، للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (تحقيق عبد السلام محمد هارون وعبد الحليم النجار، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة).
٦٠. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لابن ناصر الدين محمد بن عبد الله الدمشقي (تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١/١٤١٤هـ).
٦١. الثقات، لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي (تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط ١/١٣٩٥هـ).
٦٢. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري، أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد (حَقَّق بإشراف الدكتور عبد الحميد مذكور، دار السلام، مصر، ط ٢/١٤٢٨هـ).
٦٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (دار الغد، القاهرة، ط ٢/١٤١٦هـ).
٦٤. جزء أحاديث الشعر، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (تحقيق إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية، عمان، ط ١/١٤١٠هـ).

٦٥. جزء من عاش مئة وعشرين سنة من الصحابة، لأبي زكريا يحيى بن مَنده (قدم له مشهور حسن سلمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط١/١٤١٢هـ).
٦٦. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، للقرشي أبي زيد محمد بن أبي الخطاب (تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة).
٦٧. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، دار الفكر، ط٢/١٩٨٨م).
٦٨. جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط٥)، و(تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر ١٩٤٨م).
٦٩. جمهرة اللغة، لابن دُرَيْد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١/١٣٤٥هـ).
٧٠. جمهرة نسب قریش وأخبارها، للزبير بن بَكَّار (تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٣٨١هـ).
٧١. الجواهر والدرر في ترجمة الحافظ ابن حجر، للسخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (حققه وعلق عليه حامد عبد المجيد وطه الزيني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٨٦م).
٧٢. حَذْفُ من نسب قریش، لأبي قَيد مؤرَّج بن عمرو السدوسي (تحقيق صلاح الدين المنجد، دار العروبة، القاهرة ١٩٦٠م).
٧٣. الحماسة البصرية، للبصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج (تحقيق وشرح ودراسة الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٢٠هـ).
٧٤. الحماسة المغربية مختصر كتاب: صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، للجرأوي، أحمد بن عبد السلام التادلي (تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٤١١هـ).
٧٥. الحور العين، لنشوان الحميري (تحقيق كمال مصطفى، مطبعة السعادة، محافظة مصر ١٩٤٨م).
٧٦. خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن جِجَّة أبي بكر علي الحموي (شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١/١٩٨٧م).
٧٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤/١٤١٨هـ).
٧٨. الدررة الشمينية، لمحب الدين النجار (تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد).

٧٩. دلائل الإعجاز، للدرجاتي، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٤م).
٨٠. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي، أحمد بن الحسين (تخرج الدكتور عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/١٤٠٥هـ).
٨١. دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (تحقيق ودراسة الدكتور محمد التونسي، دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١٤هـ).
٨٢. ديوان إبراهيم بن العباس الصولي، صنعة ابن أخيه محمد بن يحيى (تحقيق عبد العزيز الميمني، ضمن الطرائف الأدبية، ط ١/١٩٣٧هـ).
٨٣. ديوان أبي بكر الصديق (تحقيق راجي الأسمر، دار صادر، بيروت).
٨٤. ديوان أوس بن حُجر (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ط ٣/١٣٩٩هـ).
٨٥. ديوان حسان بن ثابت (تحقيق الدكتور وليد عرفات، دار صادر ١٩٧٤م، مصوِّرة عن طبعة منشورات جب التذكارية ١٩٧١م)، و(تحقيق الدكتور سيّد حنفي حسنين، دار المعارف ١٩٧٤م).
٨٦. ديوان زهير بن أبي سلمى - بشرح ثعلب - (دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ، مصوِّرة عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٣هـ).
٨٧. ديوان علي بن أبي طالب (مؤسسة الأعلمي ببيروت)، ونشرة الدكتور علي مهدي زيتون (دار الجيل، بيروت، ط ١/١٤١٦هـ)، ونشرة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (دار ابن زيدون، بيروت)، ونشرة محمد عبد الرحمن عوض (دار الكتب العلمية بالقاهرة).
٨٨. ديوان الهذليين (دار الكتب المصرية، ط ٢/١٩٩٥م).
٨٩. الذخائر والأعلاق في آداب النفوس ومكارم الأخلاق، لأبي الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الباهلي الأشبيلي (المطبعة الوهبية، القاهرة ١٢٩٨هـ).
٩٠. ذمُّ الهوى، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (صححة وضبطه أحمد عبد السلام عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢/١٤١٣هـ).
٩١. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري (تحقيق الدكتورين محمد بن شريفة وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت).
٩٢. ربيع الأبرار وقصوص الأخبار، للزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (تحقيق عبد المجيد دياب، دار الكتب المصرية ١٤٢٩هـ).

٩٣. الرجال = رجال النجاشي، لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي (تحقيق محمد جواد النائيني، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٨هـ).
٩٤. الرسالة، للإمام الشافعي، محمد بن إدريس المظلي (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت).
٩٥. الروض الأنف، للسُّهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (تحقيق عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).
٩٦. زهر الآداب وثمر الألباب، للخصري، إبراهيم بن علي القيرواني (تفصيل وضبط الدكتور زي مبارك، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٤).
٩٧. الزهرة، للأصبهاني، أبي بكر محمد بن داود الظاهري (تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن ط ٢/١٩٨٥م).
٩٨. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالح، محمد بن يوسف بن علي الدمشقي (تحقيق الشيخين عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت)، و(تحقيق عبد المعز عبد الحميد الجزائر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٧هـ).
٩٩. سلوة الكتيب بوفاة الحبيب، لابن ناصر الدين محمد بن عبد الله الدمشقي (تحقيق الدكتور صالح يوسف معتوق، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي).
١٠٠. السنن الكبرى، للبيهقي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (مجلس دائرة المعارف النظامية بجيدر آباد الدكن، ط ١/١٣٤٤هـ).
١٠١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (حُقّق بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١/١٤١٧هـ).
١٠٢. السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢/١٩٥٥م).
١٠٣. السيرة النبوية، لمحمد بن إسحاق بن يسار (تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، تونس ١٣٩٦هـ).
١٠٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (دار المسيرة، بيروت، ط ٢/١٣٩٩هـ).
١٠٥. شرح التبصرة والتذكرة، للعراقي، زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين (حققه عبد

- اللطف المميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت ط/١٤٢٣هـ).
١٠٦. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن (نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١١هـ).
١٠٧. شرح علل الترمذي، لابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي (حققه وكمّل فوائده نور الدين عتر، دار الملاح للطباعة والنشر، ط١/١٣٩٨هـ).
١٠٨. شرح كافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الإستراباذي المعروف بالرّضّي (دراسة وتحقيق الدكتور يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط١/١٤١٧هـ).
١٠٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، عزّ الدين عبد الحميد المدائني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ).
١١٠. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، تفسير أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي (تحقيق الدكتورين داود سلام ونوري حمّودي القيسي، عالم الكتب، بيروت، ط١/١٤٠٤هـ).
١١١. الشريعة، للأجّري، محمد بن الحسين (تحقيق محمد بن نبيه سيف النصر، مؤسسة قرطبة، ط١/١٤١٧هـ).
١١٢. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١/١٤٠٧هـ).
١١٣. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار العروبة بالقاهرة).
١١٤. الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الأعشى، والأعشىّين الآخرين (مطبعة أدلف هلز هوش، بيانة ١٩٢٧م).
١١٥. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري، أبي، عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (جمعية المكنز الإسلامي ١٤١٢هـ).
١١٦. صحيح مسلم = الجامع الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (دار الجيل، بيروت).
١١٧. الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٢١هـ).
١١٨. طبقات المفسرين، للأدنوري، أحمد بن محمد (تحقيق سليمان الجزبي، مكتبة العلوم والحكم،

المدينة المنورة، ط١/١٩٩٧م).

١١٩. طبقات فحول الشعراء، للجمحي، محمد بن سلام (قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، النشرة الثانية التي ارتضاها المحقق، دار المدني، القاهرة).

١٢٠. طبقات فقهاء اليمن، لعلي بن سُرّة الجعدي (تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٧م).

١٢١. العقد الفريد، لابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧٢هـ).

١٢٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق، أبي علي الحسن القيرواني (حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت).

١٢٣. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، لابن العربي المالكي، محمد بن عبد الله (دار الجيل، بيروت، ط٣/١٤١٤هـ).

١٢٤. عيار الشعر، لابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي (تحقيق وتعليق الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ط٣).

١٢٥. عيون الأخبار، لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (دار الكتب المصرية ١٩٩٦م).

١٢٦. العيون الغامزة على خبايا الرامزة، للدماميني، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (تحقيق الحسّاني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤١٥هـ).

١٢٧. غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلام (تحقيق عبد المعين خان، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١/١٣٩٦هـ).

١٢٨. غريب الحديث، للمخطّابي، أبي سليمان حمد بن إبراهيم البُستي (تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزبائي، خرّج أحاديثه عبد القيوم عبد رب النبي، منشورات جامعة أمّ القرى ١٤٠٢هـ).

١٢٩. الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري، محمد بن عمر (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢).

١٣٠. الفاضل، للمبرّد، محمد بن يزيد (تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، ط٢/١٩٩٥م).

١٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، قرأ أصله تحقيقًا وتصحيحًا عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر).

١٣٢. فتح المغيب بشرح ألفية الحديث للعراقي، ألفه السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (تحقيق الشيخ علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١/١٤١٥هـ).
١٣٣. فتوح الشام، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد (دار الكتب العلمية، ط١/١٤١٧هـ).
١٣٤. فحولة الشعراء، للأصمعي عبد الملك بن قُريب (شرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، وطه محمد الزيني، المطبعة المنيرية بالأزهر).
١٣٥. فن الشعر، لأرسطوطاليس (ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م).
١٣٦. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم (تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازندراني، طهران ١٣٩١هـ).
١٣٧. فهرسة ابن خير الإشبيلي، أبي بكر محمد بن خير بن عمر الأموي (تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ).
١٣٨. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (رُتبه ووثقه خليل مأمون الشيخ، دار المعرفة، بيروت، ط٣/١٤٢٩هـ).
١٣٩. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، أحمد بن عبد الله (تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، ط١/١٤١٨هـ).
١٤٠. الكامل في اللغة والأدب، للميزد، محمد بن يزيد (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣/١٤١٧هـ).
١٤١. كتاب الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (ضبطه وخرج آياته خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ).
١٤٢. كتاب الأسماء المهمة في الأنبياء المحكمة، للخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (أخرجه الدكتور عز الدين علي السيد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤١٣هـ).
١٤٣. كتاب التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني (تحقيق محمد أسعد طلس، دار صادر، بيروت، ط٢/١٤١٢هـ).
١٤٤. كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المشي بن حارثة الشيباني، المنسوب للواقدي، محمد بن عمر بن واقد (تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، دار الغرب، بيروت ١٤١٠هـ).
١٤٥. كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي، أحمد بن حمدان (عارضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي، مركز الدراسات والبحوث اليمني،

ط/١٥/١٤١٥هـ).

١٤٦. كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (تصحيح محمد أمين الخانجي، مكتبة صبيح، القاهرة).

١٤٧. كتاب الطبقات الكبير، لمحمد بن سعد بن منيع الزهرري (تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/١٤٢١هـ).

١٤٨. كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (مجلس دائرة المعارف العثمانية بميدان آباد التَّكُنْ، الهند، ط/١٣٦٨هـ).

١٤٩. كتاب المغازي، للواقدي، محمد بن عمر بن واقد (تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط/١٤٠٤هـ).

١٥٠. كتاب ذيل الأمالي والنوادر، لأبي علي القائي، إسماعيل بن القاسم (دار الكتب المصرية، ط/٣/٢٠٠٠م).

١٥١. كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة السُّكري، أبي سعيد الحسن بن الحسين (حققه عبد الستار أحمد فراج، وراجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة).

١٥٢. كتاب وقعة صقّين، لنصر بن مزاحم الينقري (تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط/١٤٠١/٣هـ).

١٥٣. الكشاف عن حقائق التنزيل، للزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

١٥٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ).

١٥٥. الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة).

١٥٦. لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (تحقيق عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف).

١٥٧. لسان الميزان، لابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ، تحقيق دائرة المعارف النظامية بالهند).

١٥٨. المؤلف والمختلف، للأمدي، أبي القاسم الحسن بن بشر (تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي)، القاهرة ١٣٨١هـ).

١٥٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، أبي الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥م).
١٦٠. مجاز القرآن، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى (عارضه بأصوله وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة).
١٦١. تجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ).
١٦٢. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر الصديقي الكجراتي (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٣/٢هـ).
١٦٣. المحرر، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (تحقيق الدكتورة إيلزه ليختن شتير، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٦١هـ).
١٦٤. المحمّدون من الشعراء، للقفطي، علي بن يوسف (اعتنى بتصحيحه محمد عبد الستار خان إيم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٨٥هـ).
١٦٥. المحيط في اللغة، للصاحب إسماعيل بن عبّاد (تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار عالم الكتب، بيروت، ط ١٤١٤هـ).
١٦٦. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تصنيف ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (دار الفكر، دمشق، ط ١٤١٧هـ).
١٦٧. المذكر والمؤنث، لأبي بكر محمد ابن الأنباري (تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٩هـ).
١٦٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي، علي بن الحسين (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط ١٣٩٣هـ).
١٦٩. مسائل الانتقاد، للقيرواني، محمد بن شرف (دراسة وشرح وتحقيق الدكتور النبوي شعلان، مطبعة المدني، القاهرة).
١٧٠. المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث، للحاکم، أبي عبد الله محمد النيسابوري (مكتبة النصر الحديثة، الرياض).
١٧١. المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيحي، شهاب الدين بن أحمد (شرحه ووضع حواشيه إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة).

١٧٢. المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢/١٤٢٠هـ).
١٧٣. المصباح المضي في كتاب الثَّيِّ الأُمِّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد بن علي بن حديدة الأنصاري (تحقيق محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ).
١٧٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تصنيف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المكتبة العلمية، بيروت).
١٧٥. معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (تحقيق مرجليوث، دار المأمون)، و(تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١/١٩٩٣م).
١٧٦. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (دار الفكر، بيروت).
١٧٧. معجم الشعراء، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الذخائر ٩٣).
١٧٨. معجم الصحابة، للبغوي، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز (تحقيق محمد الأمين بن محمد محمود أحمد الحكيني، دار البيان، الكويت).
١٧٩. المعجم الكبير، للطبراني، سليمان بن أحمد (تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة).
١٨٠. معرفة الصحابة، لأبي نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن إسحاق (تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١/١٤١٩هـ).
١٨١. المغازي النبوية، للزُّهري، محمد بن مسلم بن عبيد الله (مستخرج حققه الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ١٤٠١هـ).
١٨٢. المُغْرِب في حُلَى التَّغْرِب، لابن سعيد المغربي (تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، ط ١).
١٨٣. المفصَّلِيَّات، للمفصَّل بن محمد بن يعلى الضبي (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط ٦).
١٨٤. مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن الصلاح الشافعي (تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة).
١٨٥. من اسمه عمرو من الشعراء، لمحمد بن داود الجراح (تحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المناع، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٦٧م).

١٨٦. مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (نشرة الراشد بن علي المحلاني الحائري، طهران ١٣١٣هـ).
١٨٧. منال الطالب في شرح طوال الغرائب، لابن الأثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري (تحقيق الدكتور محمود الطناحي، القاهرة، ط ١٤١٧/٢هـ).
١٨٨. وفتح الينح، أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أورثاه، لابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله (تحقيق عفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، ط ١٤٠٧/١هـ).
١٨٩. المُنْتَقَى في أخبار قرش، لمحمد بن حبيب البغدادي (صححه وعلق عليه خورشيد أحمد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط ١٣١٤/١هـ).
١٩٠. الموازنة بين شعري تمام والبحرني، للآمدني، أبي القاسم الحسن بن بشر (تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ١٩٦٥م).
١٩١. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - بشرح الزرقاني -، للقسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر (تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت).
١٩٢. الموشح: مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرزباني، محمد بن عمران بن موسى (تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة).
١٩٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (تحقيق علي البجاوي، وفتحة علي البجاوي، دار الفكر العربي).
١٩٤. نزهة الأبياء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد (تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط ١٤٠٥/٣هـ).
١٩٥. نسب قريش، لمصعب بن عبد الله الزبيدي (تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط ١٩٨٢/٣م).
١٩٦. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، أحمد بن محمد التلمساني (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٤٠٨هـ).
١٩٧. النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر (تحقيق الدكتور زين العابدين بلا فريخ، دار أضواء السلف).
١٩٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، أحمد بن عبد الوهاب (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد، المؤسسة المصرية العامة).

١٩٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري (تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت).
٢٠٠. الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (اعتناء س ديدرينغ، دار النشر فرانز شتاير، شتوتغارت ١٤١١هـ).
٢٠١. الوافي بمعرفة القوافي، للعناني، أبي العباس أحمد بن علي الأصبغي الأندلسي (تحقيق الدكتورة نجاه بنت حسن نولي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٨هـ).
٢٠٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي عبد العزيز الجرجاني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا).
٢٠٣. الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت).
٢٠٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خَلِّكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت).

ثالثاً: المراجع:

١. الأدب في عصر النبوة والراشدين، للدكتور صلاح الدين الهادي (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١٤٠٧/٣هـ).
٢. الأدب وفنونه، للدكتور محمد مندور (مطبوعات معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٦١م).
٣. الإسلام والشعر، للدكتور سامي مكي العاني (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٦م).
٤. أصول النقد الأدبي، لأحمد الشايب (مكتبة النهضة المصرية، ط ١٩٩٤/١٠م).
٥. الأعلام، لخير الدين الزركلي (دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢٠٠٢/١٥م).
٦. أعيان الشيعة، لمحسن الأمين (حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للطبوعات، بيروت ١٤٠٣هـ).
٧. أفق الخطاب النقدي: دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، للدكتور صبري حافظ (دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١٩٩٦م).
٨. إقليد الخزانة أو فهرس عناوين الكتب التي رجع إليها أو أخذ عنها عبد القادر البغدادي في خزنة الأدب، لعبد العزيز الميمني (جامعة البنجاب، لاهور ١٩٢٧م).

- ٩.الإلياذة؛ لهرميروس (تعريب سليمان البستاني، المجلس الأعلى للثقافة عن طبعة دار الهلال ١٩٠٤م).
- ١٠.امرؤ القيس بن عابس الكندي وما تبقى من شعره، للدكتور محمد أبو المجد علي (مستلثة من مجلة كلية دار العلوم، العدد الحادي عشر، يونيو ٢٠٠٤م).
- ١١.البحث الأدبي، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف، ط ٩).
- ١٢.البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن حسن حيثكة الميداني (دار القلم، دمشق، ط ١٦/١٤١٦هـ).
- ١٣.البلاغة فنونها وأفنانها، للدكتور فضل حسن عباس (دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط ٧/١٤١٢هـ).
- ١٤.بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، للدكتور يوسف حسين بكتار (دار الأندلس، بيروت، ط ٢/١٩٨٢م).
- ١٥.بناء لغة الشعر، لجون كوين (ترجمة الدكتور أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة).
- ١٦.بيت الأحران في ذكر أحوال سيرة نساء العالمين فاطمة الزهراء، لعباس القتي (دار المعارف، بيروت، ١٤١٩هـ).
- ١٧.تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف بمصر، ط ٧).
- ١٨.تاريخ الأدب العربي (في العصر الإسلامي)، للسباعي السباعي بيومي (مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٥٢م).
- ١٩.تاريخ الأدب العربي، لبلاشير (ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق ١٤١٩هـ).
- ٢٠.تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان (أشرف على الترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م)، وأيضاً الجزء الأول (تحقيق الدكتور عبد الحلیم النجار، دار المعارف، ط ٥).
- ٢١.تاريخ التراث العربي، للدكتور فؤاد سزكين (ترجمة الدكتور محمد فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض ١٤١١هـ).
- ٢٢.التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، لشاكر مصطفى (دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣/١٩٨٧م).

٢٣. تراسل الحواس في الشعر العربي القديم، للدكتور عبد الرحمن محمد الوصيفي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠٠٨م).
٢٤. تنريح النص، للدكتور عبد الله الغدّامي (دار الطليعة، بيروت، ط١/١٩٧٨م).
٢٥. تفسير الأحلام، لسيجموند فرويد (ترجمة الدكتور مصطفى زيور، دار المعارف).
٢٦. الجملة في الشعر العربي، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤١٠هـ).
٢٧. حركة الحياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور (دار القلم، الكويت، ط١/١٩٨١م).
٢٨. حسّان بن ثابت: حياته وشعره، للدكتور إحسان النّصّ (دار الفكر، دمشق، ط٣/١٤٠٥هـ).
٢٩. حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، لعلي فهمي المستاري (دار سعادت، إسطنبول ١٣٢٤هـ).
٣٠. دراسات في الشعر الجاهلي، للدكتور فوزي محمد أمين (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢م).
٣١. دراسات في الشعر والمسرح، للدكتور مصطفى بدوي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢/١٩٧٩م).
٣٢. دراسة في مصادر الأدب، للدكتور الطاهر أحمد مكي (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٨/١٩٤٨م).
٣٣. دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي (دار العلم للملايين، بيروت ط١/١٩٧٩م).
٣٤. دلالات التراكيب: دراسة بلاغية، للدكتور محمد أبو موسى (مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١٤٢٩هـ).
٣٥. ديوان كعب بن مالك الأنصاري (دراسة وتحقيق ساي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ط١/١٣٨٦هـ).
٣٦. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لأقا بزرگ الطهراني (دار الأضواء، بيروت).
٣٧. رؤية جديدة في دراسة الأدب العربي في عصر صدر الإسلام، لأستاذنا الدكتور سعيد حسين منصور (الدوحة ١٩٨١م).
٣٨. الرثاء، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف، ط٤).
٣٩. رواية محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر الروايات، لمطاع الطرابيشي، ص ٣٩ (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١/١٤١٤هـ).
٤٠. شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل للأستاذ محمود مصطفى، شرحه وضيّطه نعيم زرزور

(دار الكتب العلمية، بيروت).

٤١. شعر الرثاء في العصر الجاهلي: دراسة فنية، للدكتور مصطفى عبد الشافي الشوري (الدار الجامعية، بيروت ١٩٨٣م).

٤٢. شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في صدر الإسلام، للدكتور محمد أبو المجد علي (دار الدعوة، الإسكندرية، ط١/١٩٩٤م).

٤٣. الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه، للدكتور محمد النويهي (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة).

٤٤. شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم الدكتور داود سلوم (عالم الكتب، بيروت، ط٢/١٤١٧هـ).

٤٥. شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، للدكتور يحيى الجبوري (منشورات مكتبة النهضة ببغداد، ط١/١٩٦٤م).

٤٦. شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، للدكتور أحمد كمال زكي (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٩هـ).

٤٧. شعر صفية بنت عبد المطلب: جمع وتحقيق ودراسة، للدكتور محمد أبو المجد علي البسيوني (مكتبة الآداب، القاهرة، ط١/١٤٢٣هـ).

٤٨. شعراء همدان في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور حسن عيسى أبو ياسين (دار العلوم، الرياض، ط١/١٤٠٣هـ).

٤٩. الصوتيات العربية، للدكتور منصور بن محمد الغامدي (مكتبة التوبة، الرياض، ط١/١٤٢١هـ).

٥٠. الصورة الأدبية في القرآن الكريم، للدكتور صلاح الدين عبد التواب (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط١/١٩٩٥م).

٥١. الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، لخالد محمد الزواوي (الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط١/١٩٩٢م).

٥٢. الصورة الفنية معيارًا نقديًا، للدكتور عبد الإله الصائغ (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١/١٩٨٧م).

٥٣. الصورة والبناء الشعري، للدكتور محمد حسن عبد الله (دار المعارف ١٩٨١م).

٥٤. ضبط النص والتعليق عليه، للدكتور بشار عواد معروف (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ).

٥٥. ظلمات فاطمة الزهراء في السنة والآراء، لعبد الكريم العقيلي (دون مكان نشر؛ ط ١/١٩٩٦م).
٥٦. عبقرية الإمام (ضمن مجموع: إسلاميات) لعباس محمود العقاد (دار المعارف، ط ٢/١٩٨٥م).
٥٧. عمرو بن العاص، لعباس محمود العقاد (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع).
٥٨. فاطمة الزهراء والفاطميون، ضمن مجموع «إسلاميات»، لعباس محمود العقاد (دار المعارف، ط ٢/١٩٨٥م).
٥٩. فن الجناس، لعلي الجندي (دار الفكر العربي ١٩٥٤م).
٦٠. في الأدب الجاهلي، للدكتور طه حسين (مطبعة فاروق الأول، القاهرة، ط ٣/١٣٥٢هـ).
٦١. في الشعر الإسلامي والأموي، للدكتور عبد القادر القط (دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٧هـ).
٦٢. في الشعر الجاهلي، للدكتور طه حسين (دار الكتب المصرية، ط ١/١٣٤٤هـ).
٦٣. في النقد الأدبي، للدكتور شوقي ضيف (دار المعارف بمصر، ط ٣).
٦٤. في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، للدكتور فوزي محمد أمين (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٢م).
٦٥. قصة الحضارة، لول ديورانت (ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة).
٦٦. قصيدة الرثاء: جذور وأطوار: دراسة تحليلية في مرثي الجاهلية وصدر الإسلام، للدكتور حسين جمعة (دار النخيل، دمشق، ط ١/١٩٩٨م).
٦٧. قضايا الشعر المعاصر، لنازك الملائكة (مكتبة النهضة، القاهرة، ط ٣/١٩٦٧م).
٦٨. قضايا في النقد والشعر، للدكتور يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، ط ١/١٤٠٤هـ).
٦٩. قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، لمحمود محمد شاكر (مطبعة المدني، القاهرة).
٧٠. اللغة العليا (النظرية الشعرية)، لجون كوين (ترجمة الدكتور أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٥م).
٧١. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله (دار النفائس، بيروت، ط ٧/١٤٢٢هـ).
٧٢. المدائح النبوية، للدكتور محمود علي مكي (الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، ط ١/١٩٩١م).
٧٣. المدائح النبوية في الأدب العربي، للدكتور زكي مبارك (مكتبة مصطفى الباني الحلبي، القاهرة).

(١٣٥٤هـ).

٧٤. المدائح النبوية في الشعر العربي من عصر النبوة حتى البوصيري، للدكتور صلاح عيد (مكتبة الآداب، القاهرة، ط١/٢٠٠٨م).

٧٥. مدخل إلى نثر التراث العربي، للدكتور محمود محمد الطناحي (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٠٥هـ).

٧٦. مرآتي النبي ﷺ: جمع وتحقيق ودراسة، للدكتور محمد أبو المجد علي (مكتبة الآداب، القاهرة، ط٣).

٧٧. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب (الكويت، ط٣/١٩٨٩م).

٧٨. المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، للدكتور يحيى وهيب الجبوري (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٩٧م).

٧٩. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، للدكتور ناصر الدين الأسد (دار الجليل، بيروت، ط٨/١٩٩٦م).

٨٠. مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، للدكتور أيمن فؤاد سيد (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٤م).

٨١. مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، لجان سوفاجيه، وكلود كاين (ترجمة الدكتور عبد الستار حلوجي والدكتور عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٨م).

٨٢. مصطلح التاريخ، للدكتور أسد رستم (المكتبة العصرية، صيدا، ط١/١٤٢٣هـ).

٨٣. مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية، للدكتور عبد الحلیم حفي (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م).

٨٤. معجم التاريخ: التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، لعلي الرضا قره بلوط، وأحمد توران قره بلوط (دار العقبة، قيصري، تركيا ١٤٢٢هـ).

٨٥. معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إيان سركيس (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، صورتها مكتبة الثقافة الدينية ببورسعيد).

٨٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (ساعدت على طبعه جامعة بغداد، ط٢/١٤١٣هـ).

٨٧. من نحو المباني إلى نحو المعاني: بحث في الجملة وأركانها، للدكتور محمد طاهر الحمصي (دار سعد الدين

- للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١/١٤٢٤هـ).
٨٨. منهج البحث التاريخي، للدكتور حسن عثمان (دار المعارف، ط٥).
٨٩. الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم (مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٤٠٦هـ).
٩٠. موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس (دار الفكرة للطباعة والنشر، القاهرة).
٩١. موسيقى الشعر العربي: دراسة فنية وعروضية، للدكتور حسني عبد الجليل يوسف (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م).
٩٢. النض الشعري وآليات القراءة، للدكتور فوزي سعد عيسى (منشأة المعارف بالإسكندرية).
٩٣. نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، لديفيد بُسبندر (ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥م).
٩٤. نظرية البنائية في النقد الأدبي، للدكتور صلاح فضل (دار الشروق، القاهرة، ط٢).
٩٥. النظم الشفوي في الشعر الجاهلي، لجيمز مونرو (ترجمة الدكتور فضل بن عمار العماري، دار الأصاله، الرياض ١٤٠٧هـ).
٩٦. النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال (دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٦م).
٩٧. النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، للدكتور محمد الناصر العجيمي (كلية الآداب، سوسة، ط١/١٩٩٨م).
٩٨. نقض كتاب في الشعر الجاهلي، للشيخ محمد الحضر حسين (المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٥هـ).
٩٩. يمانيون في موكب الرسول، لمحمد حسين الفرح (وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ).
- 100...ENCYCLOPEDIA OF ARABIC LITERATURE, Edited by Julie Scott Meisami and Paul Starkey, New York, 1998.
- 101...THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM, Leiden, E.J. Brill, new edition, 1991.
- 102...THE DIWAN OF ABID IBN AL-ABRAS AND AMIR IBN AT-TUFAIL OF AMIR IBN SASAAH (edited by Sir Charles Lyall, Leyden, 1913).

رابعاً: الرسائل العلمية:

١. البنية الإيقاعية في شعر شوقي، لمحمود عمران محمد إسماعيل (رسالة دكتوراه رقم: ٧٧٥٥ س، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٤٠٥هـ).

٢. مرويات البلاذري عن عصر الراشدين: دراسة تاريخية مقارنة للروايات المسندة المعاصرة، لوليد علي الطنطاوي (أطروحة ماجستير بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بكلية دار العلوم بالفيوم ٢٠٠٤م).

خامساً: التّوريات:

١. مجلة معهد المخطوطات العربية (ربيع الأول وشعبان ١٤٠٢هـ، الكويت).

٢. مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء التاسع والأربعون (رجب ١٤٠٢هـ - مايو ١٩٨٢م).

٣. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (جمادى الأولى ١٤١٨هـ).

٤. مجلة عالم الفكر (العدد ٣، المجلد ٣٧ يناير ومارس ٢٠٠٩م، الكويت).

أَفْهَامُ الْعَامَّةِ لِلْكِتَابِ

فهرس شعراء المراثي^(١)

- ابن أبي عزة : ٢٤٠
 ابن ذي أصبح : ١٧٢
 ابن ذي المشعار : ١٨٠
 ابن النعمان العتكي : ١٧٩
 أبو بكر الصديق : ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥
 أبو ذؤيب الهذلي ٢٣٢
 أبو سفیان بن الحارث : ٢٤١
 أبو الهيثم بن التيهان : ٢٣٣
 أروى بنت عبد المطلب : ٣٣٧
 الزبيرقان بن بدر : ٢٥٠
 أم أيمن : ٣٢٦
 أم زعلة : ٣٣٢
 امرؤ القيس بن عابس : ١٧٣
 حسان بن ثابت : ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٦٦ ، ٦٥
 ذو الكلاع : ١٨٥
 سالم الغطفاني : ٢٢٩
 سواد بن قارب : ١٧٠
 شداد بن مالك بن ضَمْعَج : ١٨٨
 صفية بنت عبد المطلب : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠
 عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل : ٣٣٨
 عاتكة بنت عبد المطلب : ٣٣٠

(١) أرقام صفحات مراثيهم .

- عامر بن الطَّفيل الأزدي : ١٦٩
 عبد الحارث بن أنس بن الديَّان : ١٧٥
 عبد الله بن أنيس : ٢٣٧
 عبد الله بن سلمة الهمداني : ١٧٧
 عبد الله بن مالك الأرحبي : ١٧٤
 عدي بن حاتم : ٢٣٦
 علي بن أبي طالب : ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٦
 عمر بن الخطاب : ١٢١، ١٢٢
 عمرو الفُحيل الزبيدي : ١٨٤
 عمرو بن العاص : ١١٩
 عمرو بن سالم الخزاعي : ٢٣٩
 فاطمة بنت النبي ﷺ : ٣٢٥، ٣٢٦
 قيس بن غنيم : ٢٣٥
 كعب بن مالك : ١١٥، ١١٨، ١٢٤
 لبيد بن ربيعة : ٢٤٤
 مرَّان بن عمير : ١٨٦
 مسروق بن ذي الحارث : ١٨٢
 هند بنت أُنانة : ٣٢٨، ٣٢٩
 هند بنت الحارث بن عبد المطلب : ٣٢٧

فهرس المرثي^(١)

٣٢٦	(الخفيف)	أم أيمن	... شِقَاءٌ، فَأَكْثَرِي وَيَلْبِغَاءُ	(٧)
١١٥	(المتقارب)	كعب بن مالك	لِحَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْمُضْطَفَى	(٨)
١١٦	(الطويل)	علي بن أبي طالب	بَأَتْوَابِهِ آسَى عَلَى مَيِّتِ نَوَى	(١٢)
٢٨٥	(البسيط)	صفية بنت عبد المطلب	لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخُطْبُ	(٥)
٢٢٩	(المتقارب)	سالم الغطفاني	أَصْبِحْكِ مَا طَلَعَ الْكَوْكُوبُ	(٢٤)
٣٢٥	(الكامل)	فاطمة بنت النبي ﷺ	إِلَّا جَعَلْتُكَ لِيْلِبَا سَبِيًّا	(٣)
٣٢٧	(البسيط)	هند بنت الحارث بن عبد المطلب	كَمَا تَنْزَلُ مَاءَ الْغَيْثِ فَانْقَعَبَا	(٥)
٢٨٦	(الخفيف)	صفية بنت عبد المطلب	لِلنَّبِيِّ الْمُظْهَرِ الْأَوَابِ	(٦)
٢٨٧	(الخفيف)	صفية بنت عبد المطلب	أَرْقُبُ اللَّيْلَ، فِعْلَةٌ الْمَخْرُوبِ	(٩)
٢٨٨	(الوافر)	صفية بنت عبد المطلب	لَوْجِدِي فِي الْجَوَانِحِ ذِي دَبِيبِ	(٧)
٣٢٨	(الوافر)	هند بنت أئانة	فَقَدَّ بَكَرَ النَّعِيِّ بِمَنْ هُوِيَتْ	(٧)
٦٥	(الطويل)	حسان بن ثابت	تَزِيدُ عَلَى مَنْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا	(٢)
١١٧	(الكامل)	علي بن أبي طالب	يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّقَرَاتِ	(٧)
٢٨٩	(الخفيف)	صفية بنت عبد المطلب	لَيْسَ مَيِّتِي كَسَائِرِ الْأَمْوَاتِ	(٣)
١٦٩	(الخفيف)	عامر بن الطفيل الأزدي	... الَّذِي كَانَ لِلْعِبَادِ سِرَاجًا	(٣)
٢٣٢	(الكامل)	أبو ذؤيب الهذلي	مَا بَيْنَ مَلْحُودِ لَهْ وَمُضْرَجِ	(٧)
١٧٠	(الكامل)	سواد بن قارب	وَأَرَى الْمُصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ	(١٤)
٦٦	(الطويل)	حسان بن ثابت	مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ	(٤٦)
٣٥	(البسيط)	أبو بكر الصديق	مِثْلَ الصُّخُورِ فَأَمْسَتْ هَدَّتِ الْجَسَدَا	(٧)
١١٨	(الطويل)	كعب بن مالك	وَتَلَطُّمِ مِنْهَا خَدَّهَا وَالْمَقْلَدَا	(٩)
١٧٢	(مجزول الخفيف)	ابن ذي أصحح	إِذْ نَعَى لِي مُحَمَّدًا	(٣)

(١) عدد الأبيات بالأرقام في أول الكلام .

- (١٠) بُكَاءُكِ، فَاطِمَةُ، الْمَيِّتِ الْفَقِيدَا
 (٧) وَجَعًا الْجَنْبُ عَمِيرٌ وَظُهُ الْوَسَادِ
 (٨) مَيِّتِ أَلِيَّةٍ بِرِّ عَمِيرٍ إِفْتَادِ
 (٥) يَنْبِيئِي أَحْمَدِ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي
 (١٣) لِأَنَّ الْمَنَاتِيَا لِلنَّفُوسِ بِمَرَضِدِ
 (٩) مَيِّتٌ بِطَيِّبَةٍ مِثْلُهُ لَمْ يُفْقِدِ
 (٩) سَحَا عَلَى خَيْرِ التَّرِيَّةِ أَحْمَدِ
 (٧) فَيَبْتُ بِعَيْنِ ظَرْفِهَا ظَرْفُ أَرْمَدِ
 (١٨) كُجِلْتُ مَا فِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
 (٥) أَلَا لِي الْوَيْلُ عَلَى مُحَمَّدِ
 (٦) لَمَّا مَاتَ يَا أَيْنَ الْقَبْرِ رَبُّ مُحَمَّدِ
 (١٠) عَلَى وَثَلِ حَدِّ السَّيْفِ بَعْدَ مُحَمَّدِ
 (١) مِنَ الْأَلْوَةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودِ
 (٥) وَانْدُبِي خَيْرَ هَالِكٍ مَفْقُودِ
 (٦) وَحَقَّ الْبُكَاءُ عَلَى السَّيِّدِ
 (١٤) عَلَيَّهِ [سَلَامٌ] اللَّهُ أَوْذَى بِهِ الْقَدْرُ
 (١٢) ... فَدَنَّتْهُ الْأَسْوَاعُ وَالْأَبْصَارُ
 (٢) فَبِكِّي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 (٢) فَبِكِّي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 (٥) صَاقَتْ عَلَيَّ بِعَرَضِيهِنَّ الثُّورُ
 (٨) مَعَ الرَّسُولِ تَوَلَّى عَنْهُمْ سَحْرًا
 (١) هَيَّجَتِ لِي حُزُنًا، حَيَّيْتُ مِنْ دَارِ
 (٢) وَلَا تَمَلِّي، وَتَحْكِي سَيِّدَةَ الْبَشَرِ
 (٧) سَكْبًا وَسَحَا بِدَمْعِ عَمِيرٍ تَعْذِيرِ
 (١٠) هُنْدُ بِنْتُ أُنَانَةَ (الوافر) ٣٢٩
 (٧) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الخفيف) ٢٩٠
 (٨) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (البيسيط) ٧٠
 (٥) أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ عَابِسٍ (الكامل) ١٧٣
 (١٣) أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ (الطويل) ٢٣٣
 (٩) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (الكامل) ٧٤
 (٩) عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الطويل) ٣٣٠
 (٧) عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ (الطويل) ١١٩
 (١٨) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (الكامل) ٧٢
 (٥) قَيْسُ بْنُ غَنِيمٍ (الرجز) ٢٣٥
 (٦) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْأَرْحِي (الطويل) ١٧٤
 (١٠) عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ (الطويل) ٢٣٦
 (١) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (البيسيط) ٧٥
 (٥) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الخفيف) ٢٩١
 (٦) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (المتقارب) ٣٦
 (١٤) عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ أَنَسِ بْنِ الدِّيَّانِ (الطويل) ١٧٥
 (١٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَةَ الْهَمْدَانِي (الخفيف) ١٧٧
 (٢) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (مجزوء الكامل) ١٢٠
 (٢) فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ (مجزوء الكامل) ٣٣١
 (٥) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (الكامل) ٣٧
 (٨) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (البيسيط) ٧٦
 (١) أُمُّ رَعْلَةَ (البيسيط) ٣٣٢
 (٢) صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (البيسيط) ٢٩٢
 (٧) عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (البيسيط) ٣٣٣

- (٢) بَطْنَ الصَّرِيحِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ
 حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (البسيط) ٧٧
- (١١) وَلَكِنَّمَا أُنْذِيَ الَّذِي قُلْتَهُ الْجَزَعُ
 عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ (الطويل) ١٢١
- (٨) أَوْذَى بِهِ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُدْفَعُ
 ابْنُ النُّعْمَانَ الْعَتَكِيُّ (الكامل) ١٧٩
- (٨) وَفَوَى، مَرِيضًا، خَائِفًا أَتَوَقَّعُ
 عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ (الكامل) ١٢٢
- (٨) يَوْمًا، وَإِنَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ رَاجِعُ
 عَمْرُ بْنُ الْعَاصِ (الكامل) ١٢٣
- (١٦) وَخَطْبُ جَلِيلٍ لِلْبَلْبَلِيَّةِ جَامِعُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ (الطويل) ٢٣٧
- (١١) لَمْخَفُوقَةٌ أَنْ تُسْتَهْوَى، وَتَدْمَعَا
 عَمْرُ بْنُ سَالِمِ الْخَزْرَاعِيِّ (الطويل) ٢٣٩
- (١١) مُصِيبَتُهُ بِالْغَمَا مَا بَلَغَ
 ابْنُ ذِي الْمَشْعَارِ (المتقارب) ١٨٠
- (٤) وَلَقَدْ يَكُونُ وَفِيْنَا [٩] مَرْتَوْقُ
 ابْنُ أَبِي عَزَّةَ (الكامل) ٢٤٠
- (١٨) وَقَدْ لَآخَ فِي السَّمَا الْعَيُوقُ
 مَسْرُوقُ بْنُ ذِي الْحَارِثِ (الخفيف) ١٨٢
- (٦) لِفِرَاقِ النَّبِيِّ يَوْمَ الْفِرَاقِ
 عَمْرُو الْمُحَمِّلِ الزُّبَيْدِيِّ (الخفيف) ١٨٤
- (٦) قَاطِعٌ لِلظَّهْرِ مُزْرٍ بِالْأَمَلِ
 ذُو الْكَلَّاعِ (الرمل) ١٨٥
- (١٩) وَنَيْلُ أُخِي الْمُصِيبَةِ فِيهِ طَوْلُ
 أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ (الوافر) ٢٤١
- (١٧) ذَلِكَ مِثِّي عَلَى الرَّسُولِ قَلِيلُ
 مِرَّانُ بْنُ عَمِيرٍ (الخفيف) ١٨٦
- (١٣) وَلَا تَمَلَنَّ مِنْ سَجٍّ وَاعْوَالِ
 حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (البسيط) ٧٨
- (١٤) شَدَّتْ عَلَى أَعْتَرِ نَبِيلِ
 لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ (الكامل) ٢٤٤
- (٧) بَعْدَ نَبِيِّ اللَّهِ خَيْرِ الْأَنْامِ
 الزُّبَيْرِقَانُ بْنُ بَدْرِ (السرير) ٢٥٠
- (٥) يُبَادِرُ عَرَبًا بِمَا مِنْهُمْ دَمٌ
 صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الطويل) ٢٩٥
- (١٨) كَأَنَّ جُفُونَهَا فِيهَا كِلَامٌ
 أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقِ (الوافر) ٣٨
- (٣) أَسْفًا عَلَيَّكَ، وَفِي الْفَوَادِ كَلُومُ
 فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ (الكامل) ٣٣٤
- (٣) إِنَّ الْبَغَايَا رُؤْمٌ كُلُّ مَرَامِ
 شَدَّادُ بْنُ مَالِكِ بْنِ صَنْعَجٍ (الكامل) ١٨٨
- (٤) تُعْطِي اللَّهُ أَيْنَ الْبُحُورِ الْجِصَادِمِ [٩]
 صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الطويل) ٢٩٣
- (١) يُخَصُّ بِتَنْزِيلِ الْمَنَانِيِّ الْمُعْظَمِ
 صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الطويل) ٢٩٤
- (٧) عَلَى الْمُضْطَفَى بِالثَّوْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ (الطويل) ٣٣٥

- (٤) جَمِيعًا [و] لَا سِيَّئًا الْمُسْلِمِينَ كعب بن مالك (المتقارب) ١٢٤
- (٨) وَنَعَى النَّبِيَّ حَمِيصَةً بِنُ أَبَانِ عمرو بن العاص (الكامل) ١٢٥
- (٦) شَمْسُ النَّهَارِ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ فاطمة بنت النبي ﷺ (الكامل) ٣٣٦
- (٨) وَقَدْ كَانَ يَرْكَبُهَا زَيْنُهَا عاتكة بنت زيد بن عمرو (المتقارب) ٣٣٨
- (٦) بِدَمْعِكَ، مَا بَقِيْتُ، وَظَاوِعِيْنِي أروى بنت عبد المطلب (الوافر) ٣٣٧
- (١٠) وَأَرْقَنِي لَمَّا اسْتَهَلَّ مُنَادِيْنَا علي بن أبي طالب (الطويل) ١٢٦
- (١٠) وَكُنْتُ يَتَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيْنَا صفية بنت عبد المطلب (الطويل) ٢٩٦
- (٢) أَنْ لَا يَسْمُ مَدَى الزَّمَانِ عَوَالِيْنَا فاطمة بنت النبي ﷺ (الكامل) ٣٣٩
- (١٢) إِذْ رُزِينَا حَيْرَ التَّرِيَّةِ حَيًّا صفية بنت عبد المطلب (الخصيف) ٢٩٨

* * *

فهرس الموضوعات

٥	مقدمة
١٣	تمهيد
٢٩	الباب الأول: توثيق مرآئي الصحابة
٣١	الفصل الأول: توثيق مرآئي أبي بكر الصديق
٣٣	- المرآئي
٤١	- توثيق مرآئي أبي بكر الصديق
٦١	الفصل الثاني: توثيق مرآئي حسن بن ثابت
٦٣	- المرآئي
٨١	- توثيق مرآئي حسن بن ثابت
١١١	الفصل الثالث: توثيق مرآئي من لهم غير مرثية
١١٣	- المرآئي
١٢٩	- توثيق مرآئي من لهم غير مرثية
١٢٩	- مرآئي كعب بن مالك
١٣٧	- مرآئي علي بن أبي طالب
١٥٢	- مرثية عمر بن الخطاب
١٥٥	- مرآئي عمرو بن العاص
١٦٥	الفصل الرابع: توثيق مرآئي أهل اليمن
١٦٧	- المرآئي
١٨٩	- توثيق مرآئي أهل اليمن
٢٠٣	- مرثية ابن ذي أصبح
٢٠٤	- مرثية امرئ القيس بن عابس
٢٠٧	- مرثية ذي الكلاع
٢٠٩	- مرثية سواد بن قارب
٢١٢	- مرثية شداد بن مالك بن صنم
٢١٢	- مرثية عامر بن الطفيل الأزدي
٢١٤	- مرثية عبد الحارث بن أنس بن الديان

- مرثية عبد الله بن سلمة الهمداني ٢١٥
- مرثية عمرو بن الفُحَيْلِ الزبيدي ٢١٧
- مرثية ابن النعمان العتكي ٢١٧
- مرثية مُرَّان بن عمير ذي مُرَّان ٢٢٠
- مرثية مسروق بن ذي الحارث الهمداني ٢٢١
- مرثية ابن ذي المشعار ٢٢٢
- الفصل الخامس: توثيق مرثي طائفة من العرب ٢٢٥
- المرثي ٢٢٧
- توثيق مرثي طائفة من العرب ٢٤٧
- مرثية ابن أبي عَزَّة ٢٤٧
- مرثية أبي ذؤيب الهذلي ٢٤٩
- مرثية أبي سفيان بن الحارث ٢٥٢
- مرثية الزبيرقان بن بدر ٢٥٦
- مرثية سالم الغطفاني ٢٥٨
- مرثية عددي بن حاتم ٢٦٢
- مرثية عبد الله بن أنيس ٢٦٤
- مرثية عمرو بن سالم الخزاعي ٢٦٧
- مرثية قيس بن غنيم ٢٦٩
- مرثية لبيد بن ربيعة ٢٧١
- مرثية أبي الهيثم بن التيهان ٢٧٤
- الباب الثاني: توثيق مرثي الصحابيَّات ٢٧٩
- الفصل الأول: توثيق مرثي صفية بنت عبد المطلب ٢٨١
- المرثي ٢٨٣
- توثيق مرثي صفية بنت عبد المطلب ٢٩٩
- الفصل الثاني: توثيق مرثي طائفة من الصحابيَّات ٣٢١
- المرثي ٣٢٣
- توثيق مرثي طائفة من الصحابيَّات ٣٤١

- مرثية أروى بنت عبد المطلب ٣٤١
- مرثية أم أيمن ٣٤٥
- مرثية أم رَعلة ٣٤٦
- مرثية عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ٣٤٨
- مرثية عاتكة بنت عبد المطلب ٣٥١
- مرثية فاطمة بنت النبي ﷺ ٣٥٦
- مرثية هند بنت أُمّانة ٣٦٥
- مرثية هند بنت الحارث بن عبد المطلب ٣٦٩
- الباب الثالث: الخصائص الفنية في المراثي النبوية ٣٧١
- البناء ٣٧٣
- اللغة ٣٨٨
- معاني إسلامية ٤٢٠
- الصورة ٤٣٣
- الموسيقى ٤٦٥
- الخاتمة ٤٨٣
- المصادر والمراجع ٤٩٣
- الفهارس العامة للكتاب ٥١٧
- فهرس شعراء المراثي ٥١٩
- فهرس المراثي ٥٢١
- فهرس الموضوعات ٥٢٥

...

تم بحمد الله



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠١٣ / ٢١٧٨٠